بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة الدعوة والإعلام
شعبة الدعوة

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد: ٢٧٢/١٨ التاريخ: ١١/١/٢٠٠٢م
م ٢٠٠٢ - ٢٩

منهج البناء الاجتماعي في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل درجة التخصص العالمية العليا

(الدكتوراه)

إعداد الباحث
أحمد محمد حسبو خضر

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الله عبد الحي أبو بكر
(عميد شؤون الطلاب)

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
عمادة شئون المكتبات
مكتبة الرسائل الجامعية
رقم القيد ١٦٢
٦/٥٩
المصدر إهداء التاريخ ١٥/٥/٢٠٠٢م

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

قال تعالى :

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[1]

وقال ﷺ :

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف[2]

---

(١) طه: ٢٠/١ ، ٢

(٢)رواه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج ٤ ص ٢٠٥٢ ، رقم ٢٦٦٤ وابن ماجه في المقدمة ، باب في القدر ، ج١ ص ٣١ رقم ٧٩ وأحمد في مسند المكثرين ، ج٣ ص ٥٥ رقم ٨٥٧٣

الشكر والتقدير

الشـــكر لله مـــا دامت الأرض والسموات ، فبنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنهلُّ الخيرات ، إذ لولاه – سبحانه– ما نطق لسان ، ولا عقل جنان ، ولا أبصرت الحـــق عيـــنان، فلـــه الحمد والشكر أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، ممتثلاً أمره – سبحانه– ﴿ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]

وبعـــد شكري لله الذي وفق عبده ، أقدم الشكر لأصحاب الفضل بعده ، حيث قال ﷺ : [من لم يشكر الناس لم يشكر الله] [2] وعلى رأس هؤلاء الناس أستاذنا الفاضل الشـــيخ الدكـــتور / **عبدالله عبدالحي أبو بكر** ، عميد شؤون الطلاب ، الذي تكرم بالإشـــراف عـــلى هذه الرسالة ، فأعطاها وصاحبها من نفيس التوجيهات ، وقيِّم التعـــليمات مـــا وارى ســـوءتها ، وألبسها حلتها ، وحيث صبر على كثرة أسئلتي وردودي ، وعـــالج فتوري وصدودي ، فجزاه الله خيراً ، فقد تعلمنا من صمته قبل نطقه ، ومن رؤيته قبل روايته .

والشـــكر للأســـتاذ العلامة الدكتور/ **أحمد علي الإمام** ، العالم الرباني ، الذي غمـــرني بإكرامه ، وشملني باهتمامه ، وطالما سألني وناقشني عما تم وعما بقي مما شجعني على مضاعفة جهدي ، وإتمام بحثي .

والشـــكر لكـــلية الدراســـات العليا ممثلةً في عميدها الأستاذ الدكتور/ **حسن أحمد الشيخ الفاتني** وجميع أساتذتها الكرام وموظفيها الفضلاء على ما يقدمونه لطلاب العلم من تيسيرات ، ويمنحونه من تسهيلات.

---

(١) العنكبوت ١٧/٢٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، ج٤ ص٣٣٩ رقم ١٩٥٥ ، وأحمد في مسند المكثرين ، ج٢ ص٥٠٨ ، رقم ٧٤٥٢ .

والشـــكر الجـــزيل للســـادة الأســـاتذة لجنة المناقشة والمتكونة من الأستاذ الدكـــتور / **عبدالله عبدالحي أبو بكر** -عميد شؤون الطلاب- مشرفاً ، والأستاذ الدكـــتور/ **موسى حسن محمد عثمان** -نـــائب مدير معهد بحوث ودراسات العالم الإســـلامي ورئيـــس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية- مناقشاً خارجياً ، والأستاذ الدكتور/ **محمود سليمان علي جادين** ، مناقشاً داخلياً فلهم الشـــكر عـــلى تفضـــلهم بقـــراءة الرســـالة ومناقشتها ؛ وتقديم النصح والتوجيه لصاحبها.

ثـــم الشـــكر بالجملة لجامعة القرآن الكريم شمس الإسلام الطالعة ، ودرته الســـاطعة عـــلى جهودهـــا بحثاً وتأصيلاً ، ودعوةً وتوجيها، وعلى رأسها سعادة مديـــرها الأستاذ الدكتور / **أحمد خالد بابكر** على ما يطلع به من مهام ، وما نلقاه لديـــه مـــن رعايـــة وإكـــرام ، والشكر لأخي الأستاذ / **محمد الحسن الرضي** المدير التـــنفيذي للجامعة الذي وسع الجميع ببشاشة وجهه ، وحسن خلقه ، والتفاني في خدمته .

والشكر للأخ الأستاذ / **خالد عبدالحليم سيد أحمد** الذي تولى طباعة الرسالة منذ انطلاقتها الأولى وحتى استوت قائمة على أصولها، ولم يدخر جهداً في تنميقها وتنسيقها على الوجه المطلوب.

والشـــكر لكل من أعاننا بنصيحة أو مشورة ، أو أمدنا بمصدرٍ أو مرجع أو دعـــا لـــنا بخيـــر وتوفيـــق ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ، وأجزل لهم المثوبة والعطاء.

* * * * *

المقدمـــــــة

الحمـــد لله الذي أنزل القرآن لتزداد به حياة المؤمنين نورا ، وتفيض غبطةً وبركةً وسروراً، وتزدان عفةً ونقاءً وطهوراً ، وأنعم به على جميع الأمة المسلمة رجلاً أو امرأةً أو صغيراً أو كبيراً .

وأشـــهد ألا إلـــه إلا الله ، دعانـــا لفهم كتابه، والعيش في ظله ليذهب عنا الرجس ويطهرنا تطهيرا.

وأشـــهد أن محمـــداً عبـــده ورسوله، أطهر الناس قلباً ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم خلقاً، وأرقهم شعوراً .

الـــلهم صـــل على عبدك ورسولك سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى آلـــه وصحبـــه ما ذكرك ذاكر ، وشكـــرك شاكر ، ولاذ بك حائر ، خائفا مستجيراً.

وبعـــــد ...

فـــإن شريعة الله سبحانه وتعالى تكفل لمن تمسك بها السعادة في الدارين ، والأمـــن فـــي الحيـــاتين ، وعلى قدر الأخذ بها تكون هذه السعادة ، وهذا الأمن ، وعـــلى قـــدر البعد عنها ، والتنكر لها ، يكون الشقاء والاضطراب الذي يخيم على حياة البشر ، وسيبقى كتاب الله ﷻ معيناً لا ينضب ، ورصيداً لا ينفد ، تستمد منه الأمة تعاليم ربها ، وأخلاق نبيها ، وأسباب عزتها ، ومعارج رقيِّها وسؤددها.

وما سعدت الأمة – يوم سعدت – ولا تقدمت ولا انتصرت ، ولا مُكِّن لها إلا يـــوم عـــرفت كتاب ربها، وأنزلته من حياتها خير منزل، وما شقيت الأمة – يوم شقيت– ولا تقهقرت ولا انكسرت ، ولا تمكن منها أعداؤها إلا يوم نسيته وأقصته عن حياتها واكتفت منه بآيات تُعلَّق أو ترتل تفتتح بها البرامج واللقاءات، وتبارك بها الندوات والمؤتمرات ، ويشيَّع بها الراحلون من الأموات.

وهـــذه الدراســـة في البناء الاجتماعي في القرآن الكريم تكشف عن منهج القـــرآن العجيـــب فـــي بـــناء الفرد والأسرة والمجتمع وتهيب بالأمة للرجوع إلى رصـــيدها العالي من القيم والأخلاق بين ثنايا دستورها السماوي لتربط نفسها به، وتُقيم حياتها عليه، وتأخذه كما أخذه الصحابة بقوة والتزام ، وتبجيل واحترام.

* * * *

أولاً : أهمية الموضوع والحاجة إليه :

تنبع أهمية هذا الموضوع مما يلي :-

١- انتصـــر المسلمون من الرعيل الأول على أعدائهم انتصاراتٍ باهرةً لازالت تجد مـــن المحلـــلين لأحداثها والمعجبين بأنبائها حتى الآن رغم قلة عدد المسلمين وعدتهـــم بالقيـــاس إلى عدد وعدة أعدائهم ، وما تم هذا الانتصار إلا بعد أن انتصـــر المسلمون على أنفسهم وذواتهم ، وما كان هذا التفوق إلا بعد تفوقهم فـــي أخلاقهـــم ، ومـــا القرآن إلا ينبوع أخلاقٍ متدفق ، ونور طهر متألق ، يضمن لمن أخذ به دوام الانتصار ، واستمرار التفوق .

٢- إذا كـــان المـــنافقون _ في عصور الإسلام الأولى _ قد حاولوا تقويض صرح الأخـــلاق الذي تربى داخله الصحابة ﷺ فأطلقوا شائعة الإفك ، ولاكت ألسنتهم أطهر عرض وأحصن فرج ، ووجهوا سُمَّهم الزعاف إلى بيت النبي ﷺ ،وما فعـــلوا ذلك إلا عندما يئسوا من هزيمة المسلمين عسكرياً ، فاتجهوا إلى النيل مـــنهم أخلاقيـــاً .فجاءت آيات الوحي المطهر تربي وتقوم ، وتوضح وتفهم ، فتتصدى لكل هجمة، بمقدرة وعبقرية وعظمة ، وحيث إن الصليبية العالمية _ الآن _ لا زالـــت تشـــن حملاتها المسعورة لإفساد قلب المسلم حتى يخلو من الإيمـــان، وإفســـاد الـــبيت الإســـلامي حتى يجاهر بالفاحشة ، ويعلن المنكر ، وإفســـاد المجتمع المسلم حتى ينسلخ من دينه ويبقى مثاراً للسخرية والتندر، فلا هو للدنيا حاز، ولا بالآخرة فاز، لذلك كانت الأمة المسلمة في حاجة ماسة إلى قـــراءة القرآن الكريم قراءةً فاحصة ، تربطها بواقعها ، وتتلمس فيها نور الله ﷻ من خلال آياته ، وفي ضوء تعليماته .

٣- القفزة الهائلة في عالم الفضائيات ودخول ما تطفح به إلى عقر دار المسلمين، ومـــا تحملـــه مـــن معـــاول تهدم في أخلاقهم ليل نهار ، وذلك من خلال البث التـــليفزيوني المباشـــر ، والذي أصبح واقعاً تجب مجابهته والتعامل معه، هذا الواقـــع يســـتوجب _ وبإلحاحٍ _ تربية الأمة بأسرها على أخلاق القرآن غضاً للبصـــر ، وتطهيـــراً للنفس ، وتحصيناً للفرج واستعلاءً على الشهوات. قال تعـــالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ

ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[1] ولـن يجـدي دسُّ الـرأس في التراب ، أو التراجع والانسـحاب ، وإنما الذي يجدي التسلح بالسُّنة والكتاب ، والاستهداء بنورها في غياهب هذه الظلمات، وموجات هذا الضباب.

٤- إنّ الآداب الكـريمة والأخـلاق الفاضلة صفات مركوزة في الفطرة السوية ، ولكـنها تتقـلص وتنحسـر تحت تأثير المغريات الحالية والتي ازدادت أعداد الواقعيـن في أحبالها بفعل التقدم الهائل في أسلوب العرض وفنون التصوير، والقـرآن الكريم فيه من رصيد القيم والفضائل وفيه من جمال الأسلوب ما يرد هـؤلاء ـبإذن الله ـ إلى منطق الفطرة الواضح ، ونورها الوضاء، قال ﷻ ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2] .

٥- لـم تعد الحروب في هذه العصور حروباً عسكرية تُواجَه بمثلها ، وإنما هناك جبهات أخرى قد تكون أشدَّ ضراوةً واستعاراً من الحروب العسكرية ، ألا وهى حـرب الفكـر والفـن والثقافات والدعايات، فإن لم يكن هناك المؤمن الواعي الفـاهم ،الواثـق من دينه، المستمسك بعقيدته ، الذي يواصل حياته على بينة مـن ربه فلن يثبت أمام هاتيك الغارات الفكرية الجامحة، وما القرآن الكريم إلا ذلك النور الذي به يستكشف المسلم طريقه، ويعرف به مكان قدميه ويبصر به أعـداءه ، ويفضـح به مكرهم ، ويتنبه لزيفهم، بعقلٍ واعٍ وفكرٍ مستنير. قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[3].

٦- إذا كان الغرب ـ بحملاته ـ قد استهدف المرأة المسلمة لما علم دورها الخطير فـي تـربية الأجيـال ، وتنشئة الرجال ، فحاول أن يشغل هذه المرأة بتوافه الأمور، من حرية زائفة ، وتقليد أعمى لهذا الغرب في ملبوسه وعاداته ، كان حـتماً أن يُقـدَّم القـرآن الكريم_بمنهجه الإصلاحي البديع ـ لهذه المرأة حتى تعـرف دورهـا ، وتـدرك قيمـتها ، وتشعر بما يحاك لها من حولها، وترى

---

(١) النور : ٢٤/٣٠ .

(٢) إبراهيم ١٤/١.

(٣) النور : ٢٤/٤٠.

النماذج التي صاغها القرآن من بنات جنسها من الصحابيات والتابعيات وكفى بهن أسوة.

٧- إن آيات البناء الاجتماعي المتناثرة في القرآن الكريم -في نظر الباحث- ليست مجرد توجيهات وتعليمات مبثوثة، وإنما هي منهج تربوي متكامل مترابط يكفل -بفضل الله- بناء الفرد والأسرة المسلمة، وكذلك ينتظم المجتمع كله ترتيباً وتنظيماً وإقامة وتشييداً.

٨- وجود النسخة الأصلية من الطبعات البشرية التي خرجت من مطبعة القرآن الأولى بعبقرية النبي محمد ﷺ من الصحابة الكرام، دليل حيّ على السر العجيب في هذا القرآن عندما صاغ هذه النفوس الكبيرة، التي تمتعت بهمم عالية ، وعزة منقطعة النظير، وفي الوقت ذاته سبب كاف للتحلق حول القرآن الكريم طلباً للعافية والشفاء وتأسياً بهؤلاء العظماء ، الذين قال الله فيهم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1] .

٩- يشعر الباحث أن هناك جَدباً أخلاقياً ، وتصحّراً قيمياً ، وقحطاً مُثُلياً في حياة الأمة الإسلامية ، فلم يعد الرجوع إلى القرآن أمراً اختيارياً ، بل هو حتمي يمليه واقع الأمة ، وتحتّمه ظروفها الراهنة ، وإلا سيزداد الأمر سوءاً وتمعن الأمة في الإفلاس.

١٠- الدراسات التي وقف عليها الباحث _ في حدود علمه _ حول البناء الاجتماعي لم تُوَفِّ ما هدفت إليه هذه الدراسة من شمولية ومنهجية هذا البناء كما سيتضح -تفصيلاً- فيما بعد.

---

(١) الفتح ٤٨/٢٩.

ثانياً: منهجية الدراسة:

١- استخدمت المنهج التاريخي التحليلي، حيث أتتبع النصوص من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، كما استخدمت منهج الاستدلال الذي ينبني على قواعد التأمل والتفكر للوصول إلى الحقائق والنتائج ، فأقيس وأقارن وأرجح وأناقش وأستشهد ثم أخرج بالخلاصة حسبما تثبته الأدلة وتقود إليه المقدمات ويستشفه العقل بوسطية معتدلةٍ ، ومحايدةٍ علمية، وأمانة في النقل ، وأفق واسع في فهم القضايا والتعامل معها والحكم عليها .

٢- استخرجت الآيات الكريمة من برنامج القرآن الكريم بالرسم العثماني حرصاً على سلامة الكتابة وتنزيهاً لكلام الله ﷻ عن الخطأ أو التحريف.

٣- كل موضوع أتعرض له بالدراسة أحصر جميع الآيات الصريحة التي ذكرته بترتيب المصحف الشريف ، وكذلك الآيات التي تضمنت الإشارة لهذا الموضوع ولو بطريق غير مباشر، واكتفيت بكتابة بعض الآيات فقط عشر أو أقل والبقية أشير إليها في الهامش برقم السورة واسمها ورقم الآية مرتبةً ترتيباً تنازلياً حسب مكانها في المصحف الشريف لمن أراد أن يعود إليها فالأمر سهل ميسور وما ذلك إلاّ تجنباً لتضخيم الرسالة إذا كتبت فيها كل الآيات.

٤- أختار آيةً أو آيتين وأتكلم عنها أو عنهما بالتفصيل كنموذج للبناء الاجتماعي موضوع الرسالة مبرزاً منهجية القرآن في ذلك البناء.

٥- أستشهد بأقوال النبي ﷺ -ما استطعت- مع أن الرسالة موضوعها القرآن الكريم إلا أن السنة هي الوحي الثاني، والنبي ﷺ هو الذي طبق القرآن على نفسه وأصحابه من حوله، فهم الترجمة الواقعية الحية لهذا القرآن، فاجتهدت أن أدعم البحث بهذا المصدر وذلك باستخراج الأحاديث النبوية من دواوين السنة المعتبرة لدى الأمة مع شرح بعض الكلمات التي تحتاج إلى شرح وإيضاح .

٦- ميزت الأحاديث النبوية بخط مخالف حتى يسهل التعرف عليها والوصول إليها مباشرة.

٧- اجـتهدت أن أنظـر في المسألة إلى أكثر من رأي وذلك للمقارنة والترجيح والوصول إلى الأصوب وتدعيم ما أقوله بآراء العلماء والباحثين.

٨- حرصـت على جمع المعلومات بالرجوع إلى مصادرها الأصيلة مباشرةً قدر الإمكـان ، وشـرحت في الحاشية بعض الكلمات التي أراها في حاجة إلى شرح أو استخراج معانيها من المعاجم المعتبرة .

٩- عـند الإحالـة على مصدر أو مرجع لأول مرة أذكر جميع معلومات الطبع مفصـلة بيـنما في الإحالات التالية عبر الرسالة على المصدر نفسه أكتفي بذكـر الكـتاب ومؤلفه، واسم المحقق إن وجد مع ذكر رقم الصفحة، وإذا تغيرت الطبعة يعاد التفصيل للطبعة الجديدة بالطريقة نفسها.

١٠-ترجمت لمن أذكر من الأعلام سوى المشاهير كالخلفاء الراشدين.

١١-وقفت وقفةً نهاية كل مبحث وأحياناً كل فصل حسب المناسب من وجهة نظر الباحث أبرز فيها أهم ما دار حوله البحث وما أبرزته الدراسة.

١٢-فـي نهاية الرسالة ذكرت ملخصاً مختصراً للبحث وأثبت النتائج العامة التي توصـل إليها البحث وتمخضت عنها الدراسة ، وذلك للإفادة منها ، وكذلك أثبت بعض المقترحات والتوصيات التي ارتأيت الإشارة إليها .

١٣-عمـلت فهـارس تفصـيلية للآيـات القرآنية الكريمة ، والأحاديث القدسية والنـبوية الشـريفة ، والآثـار ، والأبيات الشعرية ، والأعلام المترجمين، والمصـادر والمـراجع ذاكراً ما أخذت منه مباشرة، أما ما أحلت عليه فلم أفهرس له، ورتبتها ألف بائياً بعد إسقاط (الـ) حيث أذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه أمامه كاملاً ، وتاريخ وفاته إن وجد ، ومعلومات الطبع كاملة ، وإذا لـم تـتوفر سـنة الطـبع رمزت لذلك بالرمز (د.ت) ، وختمت الفهارس بفهـرس الموضـوعات مرتـبةً حسـب ورودها في الرسالة وحسب رقم الصفحة.

ولسـت أدعـي الكمـال ، فهو من صفات الرب -سبحانه وتعالى- بينما الـنقص والتقصـير و اختلاف وجهات النظر من صفات بني الإنسان ، وحسبي أني

بذلــت جهــدي، فمــا كان من خير وصواب وسداد فمن الكريم المنان ، وما كان من نقص وخلل وقصور فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان.

ولقد أبى الله أن يُتم إلا كلامه ، وكما قال العماد الأصفهاني: " إنما رأيت أنه لا يكــتب إنســان كتاباً في يوم إلا قال في غده : لو غُير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"[1]

والأمــر كما قال ابن القيم -رحمه الله- : "فلك أيها القارئ صفوه ، ولمؤلفه كــدره ، وهــو الــذي تجشم غراسه وتعبه ، ولك ثمرته، وها هو قد استهدف سهام الراشقين ، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين "[2]

وأستغفر الله من ذنبي كله ، هزلي وجدي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي إنه رحيم ودود.

ثالثاً : الدراسات السابقة :

ليس هناك -فيما أعلم- من رسائل جامعية تحمل عنوان هذه الرسالة ولكن قد توجد رسائل جامعية موضوعها ذو صلةٍ بهذا البحث كما يظهر فيما يأتي : -

١- رسالة دكتوراه بعنوان " الإنسان كما يصوره القرآن الكريم بدءاً ونهاية"

الباحث : صلاح عبدالعليم إبراهيم .

الجامعة : الأزهر الشريف.

الكلية : أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

التاريخ : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢

وقــد مهد الباحث بمفهوم الإنسان، وطبائعه ، وعلاقاته بالكون كله من حوله، وتطــرَّق إلى وجوده الأول وخلقه المستقل، وكيف رفع الله قدْره وسخَّر له كونه، ثم أنهى بالكلام عن مصيره ونهايته وعرضه على الحساب والجزاء.

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، نشر المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ، مصور عن طبعة القسطنطينية ، د.ت ، ص١٨.

(٢) مفــتاح دار السعادة ومنشور ولاة العلم والإرادة ، ابن القيم، تحقيق سيد إبراهيم ، وعلي محمد ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الثالثة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ج١ ص٤٧.

ولـــم يتعرض الباحث - تفصيلاً- لآيات البناء الاجتماعي، ودورها وأثرها في صـــقل مواهب المسلم، وتنمية ملكاته، وإطلاق طاقاته، وهو ما ستحاول هذه الدراسة عرضـــه بمشيئة الله ، هذا رغم جهده الواضح في دراسة هذا الكائن البشري وتاريخ مسيرته على ظهر الأرض وحتى يلقى ربه ﷻ.

٢- رســـالة دكـــتوراه بعـــنوان " منهج الإسلام في إصلاح الفرد والمجتمع من خلال سورة الإسراء"

الباحث : مجدي عبدالغفار حبيب.

الجامعة : الأزهر الشريف.

الكلية : أصول الدين.

التاريخ : ١٤١٧-١٩٩٦

وقد عرف الباحث المنهج والوسيلة والأسلوب، وعرَّف سورة الإسراء متحدثاً عـــن حادثـــة الإســـراء والمعـــراج، متطرقاً للكلام عن القرآن الكريم بياناً وإعجازاً وتشـــريعاً، ثم تعرض لأسس بناء المجتمع وذكر فيها : الطمأنينة والتجرد والاعتزاز بالـــنفس، والرباط الإيماني وغيرها، ثم ناقش منهج الإسلام في رعاية ذوي القربى، وكذلك منهجه في صيانة الأعراض والحفاظ على النفس.

فأبـــان أثـــر الإسلام والقرآن في قيام مجتمع متميز ذي خصائص متميزة يعم أفراده الوئام، ويربط بينهم الحب والسلام، لكنه لم يعرض لمنهجية القرآن في البناء المعـــنوي والحســـي لـــلفرد المسلم والدور الخطير الذي لعبته آياته في هذا البناء، والأمثلة الحية من آيات الوحي التي تتبنى هذه المهمة، والأحداث الواقعية التي تثبت الـــنجاح الباهر الذي حققه القرآن في إيجاد فردٍ متميز في صدقه وخلقه وجميع قيمه وأخلاقه وهو أحد الجوانب التي ستغطيها هذه الدراسة - بإذن الله-.

٣- رسالة دكتوراه بعنوان : "الآداب الاجتماعية في سورة النور"

الباحث : أحمد فؤاد المشتولي.

الجامعة : الأزهر الشريف - القاهرة.

الكلية : أصول الدين قسم التفسير وعلومه.

التاريخ : ١٣٩١هـــ - ١٩٧١م.

تكـــلم الباحث عن زمن وأسباب نزول السورة ، وأفاض في شرح دور الإسلام فـــي حمايـــة الأعراض من الزنا والقذف والإفك واللعان ، وتطرَّق للاستئذان وغض البصر والحجاب كآداب إسلامية تصون المجتمع وتطهره.

ومـــن أبرز نتائج دراسته : بيان عظمة الإسلام في التشريع الاجتماعي الذي يكفـــل الســـعادة لـــلفرد والمجـــتمع، وإذا كان الباحث قد استرسل في بيان التشريع الاجـــتماعي وآثاره على الفرد والمجتمع إلا أنه لم يتتبع آيات القرآن الكريم في شتى ســـوره لإبـــراز دورهـــا في عملية البناء الاجتماعي على نسقٍ معين وأسلوب غير مسبوق.

وتحـــت العنوان نفسه (الآداب الاجتماعية في سورة النور) رسالة ماجستير تحمل هذه البيانات :

الباحث : وافق صونيا.

الجامعة : الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بالجزائر.

الكلية : معهد الدعوة وأصول الدين.

التاريخ : ١٩٩٦م.

تميـــزت الرســـالة بالدراسة الواعية للآداب الإسلامية التي ربَّت عليها سورة الـــنور المجـــتمع المسلم كآداب حفظ اللسان والفرج وغض البصر والحجاب... إلخ. وأثبـــتت آثار ذلك كله في طهارة وسلامة المجتمع والبعد عن الرذائل ليكون مجتمعاً نظيفاً كريم الأخلاق ولئن كانت الرسالة قد تناولت جانباً من جوانب البناء الاجتماعي كما جاء في سورة النور إلا أنها- -وبسبب اقتصارها على سورة النور- لم تعرض لمنهجية القرآن كاملاً في البناء ومتابعته وآثاره وهو الجديد في هذه الدراسة.

٤- رســـالة دكـــتوراه بعنوان: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي (سورتا النور والفرقان).

الباحث : عمر يوسف حمزة.

الجامعة : أم القرى بمكة المكرمة.

الكلية : الشريعة والدراسات الإسلامية.

التاريخ : ١٤٠٤هـــ.

استعرضت الدراسة أسباب النزول وأقوال العلماء وحادثة الإفك ، وتناولت بالتفصيل آداب المؤمنين التي اشتملت عليها السورتان المذكورتان، وأبانت آثار هذه الآداب في طهر ونقاء المجتمع، ودورها في تماسكه وقوته وسلامة بنيانه، وأسهبت في حادثة الإفك والدروس التربوية فيها.

ولكن الدراسة اختصت -فقط - بسورتي النور والفرقان فلم تتناول القرآن كله، ولم تغط -بشمولٍ- البناء الاجتماعي والذي تهدف إليه هذه الأطروحة - بفضل الله وحده.

٥- رسالة ماجستير بعنوان : "منهج الإسلام في بناء المجتمع"

الباحث : جبر محمد حسن جبر

الجامعة: الأزهر الشريف - القاهرة.

الكلية : أصول الدين - قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

التاريخ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

قامت دراسة الباحث على محاور ومنها : أسس النظام الاجتماعي الإسلامي، ومنهجية الدعوة، في إقامة مجتمع مثالي عن طريق الزواج والاختيار والصّداق ، والعقد ، وواجبات الآباء نحو أبنائهم ، وواجبات الأبناء نحو آبائهم والخلافات الزوجية وأسبابها وآثارها، وموقف الإسلام منها، إلا أن الدراسة تناولت المجتمع كوحدة ، ولم تفرد الفرد المسلم بدراسة مستقلة، مفصلة، فلم يكن ذلك من مقاصدها بعكس ما هو الحال بالنسبة لهذا البحث.

٦- رسالة ماجستير بعنوان : "التشريعات الاجتماعية في سورة النور"

الباحث : سليمان صالح عبدالله.

الجامعة : الإسلامية بالمدينة المنورة.

الكلية : القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

التاريخ : ١٤٠٤هـ.

وهي من الرسائل التي تخصصت في سورة النور وأثر هذه السورة البارز في البناء الاجتماعي حيث تتولى بناء سورٍ عالٍ من الأخلاق حول حرمات المجتمع المسلم، ووضعت أسس الآداب الإسلامية للبيت المسلم وطهرته حسياً ومعنوياً ليبقى لبنة قوية في بناء المجتمع.

أما في هذه الدراسة فالقرآن كله موضوعها، والبناء الاجتماعي للفرد والأسرة والمجتمع محاورها.

٧- رسالة ماجستير بعنوان : "الآداب الاجتماعية كما تصورها سورة النور"

الباحث : حسن أحمد عمر اليك.

الجامعة : أم القرى.

الكلية : الشريعة والدراسات الإسلامية.

التاريخ: ١٤٠٢هـ.

عرَّف الباحث بالسورة، وعلاقتها بما قبلها، وأسباب نزولها، واستعرض آدابها كالاستئذان وأقسامه ، وصيانة العرض وغض البصر وحفظ الفرج وتحريم الزينة إلا في موضعها، والحجاب وآداب الطعام ، ثم عرَّج على الأدب العام مع النبي ﷺ خاصة ومع المؤمنين عامة، لكن الباحث -رغم جهده - لم يكن معنياً بمناقشة وتتبُّع آيات البناء الاجتماعي بمختلف أسسه ومحاوره وتفريعاته وهو ما ستحاوله هذه الدراسة بإذنه تعالى.

وعلى ضوء ما سبق، فقد بدا للباحث أن هذه الدراسات بكل ما تناولته ، وأبرزته ، وتوصلت إليه ، وأفادت به ، إلا أنها لم تتناول ما أراده من منهجية البناء الاجتماعي ، للفرد ، ثم الأسرة ، ثم المجتمع ، وكذلك الإبداع المتفرد في هذه المنهجية مما يعزم الباحث -إن شاء الله- على طرحه وإبرازه ، وخاصة أن هذه الدراسات السابقة أجريت كلها قبل هذه القفزة الهائلة في عالم الفضائيات ، وقبل هذه الهجمة المسعورة على رصيد الأمة من الأخلاق ، فأراد أن يتناول هذا الموضوع بما يتناسب مع هذه المستجدات .

رابعاً: *خطة الدراسة* :

الباب الأول : منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للفرد

الفصل الأول : البناء المعنوي .

توطئة :

المبحث الأول : بناء الشعور

المبحث الثاني: بناء الفكر.

المبحث الثالث : بناء القيم : -

المطلب الأول : الرحمة.
المطلب الثاني : العدل.
المطلب الثالث : الصدق.
المطلب الرابع : الجمال.
الفصل الثاني : البناء الحسي:
توطئة:
المبحث الأول : البناء الصحي.
المبحث الثاني: البناء الاقتصادي
المبحث الثالث: البناء التنظيمي.
الفصل الثالث:بناء العلاقات.
توطئة:
المبحث الأول: علاقة الفرد بربه.
المبحث الثاني: علاقته بالمسلمين.
المبحث الثالث: علاقته بغير المسلمين.
الباب الثاني: منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للأسرة.
الفصل الأول : الزوجة.
توطئة:
المبحث الأول : اختيار الزوجة.
المبحث الثاني : رسالة الزوجة.
المبحث الثالث : تعدد الزوجات.
الفصل الثاني : الزوج
توطئة:
المبحث الأول : شروط قبول الزوج
المبحث الثاني : رسالة الزوج.
الفصل الثالث : الأبناء
توطئة:

المبحث الأول : التربية وهمومها.
المبحث الثاني : الطلاق كظاهرة اجتماعية أسباب وآثار.
المبحث الثالث : أبناء وآباء في القرآن الكريم.
الباب الثالث : منهج القرآن الكريم في بناء المجتمع.
الفصل الأول : - منهج القرآن الكريم في نظام الحكم.
توطئة :
المبحث الأول : الحاكم.
المبحث الثاني: الأمة.
المبحث الثالث : المنهج.
الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في مواجهة قضايا المجتمع.
توطئة :
المبحث الأول: قضية الفقر.
المبحث الثاني : قضية العنف والتعصب.
المبحث الثالث : قضية الشرك.
المبحث الرابع : قضية العلمانية.
الفصل الثالث: القرآن الكريم وسنة التمكين
توطئة :
المبحث الأول : أسباب التمكين.
المبحث الثاني : أنواع التمكين وصور الانتصار.
المبحث الثالث : أهداف التمكين.

* * * * *

تمهـــــــيد

الإنسان بين المخلوقات :

الإنســـان هـــو خيرُ مخلوقات الله -سبحانه- وآثرُها عنده، وأكرمُها عليه، فـــالله خـــلق كـــلَّ شيءٍ وأتقن صنعه وتصويره، ولكنْ يبقى الإنسان هو صاحب الموقع الأعلى والمكان الأسمى بين سائر المخلوقات.

هـــذه الحقيقة قرّرها القرآن الكريم بجلاء، وأبرزها بوضوح ، حيث قال الله تعـــالى:- ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[١]

فأيُّ مخلوقٍ هذا الذي حاز كلّ هذا الشرف ، واستحق كل ذلك التكريم، وفاز بكل هذا التفضيل؟! إذْ في آية واحدة يذكر الخالق -جل في علاه- جانباً من فيضه عليه، وإكرامه له ، وحمله إياه ، واحتفائه به ، بل وتفضيله على سائر المخلوقات تفضيلاً عاماً شاملاً ، مطلقاً غير مقيَّد فيه إكرامٌ لنوعه، ورفعٌ لقدْرِه، وحَثٌّ لخطاه نحو السّموِ الإنساني الممكن.

ولئن جاءت الرسالات السماوية السابقة كلها تكريماً لهذا الإنسان، فإن غاية الـــتكريم قد تحققت بنزول هذا القرآن بخبر هذا التكريم الإلهي اللافت حتى لأنظار الملائكة.

ويثبت ذلك ويؤكده الاستعراض التالي لأقوال الأئمة رحمهم الله:

روى الإمام الطبريُّ[٢] - رحمه الله - قال : "حدثنا الحسن بن يحيى[٣] قال:

---

(١) الإسراء ٧٠/١٧

(٢) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري ، من أهل طبرستان ، سمع العلم بمصر والشام والعـــراق واســـتقرّ بـــبغداد ، وبقي بها ، وكان عالماً في أحكام القرآن ، عالماً بالسُّنن وطرقها، توفى بـــبغداد سنة عشر وثلاثمائة للهجرة ، انظر الأعلام للزركلي ٢٩٤/٦ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٢١٢ ، وإنباه الرّواة على أنباه النُّحاة ٨٩/٣، ٩٠ .

(٣) هـــو الحسن بن يحيى بن الجعد بن نشيط العبدي ، أبو علي بن أبي الربيع الجرجاني ، سكن بغداد ، قال ابـــن أبـــي حاتم : سمعت منه مع أبيّ وهو صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات. توفي رحمه الله سنة ثـــلاث وســـتين ومائتين للهجرة . تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٦هـــ -١٩٩٦م، ، ٤١٦/١.

أخبرنا عبدالرزاق[١] ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ[٢] عن زيد بن أسلم[٣] في قوله - تعالى - ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ قال : قالت الملائكة : ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتنعمون، ولم تعطنا ذلك ، فأعطنا الآخرة ، فقال : وعزتي لأجعلن ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له : كن فكان"[٤].

إنه مخلوقٌ مُتميّز عن سائر المخلوقات ، وموجود مُتفرّد بين جميع الموجودات ، فهو في شكله الخارجي لا يشابهها ، وفي تركيبه الداخلي لا يماثلها، وفي تفاعله مع ما حوله لا يطابقها ، وبالنظر إلى هيئته ومشيته وجلسته وسكونه وحركته يتأكد الفرق الشاسع بينه وبين سائر المخلوقات ، حتى هذه التي تمشي على رجلين مثله ، إلا أن كل شيء فيه يؤهله للقيام بدوره المنوط به ،ويعطيه مقومات السيادة على سائر المخلوقات ، وإن كان أصغر من بعضها جسداً ، وأقلّ منها قوةً ولكنّ الذي خلقه منحه ما يستطيع به تأكيد دوره على هذه الأرض منذ خُلق ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتلك إرادة الرب سبحانه وتعالى النافذة ولا يحسبنَّ أحد أنّ هناك تعارضاً بين القول بوجود فروق بين الإنسان وغيره وبين قوله- تعالى-: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٥]

---

(١) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحِمْيري، مولاهم ، اليماني أبو بكر الصفاني عالم مشهور ومحدّث كبير، صاحب المصنَّف في الحديث والآثار، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وتُوفي سنة إحدى عشرة ومائتين، انظر الطبقات الكبرى ٥٤٣/٥ ، وتهذيب الكمال ٥٢/١٨.

(٢) مَعْمَرُ بن راشد الأزدي الحُدانيُّ البصري سكن اليمن ، من رجال الكتب الستة وهو ثقة ثَبْتٌ فاضل ، توفى سنة خمسين ومائة أو بعدها ، انظر الطبقات الكبرى ٥٤٦/٥ ، والثقات لابن حبان ٤٨٤/٧، وتهذيب الكمال للمزّي ٣٠٣/٢٨.

(٣) زيد بن أسلم العدوي أبو عبدالله العمري المدني الفقيه ، كانت له حلقة للعلم في مسجد النبي ﷺ ، وله تفسير يرويه عنه ولده عبدالرحمن بن زيد ، وقد توفي سنة ست وثلاثين ومائة ، انظر طبقات المفسرين للداودي ١ /١٨٢،١٨٣ ، تذكرة الحفاظ ١٣٢/١ ، خلاصة التهذيب ١٠٨، وطبقات القراء لابن الجزري ٢٩٦/١

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ١١٥/٨.

(٥) الأنعام ٣٨/٦.

فـإذا كـان الواقعُ المشاهَدُ لا يُثْبت هذه المثلية في الجسد وتكوينه وشكله وأعضـائه، فـلم يبق إلا الصفاتُ والطباعُ من حيث المسالمةُ والشراسةُ، والوفاءُ والغـدرُ ، والقـناعةُ والشرّهُ، والتواضعُ والكبْرُ ، والنشاطُ والخمولُ ، ففيها درجة الشبه والمثلية بين الإنسان والدواب والطيور.

ذكـر القرطـبي[١] - رحمه الله - قال : " قال سفيانُ بن عُيَيْنة[٢] -رحمه الله- : أي مـا من صنف من الدواب والطير إلا وفي الناس شَبَهٌ منه ، فمنهم من يعـدو كالأسد ، ومنهم من يشرَه كالخنزير، ومنهم من يعوي كالكلب ، ومنهم من يزهو كالطاووس ، فهذا معنى المماثلة"[٣].

وإذا اختلفت نفوس بني آدم بين هذه الصفات، فإن للإيمان دوراً مهماً وأثراً بالغـاً فـي تهذيب الصفات المذمومة، وتنمية الصفات المحمودة، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[٤]

ولقـد انتبه إلى هذه الحقائق ابن القيم[٥] -رحمه الله- فقال: "سبحان الله ، فـي النفس كِبْرُ إبليس ، وحَسَدُ قابيل وعتو عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة نمرود ، واسـتطالة فـرعون ، وبغي قارون ، وقحّة هامان ، وهوى بلعام، وحيل أصحاب

---

(١) محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبدالله القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق ، واستقرّ بشمال أسيوط بمصر ، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، توفى -رحمه الله- سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة ، انظر الأعلام للزركلي ٢١٧/٦ ، ٢١٨.

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد ، محدث الحرم المكي من الموالي ، ولد بالكوفة، وسـكن مكـة وتُوفي بها ، كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، قال الشافعي لولا مالك وسفيان لذهـب علم الحجاز ، توفى سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة ، انظر الأعلام للزركلي ١٥٩/٣ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٥٩/٢، التاج المكلل ، صديق حسن خان صـ٥٠١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٨هـ، ٤٢٠/٦

(٤) الشمس ٩/٩١ ، ١٠.

(٥) الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، تلميذ شـيخ الإسـلام ابـن تيمية النجيبُ، صاحب المصنفات العظيمة النافعة ، توفى -رحمه الله- سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة ، انظر الأعلام للزركلي ٢٨٠/٦-٢٨٢ ، والتاج المكلل ، صديق حسن خان صـ٤١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٨٧/٨-٢٩١ .

السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل ، وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجُعل ، وعقوق الضب، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، وخفة الفراش ، ونوم الضبع ، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك"[١] ومع الجزم بتفاوت نفوس بني آدم كرماً ولؤماً ، وعلُواً وتسفُّلاً ؛ إلا أن هذه النفوس بعامة هي أشرف النفوس التي خلق الله سبحانه ، فهي المعنية بالخطاب الرباني ، وهي المعدة للمهمة الخطيرة، والرسالة الجليلة، ولذلك تمايزت عن سواها، وأكرمت من خالقها أيما إكرام ، وبقي أن يكرمها صاحبها بإقامتها على النهج المبين والصراط المستقيم.

يقول الإمام الرازي[٢] -رحمه الله- "واعلم أن الإنسان جوهر مركّب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي"[٣] إلى آخر ما أورده مفصلاً -رحمه الله -.

إنه التكريم العلوي لهذا المخلوق الذي فضّله الله على من خلق تفضيلا في كل شيء، فاجتمع فيه إبداع الباطن والظاهر، وجمال النفس والجسد ، حتى تميز عمن سواه في منطقه وطريقة طعامه ، وهيئة جلوسه ، وسائر أحواله ، فهو بين سائر المخلوقات واسطة العقد، ومركز الدائرة، وقطب الرَّحى. فَشُرِّف الإنسانُ بعناية الله به ، وتمييزه له،يقول العلامة ابن كثير[٤] -رحمه الله - "أخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها

---

(١) الفوائد ، ابن القيم ، ط دار البيان ، بيروت ، الثانية ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ص ١٤٣ ، ١٤٤.

(٢)الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني ، أصوليّ مفسر ، ذو فنون كثيرة ، له التفسير الكبير ، والمحصول في علم الأصول، وغير ذلك ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجرة وتوفى سنة ست وستمائة للهجرة ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠،٥٠١.

(٣) مفاتيح الغيب ، الرازي ، ط دار الفكر ، بيروت - الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ١٣/١١.

(٤) الإمام إسماعيل بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصريّ ثم الدمشقي، أبو الفداء ، عماد الدين ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، ولد سنة إحدى وسبعمائة للهجرة في قرية من أعمال بصرى الشام ، ورحل في طلب العلم ، من أهم كتبه تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، وشرح صحيح البخاري لم يكمله توفى بدمشق سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة، انظر الأعلام للزركلي ١/٣١٨.

بقولـه - سبحانه- : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾"[١] ويتوالى التكريم العلويّ لهذا المخلوق الآدمي العجيب بإعطائه العقل، وتخصيصه بخطاب السماء، وإرسال الأنبياء ، واجتباء الأصفياء ، وإفراده بالتكاليف الشرعية، واختياره للأوامر الإلهية، والتعاليم السماوية. فهو أهل للتكليف وأجدر بالأمانة من خلال ما أعطاه -سبحانه- ومنحه من قدرات على الفهم والاختيار، والانتقاء والمفاضلة، والتفكير في العواقب ، وتأمل المنافع والمضار ، والمحاسن والمساوئ ، وتفضيل الباقي النفيس على الفاني الرخيص ، والميل الفطري نحو الفضيلة والنفور من الرذيلة ، فلا يستوي عنده النور والظلام، والبصيرة والعمى ولا تختلط في عقله الأمور ، ولا تلتبس أمامه الصور ، وإنما هو مخلوق ميزه مولاه بوسائل إدراك عالية الإحساس.

ويقول العلامة السعديُّ[٢] -رحمه الله- مبيناً جانباً من هذا التمييز لبني آدم: "وهذا من كرمه عليهم ، وإحسانه الذي لا يقادَرُ قدره ، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام ، فكرّمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء ، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة التي لو حاولوا عدها لم يحصوها".[٣]

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة تتضح عدة أمور منها: -

١- العطاء الإلهي غير المحدود لهذا المخلوق العجيب.

٢- المكانة السامية لهذا المخلوق دون سائر المخلوقات ، فهو الأثير عند ربه وهو محور كونه ومحطّ عنايته .

---

(١) التين ٤/٩٥ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، السابعة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، ٨٥/٣.

(٢) عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، أبو عبدالله ، من قبيلة تميم ولد في بلدة عنيزة بالقصيم في المحرم سنة سبع وثلاثمائة وألف للهجرة وتوفيت أمه وله أربع سنين ، ووالده وله سبع سنين ، فتربى يتيماً ونشأ نشأة حسنة ، قرأ القرآن وحفظه ، وتعلم على علماء بلده حتى نال الحظ الأوفر توفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، انظر مقدمة تفسير تيسير الكريم الرحمن ٩٠٥/١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، الرياض - السعودية ، الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ٤ / ٣٠١.

٣- دور هذا الإنسان ومسئوليته في هذه الأرض، فما كان الله ليفرده بهذا التكريم إلا ليخصه بتكليفه دون سواه.

٤- أن الله -سبحانه- وفي إطار تكريمه لهذا الإنسان ما كان ليتركه متخبطاً دون أن يتولاه بتوجيهاته ، ويحوطه بآياته المنزّلة ، ويرشده برسله المرسَلة ، حتى يظل على مستوى هذا التكريم من الإله العظيم.

٥- بلغ هذا التكريم ذروته عندما اصطفى - سبحانه - رسوله محمداً ﷺ من جنس بني آدم وفي هذا ما فيه من رفعٍ لشأنه ، وتشريفٍ لقدْره ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

٦- بلغ هذا التكريم منتهاه عندما تولى القرآن الكريم رعاية هذا المخلوق ونزل من أجله لبنائه اجتماعياً ، وحراسة مسيرته فوق هذه الأرض خطوة خطوة فلا يفارقه بتعليماته ولا يتخلى عنه بتوجيهاته.

أثر القرآن الكريم في حياة الإنسان[2]:-

لقد أنزل الله -عز وجل- كتابه الكريم بعد أن عانت الأرض كلها إفلاساً في عالم القيم، وانهياراً في صرح الأخلاق ، وتراجعاً خطيراً في رصيد المبادئ والمثل، وتمثلت هذه الحالة في شتى جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبالطبع ؛ فقد تبع ذلك فقر مُدقع في الجانب الروحي ما شهدت له الحياة مثيلاً.

بل ربما شبع الناس بطوناً ، وأخذوا حظهم من متع الحياة ، وملكوا وتاجروا وربحوا وكنزوا المال وتداولوه ، وشادوا البناء ورفعوه ، وملؤوا بيوتهم بالأثاث والرياش ، ولكنهم ظلوا يعانون من فراغ القلوب وخواء الأرواح.

والإنسان خلقه ربه - سبحانه- جسداً وروحاً ، لا جسداً فقط ، وكما أن للجسد مطالبه فللروح زادها واحتياجاتها ، ويوم يكون المرء خادماً لجسده مهملاً

---

(١) آل عمران ٣/١٦٤.

(٢) انظر المعجزة القرآنية ، د/ محمد حسن هيتو ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثالثة ، ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

لروحه فهي -إذن- البهيمية الشنعاء ، والحيوانية البلهاء . ولله در القائل : -

يـا خـادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسرانُ؟!

أقبلْ على النفسِ واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ[١]

إذن هو الشقاء الكالح يخيِّم على الحياة ، إذا شبع الجسد ، وأقفرت الروح، فلا إحساس ولا جمال ولا رحمة ولا أخلاق ، ولا مبادئ ولا قيم. فالشهوات مسيطرة، والنزوات متحكمة، وسيظل التاريخ واقفاً بإجلال يبدي إعجابه ، ويعلن دهشته وانبهاره بأناسٍ ربَّاهم القرآن الكريم خير تربية، عاشوا على مأدبته ، فأُشرِبوا آياته ، ورضعوا تعليماته ، وتضلعوا بآدابه فسما بأنفسهم وأرواحهم، وعلا بهممهم وعزائهم ، وحلَّق بتعففهم وترفعهم، وأثنى على زهدهم وقناعتهم ، فضربها للناس مثلاً ، وأقامها على المخالفين حجة، وأبقاها للعالمين دستور أخلاقٍ ومعالم طريق.

إنّ عاماً للمجاعة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قد حلّ بالمسلمين، وبلغت هذه المجاعة الحد الذي أوقف معه أمير المؤمنين تطبيق حد السرقة على السارق الذي قد يدفعه الجوع وتضطره الحاجة إلى التطاول على ممتلكات الآخرين، أو السطو على ما ليس له. ومع ذلك لم يسجل التاريخ -أبداً- أن المسلمين في ظل تعطيل حد السرقة قد تحولوا إلى لصوص يتسورون المنازل ويروِّعون الآمنين. كلاَّ، لقد كان عندهم من المخزون الأخلاقي والرصيد القيمي ما يحول دون مقارفة ما نهى الله عنه وحذَّر منه ، وإمامُهم في هذا أميرهم، وقدوتهم خليفتهم الذي كان أولهم جوعاً وآخرهم شبعاً ، حتى يسمع صوت قرقرة بطنه من شدة الجوع ، فيخاطبه والناس يسمعون: قَرْقِر ، أو لا تُقَرقر ، فو الله لن تأتدم السَّمن حتى يُخْصِبَ المسلمون[٢]

---

(١) انظر كتاب عقد اللآلئ والدرر في المواعظ العبر ، جمع وترتيب : محمد بن أحمد سيد أحمد ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة الثانية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ص ٣٩ والبيتان للشاعر أبي الفتح البستي.

(٢)انظر الرواية في الكامل لابن الأثير ط دار الكتاب العربي - بيروت - الخامسة ، ١٤٠٥هـ ، ٣٨٨/٢، وتاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر الطبري ، ط دار الفكر ، بيروت - الأولى، ١٤٠٧هـ ، ٧٥/٥، والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ط دار الريان للتراث ، القاهرة ، الأولى - ١٤٠٨هـ ، ٩٢/٤ وتاريخ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون ، ط دار الفكر ، بيروت- الأولى ، ١٤٠١هـ ، ٥٥٣/٢.

إن هـذه الصورة الوضيئة التي لم تشهد الحياة لها مثيلاً من سمو أخلاقٍ ، وغـنى نفس، إنها لأثر من آثار هذا القرآن، ونفحة من نفحاته المباركة ، التي ما لا مسـت روحـاً إلا حركـتها ، ولا عـزيمة إلا ألهبتها ، ولا همة إلا حلّقت بها وأعلتها.

وكأنهـا تعيد صياغة الإنسان وبناءه من جديد، أو تعيد ترتيب ملكاته ترتيباً منطقياً فطرياً سليماً ، وبالتالي تعيد تقديمه للحياة في صفاء الغمام ، ونقاء الفجر ، وقوة البحر، وهيمنة الصبح.

إن بناء أخلاق المسلم كان ولا يزال هدفاً أصيلاً من أهداف الكتاب العزيز بل إن اهـتمام القرآن الكريم بالشخصية المسلمة من حيث بناؤها اجتماعياً وتهذيبها وجدانياً وصقلها كان سبباً رئيساً من أسباب نزوله منجّماً ليحقق أهدافاً منها: -

١- قوة التلقي له ، والتقبل لحكمه، والتلهف لنزوله ، والتطلع لسماعه ، والتشوق لوصوله حيث يهطل بعد طول انتظار ، ويُهل بعد مزيد ترقب.

٢- خـروج المسلمين بدروس بليغة ، وعِبَر نفيسة ما كانت لتتم لو كان القرآن قد سـبق المواقف بنزوله. وما لذلك من أثر في بناء المسلم اجتماعياً على جميل السـجايا وكـريم الصفات. ومثال ذلك : - حادثة الإفك حيث اختُبر النبي ﷺ ، وابتُـلي الصـحابة، ومُيِّـز بيـن المؤمنين الواثقين في رسولهم ، والمنافقين المـروجين للإشـاعات الذين طفحت قلوبهم حقداً وحسداً على النبي والعصبة المؤمـنة المتعففة. وفيها التفويض لله عز وجل من قبل أم المؤمنين ، وتأديب المجـتمع المسـلم بـآدابٍ خاصـةعند انطـلاق الشائعات ، ورؤية المسلمين لرسـولهم ﷺ وهـو في محنة ينتظر الوحي ، ويبطئ عليه فيرونه في ضعفه البشري المحض ، وهو مثلهم لا يدري كيف يتصرف ، كل هذا وسواه ما كان ليـتم تحقيقه وتثبيته وإرساء دعائمه ووضع أسسه إلا بفترة ابتلاء وتمحيص قبل نزول آيات تحمل الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر.

٣- تـربية الجماعـة المؤمـنة تربية إيمانية خاصة تشعرهم بأن الله معهم يقود خطاهم ويحرس مسارهم ويصحح نهجهم ، ويرعى مسيرتهم ويشد أزرهم مما ينعكس أثره على الفرد المسلم وعلاقاته الاجتماعية .

٤- زيادة تعلق المسلمين بخالقهم قبل نبيهم ، وبإلههم قبل رسولهم ، كيف لا ؟! وهم يـرون النبي ﷺ يتوقف في الأمور التي تعرض له انتظاراً للوحي ، بل يسمعونه وهـو يستمهل السائل حتى يقضي الله أمره. فهذه خولة بنت ثعلبة[١] -رضي الله عنها- تأتيه -عليه الصلاة والسلام - وتشتكي إليه زوجها أوس بن الصامت[٢] ﷺ قالت: " إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فيَّ، فلما خلا سني وكثر ولدي ، جعلني كأمه، وإنَّ لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إليَّ جـاعوا، فقال لها:- ما عندي من أمرك شيء، والمعنى اعتذاره ﷺ وإمهاله لها حـتى يأتيـه الخـبر اليقيـن من السماء[٣] ترى كم كان لذلك الموقف من أثر محسـوس ووقـع ملموس في نفوس الأصحاب يزيدهم بربهم إيماناً وإليه تطلعاً وعـليه توكـلاً؟! بل ويزيدهم حباً لنبيهم واحتراماً لشخصه، وتصديقاً لمنطوقه، ويربيهم على التوقف عند كل أمر ، وعدم الخوض أو القول بغير علم، وما الذي يمـنعهم مـن ذلك كله وهم يرون النبيَّ الأكرم ، والرسول الأعظم يفعله وينهجه وهو أسوتهم وقدوتهم؟!.

٥- ارتـباط النزول بالموقف له أثره الواضح في التربية والتوجيه والفتيا والمناظرة وكذلـك فـي التلاوة ومدى التأثر بها وكذلك التسليم المطلق لما جاءت به الآيات حـتى يرجع أحدهم عن عَزْمه، ويحيد عن رأيه إذا سمع خلافه ينزل في القرآن فتتجـلى عظمـة النفوس ، وتسطعُ أنوار الطاعة ، وتتغير النفسية من منعٍ إلى عطـاء ، ومـن جفـاء إلى صفاء ، ومن غضبٍ إلى رضا تمشياً مع كلام الله ، ونـزولاً عـلى أمره في وحيه المنزّل. فهذا الصديق أبو بكر ﷺ عندما آلى على

---

(١) خولـة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف ، ويقال لها خولة بنت حكيم ، ويقال : خويلة بالتصغير ، وقيل بنت الصامت التي سمع الله شكواها في زوجها. انظر الإصابة لابن حجر ٤/٢٨٩، وأسد الغابة لأبن الأثير ٦/٩١،٩٢.

(٢) أوس بـن الصـامت بـن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم الخزرجي الأنصاري ، أخو عبادة بن الصـامت، شهد بدراً ، والمشاهد كلها ، مع رسول الله ﷺ توفى بالرملة من أرض فلسطين سنة أربع وثلاثين للهجرة ، انظر:- الإصابة لابن حجر ، مصدر سابق، ١/٨٥ ، وأسد الغابة لابن الأثير ، مصدر سابق ، ١/٧٢.

(٣) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، مصدر سابق ، ٢٩/٢٥٠، وانظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ، مصدر سابق ، ٢٩/٢٥٠.

نفسه ألا ينفع مسطحاً بن أثاثة[١] بنافعة أبداً ، وقد كان قريبه، وكان ممن خاضوا في حديث الإفك . فنزل القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصفح والصلة التي تجلب مغفرة الله سبحانه فقال سبحانه فيه : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] فتتغير -تبعاً لهذه الآية- نفسية الصديق، ويتراجع مباشرة ، "وإذا بالقلب الذي احتمل مرارة الاتهام في بيته وعرضه ما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو ، وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤالُ الموحي ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؟ حتى يرتفع على الآلام ، ويرتفع على مشاعر الإنسان ، ويرتفع على منطق البيئة فيلبي : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ويعيد إلى مسطح نفقته حالفاً: والله لا أنزعها عنه أبداً"[٣].

٦- تربية الأمة الناشيءة في أحضان هذا الدين ، ورفع بنائها لبنةً لبنة بالتدرج والأناة، وإعطاؤها الفرصة الكاملة لتنمو مع هذا التعاليم نمواً طبيعياً في جميع شؤون الحياة حيث يتولاها بالتربية والتوجيه بحنوٍ ورفق ولو أنه كلفها دفعة واحدة بصلاةٍ وصيام وحجٍ وزكاةٍ وجهادٍ واجتنابٍ للخمر، وتركٍ للمآثم لشقّ ذلك عليها ، ولاختلَّ بناؤها، وصدق الحكيم الخبير إذ قال : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[٤]

---

(١) مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قصيّ القرشي المطلبي ، يكنى أبا عباد، وأمه أم مسطح بنت أبي رُهم بن عبدالمطلب بن عبدمناف، شهد بدراً ، وخاض في الإفك، توفى سنة أربع وثلاثين للهجرة وهو ابن ست وخمسين سنة، انظر أسد الغابة ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١١٥/٤ ، ١١٦.

(٢) النور ٢٢/٢٤.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط دار الشروق ، بيروت ، الثالثة عشرة ، ١٩٨٧م ، ١٤٠٧هـ ، ٢٥٠٥/٤، والحادثة رواها البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب التفسير باب : لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، ج٨ ص٣٠٦ - ٣٠٩ رقم ٤٧٥٠ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج٤ ص٢١٢٩-٢١٣٦ رقم ٢٧٧٠.

(٤) الإسراء ١٠٦/١٧.

٧- أثـر التـنزُّل عـلى نفسـية النبي ﷺ وما يحمله من تسريةٍ وعزاء وتثبيت ، وتجديـد لعزيمـته، وحشدٍ لطاقته ، فيشكل هذا التنزُّل الزاد الروحي ، والقوة الخفية له -عليه الصلاة والسلام- قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ [١] فقطـرات الوحـي المـتوالية، ومضـاته المتلاحقة ، وزخاته المرتقبة هي سلواه ﷺ وعزاؤه ، وهي مؤنس حياته ، ومرشد دربه ، ومدده الذي إليه يهفو،وبه يجيب إذا ما تحدَّاه أعداؤه ، أو سـأله أصـحابه. فعندما أتى النبي ﷺ -المدينة- وتشاور اليهود في أمره "فقـال بعضهم لبعض: - سلوه عن الروح ، فلما سألوه أمسك -عليه الصلاة والسـلام- فـلم يـرد عـليهم شيئاً، ونزل عليه الوحي وتلا قوله -تعالى-: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٢] وغيـر ذلـك من الأمثلة والمواقف كثير ، كان القرآن بتنزله مجيب السؤال ، ومصدر الخبر، وحامل الحجة الدامغة التي بها يواجه مُتلقيه ما يعرض له من مواقف يومية، وتحديات خطيرة ، وشبهات كبيرة.

٨- أثـر التـنزل المفرّق في تلقي الجيل الأول له تلقياً خاصاً ، وفي أثر توجيهاته للـناس- كما ذكر صاحب الظلال: " توجيهاً يُطبق في واقع الحياة كلما جاءهم مـنه أمر أو نهي وكلَّما تلقوا فيه أدباً أو فريضة ، فلم يأخذوه متعة عقلية أو نفسية، كما كانوا يأخذون الشعر والأدب ، ولا تسلية وتلهية كما كانوا يأخذون القصـص والأسـاطير"[٣] وإن كان هذا لا يمنع جمالَ نسقه ، وروعة أسلوبه وسـحرَ وقعـه، فتَحْتَ هذا اللفظ الأخاذ والأسلوب المدهش ما هو أروع "فإذا أنـت لـم يُـلْهك جمالُ الغطاء عما تحته من الكنز الدفين، ولم تحجبك بهجة

---

(١) الفرقان ٣٢/٢٥-٣٣.

(٢) الإسـراء ٨٥/١٧ ، وانظر البخاري ، مع الفتح ، كتاب العلم ، باب قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قـليلا) ج١ ص٢٧٠ رقم ١٢٥، ومسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبيَّ ﷺ عن الروح ج٤ ص٢١٥٢ حديث ٢٧٩٤.

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢٢٥٣/٤.

الأســـتار عما وراءها من السرِّ المصون، بل فَلَيْتَ القشرة عن لبِّها ، وكشفت الصدفة عن درها، فنفذت من هذا النظام إلى ذلك النظام المعنوي، تجلَّى لك ما هــو أبهــر وأبهى ، ولقيت منه ما هو أروع وأبدع"[١] فانعكست هذه المعاني وهــذا الإبهار، وهذه الموجات المتلاحقة من العظمة والإدهاش عليهم قوة في الأمر، وجدية في التلقي ، ومسارعة إلى التطبيق ، وإحساساً بقيمة هذا الكلام، وإدراكاً لجلال مُنزله وقائله.

ولقــد كان -ولايزال- موضوع القرآن الكريم هو ذلك الإنسان الجُرْم الصغير، والمخــلوق الخطيــر، حيــث يــتولى القرآن خطابه وتوجيهه، وتهذيبه وتقويمه، وتعــليمه وتفهيمــه، ويظل يتابع خطاه من مهده إلى لحده، لا ، بل حتى وهو في حياتــه البرزخية، لا ، بل حتى وهو بين يديْ ربه، بل وهو مستقر بعد حسابه، في إحــدى الدارين ، وفي كل تعليماته وآياته وإشاراته يقود هذا القرآن خطى الإنسان حــتى يصل به إلى مدارج العز والرضوان فيحوز سعادتي الدنيا والآخرة، بعد أن تولى - بفضل الله - بناءه الاجتماعي معنوياً وحسياً.

والمراد بالبناء المعنوي بناء اللامحسوس في الإنسان من عقل وفكر وجمال.. إلــخ أمــا الحسِّي فهو كل طاقة لها صلة بحواس الإنسان . كما قال محمد قطب - حفظــه الله-: "فالطاقــة الحســية هي طاقة الجسد المتصلة بالحواس والأعصاب والكيماويات والبيولوجيات والفسيولوجيات"[٢] فعلى قدر التوازن بين هاتين ستحدد ملامح الشخصية المسلمة في ذاتها، وستحدد ملامح تفاعلها مع المحيط الذي تحيا فيه سواء كان الأسرة التي ينتسب إليها أو المجتمع الذي ينتمي إليه ويحيا فيه

والــباحث معنيٌّ بتتبع آيات الكتاب العزيز وبيان أثرها ودورها الرائد في البناء الاجــتماعي فــي حيــاة الفــرد والأسرة والأمة بأسرها. تتبعاً يظهر كفالة المنهج الــرباني لهــذا المخــلوق وكفايته لتحقيق حياة طيبة يستمتع فيها الإنسان بجميع

---

(١) النــبأ العظيــم ، د/ محمــد عبدالله دراز -رحمه الله- ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص١٣٥ ، وفليتَ : أي شققت ، ولبها: أي قلْبها

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط دار الشروق بيروت ، الثالثة عشرة، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ١/ ١٥١.

مقومـــات الســـعادة ويـــأخذ بكل مستجدات العصر مع كافة القيم والأخلاقيات التي تمـــنحه الـــرقيَّ والحضارة، فيتولى قيادة ركب الإنسانية بما لديه من الحق والخير ويمســـح عن وجهها آثار متاعب الطريق الذي سلكته وتنكبت فيه يوم حادت عن نهـــج ربهـــا ، وأيضاً يأخذ هذا القرآن بيده إلى رضا مولاه يوم يلقاه. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

* * * * *

(١) النحل ٩٧/١٦.

الباب الأول

منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للفرد

* الفصل الأول : منهج القرآن الكريم في البناء المعنوي للفرد.

توطئة :

المبحث الأول : بناء الشعور.

المبحث الثاني: بناء الفكر.

المبحث الثالث : بناء القيم : -

المطلب الأول : بناء الرحمة.

المطلب الثاني : بناء العدل.

المطلب الثالث : بناء الصدق.

المطلب الرابع : بناء الجمال.

* الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في البناء الحسي للفرد:

توطئة :

المبحث الأول : البناء الصحي.

المبحث الثاني: البناء المالي (الاقتصادي)

المبحث الثالث: البناء التنظيمي.

*الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في بناء علاقات الفرد.

توطئة :

المبحث الأول: علاقته بربه.

المبحث الثاني: علاقته بالمسلمين.

المبحث الثالث: علاقته بغير المسلمين.

الفصل الأول

منهج القرآن الكريم في البناء المعنوي للفرد.

توطئة :

المبحث الأول : بناء الشعور.

المبحث الثاني: بناء الفكر.

المبحث الثالث : بناء القيم : -

المطلب الأول : بناء الرحمة.

المطلب الثاني : بناء العدل.

المطلب الثالث : بناء الصدق.

المطلب الرابع : بناء الجمال.

توطئة

بشـــيء مـــن الـــتأمل تتبين منهجية[١] القرآن الكريم السباقة والمتفردة في بـــناء[٢] الجـــانب المعـــنوي لـــدى الفرد المسلم ، وهي طريقة ربانية معصومة لا يعتريها نقص، ولا يكتنفها قصور فالمسلم صنعة الله، والقرآن كلامه أيضاً فإذا ما تحـــدث الصانع عن صنعته وتولّى توجيهها بما يصلحها كانت النتيجة المضمونة ، والعاقبة الحميدة، فكيف والصانع إلهٌ وصف نفسه بالحكمة والقدرة والإتقان والعلم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣]

والقرآن بآياته التي تقطر نوراً يحرك الطاقة المعنوية لدى المسلم فيجددها ويصـــبغها بصـــبغة الإسلام الخالص ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ﴾[٤]

بـــل ويحتفل بها احتفالاً ضخماً حيث هي شارة الإنسانية في حياة الإنسان، وهـــي رصـــيده الذي يتكئ عليه في التميز على سائر المخلوقات ونسَبه للإنسانية الحقـــة يكـــون حســـب رصـــيده مـــن هذه الطاقة قلَّ أو كثر، لذلك توصف بعض التصرفات بأنها لا إنسانية لفقرها في هذا الرصيد.

---

(١) المـــنهج في اللغة : "الطريق البين الواضح وهو النهج، والجمع نهجات ونُهج ونهوج" لسان العرب، ابن مـــنظور ، ط دار الفكر ، بيروت ، ودار صادر ، الأولى ١٤١٠هـــ -١٩٩٠ ٣٨٣/٢ وانظر مادة (نهج) معجـــم مقـــاييس اللغة - ابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهـــرة ، الأولى ١٣٦٩ ، ٣٦١/٥ وتـــاج العروس ، الزبيدي، ط المطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصـــر ، الأولى ١٣٠٦هـــ ، ١٠٩/٢، وفي الاصطلاح هو : "الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضـــح ، والمـــنهاج : الطـــريق المستقيم وقيل المنهاج هو الدليل ، روح المعاني ، الألوسي، ط دار إحيـــاء التراث ، بيروت ، الثانية (د.ت) ١٥٣/٦. انظر بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي ، ط المجلس الأعـــلى للشـــؤون الإسلامية ، قطر ، الأولى ، ١٣٩٠هـــ -١٩٧٠م. ١٢٨/٥، ومفردات ألفاظ القرآن لـــلراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان داوودي ، ط دار القلم ، دمشق ، الأولى ، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م ص٨٢٥.

(٢) البناء: "بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض" معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ٣٠٢/١، مادة (بنى).

(٣) الملك ١٤/٦٧.

(٤) البقرة ١٣٨/٢.

هـذه الطاقـة المعنوية يقول عنها الكاتب محمد قطب: "والطاقة المعنوية لا يـدري أحـدٌ عـلى وجـه التحديد مكانها وماهيتها ولكنها هي التفكير التصوري الـتجريدي الـذي يدرك الكليات والمعنويات ، يدرك القيم العليا ، يدرك الفضيلة ، يـدرك العـدل ، يـدرك الحـق ، يدرك الجمال وما إلى ذلك من كليات ومعنويات وتجريدات"(١).

وإن لـم يكـن مكانهـا يعـرف تحديداً ، فإن مكانها الإنسان المسلم بكماله الإنسـاني ، وبرصـيده القيمـي بدليل أن الإنسان العادي يستطيع أن يحكم على شخص يتعامل معه بأن لديه هذا الرصيد المعنوي وتلك الطاقة أم لا فيقال : إنسانٌ ذو شـعور، أو متبـلد الشـعور، ويقال إنسان صاحب قيم ، أو متجرّدٌ من القيم ، ويقـال إنسان إنسان أم إنسان ليس بإنسان ، فإلى عظمة هذا القرآن وهو ينشيء الجـانب المعـنوي في حياة المسلم إنشاءً ، ويرعاه ويتعهده حتى يصير سمة من سـماته وعلامة من علاماته، بلا كلفةٍ أو تصنع وإنما تلقائية وعفوية وهي إحدى الإضـافات الـتي يضيفها القرآن إلى أهله، فيميزهم عن غيرهم، فإذا هم دُرَرٌ في عقد البشرية، وشامةٌ في جبين الحياة، بعد أن أُدْخلوا مصفاة القرآن فأبعدت منهم الرديء السيء ، وأبقت ورعت الحسن الطيب ، وشكلت منهم شخصيات ما عرف الـتاريخ لها مثيلاً أصبحت هي نفسها الشاهد الأول على عظمة هذا القرآن، وعلى قدرتـه الفائقـة وإعجـازه المبهر في تغيير شتى الأخلاق ، وإعادة ترتيب جميع الأوراق، وفي الفصل الأول بمباحثه الثلاثة تعرض الدراسة في المبحث الأول لبناء الشـعور، وفـي الثاني لبناء الفكر ، وفي الثالث لبناء القيم ومنها الرحمة والعدل والصدق والجمال.

* * * * *

(١) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، مصدر سابق ، ١٥١/١.

المبحث الأول

بنـــاء الشعور[١]

ومقصـــد الباحث هنا تكوين الذوق العام والإحساس المرهف والشعور العالي الـذي يـــتولد لـــدى المسلم بتوجيه القرآن الكريم بآيات صريحة ، أوْ معانٍ ضمنية. وربما كان مناسباً أن يكون هذا الموضوع هو أولَ لبناتِ الرسالة وذلك لأهميته، حيث نـــزل القـــرآن على قومٍ غلاظ الأكباد، قساة القلوب، فكان الشعور هو أولَ ما أحياه فيهم وحرَّكه لديهم، ففاض على جوارحهم أدباً في قول، ورقَّةً في تصرف، ودمعةً في عين، وطهارة في يد فغيَّر دواخلهم قبل أن يغير بهم كلَّ شيء من حولهم[٢].

وفـــي القـــرآن الكـــريم آيات كثيرة تحدثت عن الشعور صراحة ، وأخرى أشارت إليه بأسلوب غير مباشر.

أولاً : الصريح من الآيات:-

١- قولـــــــه تعـــــالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[٣]

٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[٤]

٣- قولـــه تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾[٥]

٤- قولـــــه تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[٦]

---

(١) شعر به : علم به وفطن له وعقله، انظرمادة (شعر) القاموس المحيط للفيروز ابادي ٢/٥٩.

(٢) انظر الأخلاق الإسلامية ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط دار القلم ، دمشق ، الخامسة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، ١/٧٢ وما بعدها.

(٣) البقرة ٢/٩ .

(٤) البقرة ٢/١٢ .

(٥) البقرة ٢/١٥٤ .

(٦) آل عمران ٣/٦٩.

٥- **قولـــه تعالى:** ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[١]

٦- **قولـــه تعـــالى:** ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]

٧- **قولـــه تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٣]

٨- **قولـــه تعـــالى:** ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤]

٩- **قولـــه تعالى:** ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٥]

١٠- **قولـــه تعالى:** ﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٦] ، **وآيات أخرى كثيرة**[٧]

ثانياً : الضّمني من الآيات في مثل :-

١- **قولـــه تعالى:** ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ

---

(١) الأنعام ٢٦/٦ .

(٢) الأنعام ١٠٩/٦.

(٣) الأنعام ١٢٣/٦.

(٤) الأعراف ٩٥/٧ .

(٥) يوسف ١٥/١٢ .

(٦) يوسف ١٠٧/١٢.

(٧) انظر : النحل ٢١/١٦ ، ٢٦ ، ٤٥ ، الكهف ١٩/١٨ ، المؤمنون ٥٦/٢٣ ، الشعراء ١١٣/٢٦ ، ٢٠٢ ، النمل ١٨/٢٧ ، ٥٠ ، ٦٥ ، القصص ٩/٢٨ ، ١١ ، العنكبوت ٥٣/٢٩ ، الزمر ٢٥/٣٩ ، ٥٥ ، الزخرف ٦٦/٤٣ ، الحجرات ٢/٤٩ .

مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]

٢- قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٢]

٣- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]

٤- قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٤]

٥- قولـــه تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٥] وآيات غير ذلك [٦]

ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات وهي تتحدث عن الشعور: -

الإنســـان خـــلقه الله -ســـبحانه وتعالى- كتلة من المشاعر والأحاسيس ، وشحنةً من العواطف والرغبات تلك التي تجعله يتفاعل مع ما حوله إيجاباً وسلباً ، فهـــو حيـــن ينشدُّ لشيءٍ ينفر من آخر، وحين يضحك لشيءٍ ، يتألم لآخر، وحين يـــرغب في شيء يزهد في آخر. وهو لا يستطيع -بحالٍ- أن ينعزل عن المؤثرات الواقعة عليه حزناً وسروراً ، قبولاً ورفضاً، موافقةً واعتراضاً.

ويـــبقى الحـــسُّ المـــرهف والإحســـاس العالي من سمات النُّبل الإنساني والاســـتواء العقلي الذي جعله القرآن هدفاً من أهدافه ، وغاية من غايات نزوله ، حيـــث يحرر الإنسان من ضغوط الواقع ، وينطلق به إلى آفاق عليا من الإحساس

---

(١) الأنعام ٥٢/٦.

(٢) الأعراف ١٧٩/٧.

(٣) يونس ١٠١/١٠.

(٤) يوسف ١٠٥/١٢

(٥) الكهف ٦/١٨.

(٦) انظر الفرقان ٤٠/٢٥ ، الشعراء ٣/٢٦ ، النجم ٥٩/٥٣ -٦١ ، وعبس ١/٨٠-٩ .

الـــرقيق والشـــعور النـــبيل ، والملاحظ أن الآيات القرآنية التي ذكرت الشعور أو تضمنته تؤكد ما يلي : -

١- الثـــناء على صاحبه والتعاطف معه كقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[١]

٢- الدعـــوة إليه والحض عليه كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]

٣- الإنكـــار عـــلى المتجرد منه كقولـــه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ ﴾[٣]

٤- التـــنفير مـــن فاقديـــه : كقولـــه تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤]

٥- التخويف من عاقبة فقده والتجرد منه: كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾[٥]

٦- التوجيه إليه من الله عز وجل : كقوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾[٦]

رابعاً : أمثلة ونماذج على بناء الشعور:

أ- من الآيات الصريحة:

١- قولـــــه تعـــالى : ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا

---

(١) الشعراء ٣/٢٦.
(٢) يونس ١٠١/١٠.
(٣) الفرقان ٤٠/٢٥ .
(٤) النمل ٥٠/٢٧.
(٥) الأعراف ١٧٩/٧.
(٦) عبس ١/٨٠-٣.

يَشْعُرُونَ ﴾[١]

لقد انغمسوا في المعاصي والنفاق فأفسد عليهم أنفسهم وفسدت -بالتالي- أعمالهم وفسدت تصوراتهم عما حولهم - وفسدت أذواقهم في فهمهم لقضايا الكون وفسدت أذواقهم في تقدير الأشياء ، والحكم عليها، والتفاعل معها ، وما ذلك إلا عقوبة ضربها الله - سبحانه- على قلوبهم ففقدوا الشعور الذي يميز الإنسان عن غيره ، بل يميزه عمن سواه من بني الإنسان إذ قلَّ نصيبهم منه وهي حالة من موت الشعور أو افتقاده حتى أصبحوا - كما قال الفخر الرازي - رحمه الله - : " لتماديهم في الغفلة كالذي لا يحس"[٢]

ومن الآية الكريمة التي تذم حال المنافقين في بلادة شعورهم يُستنتجُ ما يلي: -

١- أن الشعور والإحساس يكونان -دائماً- كالمرآة الصافية التي تعكس لصاحبها حاله وتريه صورته الحقيقية، وتكشف له سوءاته فإذا به أمام كل سانحةٍ لانحراف، أو خاطرة لذنب، أو عَرَضِ لمرض يشعر ويحس فيبادر إلى إعادة نفسه إلى الجادة ، وتطهيرها مما أشرفت عليه، وتزكيتها بصالح الاعتقاد وطيِّب العمل.

٢- أن الذي لا يُحسُّ ولا يشعر تختلط في نفسه جميع الضوابط فيختل فهمُه، ويختل حكمُه على الأشياء ، بل قد يرى الأمور على عكسها، وينسب لنفسه ما ليس فيها ويبرئُها مما هي فيه منغمسة ، وبه ملطّخة، وعليه عاكفة وبه معروفة .

٣- أن المؤمنين -كما يُفهم- من الآية الكريمة يشعرون ويُحسون ولذلك اختلفوا عن المنافقين الذين ذمهم الله بعدم الشعور، فما أجمل الشعور كصفةٍ تميز المؤمن عن المنافق، وتستحق أن يكون الله - تعالى- في صف أصحابها حيث قال -تعالى- وقد جعل نفسه -سبحانه- في صف المؤمنين: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ ﴾ على قراءة الجمهور، أمَّا قراءة نافع وابن كثير

---

(١) البقرة ٢/٩.

(٢) مفاتيح الغيب ، الرازي ، مصدر سابق، ١/٧٠.

وأبي عمرو: [وما يخادعون][1] ، فجعل الله سبحانه وتعالى من يخادع عباده المؤمنين مخادعاً له ﷻ أو من يخادع رسوله ﷺ مخادعاً له -تبارك اسمه- وكفى بذلك تكريماً للمؤمنين وكيداً لغيرهم

٤- خـتام الآيـة الكـريمة بلفظة (وما يشعرون) يزيد من إبراز معنى هذا التعبير ويزيد من لفت الانتباه إليه ، ويزيد من تقبيح هذه الصفة الذميمة حيث أن كلَّ مـا سبقها من مخادعة وازدواجية ، إنما ترتب على غياب الشعور الشفيف ، والإحساس الرقيق ففسد الطبع تبعاً لذلك.

٢- قولـه تعـالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2] والآية تكشف جانـباً مـن صفات المنافقين ، وتفضح خبايا نفوسهم ، وقبيح سلوكهم ، وسوء ، صنيعهم .

قـال أبـو حيـان[3] -رحمه الله-: " جعلوا لدعواهم ما هو إفساد إصلاحا، انـتفى عـنهم الشعور، وكأنهم من البهائم ، لأن من كان متمكناً من إدراك شيء فـأهمل الفكر والنظر حتى صار يحكم على الأشياء الفاسدة أنها صالحة فقد انتظم في سلك من لا شعور له ولا إدراك"[4]

فالمنافي للفطرة السوية هو كون المرء مفسداً في الأرض ، معطلاً للمصالح سـواء كـان ذلـك بنفاقه ، أو بسوء عمله ، والمصادم للفطرة كونه يرى الفساد صـلاحاً ، والإساءة إحساناً، والشر خيراً ، وما ذلك إلا لموت ذلك الشعور النابض الذي يدرك حقائق الأشياء ، وما هو -أيضاً- إلا لانتفاء الإيمان عن هذه القلوب ،

---

(١) انظـر النشـر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الأولى ، د.ت ، ٢٠٧/٢.

(٢) البقرة ١٢/٢ .

(٣) أبوحيـان محمـد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في جهات غرناطة ، ورحل إلى مالقة ، وتنقل إلى أن أقـام بالقاهرة وبها توفي ، سنة خمس واربعين وسبعمائة للهجرة ، انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤، وغاية النهاية ٢٨٥/٢، والأعلام ١٥٢/٧.

(٤) البحرالمحيط ، أبو حيان التوحيدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، الأولى ، ١٣٢٨هـ ٦٦/١.

وبالتالي تخبطها في دياجير الظُّلَم، يقول سيد[١] - رحمه الله- : " والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذ ر أن يشعروا بفساد أعمالهم لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ولا يثوب إلى قاعدة ربانية"[٢]

فهم -وبتأمل حالهم- يمكن وصفهم بعدة صفات ؛ هي : -

١- أنهم ادَّعوا الصلاح وهم مفسدون لبلادة حسهم وموت شعورهم.

٢- أنهم استحبوا الفساد في الأرض ولو شعروا بخطر ذلك على أنفسهم وغيرهم لانتهوا ولكفوا أيديهم عن هذا الفساد.

٣- أنهم لم يشعروا بخطورة فعلهم، وسوء عاقبتهم ، وأثره على البلاد والعباد.

٤- أنهم تخيلوا الإفساد إصلاحاً والإساءة إحساناً والتخريب إعماراً.

٥- أنهم لو شعروا بدورهم في مجتمعهم ورسالتهم بين الناس، وأثرهم في الحياة لغيروا من نهجهم ولكن لما غاب عنهم هذا الشعور تنكروا للمجتمع الذي فيه يعيشون، وللوسط الذي إليه ينتمون فأدمنوا الإفساد ومردوا على التخريب والتدمير والإتلاف.

٦-لو رأى المرء عيوبه لعدَّل من نفسه، وما أقبح ألا يرى المرء عيوبه فيتمادى، أو يرى عيوبه مميزات فيزداد تخبطاً بلا بيِّنةٍ أو رويَّة.

بد من الآيات الضمنية :

١- ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[٣]

هذه الآية تناشد في النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- إحساسه العالي، وذوقه الرفيع، وحسَّه المرهف، وأدبه الجم، ورقته الآسرة، ألا ينصاع لمماحكات الكفار ومطالبهم السخيفة، وألا ينساق لتحقيق رغباتهم، وألا ينخدع بزخارف

---

(١) هو المفكر الشهيد سيد بن قطب إبراهيم مواليد قرية موشا ، أسيوط ، تخرج في كلية دار العلوم، وانتظم مع (الإخوان المسلمون) وترأس جريدتهم ، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف واستشهد -رحمه الله- سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف ، من أشهر مؤلفاته : في ظلال القرآن والتصوير الفني في القرآن وغيرهما - انظر الأعلام ١٤٧/٣ ، ١٤٨.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ، مصدر سابق ، ٤٤/١.

(٣) الأنعام ٥٢/٦.

قولهم فيطرد الصُّلحاء ، ويكسر خواطرهم، ويكدِّر صفاء نفوسهم، ويشعرهم بالدونية وهم الأطهر قلباً والأزكى نفساً ، والأصدق نهجاً ، والأسلم وجهة، وكفى سبقهم المشهود ، وفعلهم المحمود، ومسارعتهم إلى الإسلام بدخوله، وحبهم لله ورسوله. ولا يضرهم كونهم فقراء الجيوب، ماداموا أغنياء القلوب، ولا يشينهم كونهم وضيعي النسب ، إذ يكفي ما يحملون من قلوب خلت من الشكوك والرِّيَب ، ثم إن تقواهم خير نسب، وطاعتهم خير حسب.

إن المصطفى ﷺ لم يطردهم، ولكنَّها التربية له ﷺ وللمسلمين حوله ومن بعده على : -

١- الإحساس بمن حوله.

٢- إدراك مقدار الأذى النفسي الذي يصيب الغير من جرَّاء تصرف كهذا.

٣- الإحساس والإدراك لمخطط الخصم الماكر حيث أراد كفار مكة أن يحرموا هؤلاء الأخيار من شرف السَّبق، أو يشوهوا هذه الصفحة الناضرة ففوَّت عليهم ذلك.

٤- تقوية شعور الحب والإخلاص للمولى سبحانه، وشعور التضحية والعطاء لهذا الدين لدى أهله بعد أن سمعوا ربهم ينزل قرآناً في شأنهم وأمثالهم ينهي عن طردهم ، ويوحي بإكرامهم، وما كان هذا ليتم لولا إرادة الله عز وجل هذا الموقف من كفار قريش.

٥- الذوق الرفيع في التعامل مع الأتقياء وأصحاب السير الكريمة، وأهل العلم والفضل، فإن بلالاً[1] ﷺ ومن كانوا معه لم يضمنوا بهذه الآيات -فقط- عدم الطرد وإنما ضمنوا -أيضاً- نبعاً من الحب لا ينضب ، وشلالاً من المشاعر والحفاوة لا يتوقف، ولوحة من البشاشة والطلاقة لا يكدرها مكدِّر ، ولا يعكِّر صفوها معكِّر.

---

(١) بلال بن رباح التيمي ، مؤذن النبي ﷺ ، يقال له : أبو عبدالرحمن ، أسلم قديماً ، وعذب في الله، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، سكن دمشق ، وروى عن النبي ﷺ ، قيل: مات بالشام سنة عشرين وقيل سنة ثماني عشرة للهجرة وهو ابن بضعٍ وستين ﷺ ، انظر تهذيب التهذيب ، ابن حجر، سابق ، ٢٥٣/١ ، ٢٥٤ .

عن مجاهد[١] -رحمه الله- "قال تعالى: ﴿ لَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[٢] يعني المصلين بلالاً، وابن أم معبد[٣] ، كانا يجالسان النبيّ ﷺ فقالت قريش -مُحقِّرَتهما- لولاهما وأمثالهما لجالسناه، فنهى عن طردهم إلى قوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٤] ونزلت فيهم أيضاً ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٥]

عن خباب[٦] ﷺ قال : " جاء الأقرع بن حابس التميمي[٧] ، وعُيَيْنة بن حصن الفزاري[٨] فوجدا النبي ﷺ قاعداً مع بلال، وصهيب[٩]

---

(١) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر من أهل مكة ، قال عنه الذهبي: شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات ، قيل مات وهو ساجد سنة أربع ومائة ، انظر الأعلام - الزركلي ١٦١/٦، والطبقات الكبرى - ابن سعد ٤٦٦/٥.

(٢) الأنعام ٥٢/٦.

(٣) هو معبد بن صبيح ، بصري روى عنه الحسن البصري وهو ابن أم معبد التي مر النبي ﷺ هو وأبو بكر ﷺ بخبائها ، وكان صغيراً وقال له ادع هذه الشاة ، انظر أسد الغابة ١٦١/٤ ، ١٦٢.

(٤) الأنعام ٥٣/٦.

(٥) الأنعام ٥٤/٦، انظر : تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر ، تقديم وتحقيق عبدالرحمن الطاهر السورتي، مطابع الدوحة الحديثة ، الأولى ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م ص٢١٥ ، ٢١٦.

(٦) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي ، كنيته أبو عبدالله ، شهد بدراً روى عن النبي ﷺ وقد أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ، نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين للهجرة وصلى عليه عليٌ بن أبي طالب -رضي الله عنه- ، انظر تهذيب التهذيب، ابن حجر ، سابق ، ج١ ص٥٣٩.

(٧) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي ، صحابي من سادات العرب في الجاهلية ، قدم على رسول الله ﷺ في وفد من بني دارم فأسلموا ، شهد حنينا وفتح مكة والطائف وسكن المدينة وكان من المؤلفة قلوبهم ، الأعلام ، الزركلي ، سابق ، ج٢ ص٥، وانظر تهذيب ابن عساكر ٨٦/٣ ، وخزانة البغدادي ٣٩٧/٣ ، وعيون الأثر ٢٠٥/٢.

(٨) عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي الفزاري يُكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح . وقيل قبل الفتح ، وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم و من الأعراب الجفاة ، انظر أسد الغابة ٣١/٤ والاستيعاب ، ٣/ ٣١٦ ، ٣١٧.

(٩) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة الرومي ، من السابقين المهاجرين، أسلم وشهد بدراً ، وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ، توفي ﷺ بالمدينة سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، انظر أسد الغابة ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ٤١٨/٢-٤٢١، والإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مصدر سابق ، ١٩٥/٢ ، ١٩٦.

وعمار[١] وخباب في أناس ضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فَخَـلَوْا بـه فقالوا : نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا قعوداً مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عـنا ، فـإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شيءت، قال نعم، قالوا : فاكتب لنا عليك بذلـك كتاباً فدعا علياً ﷺ ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بهذه الآية : ولا تطرد"[٢] .

ولاشـك أن رسـول الله ﷺ ماكان في نفسه أي شعور بتمييز طبقي ولكن رغبـته في إسلام كبراء القوم ربما جعلته يحدث نفسه أن هؤلاء إذا أسلموا أسلم بإسلامهم الكثير[٣].

٦- الإحسـاس العـالي الـذي يدفع صاحبه إلى المبالغة في إكرام المسلم وإنـزاله المنزلة الأثيرة عنده حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[٤] قـال خباب ﷺ : "فدعانا ﷺ فأتيـناه وهـو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقـوم قـام وتركنا فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[٥] فكـان ﷺ يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم"[٦]

فيـا حسـن هـذه التربية العالية، ويا جمال هذا البناء الذي يغتنم الفرصة ليصـحح مفهوماً، ويشحن مشاعر ، ويرقى بإحساس، ويمنح كل هذه المنح، التي هـي للـنفس أولاً. سواء نفس القائد العظيم محمد ﷺ أم نفوس هؤلاء الكرام ﷺ

---

(١) عمـار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين من السابقين الأولين إلىالإسلام، وهو حليف بني مخزوم ، وأمه سمية أول من استشهد في سبيل الله ، وهو ضمن أول سبعة أظهرو الإسلام، استشهد سنة سبع وثلاثين للهجرة، انظر أسد الغابة ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ٦٢٦/٣-٦٣٢.

(٢) روح المعاني ، الألوسي ، ط دار إحياء التراث ، بيروت ، الثانية ، د.ت ، ١٥٨/٧.

(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، مصدر سابق ، ٧٤٦/١.

(٤) الأنعام ٥٤/٦.

(٥) الكهف: ٢٨/١٨.

(٦) روح المعاني ، الألوسي ، مصدر سابق ، ١٥٩/٧.

الـــتي نالت كل هذه الأوسمة وما كانت لتحلم بها أو ببعضها حتى تلقى هذا الفيض الوافر من الإكرام.

٧- بـــناء الإحساس بقَدْر الرجال ، وتربية الوجدان على الميزان الصحيح الذي به يقيِّم من أمامه. حتى ولو كان ما عرضه الكفار قد رأى فيه رسول الله ﷺ مصـــلحةً لـــلدعوة وفرصـــة للاســـتجابة، وإنما هو السمو النفسي الذي يُشَدُّ إليه المبعوث رحمة، والتكريم العلوي الذي يصطفي به الله - سبحانه- هؤلاء النفر لما قدموه من تجردٍ منقطع النظير وتعلقٍ بالحكيم الخبير.

وهـــي أسس التربية الربانية التي يمنحها الله رسوله ﷺ كما تصورها ابن القيـــم -رحمـــه الله- حيث يقول في سياق هذه المعاني وفي موكب تلك المشاعر: "وكـــأن الله - ســـبحانه- يقول: يا محمد : أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان، فـــأبو طالب إذا سئل عن اسمه قال : عبد مناف ، وإذا انتسب افتخر بالآباء ، وإذا ذكرت الأموال عدَّ الإبل، وسلمان إذا سئل عن اسمه قال: عبدالله ، وعن نسبه قال: ابن الإسلام ، وعن ماله قال : الفقر، وعن حانوته قال : المسجد وعن كسبه قال: الصبر ، وعن لباسه قال : التقوى والتواضع ، وعن وساده ، قال : السهر ، وعن قصـــده قـــال: يريدون وجهه ، وعن سيره قال : إلى الجنة، وعن دليله قال : إمام الخلق وهادي الآئمة.

إذا نحـــن أدلجـــنا وأنـــت دليلـــنا ... كفـــى بالمطايـــا طيب ذكرك حاديا
وإن نحـــن أضـــللنا الطريق ولم نجد ... دليـــلاً كفانـــا نورُ وجهك هاديا[1]

وأبو طالب يمثل طبقة الملأ المستكبرين الذين استنكفوا عن الحق وتلعثموا في قبوله، ولكنَّ سلمان يمثل طبقة الفطناء الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله وحازوا قصـــب السَّـــبق والمسارعة فقفز بهم سبقهم هذا إلى مقدمة ركب الإنسانية بعد أن كـــانوا فـــي حضيضها في نظر الناس فأنَّى لموقف كان سيرسي كلَّ هذا الدعائم ، ويعلي هذا البناء الاجتماعي في نفوس هؤلاء إحساساً رقيقاً، وشعوراً شفيفاً، وحباً للمثُل ، وتضحية لأجلها كهذا الموقف الذي أحدثته هذه الآيات ولا زالت تحدثه في

---

(١) الفوائد ، ابن القيم ، مصدر سابق ، ص١٨٥.

نفس كل من يقرأها مجرّداً نفسه ، مهيئاً قلبه، فاتحاً عقله؟!!.

٢- ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[١]

آيــةٌ تــذم فقــد الإحســاس، وتعيب من تَعَرَّى منه ، وتخوف من عاقبته، وتســتنكر عــلى الســائرين في الأرض دون قلوب فاقهة، وأعين باصرة، وآذان ســامعة، بيــنما الآثار كلها واضحة للقلوب والأعين والآذان ، وما ذلك إلا للحس المتبــلد ، والشعور البارد والإحساس الميت وهذا هو السبب في تشبيههم بالأنعام بل جعلهم أقلَّ منها وأحطَّ عنها ، لأنهم عطلوا أجهزة وهبهم الله إياها فلا بالقلوب عقلوا ، ولا بالأبصار عاينوا ، ولا بالآذان سمعوا، فاستحقوا أن يتخلفوا عن ركب الإنسان ليكونوا أشباه الحيوان أو دونه.

يقــول صاحب الظلال : "والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون والحياة، ويغفلون عما يمر بهم من الأحداث والعبر، فلا يرون فيها يد الله ، أولئك كالأنعــام ، بــل هم أضل فللأنعام استعدادات فطرية تهديها ، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة ، والأذن الملتقطة فإذا لم يستخدموها كانوا أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية"[٢]

وإذا ســلمنا أن هــؤلاء المذكوريــن والمعنيين بهذه الآية يرون ويسمعون ويعــرفون الــرؤية والســماع والمعرفة العادية ، أدركنا أن الذي غاب عنهم هو الإحساس والشعور والإدراك الإيماني فماتت أحاسيس وعميت بصيرة. وهذه الآية الكريمة من يتأملها من زاوية بناء الشعور يجدها تُربِّي المسلم على :-

١- التخويف من الاتصاف بهذه الصفات من عدم الشعور والإحساس.

٢- الإشــارة إلى كثرتهم فهم كثير وهو يدل على استشراء هذا الداء المتأصل بين بني البشر فلما لم يشعروا ولم يتأثروا أدى إلى عدم فقههم ورؤيتهم وسماعهم

---

(١) الأعراف: ١٧٩/٧.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ، مصدر سابق، ١٤٠١/٣

لما يرونه أو يدركونه ويعايشونه.

٣- الدعـــوة إلى الســـير فـــي الأرض والسياحة فيها لرؤية الآثار فذلك مما يزيد الإحســـاس حيـــاةً ورقةً فكلما رأى المرء من آيات الله أكثر وتعرَّف على أكثر كلما استفاد رقةً في شعوره ، ويقظةً في ضميره.

٤- التـــنفير مـــن هذه الحالة بعد أن وُصف أصحابها بالبهيميَّة وأخس منها، ومَن الذي لديه شيء من إحساس وشعور ثم يقبل أن يدخل في هذا الوصف ويندرج تحته؟!

٥- التـــنفير من الغفلة عن هذه المشاعر التي تجعل صاحبها يفقه رسالته ويدرك دوره، ويحس بقيمته ويؤمن بربه ليؤدي المطلوب منه.

٦- إذا كـــان من يفقد الإحساس يصير أخسَّ من الأنعام ، وإذا كان حظ الحيوانات من هذا الإحساس ليس سواء "فبعضها أشرف من بعض وذلك لقبول التأديب ، فالفـــرس إنمـــا شرُف عن الحمار لقبوله الأدب وكذلك في البازي فضيلة على الغراب"(١)

فـــإذا كـــانت الحيوانـــات قد شرُف بعضها عن بعض بأدبه ، فكذلك الإنسان يـــترقى إحساســـه وينمو شعوره بتأدبه بأدب القرآن، وتعهده نفسه بتعاليمه فالآية الكـــريمة تدعـــو إلى الإيمان بالله، والتأمل في آياته ومخلوقاته ، والتمايز بالمنهج الـــرباني ، من ذلك يتولد الإحساس الذي يجعل صاحبه إنساناً لا حيواناً ، وآدمياً لا شـــيطاناً. قـــــال تعـــالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

ونخلص مما سبق عرضه بالآتي:-

١- أن الشـــعور صـــفة إنسانية يحبُّها القرآن ، ويدعو إليها ويثني على أصحابها ويذمّ فاقديها.

٢- أن الشـــعور من أسس البناء الاجتماعي فالفرد المتصف به شاعرٌ بغيره مكرِمٌ

---

(١) تهذيـــب الأخـــلاق وتطهيـــر الأعراق ، أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ابن مسكويه) ، ط دار مكتبة الحياة، بيروت ، الثانية ، د.ت ، ص٦٢.

(٢) الإسراء: ٩/١٧.

له ، محافظٌ عليه ، مرتبط به.

٣- أن تراجع هذه الخلق في أنفس المسلمين يوهن بناءهم ، ويضعف مجتمعهم ، ويبدِّد قوتهم ، وقد قال رسول الله ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى "(١)

٤- أن الشعور يزيد بالإيمان ويتراجع بالعصيان، ويُنْفى بالكفر والنفاق وهو وليد الطاعات، وقرين القربات ، وسائق إلى الفردوس الأعلى في أعالي الجنات.

٥- أن الشعور - وبناءً على ما تَبَيَّن- أحدُ أسس البناء الاجتماعي للفرد المسلم يتميز بها هذا الفرد عن غيره من الناس لإيمانه بالله واليوم الآخر وتخلُّقه بأخلاق القرآن.

٦- أن القرآن ربَّى النبيَّ ﷺ وهو الأسوة على الشعور العالي، وواجبٌ على المسلمين الاقتداء به، والتأسِّي بأخلاقه.

٧- أن القرآن عالج النفوس البشرية وحنا عليها، وكبح جماح شهواتها وارتقى بها إلى قمةٍ سامقة.

٨- حفظ الله ﷻ القرآن بعيداً عن التحريف والتغيير والتزوير ليبقى دستور أخلاق ومعين آداب لا يُعَكِّر صفاؤه، ولا يُشوِّه نقاؤه.

٩- أن البرَّ شيء هين، وجه طليق وكلام ليّن كم به تنجبر قلوب، وتندمل جروح وتسعد نفوس.

١٠- أن القرآن عندما يأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى المؤمنين الفقراء وعندما يصف الكفار والمناوئين بعدم الإحساس، إنما يؤصل منهجاً عظيماً في بناء هذه الصفة لدى قارئه ويرغبه فيها ويذكره بها.

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج٤ ص١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦ ، وأحمد في مسند الكوفيين ج٥ ص ٣٦٦، رقم ١٧٩٠٧.

المبحث الثاني

بنـــاء الفكـــر[١]

للقرآن الكريم دوره الرائد ومنهجُه غيرُ المسبوق في بناء فكر المسلم، وهو -أي هــذا المــنهج- واقعي غير خيالي ، معتدل غير مائلٍ ، متكامل غير مبتور، شــامل غيــر قاصر، وهو منهج يحترم العقل وينزله المنزلة التي أنزله الله إياها، ويــرقى به إلى ذروةٍ خلقه الله لها ودعاه إليها، وميّزه بها، وما أكثر آيات القرآن الكــريم المحــركة للفكر، المنشطة للعقل ساعية به نحو الكمال الممكن والنضوج المنشود.

وســوف يعــرض البحث -فيما يلي- للآيات التي اشتلمت على ذكر الفكر والتفكر صريحها وضمنيِّها .

أولاً: الآيات الصريحة :-

١- قــال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]

٢- قــال تعــالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]

٣- قــال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٤]

٤- قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) ويقصد بالفكر : "إعمال النظر في الشيء" انظر مادة (فكر) ، القاموس المحيط - الفيروز ابادي ١١١/٢.

(٢) البقرة ٢١٩/٢

(٣) البقرة ٢٦٦/٢

(٤) آل عمران ١٩١/٣

إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]

٥- **قال تعالى:** ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢] **وآيات أخرى كثيرة غير ذلك**[٣]

ثانياً : الآيات الضمنية:

وتشتمل على الآيات التي تعرضت لذكر الفكر ضمناً أو العقل مباشرةً أو بالإشارة ، فالعقل عمله الفكر، والفكر دليل العقل ولا وجود لأحدهما دون الآخر.

١- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٤]

٢- **قال تعالى:** ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٥]

٣- **قال تعالى:** ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٦]

---

(١) الأنعام ٦/٥٠

(٢) الأعراف ٧/١٧٦

(٣) انظر الأعراف ٧/١٨٤ ، يونس ١٠/٢٤ ، الرعد ١٣/٣ ، النحل ١٦/١١، ٤٤ ، ٦٩ - الروم ٣٠/٨ ، ٢١ - سبأ ٣٤/٤٦ - الزمر ٣٩/٤٢ - الجاثية ٤٥/١٣ - الحشر ٥٩/٢١ - المدثر ٧٤/ ١٨ ، ١٩

(٤) البقرة ٢/١٦٤

(٥) المائدة ٥/١٠٣

(٦) الأنبياء ٢١/ ٦٦ - ٦٧

٤- **قال تعالى:** ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[١]

٥- **قال تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٢] وآيات سواها كثيرة[٣]

ثالثاً: تصنيف الآيات المتحدثة عن الفكر والعقل تصنيفاً موضوعياً:

ولو تتبعنا الآيات المشيرة للفكر والعقل والتأمل لطال الكلام واتسع المجال، ولكن فيما ذُكر كفاية للتدليل على اهتمام القرآن العظيم بفكر الإنسان وعقله ورعايتهما عبر آياته وتوجيهاته، والمتأمل في آيات القرآن التي تعرضت للفكر أو العقل صريحة أو ضمنية يجدها تهدف لأي مما يلي: -

١- **الدعوة إلى الفكر كقوله تعالى:** ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[٤]

٢- **التنشيط له ليصبح طليقاً يَسْبَح في آيات الله المبثوثة في كونه ، كقوله ﷻ:** ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٥]

٣- **تحريره من الأوهام والشبهات وتخليصه من الفاسد من المعتقدات كقوله**

---

(١) الحج ٢٢/٤٦

(٢) فاطر ٣٥ / ٢٧ - ٢٨

(٣) انظر الحجرات ٤٩/٤ ، الذاريات ٥١/٢٠ ، ٢١ ، المدثر ٧٤/٣١ ، العلق ٥٦/١ ، ٢.

(٤) آل عمران ٣/١٩٠

(٥) البقرة ٢/١٦٤

تعـــالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١]

٤- احـترامه واحـترام صـاحبه كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٢]

٥- الـربط بيـنه وبيـن الإيمـان والعـبادة كما قال تعالى في قصة أيوب عليه السلام : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[٣] وقـال فـي سـورة (ص) فـي قصـة النبي نفسه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤] فمـرة وصـف المتذكرين المعتبرين بالعبودية وأخرى بأولي الألباب وفي هذا ما يثبت اتصاف العابدين بالعقل الراجح، وأيضاً قيام العقلاء بواجبات العبادة.

٦- الـذّم لمن عطّله عن رسالته التي خلقه الله لها كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٥]

٧- التخويف من عاقبة إلغائه أو تغييبه مما يؤدي بصاحبه إلى العذاب الأليم كقوله تعالى على لسان أهل النار : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٦]

٨- تنميـته بالقـراءة والسياحة لتتسع مداركه وتزداد قدراته كقوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى

---

(١) المائدة ١٠٣/٥

(٢) العنكبوت ٤٣/٢٩

(٣) الأنبياء ٨٤/٢١

(٤) ص٤٣/٣٨

(٥) الحج ٤٦/٢٢

(٦) الملك ١٠/٦٧-١١

عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١]

رابعاً: وقفات مع نماذج لبناء الفكر والعقل في القرآن الكريم:

أ ـ من الآيات الصريحة:

١- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٢]

جاءت هذه الآيات الكريمة بعد ادعاء اليهود -قاتلهم الله- أن الله فقير وهم الأغنياء، فأراد الله ﷻ أن يلفت نظر أولي العقول والألباب إلى هذه الآيات الباهرات العظيمات، إذ كيف يُنسَبُ فقرٌ إلى خالق هذه الآيات ومَنْ عليه رزقُ كل الكائنات وجميع المخلوقات؟ وكيف يَدَّعي الغنى من رِزْقُهُ بيد غيره؟ فاعقلوا أيها العقلاء وتأملوا يا أولي الألباب[٣].

ولقد نزلت آية كريمة بالمطلع نفسه في سورة البقرة[٤] مع ذكر خمس آيات كونية أخرى بالإضافة لآيات السماء والأرض والليل والنهار، ومع ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٥]

بينما هذه الآية ذكرت ثلاث آياتٍ فقط، وختمت بقوله -سبحانه- ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٦] وذلك لأسباب:

١- أن السَّالك إلى الله ﷻ يحتاج في أول الأمر إلى كثير من الدلائل التي يَتَقلَّب بينها ليزداد إيماناً بخالقها، وتعلقاً بصانعها.

٢- أن البصيرة كالبصر، فكما أن البصر لا يستطيع الإحاطة بشيئين في وقتٍ واحد فكذلك العقل لا يستطيع التحديق في أكثر من معقول، وكلما كان التفاته إلى

---

(١) العلق ٩٦/١-٥

(٢) آل عمران ٣/١٩٠، ١٩١

(٣) انظر جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، مصدر سابق ، ٣/٥٥٠.

(٤) البقرة ٢/١٦٤.

(٥) البقرة ٢/١٦٤

(٦)آل عمران ٣/١٩٠

الآيات، وتنقله بين المشاهدات أكثر ، كلما كان حرمانه من الاستقصاء في تلك التعقلات والإدراكات أكثر، لذلك تمرَّن في الآية الأولى حتى استنار العقل واشتغل القلب فناسب تقليل الالتفات بين الآيات والدلائل ليكمل الاستغراق في معرفة المدلول.

٣- حُذفت الدلائل الأرضية، وبقيت الدلائل السماوية فهي أبهر وأقهر وأكبر وأكثر متعةً للعقل السابح في ملكوت ربه.

٤- في الآية الأولى خُتم الكلام بقوله ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١] وفي الثانية بقوله : ﴿ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢] لأن العقل له ظاهرٌ وله لب، ففي أولى المراحل يكون عقلاً، وفي كمالها يكون لُباً[٣] والحشد الهائل من ذكر آيات الله ﷻ في كتابه الكريم، والمتمثلة في الآيات الكونية، إنما هو بمثابة التذكير والإشارات لأصحاب الإدراك من الناس، وإن تفاوت حظُهم من هذا الإدراك، كما يقول الإمام البقاعي[٤] -رحمه الله- "إن سبب تكثير الأدلة أن عقول الناس متفاوتة، فجعل ﷻ العالم قسمين: قسم من شأنه أن يُدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف أهل الشرع: الشهادة والخَلْق والمُلك، وقسمٌ لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى بالغيب والأمر والملكوت والأول يدركه عامة الناس، والثاني يدركه أولو الألباب الذين لهم عقول خالصة عن الوهم والوساوس"[٥].

وإذا كان الإنسان يشترك مع باقي المخلوقات- ومنها الحيوان- في التركيب الفسيولوجي- إلا أنه تميز على الجميع بالعقل والفكر الذي جعله مناطا للتكليف،

---

(١) البقرة ١٦٤/٢

(٢) آل عمران ١٩٠/٣

(٣) انظر مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، مصدر سابق ١٣٤/٩ ، ١٣٥ ، البحر المحيط لأبي حيان، مصدر سابق ، ٤٦٨/٣.

(٤) إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي - أبو الحسن مؤرخ أديب أصله من البقاع بسوريا وله مؤلفات مشهورة منها عنوان الزمان ونظم الدرر وغيرها توفى بدمشق سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة ، انظر البدر الطالع١٩/١ ، والأعلام ٥٦/١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام البقاعي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند - الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ٣٠٠/٢.

وأهـلاً للمسـؤولية فـبه يحكـم على الأشياء، ويميز بينها، ويفاضل بين الحسن والأحسن منها، ويفكر في العواقب، ويستنبط الأحكام، يقول أحد الباحثين : "والعقل هـو الـذي يجـول ويصـول في فهم النصوص فيفرع على الأصول ويقيس على الفـروع، ويسـتنبط الأحكام ، ويكيِّف الوقائع، ويرى القواعد في جلب المصالح، ودرء المفاسـد، ورفع الحرج، وتحقيق اليسر، وتقدير الضرورات بقدرها واعتبار العرف ورعاية ظروف الزمان والمكان"(١)

لذلك كله كان لابد من تمرينٍ لهذا العقل وصيانةٍ له، وتنشيط لملكاته ليزداد رجحانـاً وتفتحاً، وصفاءً وتألقاً، وليتخلص من الجمود والبلادة، والركود والخمول فيصـبح أسـرع فهماً ، وأقوى فكراً ، وأبعد رؤية، وأعمق نظرة ، وأكثر اعتدالاً. من أجل ذلك قدم القرآن الكريم الاهتمام به على السمع والبصر والحواس الأخرى وعلل شيخ الإسلام ابن تيمية(٢) -رحمه الله- ذلك بقوله: "لأن الحاسة لا يميز بها بيـن الأشياء، بل مجرد السمع الذي يدرك الصوت لا يميز بين الصوت وغيره، بل يُحـسُّ الصـوت، ثم الحكم على الصوت بأنه غير اللون يعرف بغير الحاسة وهو العقل"(٣).

والعقل آلةُ التفكر ، وما رأس هذا الدين وصلاحه إلا التفكر، يَتفكر الإنسان فـي قـدرة ربه التي تملأ آثارُها الآفاق ، وفي رحمته التي وسعت جميع الأشياء وفي رفقه بعبده، فما كلَّفه على قدر حقه- ﷻ ولا كلفه ما لا يستطيع ولكنه أعطى الجزاء على قدر كرمه، وقبل من العمل على قدر استطاعة عبده الضعيف.

---

(١) الخصـائص العامـة للإسـلام، يوسف القرضاوي، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٦٤.

(٢) شـيخ الإسـلام ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني، الدمشقي، الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين ابن تيمية، ولد بحران سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة وتحـول بـه أبـوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وانتقل إلى مصر، كان داعية إصلاح ، وآية في التفسير والأصـول تـوفى -رحمـه الله- سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة للهجرة. انظر الأعلام١/١٤٠، وفوات الوفيـات ، محمـد بن شاكر الكتبي ١/٧٤-٨٠، وشذرات الذهب لابن العماد ٨/١٤٢، والبدر الطالع - للشوكاني ١/٦٣-٧٢.

(٣) بغيـة المـرتاد ، ابـن تيميـة ، تحقيـق د./ موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة ، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص٢٦٧ ، ٢٦٨.

إنها لآية عظيمة هذه التي تعطي للعقل البشري مجالاً لا منتهى له، وتفسح لـــه الكـــون كله بسمائه وأرضه وليله ونهاره، لكي يصول فيها ويجول ، ويشرِّق ويغـــرِّب ويجمـــع بيـــن التأمل نهاراً تحت ضياء الشمس، والتفكر ليلاً تحت ضوء القمـــر فيجمـــع بيـــن حركة النهار وسكون الليل، أو بين حياة النهار وموتة الليل فينتج عن ذلك: -

١- إيمان راسخ بمُبدع هذه الآيات والقائم عليها فعظمتها دالة على عظمته.

٢- حكمة بالغة يكتسبها كل من يخلو بنفسه متفكراً متأمِّلاً، فإن المرء إذا كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة.

٣- ذكـــر لاهـــج، وثـــناء دائم لا ينقطع ما دام هناك هذا التفكر وهذا التأمل وهذه صفتهم، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[١].

٤- تـــنزيه لمن خلق فسوى ، وصنع فأبدع ، وزين وجمل وهذا قولهم، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ ﴾[٢].

٥- خـــوف ورهبة تتملَّك هذه العقول المتفكرة، وتسيطر على تلك القلوب السابحة لأنهـــا أدركت -بهذا التأمل- عظمة الإله وقوته وقدرته التي لا يعجزها شيء فـــإذا بهـــم يجـــأرون إليه ويُلحُّون عليه : ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[٣].

٦- لجـــوءٌ إلى الإيمان يستشفعون به ويدخلون تحت لوائه طمعاً في النجاة وسعياً لرضـــى ربهـــم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَـــا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾[٤].

٧- إحسان ظنٍ بالرب الرحيم الودود والطمع في عطائه وجوده الذي لا ساحل له:

---

(١) آل عمران ١٩١/٣

(٢) آل عمران ١٩١/٣

(٣) آل عمران ١٩٢/٣

(٤) آل عمران ١٩٣/٣

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[١].

والمتأمل في سبب نزول هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ سيدرك عظمتها وجلالها ، وسيشعر بقدرها وأثرها.

فعن ابن عباس[٢] ﷺ قال : "أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى؟ قالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت الآية:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٣] فليتفكروا فيها"[٤].

فشكلت هذه الآيات الكريمة بما تفتحه أمام العقل المسلم من أبوابٍ على الكون الشاسع عطاءً عظيماً ورصيداً هائلاً سيظل يمد كلَّ مسلم بمعانيه التي لا تبلى، وآثاره التي لا تفنى ، ولقد نبه إلى ذلك رسول الله ﷺ بالدعوة إلى التفكر في هذه الآيات وقراءتها وفهمها فعن عطاء[٥] قال: "دخلت أنا وعبدالله بن عمرو وعبيد بن عمير[٦]

---

(١) آل عمران ١٩٤/٣

(٢) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي أبو العباس ، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد ونشأ في بداية عصر النبوة ، ولازم النبي ﷺ ، وروى عنه الأحاديث، كُف بصره في آخر عمره، له في الصحيحين ألف وستمائة وستون حديثاً، قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، سكن الطائف ومات بها سنة ثمان وستين للهجرة، انظر سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، سابق ٣٣١/٣-٣٥٩، وصفة الصفوة ، ابن الجوزي ، مصدر سابق، ٣١٤/١، والأعلام ، الزركلي ، سابق ، ٢٢٨/٤.

(٣) آل عمران ١٩٠/٣

(٤) لباب النقول في أسباب النزول ، الحافظ السيوطي ، جمعة عبدالمجيد طعمة حلبي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٧٥ ، ٧٦

(٥) عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي عامل عمر بن الخطاب على مكة ، توفى سنة خمس عشرة ومائة من الهجرة - طبقات ابن سعد ٣٨٦/٢، وتهذيب الكمال ٢٦٩/٢٠.

(٦) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي أبو عاصم قاصّ أهل مكة - ولد زمان النبي ﷺ وقيل رأى النبي ﷺ مات قبل ابن عمر ، انظر طبقات ابن سعد ٤٤٥/٥ ، تهذيب الكمال ٢٢٣/١٩.

على أم المؤمنين عائشة[١] -رضي الله عنها- وهي في خدرها، فسلَّمنا عليها فقالت: من هؤلاء ؟ قال: فقلنا هذا عبدالله بن عمر وعبيد بن عمير، قالت: عبيد بن عمير ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال: ما قال الأول: زر غباً تزدد حباً . . قالت: إنا لنحب زيارتك وغشيانك، قال عبدالله بن عمر ﷺ دعينا من بطالتكما هذه، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ قال: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجبا، أتاني في ليلتي حتى دخل معي في فراشي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال: "يا عائشة ائذني لي أتعبد ربي" قالت: إني لأحب قربك وأحب هواك، قالت فقام إلى قربة في البيت فما أكثر من صبِّ الماء ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه[٢] قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره، قالت: ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت: ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض، فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الصبح ثم قال: الصلاة يا رسول الله، فلما رآه بلال يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: "يا بلال: أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ومالي لا أبكي وقد نزل عليَّ الليلة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إلى قوله ﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٣] ثم قال: "ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها"[٤] **فهي آياتُ تفكر وتأمُّل، دعينا للتفكر فيها، والتأمل في معانيها فهي ترقى بالعقول ، وتسمو بالنفوس ، وتحلِّق بالأرواح في فضاء الكون الرحيب.**

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه أمُّها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس ، تزوجها ﷺ قبل الهجرة بسنتين وهي بكر، وقيل بثلاث سنين، وتوفيت -رضي الله عنها- سنة سبع وخمسين للهجرة وقيل ثمان وخمسين ، انظر أسد الغابة ٦/١٨٨-١٩٢، والإصابة ٤/ ٣٥٩-٣٦١، والدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب بنت يوسف قواز ص٢٨٠-٢٨٣.

(٢) الحقو : الحاء والقاف والحرف المعتل أصل واحد وهو بعض أعضاء البدن، والحقو هو الخصر ومشد الإزار ، انظر معجم المقاييس ، لابن زكريا مادة (حقو) ٢/٨٨.

(٣) آل عمران ٣/١٩٠-١٩١

(٤) وحديث عطاء عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٠٩) لعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في التفكر ، وابن المنذر ، وابن حبان في "صحيحه" وابن مردويه ، والأصبهاني في "الترغيب" وابن عساكر.

تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[١]

هنا أكبر قضيةٍ في الوجود يُطلب من العقل النظر فيها والتأمل المجرد ، ثم الحكم المحايد، إنها قضية الرسالة، ولم لا؟!. أليس بالفكر يهتدي الإنسان إلى وجود خالقٍ مدبرٍ لا شريك له؟ ، أو ليس بالعقل يستدل الإنسان على الوحي والرسالة إنها دعوة إلى التحرر من جميع الصَّوارف من أهواء أو مصالح ، بعيداً عن ملابسات الأرض وهواتف الزيغ، دعوة للتعامل مع الواقع البسيط وليس مع القضايا والدعاوى الرائجة، دعوة للاحتكام إلى صوت العقل الصادق ، والاستماع إلى حُكمه المحايد في جوٍ من الهدوء والمصداقية[٢].

إن كفار مكة أعرف الناس بالمرسل ﷺ يعرفون نشأته وتربيته ويحيطون بسيرته وصفاته، ويخبُرُون عقله وفطنته. وإزاء ما جاء به من أنباء وما فاجأهم به من أخبار وحيث إن ماضيه معروف لهم، مكشوف أمام أبصارهم كان لابد من النظر الهادئ في هذه الأمر فدُعُوا إلى التفكر بل "إن التفكر صار مأموراً به وموعوظاً"[٣] والعقل وسط الضجيج والزحام قد يُلَبَّس عليه ، أو تُحجَبُ عنه الحقائق ، أو يميل مع الأهواء ، أو يتأثر برأي فلان وفلان أو يجامل أو يخشى، لذلك -وضماناً للمحايدة- جاء الأمر الإلهي بأن يكون التفكر من الإنسان وحده أو مع واحد غيره قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ [٤].

قال مجاهد[٥] -رحمه الله- "أي واحداً واثنين[٦] فهو أدعى للصدق، والعدل، بعيداً عن تأثير الجماهير، وضغط التجمعات، وهو إفساح أكثر للعقل المتجرد الذي لا يعادي الحقيقة، ولا يتنكّر لها ، بل يصادقها ويتبناها ويهش لها، ويأنس بها.

---

(١) سبأ ٤٦/٣٤

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق. ص٢٩١٤.

(٣) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، مصدر سابق ، ٢٦٩/١٣.

(٤) سبأ ٤٦/٣٤

(٥) سبقت ترجمته ٤٣.

(٦) تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر ، مصدر سابق، ص٥٢٨ وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور - الحافظ السيوطي ط دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٤٥٠/٥

وذكر العلامة الألوسي[١] -رحمه الله- هذه الحقائق بقوله: "في الازدحام - على الأغلب- تهويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام وقلة الإنصاف"[٢]

تقديـــر للعقل ما بعده تقدير، وتهيئة للجو المناسب له ليفكر ويتأمل ، ورضاً بحكم هذا العقل الذي يهتدي - كما سبق القول- إلى : -

١ـ وجود الإله الخالق المدبر:

فمـــن العقلاء النبهاء كثير ممن أبت فطرتهم السليمة، وعقولهم الراجحة أن يركعوا لأصنام لا تضرُّ ولا تنفع ، وإنما استدلوا بوافر عقولهم على وجود الصانع لهـــذا الكـــون، البارئ لكل ما فيه ، المصور لمخلوقاته، ومن هؤلاء -على سبيل المـــثال - قُسُّ بن ساعدة[٣] الذي ميزه عقله عن غيره فكان حكيماً في قومه نابهاً فـــي قولـــه، اســـتطاع بهذا العقل فهم الأمور على وجهها الصحيح، ففكر وتأمل ، وعقـــل ورشـــد ، فظهر كمالُ عقله في منطوق لسانه، حتى استحق أن يسأل عنه رسول الله ﷺ ويثني عليه ويتذكر كلامه ويطلب ممن يحفظه أن يسمعه إياه.

ذكـــر ابـــن القيم[٤] -رحمه الله- أن الرسول ﷺ سأل وفد بكرٍ عن قُس بن ســـاعدة عند قدومهم عليه، فقالوا : هلك، فقال ﷺ : لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمـــلٍ أورق[٥] وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومـــن مـــات فات، وكل ما هو آت آت، فمهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم

---

(١) هـــو : محمـــود بـــن عبدالله الحسيني الألوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء ، مفسر ، محدث ، أديبٌ من المجددين من أهل بغداد ، مولده ووفاته بها ، سلفي الاعتقاد ، تقلد الإفتاء في بلده ثم عزل، من مؤلفاته روح المعـــاني ، وغـــرائب الاغـــتراب وغيـــرها، توفي سنة سبعين ومائتين وألف للهجرة ، الأعلام ، الزركلي، سابق ، ٥٣/٨ ، ٥٤.

(٢) روح المعاني ، الألوسي ، مصدر سابق، ١٥٤/٢٢.

(٣) هـــو قـــس بـــن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك من بني إياد ، أحد حكماء العرب ومن خطبائهم في الجاهـــلية، كـــان أسقف نجران، يُضرب به المثل في الفصاحة والخطابة، فيقال أبلغ من قُس ، ويقال إنه أول من خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه : أما بعد، وهو من المعمرين، أدركه النبي ﷺ ورآه في عكاظ وقال عنه يحشر أمةً وحده ، انظر الأعلام ٣٩/٦.

(٤) سبقت ترجمته ص٢٠.

(٥) الأورق مـــن الإبل ما في لونه بياض إلى سواد، وهو من أطيب الإبل لحما، انظر القاموس المحيط ٣/ ٢٨٩ ، وتاج العروس للزبيدي ٨٧/٧ ، مادة (ورق).

تغـور ، وبحر يمور، أما بعد، فإن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، مالي أرى الـناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ أقسم بـالله قسـماً حقـاً فما حنث[١] ولا أثم أن لله ديناً هو أرضى من ديننا الذي نحن عليه، ثم قال أبياتاً ما أحفظها فقال رجل من الأنصار: أنا شاهدٌ يا رسول الله بأبي أنت وأمي -قال : فأنشدنا ، قال : سمعته يقول:

في الذاهـبين الأولـين	مـن القـرون لـنا بصـائر
لمـا رأيـت مـواردا	لـلموت ليـس لهـا مصـادر
ورأيـت قومـي نحوهـا	يسـعى الأكابـر والأصـاغر
أيقـنت أني لا محالـة	حيـث صـار القـوم صـائر[٢]

وبالطـبع فإن قُساً ما فاق قومه وعشيرته، ولا سجَّل لنفسه هذه المآثر إلا بعقلٍ حباه الله إياه وميزه به عمن سواه .

سـئل ابـن المبارك[٣] -رحمه الله- : ما خير ما أعطي للرجل؟ قال غريزة عقـل، قيـل : فإن لم يكن ؟ قال : أدبٌ حسن . قيل : فإن لم يكن ؟ قال أخ صالح يستشـيره، قيـل : فإن لم يكن ؟ قال صمتٌ طويل، قيل : فإن لم يكن؟ قال: موتٌ عاجل"[٤]

٢ـ الاستدلال على الوحي والرسالة:

فـالعقل هو الذي يتأمل سيرة هذا المبعوث من حيث نقاؤه ، ورجاحة عقله في سائر الأمور ، لذلك طولب الكفار أن يحتكموا إلى عقولهم - إن كانوا يعقلون-

---

(١) الحِـنث : بالكسر : الإثم في اليمين، انظر القاموس المحيط ١/١٦٥، ومعجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ٢/١٠٨. مادة (حنث).

(٢) الفوائد ، ابن القيم ، مصدر سابق ، ص ٨١.

(٣) هـو : عـبدالله بن المبارك ، أبو عبدالرحمن المروزي، مولى بني حنظلة، كانت أمه خوارزمية، وكان أبوه عبداً تركياً لرجلٍ من همدان من حنظلة، ولد سنة ثماني عشرة ومائة هجرية وتعلم العلم حتى أصبح يلقب بأمير المؤمنين في الحديث، حاز العلم، وجاهد في سبيل الله ، وتوفى -رحمه الله- مجاهداً في بلاد الروم سنة إحدى وثمانين ومائة، أنظر الأعلام ٤/٢٥٦.

(٤) ذم الهـوى لابـن الجوزي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الأولى ، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ص١٠، وانظر روضة العقلاء ، ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم البستي مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة والرياض ، الثانية ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ص١٣.

هل بعقله ﷺ قصور؟! أم خلل؟! أم جنون؟!.

أو ليست جميع تصرفاته واضحة للعيان؟!، أو ليس مسلكه كتاباً مفتوحاً لهم؟! أو ليس هو الأرجح رأياً ، والأرسخ عقلاً ، والأوفر حكمةً ؟. أو ليست الحوادث والوقائع كلها تشهد بذلك، كحادثة رفع الحجر الأسود، وإعادته إلى مكانه، عندما تنازعوا في ذلك، فاستطاع خير الناس ﷺ بثاقب فكره، وروعة تصرفه ، أن يحسم الأمر ، ويئد الفتنة ، ويرضي الجميع[١]. إذن فليأت التحدي لهم ليجلسوا منفردين ، محايدين ، متجردين، ويتأملوا هذا النبي الكريم بعيداً عن صخب المنتديات ، ولغط الجماهير، وليحكم كل منهم عليه بما يعلم عنه، ويعرف فيه، ولو فعل ذلك لوجد نفسه أمام العقل الوافر والحكمة المدهشة وهما اللذان شهد بهما العدو قبل الصديق.

وهذه الآية تشكل لبنة في بناء الفرد المسلم الاجتماعي فهي تربية على : -

١- عدم الإمعيَّة في الحكم على الأشياء وترك الانسياق وراء كل ناعق وإنما الاحتكام العقلاني والمستقل ، قال رسول الله ﷺ : "لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"[٢] الحديث.

٢- حُسن الاستماع لصوت العقل بعيداً عن ضجة المجالس وضوضاء التجمعات.

٣- مواجهة المرء لنفسه في خلوته وفي الغالب لن يكذب الإنسان نفسه، ولن يخدعها، فالحقيقة إن أخفاها عن غيره، سوف تبديها له نفسه.

٤- إعطاء العقل الوقت الكافي للتفكر والتأمل بلا سرعةٍ أو رعونة.

٥- تربية الفرد على النظر في القضايا، وتحليل جوانبها، والحكم عليها، والقناعة بهذا الحكم.

---

(١) انظر الحادثة في البداية والنهاية لابن كثير ، ط دار الحديث ، القاهرة الأولى ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ٢/ ٢٩٨-٣٠٠ ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ٥٢٦/١ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لابن الجوزي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ٣٢٤/٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو ج٤ ص٣٦٤ ، رقم٢٠٠٧

بد من الآيات الضمنية:-

١- **قولـه تعالى:** ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (١)

القـرآن الكريم في بنائه الاجتماعي للفرد المسلم يبني فكره وعقله - كَلَبِنةٍ في هذا البناء على التحرر من الأباطيل والأساطير وترك الأوهام التي لا أساس لها مـن صـدق أو صـحة أو يقين، وذلك ليبقى هذا العقل كما خلقه الله حراً طليقاً ، معـافىً سليماً، ولقد ذكر مثل ذلك أحد الباحثين المعاصرين بقوله : "والقرآن اهتم بـالعقل أيمـا اهتمام، فحرص على تخليصه من أوهامه وخرافاته المعطلة لفكره ، المعوقة عن معرفة الحقيقة"(٢)

إنـه يـريد تخليص هذه العقول من موروثاتها القديمة، وإلقاء الغبش عنها جانـباً لتنعم بصفاء الإيمان، ونور التوحيد، وحينئذ تنقشع سحب الضلال، وتتضح الـرؤيا ويستبين الطريق بعد أن يتخلص الإنسان من شركه، ويَبرأ من إفْكه ليبقى عقلـه سـليماً غيـر معيب، كاملاً غير منقوص، وإذا ما تحرر العقل من أغلاله ، وبـرئ مـن أسـقامه وانسلخ من ظلامه عندها سينفتح على آيات ربه في كتابه المنزل، وفي كونه الفسيح وسيقود العقل صاحبه إلى كل خير ويهديه إل كل رشاد، وإلا لـن يسـتطيع العقل - في ظل أوهامه وظنونه- فهم رسالته ودوره ، أو فهم

---

(١) المـائدة ١٠٣/٥ [البحيرة: الناقة تشق أذنها ويوقف درها على الطواغيت ولا يحلبها الناس] ، السائبة: الـناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سُيبت فلم تركب ولم يُجز لها وبر ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضـيف حـتى تموت، الوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول إنتاجها بذكر ثم تثنى بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيـتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى أي ولدت أنثيين ليس بينهما ذكر. الحام : الفحل من الإبل إذا لقـح ولـد ولـده حمى أظهره فلا يُركب ولا يجز له وبر ولا يُمنع من مرعىً ، وأيّ إبل ضرب فيها فلا يمنع] معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، الطبعة الأولى ، بدون معـلومات الطـبع ، ٣٢٢/١، وانظـر معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري، محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، الأولى ، د.ت ، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الإمام السهيلي، دار النصر للطباعة ، مصر، الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ٣٦٨/١ وما بعدها.

(٢) القـرآن وعـلم الـنفس ، د. محمـد عثمان نجاتي ، ط دار الشروق ، بيروت ، الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص١٥٠.

من حولـــه ومن يتعاملون معه ويتعامل معهم أو الحكم على الأشياء بميزان دقيق، أو النظر في عواقب الأمور.

٢- **قوله تعالى:** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ (١)

وهل يقرأ إلا ذو عقلٍ يعقل ما يقرأ؟! فكانت انطلاقة القرآن الأولى بدءاً من العقـــل حيـــث أعلـــنت احـــترام الوحي المطهر لهذا العقل ، واعترفت به، وعُنيت بوظيفـــته التي من أجلها خلق. وهذه الآيات تُنمّي العقل المسلم بالقراءة الفاحصة لمفردات الكون، وسطور الكائنات ، ولا زالت تمثل دعوة قائمة مستمرة لهذا العقل إلى العلم والفهم.

إنهـــا الآيات الأولى المنزلة من هذا القرآن وستبقى عنوانه المميَّز، الهادف إلى تحرير العقل، وإطلاقه من إساره، والارتقاء به إلى آفاق أعلى ، وفضاء أرحب "وبهـــذه الآيـــات وضع الله ﷻ معالم الرسالة الإلهية الخاتمة الخالدة في عمومها المطـــلق وشـــمولها الأعم مبيناً أنها رسالة العقل والعلم، وهما أعظم مِنَنِ الله ﷻ عـــلى الإنســـان وهو خيرتُه من خلقه، وأكرمهم عليه، فكانت هذه الآيات كالعنوان للكتاب ، والطُّرة للإطار والغُرَّة في جبين الإيحاء"(٢)

إنها البيان الأول من هذا الكتاب الخالد ، ينزل بعد فترة اعتزال الرسول ﷺ قومه، متأملاً متفكراً ، مُعملاً عقله، فجاء هذا البيان - أول ما جاء- عناية بالعقل، ودعمـــاً له، وصيانةً من الزيغ أو الشطط فبدأت الرسالة بغذاء العقل وهو القراءة، وزاد الفكـــر وهو المعرفة، والعقل لن يستنير ولن يستقيم إلا إذا قرأ صاحبه باسم ربـــه لا باســـم أحد آخر ، إن مصدر التعلُّم والقراءة والتعقل معروف ، إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم ، وكل ما يعلم، وكلَّ ما يُفتح له من أسرار هـــذا الوجـــود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه فهو من هناك من ذلك

---

(١) العلق ٩٦/١-٥

(٢) محمـــد رســـول الله ، محمـــد الصادق عرجون ، ط ، دار القلم دمشق ، الثانية ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م ١/٥٤٢.

المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه ، فيفهم ما يقرأ ، ويعقل ما يسمع"[١].

وقفة مع البناء الاجتماعي للفكر:

من خلال ما تم عرضه من ذكر آيات القرآن الكريم، وأقوال العلماء وما أظهره البحث من أسلوب القرآن الكريم في بناء الفكر عند الفرد المسلم توجز أهداف هذا البناء فيما يلي:-

١- التفكر في مصدر الرسالة وصدق المرسل: ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[٢]

٢- التفكر في حكمة التشريع وإدراك العطاء الإلهي : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]

٣- التفكر في القصص المروي في القرآن لأخذ العبرة والخروج بالعظة ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤]

٤- التفكر في النفس ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[٥]

٥- التفكر في تقدير المنافع والمضار والترجيح بينها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦]

---

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٩٣٩/٦.

(٢) سبأ ٤٦/٣٤

(٣) البقرة ٢٦٦/٢

(٤) الأعراف ١٧٦/٧

(٥) الروم ٨/٣٠

(٦) البقرة ٢١٩/٢

٦- الـتفكر في الموت وقربه وسرعة مجيئه وتشبيه النوم به: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

فهـذه -فقـط- أمثلة ، يظهر منها كيف أولى القرآن اهتمامه لجانب الفكر والعقل فإذا به يبنيه ويتعهده، ويتولاه بالتوجيه والرعاية فإذا ما كان المرء ذا فكر صـحيح، وعقـل راجـح فسـيكون لبنة قوية في بناء أمته يشير ويقترح، ويقوّم ويصحّح ، ويفهم ويستوعب ويفكر ويتأمل ويؤثر ويتأثر بعد أن نشأ على عين الله ، ﷻ وفي ضوء توجيهات كتابه الكريم.

والـتاريخ يشهد أن قلة من الأشخاص عبر فتراته ، هم الذين أثّروا في خط سـير البشـرية، ومـنعطفات طريقها، وذلك لما مُيِّزوا به عن سواهم بقوة عقلية وطاقة فكرية فتعدَّى بهما نفعهم إلى غيرهم، وأفادت منهم أمتهم وتركوا بصماتهم على الحياة حتى بعد أن رحلوا عنها وفارقوا ركبها.

وسَعْيُ القرآن دائبٌ في تجنيد طاقة المسلم العقلية بقدر الإمكان لتؤتي أكلها ويَنضـمَّ بهـا إلى قافلة النُّبهاء والفطناء الذين شَرُفُوا بالانتساب إلى القرآن وإلى خير أمةٍ أخرجت للناس فتخطوا بفكرهم وعقلهم حواجز الزمان والمكان وأثبتوا - بحق- أنهم صنعة هذا القرآن ، ونتاج هذا المنهج الذي به يرتفع قدْر الإنسان.

* * * * *

(١) الزمر ٣٩/٤٢

المبحث الثالث

بناء القيم[١]

تــولى القــرآن الكــريم إقامة صرحٍ شامخٍ من القيم النبيلة في حياة الفرد المســلم تغذي جانبه الأخلاقي، وتدعم حركته في الحياة، وتجعل منه الإنسان الذي أراده الله وعناه القرآن وتولاه بالتربية الجادة، وتعهده بالرعاية المستمرة، وتابعه الرســول ﷺ بــتوجيهاته وتعليماته فإذا بهذا الإنسان يبهر الناس بأخلاقه، ويغزو القلوب بكريم خصاله، وتدين له النفوس والمشاعر قبل أن تدين الحصون والقلاع، وإذا بهــذا الرصــيد العــالي من القيم يسبق أصحابه إلى أنحاء الأرض، ويتسامع الــناس بالعدل والرحمة والبر والإحسان والتقوى والمساواة والصدق مع الله ومع الــنفس ومع الخَلْق، والتورع والزهد والأدب والحياء وغير ذلك فيدخل الناس في ديــن الله أفواجاً، ويشدُّهم أثرُ هذا القرآن على هذه النماذج الفذة، وكيف أصبحوا قــرآناً يمشــي على الأرض وكيف عبَّرت أم المؤمنين -رضي الله عنها - عائشة بنت الصديق حينما سئلت عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: "كانخلقهالقرآن"[٢] .

ولــبيان منهج القرآن الكريم في البناء القيمي سيعرض البحث لقيم الرحمة والعدل والصدق والجمال لتكون مثالاً على إعجاز هذا الكتاب الكريم، وبياناً لعظمته في دعم الجانب الأخلاقي في حياة المسلم.

وكمــا هــو متــبع ليــس القصد تقصِّي كل قيمة، إنما هو البيان لبعضها، والــتعريج عــلى نمــاذج منها ، وبالمذكور يستدل على غيره في بيان يدِ القرآن الــبانية لصرح القيم بأسرها في حياة البشر وسبقه العجيب، وغناه بجميع مقومات البــناء الاجــتماعي الــذي يُحيلُ الحياة جَنةً وارفة الظلال، غنية بالرحمة والعدل والصدق والجمال.

---

(١) جمــع قيمــة وهــو كــل شيء له قيمة وقدر وأصله واو لأنه يقوم مقام الشيء ، ومصدره تقويم. انظر القاموس المحيط للفيروز ابادي ١٦٨/٤، لسان العرب - ابن منظور ٥٠٠/١٢، مادة (قوم).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، كتاب باقي مسند الأنصار ، ج٧/ ص١٣٢، رقم ٢٤٠٨٠ .

المطلب الأول : الرحمـــــة

وهـــي من صفات الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ وهـــي -أيضـــاً- مـــن صـــفات المسلم السوي الذي أُشربَ قلبُه نوراً ومنهاجاً وأشـــرقت نفسه بآداب السنة النبوية والهدي المحمدي الذي يفيض رحمة ، ويشع ليناً ورفقاً.

ولأن الآيات التي جاءت فيها الرحمة بمشتقاتها كثيرة جداً ولو أراد الباحث ذكـــرها لطال الأمر لذلك رأى الاكتفاء بنماذج منها سواء كان الصريح أم الضمني وكل حسب ترتيب السور التنازلي كما هو متبع في منهج البحث فيما سبق.

أولاً : الصريح من الآيات :

١- قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(١)

٢- قولـــــه تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢)

٣- قولـــــه تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣)

٤- قولـــــه تعـــالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٤)

٥- قولـــــه تعـــالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٥)

٦- قولـــــــه تعـــــالى:﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟

---

(١) الفاتحة ١/١

(٢) آل عمران ١٥٩/٣

(٣) النساء ١١٠/٤

(٤) غافر ٧/٤٠

(٥) الحجرات ١٠/٤٩

بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[١]

ثانياً : الضمني من الآيات:

ولاشك أن كتاب الله تعالى بكل آياته جاء رحمة من الله لعباده ، ليهديهم سواء السبيل، وليحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وليقوِّم اعوجاجهم ، وليزكي نفوسهم، وليساعدهم على الانتصار على أنفسهم، فشرْعُ الله رحمة، وأوامره حكمة، ووحيه نعمة، ومن هذه الآيات: -

١- **قوله تعالى:** ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢]

٢- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٣]

٣- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[٤]

٤- **قوله تعالى:** ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥]

٥- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٦]

٦- **قوله تعالى:** ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[٧]

ثالثاً: التصنيف الموضوعي للآيات في ذكرها للرحمة:

ومع النظرة الفاحصة لآيات القرآن الكريم وهي تذكر الرحمة يلاحظ التالي:-

---

(١) البلد ١٧/٩٠

(٢) البقرة ١/٢-٢

(٣) الإسراء ٩/١٧

(٤) يوسف ١٠/١٢

(٥) يوسف ١١/١٢

(٦)القلم ٤/٦٨

(٧)الإنسان ٨/٧٦

١- أن القسم الأعظم منها يتحدث عن رحمة الله عز وجل بعباده في الدنيا والآخرة كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

٢- قسم يتحدث عن رحمة النبي ﷺ بصحابته ﷺ كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)

٣- قسم يتحدث عن وجوب رحمة المسلم لنفسه من عذاب الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣)

٤- قسم يتحدث عن رحمة المؤمن لإخوانه من الأمة المسلمة - كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤)

٥- قسم يتحدث عن رحمة المسلم بغير المسلم من أجل دعوته وإنقاذه من الضلال كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٥)

٦- قسم يتحدث عن رحمة المسلم بجميع المخلوقات وسائر الكائنات، بما فيها الأنعام. فهي رحمة عامة تقرّب صاحبها من رحمة الله الواسعة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٦)

---

(١)المزمل ٢٠/٧٣ ، وسور أخر بالمصحف الشريف

(٢) التوبة ١٢٨/٩

(٣) التحريم ٦/٦٦

(٤) التوبة ٧١/٩

(٥) التوبة ٦/٩

(٦) الأعراف ٥٦/٧

رابعاً: وقفات مع نماذج لبناء قيمة الرحمة في القرآن الكريم:-

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] لمّا تخلّق ﷺ بخُلق الرحمة، وصارت لبنة من بناء شخصيته الكريمة ، وأضحت سمة من سماته وصفة من صفاته جرت أنهار هذه الرحمة حتى فاضت على كل من حوله "حتى عندما انهزموا يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم بالتغليظ والتشديد وإنماخاطبهم بالكلام اللين" [2] فرحم الناس ورحم الحيوان ورحم الطير.

عن أبي هريرة[3] ﷺ قال : " دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلّى ركعتين ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحدا، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: لقد تحجرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه، فقال ﷺ : إنما بعثتم ميَسرين ولم تبعثوا معسّرين، أهريقوا عليه دلوا من ماء أو سجلا من ماء"[4].

هنا وسع هذا الأعرابيَّ ووسع سلوكَهُ وعملَهُ عفوُ النبي ﷺ ورحمته وحُسْنُ خلقه فلم يقطع عليه بوله، ولم يعنِّفه ، ولم يؤنبه ، ولم يحرجه لفعلته الذميمة، ولم يَقْسُ عليه وإنما شمله برحمته وحنانه، وشفقته وكرمه حتى قال الأعرابي: "فقام النبي ﷺ إليَّ – بأبي وأمي– فلم يَسُبَّ ولم يؤنب ، ولم يضرب"[5] ولا يخفى على ذي عقلٍ بشاعة فعلةِ الأعرابي، وسوء سلوكه وخروجه عن حدود اللياقة فقد

---

(١) آل عمران ١٥٩/٣

(٢) تفسير الفخر الرازي ، مصدر سابق ، ٩/ ٦٢ ، ٦٣

(٣) عبدالرحمن بن صخر ، سماه الرسول ﷺ عبدالرحمن ، وكناه أبا هريرة ، حيث وجده يحمل هرَّة في كُمِّه، وهو من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ ، لزم النبي – عليه الصلاة والسلام – فروى عنه خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً نقلها عنه أكثر من ثماني مائة رجل ، توفي ﷺ بالمدينة سنة تسع وخمسين للهجرة ، انظر الإصابة لابن حجر ٢٠٢/٤-٢١١ والأعلام ٨٠/٤-٨١ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٣٠٦/١-٣١٠.

(٤) رواه أحمد في مسند المكثرين ، ج٢ ص٤٧٤ ، رقم ٧٢١٤ ، والبخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، ج١٠ ص٤٥٢، رقم ٦٠١٠، وأبو داود ، كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول ج١ ص١٠٢ رقم ٣٨٠.

(٥) رواه أحمد في مسنده ، مسند المكثرين ، ج٣ /٢٩٧ ، رقم ١٠١٥٥.

عمـــل أعمـــالاً تثير الغضب، وتستدعي عقوبته، وتأديبه من الحاضرين، ولذلك قام الصـــحابة إليـــه ، واستنكروا أمره وزجروه فنهاهم النبي ﷺ عن أن يقطعوا عليه بوله[١] ومن يتأمل قُبح الفعلة التي وقعت من الأعرابي ، ويتصور غضب الصحابة وهمَّهم بالأعرابي وإنكارهم عليه، ثم يتصور هذا الفيض الأخلاقي من القائد ، وتلك الرحمة المدهشة سيستطيع أن يتخيل كم بلغ هذا الخلق الجليل والحلم العظيم حيث إن الأعرابي بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله ﷻ على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[٢] ومـــع أن الأعرابي دعا بخلاف ذلك إلا أن النبي ﷺ أنكر عليه بالحكمـــة ولـــم يحرمه من الرحمة[٣] وفي الحديث القدسي : "إن رحمتي تغلب غضبي"[٤] فـــرحمة الله ﷻ تغلب غضبه ، ورحمة النبي ﷺ تغلب غضبه وكل من يتخلق بهذا الخـــلق يســـتحق الثناء والإكرام والذكر الحسن دون سائر الناس لأنه تميّز عليهم ســـيرةً وخُـــلُقاً، فامتاز عنهم ثناءً وذكراً ويجئ الصحابة ﷺ في مقدمة هذا الركب الـــذي تميز بالقيم الإنسانية حتى قال رسول الله ﷺ : "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر - وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"[٥] ومـــا ذلك إلا أثر القرآن الذي تربوا عليه، وأشربوا معانيه وأثر الرسول

---

(١) مقومـــات الداعيـــة الـــناجح ، سعيد بن علي القحطاني مطبعة سفير ، الرياض ، الأولى ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٤م ، ص١٧٦ ، ١٧٧.

(٢) الحشر ٥٩/١٠

(٣) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، سابق ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ج١٠ ص٤٥٣ .

(٤) رواه الـــبخاري وانظـــر الفتح ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) ج١٣ ص ٣٩٥ رقم ٧٤٠٤ ، ومسلم كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه، ج٤ ص ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١

(٥) رواه الـــترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ وزيد وأبيّ وأبي عبيدة ﷺ ، ج٥ ص٦٦٤ رقم ٣٧٩٠ وابن ماجه في المقدمة ، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ج١ ص٥٥ رقم ١٥٤ ، وأحمد في مسنده ، باقي مسند المكثرين ، ج٤ ص٢٩ رقم ١٢٤٩٣.

الذي تتلمذوا على يديه وراقبوا أخلاقه.

ورحمة النبي ﷺ لم تتوقف عند تعامله بها، وتربية أصحابه عليها بل تعدت إلى سائر المخلوقات فإذا به يوصي بالطير ليُرحم، وبالحيوان ليُطعم ويُكرم، عن عبدالله بن جعفر[١] قال: "أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحبّ ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدفاً[٢] أو حائش نخل[٣] قال فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جملٌ فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفراه[٤] فسكت، فقال من ربُّ هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟! فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه[٥]"[٦]

رحمة لا حدود لها ولا منتهى. لذلك فللمسلم الأسوة برسوله ﷺ في جميع شؤونه وفي سائر حياته وما فيها من هذا الحشد الهائل من القيم والأخلاقيات لتمرين النفس وتعويد القلب، وتربية الوجدان على هذه الرحمة الكبيرة، كما قال شوقي[٧]:-

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء[٨]

---

(١) هو: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدمناف السيد العالم القرشي الهاشمي الحبشي المولد المدني الدار الجواد ابن الجواد، له صحبة ورواية، استشهد أبوه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ ونشأ في حجره، كان وافر الحشمة، عالي الهمة، مات سنة ثمانين وقيل: أربع أو خمس وثمانين للهجرة، سير أعلام النبلاء، الذهبي، سابق، ج٣ ص٤٥٦-٤٦٢.

(٢) كل ما ارتفع من البنيان، انظر موسوعة الحديث الشريف على الحاسوب.

(٣) بستان فيه نخل صغير. انظر موسوعة الحديث الشريف على الحاسوب.

(٤) أصل الأذن وطرفها. انظر موسوعة الحديث الشريف على الحاسوب.

(٥) تتعبه بالكد والعمل. انظر موسوعة الحديث الشريف على الحاسوب.

(٦) رواه أبو داود، كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ج٣ ص ٢٣ رقم ٢٥٤٩ وأحمد في مسنده، مسند أهل البيت، ج١ ص ٣٣٧، رقم ١٧٥٧.

(٧) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المالك في مصر، عالج أكثر فنون الشعر، مديحاً، وغزلاً، ورثاءً ووصفاً، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة، انظر الأعلام، الزركلي ١٣٣/١، ١٣٤، ومرآة العصر ١١٣/٣، والمنتخب من أدب العرب ١٠٨/١، وأعلام من الشرق والغرب ٩٥-١٠٧.

(٨) الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الأولى ٣٦/١.

ويوم تسود الرحمة المجتمع الإسلامي فيفيض بها الكبير على الصغير، والقويُّ على الضعيف ، والغني على الفقير والقادر على العاجز، والعاقل على السَّفيه ، والصحيح على السقيم، والجميل على الدميم، رحمة تسود الأرض ومن عليها ، عند ذلك سيعم الخير، وسترفرف السعادة على أبناء المجتمع الإسلامي حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

يرغِّب الله ﷻ عباده في رحمته بأن يرحم بعضهم بعضاً، ويغريهم بها ليتراحموا فيما بينهم، فالجزاء من جنس العمل ، فمن رحم يُرحم، ومن تخلَّى عن الرحمة في حياته يوشك أن يَحرِم نفسه من الرحمة الإلهية، قال ﷺ : " لا تُنزعالرحمةإلامن شقي"(٢) فالله ﷻ إذا أحب إنساناً رقق قلبه ، وفجر ينابيع الرحمة في جوانبه، فلا تراه إلا مشفقاً على الناس، راثياً لهم، إذ إنَّ "أرق الناس أفئدة هم أوفرهم نصيباً من هذه الرحمة، وأرهفهم إحساساً بحياة الضعفاء، أمَّا غلاظ الأكباد من الجبارين والكازِّين والمستكبرين فهم في الدرك الأسفل من النار"(٣)

ولَبِنَةُ الرحمة عندما يضعها القرآن الكريم في مكانها في صرح الشخصية المسلمة وعندما تنسجم مع سواها من اللبنات الأُخر من قوةٍ أو عدلٍ أو شعور... إلخ ، إنما تدفع المسلم إلى أفق أسمى ، وحياةٍ أرقى ، إذ - عندها- سيُحس بغيره، وسيتألم له ، وسيتعذب من أجله، وسيشعر أنه عضو في جسد ولبنة في بناء، وكم سيقدم هذا الرصيد الذي يكون عنده من الرحمة لمجتمعه من خدمات؟، وكم سيفيد منها الناس أجمعون؟! ، فرحمته ستدفع عن غيره أذاه، وستصوغ منه النفس الودودة التي تفتش عن الخير وتقبل عليه ،

---

(١) الحجرات ١٠/٤٩

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين ، ج٤ ص٣٢٣ رقم ١٩٢٣ وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، ج٤ ص٢٨٧ رقم ٤٩٤٢، وأحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، ج٢ ص٥٨٢ رقم ٧٩٤١.

(٣) خلق المسلم - محمد الغزالي ، مطبعة حسان ، القاهرة ، الثامنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣، ص٢١٠.

وتـــنآى عـــن الشـــر وتقاطعه وعندها ستكون الرحمة هي زاد الأخوة الذي لا ينقطع ، ومعينها الذي لا ينضب.

وفـــي تـــأمل رحمة أبي بكر ﷺ التي شهد له بها معصوم لا ينطق عن الهوى ﷺ ما يكفي لفهم مدى إفادة الأمة من رحمة الرحيم، فهي رحمة بالأمة يـــوم بادر إلى الإسلام والتصديق المبكر فساند الرسول ﷺ في أولى الخطوات الخطيـــرة، وهـــي رحمة بالأمة يوم دافع عنه ﷺ وتحمل أذى المشركين ليسلم صاحب الدعوة، وهي رحمة بالأمة يوم رافق رسولها ﷺ في رحلة الهجرة في فـــتحٍ جديـــد لهذا الدين، وهي رحمة بالأمة يوم أمسك بأطراف عقد كاد ينفرط عـــندما مـــات الرسول ﷺ وأفاق الصحابة على صوته الجسور يُرسي القواعد ويشد البناء، وهي رحمة كبيرة وهو يتصدى للمرتدين في قوة معجزة، وحكمة خارقـــة، وحـــزم أخاذ وهو يقول: " والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه"[١]

وبذلـــك يتـــبين مـــدى إفادة المجتمع المسلم من أفراده المتخلقين بهذه الأخـــلاق المتســـلحين بتلك القيم ، وتتبين عظمة المردود الإيجابي على بنائه الاجتماعي قوةً وسلامةً ، وثباتاً واستقراراً.

المطلب الثاني : بناء العدل[٢]

العـــدل قيمـــة رفيعـــة ، وفضـــيلة عظيمة عليها قام المُلْكُ ، وبها يوم الحساب يكون الفصل، والعدل دعامة الدنيا، وميزان الآخرة ليأخذ كل ذي حقٍ حقه، فالله حَكَمٌ عدل، خلق الخلق، وأنزل كتابه ومعه الميزان ألا وهو العدل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، وانظر الفتح ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ج٣ ص٣٠٨ رقم ١٤٠٠ ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ج١ ص٥١، ٥١ رقم ٢٠ .

(٢) المســـاواة فـــي المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ، وهو نقيض الجور لأنه حكم بالحق، انظر : تاج العروس ٩/٨، معجم مقاييس اللغة ٢٤٧/٤ ولسان العرب ٤٣٠/١١ ، مادة (عدل).

قـــال تعـــالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.(١)

قـــال ابن القيم -رحمه الله-: "أنزل الله كتابه وأنزل الميزان وهو العدل ليقـــوم الناس بالقسط"(٢) ولقد حفل القرآن الكريم بين دفَّتية بآيات عديدة تلوِّح بهـــذه القيمـــة، وتشـــير إليهـــا وتدعـــو للتخلق بها وما ذلك إلا ليعلو البناء الاجتماعي للمسلم الذي هو صنعة الله حتى يكون بحق عضواً في أمة هي خير أمـــةٍ أخـــرجت للناس، وفيما يلي استعراض لهذه الآيات مرتبة ترتيباً مصحفياً كالمتبع ، وهذا الاستعراض يشمل الصريح والضمني من هذه الآيات:

أولاً : الصريح من الآيات :-

١- **قولـــــه تعالى:** ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٣)

٢- **قولـــــه تعالى:** ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٤)

٣- **قوله تعالى:** ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾(٥)

٤- **قوله تعالى:** ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾(٦)

٥- **قوله تعالى:** ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾(٧)

---

(١) الحديد ٢٥/٥٧.

(٢) مفـتاح دارة السـعادة - ابن القيم ، تحقيق سيد إبراهيم علي محمد ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ص٣٦٦.

(٣) البقرة ٤٨/٢.

(٤) البقرة ١٢٣/٢

(٥) البقرة ٢٨٢/٢.

(٦) البقرة ٢٨٢/٢.

(٧) النساء ٣/٤.

٦- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[١]

٧- **قوله تعالى:** ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[٢]

وآيات أخرى كثيرة[٣]

ثانياً الضمني من الآيات:-

١- **قوله تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٤]

٢- **قوله تعالى:** ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٥]

٣- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[٦]

٤- **قوله تعالى:** ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٧]

٥- **قوله تعالى:** ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٨]

٦- **قوله تعالى:** ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا

---

(١) النساء ٥٨/٤.

(٢) النساء ١٢٩/٤.

(٣) انظر النساء ١٣٥/٤ ، المائدة ٨/٥ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، والأنعام ١/٦ ، ٧٠ ، ١١٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، والأعراف ١٥٩/٧ ، ١٨١ ، والنحل ٧٦/١٦ ، ٩٠ ، والنمل ٦٠/٢٧ ، والشورى ١٥/٤٢ ، والحجرات ٩/٤٩ ، والطلاق ٢/٦٥ ، والانفطار ٧/٨٢

(٤) البقرة ١٤٣/٢.

(٥) المائدة ٤٢/٥.

(٦) النحل ١٢٦/١٦.

(٧) الأنبياء ٧٩/٢١.

(٨) ص ٢٦/٣٨.

يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]

٧- **قولـــه تعالى:** ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢]

ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات المتحدثة عن العدل[٣]:

العـــدل معنى مطلق يقتضي أن يلزمه المسلم في جميع أحواله، وأن يتحرك بـــه أيـــنما اتجه، وأن يسلك به حياته من أول الطريق حتى آخره ليسلم الناس من ظـــلمه، وليســـلم هـــو من ظلم غيره، والآيات القرآنية التي ذكرت العدل وحرَّضت عليه يمكن تصنيفها إلى التالي من الموضوعات:

١- **العدل بين النساء: قال تعالى:** ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾[٤]

٢- **العـــدل فـــي القضـــاء : قـــال تعـــالى:** ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[٥]

٣- **العدل مع العدو : قال تعالى:** ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[٦]

٤- **العدل في الشهادة : قال تعالى:** ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[٧]

٥- **العدل في الاعتقاد: قال تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٨]

---

(١) الشورى ٤٢/٤٠..

(٢) الحديد ٥٧/٢٥.

(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن الميداني ، مصدر سابق ، ١/٦٢٢.

(٤) النساء ٤/٣.

(٥) النساء ٤/٥٨.

(٦) المائدة ٥/٨.

(٧) الطلاق ٦٥/٢.

(٨) الأنعام ٦/٨٢..

٦- العدل في الدعوة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١]

٧- العدل في العقوبة: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾[٢]

وإذا كان عدل الله ﷻ قد وسع الجميع من مخلوقاته حيث قال ﷻ : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٣].

فمن الخير -كذلك- ألا يظلم العبد مخلوقاً كائناً من كان، إنساناً أو حيواناً أو طائراً وأن يبادر إلى أداء الحقوق في الدنيا قبل أن يطالب بأدائها في يوم الكرب العظيم، والهول الشديد. قال ﷺ : " لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[٤] فلن ينصرف الخلق يوم الحشر إلا بعد عدلٍ يُظل الجميع بمظلته ، ويشمل الكلَّ، فلا يبقى مظلوم ولا مهضوم، ولا صاحب حق إلا رُدَّ عليه حقه.

رابعاً : وقفات مع نماذج لبناء العدل في القرآن الكريم:

أ- من الآيات الصريحة:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٥]

وأيّا كان سبب نزول هذه الآية سواء من أجل كفار قريش، أو لأن قريشاً أرسلت من يقتل رسول الله ﷺ فأطلع الله نبيه على ذلك ونزلت هذه الآية، أو لأن بني النضير هموا بقتل النبي ﷺ عندما جاءهم وهو قول مجاهد

---

(١) النحل ١٦/٩٠.

(٢) النحل ١٦/١٢٦.

(٣) الكهف١٨/٤٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤ ص١٩٩٧ رقم ٢٥٨٢ والترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ج٤ ص ٦١٤ رقم ٢٤٢٠ ، وأحمد في مسنده ، باقي مسند المكثرين ، ج٢ ص٤٦٧ ، رقم ٧١٦٣.

(٥) المائدة ٥/٨

وقــتادة[١] فمعنى الآية واضح وهو : " كونوا قوامين لله بالحق ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل مع الولي أو العدو"[٢].

وإذا كانت جميع التكاليف الشرعية بسائر تفصيلاتها إنما هي محصورة في نوعيــن همــا: تعظيم أمر الله والشفقة على عباده، لذلك أمر الله عز وجل بالقيام بحقه والتزام حدوده، وأداء جميع شعائر العبودية التي لا تُصرف إلا إليه ، وكذلك بــأداء حق عباده وفي هذا الحق قولان : قال عطاء : "يقول لا تُحَابِ في شهادتك أهل ودك وقرابتك، ولا تمنع شهادتك أعداءك وأضدادك". أما الثاني فقاله الزجَّاج[٣] "أي أبينوا عن دين الله ، لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه"[٤].

قمــة ســامقة يرفع القرآن الكريم المؤمنين إليها، فهو في مقدمات السورة نــهى المؤمنين عن الاعتداء على من يبغضونهم ، وهنا يأمرهم بأن يقيموا العدل معهــم ، ويُطــبقوا المســاواة فــي تعاملهم مع من يبغضون ويكرهون، وخاطب المؤمنين كأمةٍ وجماعة آمراً بالعدل الذي به تقوم دعائم الأمم.

قــال شــيخ الإســلام -رحمه الله-: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة"[٥].

إن ميــزان العــدل غالباً ما يضطرب تبعاً للعواطف، وكثيراً ما يتأرجح هنا وهناك، ثم ينساق وراء الميل القلبي فالعدل مع المحبوب المرغوب، والظلم والبغي

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري المحدث الحافظ الفقيه ، قال الإمام ابــن حنــبل : قتادة أحفظ أهل البصرة، ولد سنة إحدى وستين وتوفى سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة، انظر الأعلام ١٨٩/٥، وصفة الصفوة ، ابن الجوزي ، سابق ، ٢٤٦/٣.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣٠٧/٢.

(٣) الــزجاج هــو : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة، ولد ببغداد سنة إحــدى وأربعيــن ومائتين ، له كتب كثيرة منها : معاني القرآن ، وإعراب القرآن في ثلاثة أجزاء توفى ببغداد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، انظر تاريخ بغداد للخطيب ٨٩/٦ ووفيات الأعيان ١١/١.

(٤) انظر التفسير الكبير ، الرازي ، مصدر سابق ١٨٤/٦.

(٥) مجمــوع الفتاوى ، ابن تيمية ، ط دار عالم الكتب ، الرياض ، الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ٢٨/ ١٤٦ ، وانظــر هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً ، محمود محمد الخزندار ، ط دار طيبة ، الرياض، الخامسة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص٢٣٤.

على المكروه المشنوء.

وفـــي هـــذه الآية الكريمة يتضح بجلاء حرص القرآن الكريم على صياغة المســـلم صياغة فريدة بوضع لبنة العدل المباركة في بنائه الاجتماعي لتأخذ مكانها وســـط أخواتهـــا من القيم الربانية الأخرى فالمنهج القرآني يتولى بناء الشخصية المســـلمة اجـــتماعياً لبنةً لبنة، ويرفع من هذا البناء بعد أن أرسى أساسه المتين على قواعد التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر ليكون المسلم بأخلاقه داعية خيرٍ ، يأســـر القلوب بعدله، ويستولى على النفوس بفضله ، بعد أن أقنع أصحابها بقيمه وعقلـــه، ولا أدل عـــلى تأكيد القرآن الكريم على بناء هذه القيمة في نفس المسلم من: -

١- الخطاب بالإيمان الذي يقتضي التسليم والقبول والتصديق والطاعة عند التلقي.

٢- الأمـــر بـــــ : (كونـــوا) . المتطـــلب للديمومة على هذا الخُلق ، والتمسك به، والحيـــاة عـــليه وعدم التخلي عنه مهما كانت الأسباب أو الدواعي ، بل مهما كـــان حال الطرف الآخر وطبيعته، وكذلك الموحي بإمكانية التخلق بهذا الخلق لو أراد المرء وسعى إليه.

٣- إرداف الأمـــر بالقسط والعدل عقب الأمر بالقيام لله ﷻ لأهمية العدل في حياة الناس ولأثره في الدنيا كلها فهو نبضها الحي وقوام أمرها كله، يُرجى خيرها مادام فيها العدل. قال شيخ الإسلام : "وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"[١]

٤- تحريـــر قيمة العدل من العواطف فهو فوقها وليس تبعاً لها وهو قيمة مجردة، وهو حق لكل إنسان لا يضيعه كونه عدواً ، ولا ينقصه كونه مشنوءاً.

٥- ربـــط العـــدل باتقاء المعاصي ، أو اتقاء النار، وفي كلٍ إغراء واضح، وإقناع كامل بلزومه مع سائر البشر.

٦- خـــتم الآية بتقوى الخبير المطلع، والرائي المستمع، الذي يعلم الخفايا، ويحيط

---

(١) مجموع الفتاوى ، أحمد بن تيمية، مصدر سابق، ١٤٦/٢٨.

بالخـــبايا وسيفصـــل بين سائر الخلق يوم يقال للمظلوم تقدم، وللظالم لا تتكلم، يوم يجثو الخليل ويتزلزل ابن مريم، عندها يودُّ الظالم لو كان مظلوماً، والغادر لو كان مهضوماً.

إن القـــرآن يرسي دعائم العدالة الثابتة التي لا تتزعزع أبداً أمام أي ظرف يطرأ، وماذا سيطرأ أكثر من البغض والشنآن والعداوة ، ليس هناك أكثر من ذلك ، ومـــع هذا ضمن القرآن فيها العدل والقسط المادي والمعنوي ، فأين من هذه القيم ما يُرَدَّد في الغرب من دعاوى العدل والمساواة وحقوق الإنسان، مع التفريق النكد بيـــن لـــونٍ ولـــون، وبيـــن جنسٍ وجنس، وبين دين ودين، وبين مذهب ومذهب، والمقصـــود بالتفريق -هنا- هو الظلم والجور وإلاّ فالتمايز بين المسلم وغيره من غيـــر المســـلمين أمـــر مطلوب لتكون للمسلم شخصيته، واستقلاليته، فيتحرر من التبعية لغيره، والأكثر من ذلك أن يكون هو الموجه لغيره، المؤثر فيه.

ولقد ربّى الإسلام الحنيف بآيات القرآن المنزلة، وبهدي النبي المرسل الأمة بأســـرها عـــلى حب العدل وبغض الظلم، ورفض الضيم ، ودفع الجور، فجعل في مقدمـــة الســـبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل[١] الذي يعـــدل في رعيته ، ويسوي بينهم، ولا يضيع حق أحدهم لضعفه أو فقره، أو بُعده عن الحاكم[٢]

والله سبحانه عندما دعا عباده إلى العدل ونهاهم عن الظلم قد بدأ بنفسه ﷻ فحـــرَّم عليها الظلم فقال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً . فلا تظالموا"[٣] وقوله ﷻ حرمت الظلم على نفسي، أي : " تقدستُ عنه وتعاليت، والظلم مستحيل فـــي حق الله ﷻ، إذ كيف يجاوز سبحانه حداً وليس فوقه من أحد، وكيف يتصرف

---

(١) والحديـــث رواه الـــبخاري فـــي صحيحه ، انظر الفتح ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصـــلاة وفضـــل المساجد ج٢ ص١٦٨ رقم ٦٦٠ ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ، ج٢ ص٧١٥ رقم ١٠٣١.

(٢) وسيأتي تفصيل هذا في الباب الثالث بمشيئة الله تعالى.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي، ط مؤسسة قرطبة، الأولى١٤١٢هـــ-١٩٩١م، ج ١٦/١٩٩

فـــي غير ملكٍ والعالم كله في ملكه وسلطانه، وأصل التحريم في اللغة المنع فسمّى تَقَدُّسه عن الظلم تحريماً لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء"[١]

ولـــن تســـود العدالة الاجتماعية في المجتمع إلا إذا ساده العدل وضُرب فيه عـــلى يـــد الظـــالم فـــلا يطغى طاغٍ بقوته، ولا يستطيل باغٍ بماله، ولا يجور جائر بسلطانه، ولا يضيع بائس لبؤسه أو فقره أو إقفار يده.

والمنهج الذي ينهى المسلم عن الظلم والبغي هو -أيضاً- الذي يأمر المسلم بالإبـــاء والعـــزة والكرامة والأنفة، وينكر عليه، رضوخه لظلمٍ واقع عليه أو إهانة لاحقة به قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [٢]

ولقـــد كـــان رســـول الله ﷺ يربي أصحابه على دفع الظلم، ورفض الضيم، وقـــلما كان يقوم من مجلس حتى يدعو أمام أصحابه بهذا الدعاء: "واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"[٣].

وإذا كـــف كـــل مسلم الظلم عن غيره، وفي الوقت ذاته رفض أيّ ظلم واقع عـــليه، فســـيكون، مجـــتمعاً قوياً آمناً راسخاً ثابتاً، متلاحماً متماسكاً لا مكان فيه لأحقاد أو ضغائن ، ولا سبيل فيه لفرقةٍ أو شتات، بل يكون مجتمعاً محترم الجناب مـــرهوبَ الشـــوكة، المسلم فيه آمن على عرضه فهو مصون، وعلى نفسه فدمه معصـــوم، وعـــلى ماله فهو على غيره حرام، وهذا الجو الاجتماعي النظيف الذي تســـوده العدالـــة سيفرز أنفساً قوية تثق بغيرها لأنها أمنت ظلمه، وضمنت عدله،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، مصدر سابق ، ج ١٦/١٩٩

(٢) النساء ٤/٩٧-٩٩

(٣) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب (٨٠) حدثنا عليُّ بن حُجْر ، ج٥ ص٥٢٨ رقم٣٥٠٢

فالمسلمون جميعاً إخوة والناس سواء يدركون ما عند الله بالطاعة ويتفاضلون عنده بالتقوى.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١]

المطلب الثالث : بناء الصدق[٢]

الصدق معناه أشمل مما ذكره أهل اللغة، فليس قاصراً على صدق القول والمنطوق فقط، وإنما الصدق مع الله سبحانه وتعالى يعني صدق الظاهر والباطن ، أو مطابقة الظاهر للباطن ، فيكون الباطن كالظاهر بل أجلى ، والسر كالعلن بل أحلى ، لذلك قال تعالى:﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٣] فجعل ﷺ الصدق عند أصحابه في مقابل النفاق عند أهله.

والمسلم الذي يحرص القرآن الكريم على إرساء لبنات بنائه الاجتماعي لا غنى له عن الصدق إذا كيف يُتصور مسلم حساس متفكر رحيم عادل بلا صدق؟! فهذا ما لا يكون أبداً، لذلك جاء حشد هائل من آيات الوحي المنزل تدعو إلى الصدق وتثني على أهله وتبشر بعاقبته منها الصريح ومنها الضمني كما يلي:

أولاً : الصريح من الآيات :

١ - قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[٤]

---

(١) الحجرات ١٣/٤٩.

(٢) قال الراغب : الصدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً. وقال ابن منظور : الصدق نقيض الكذب، يقال صَدَقه القول: أنبأه الصدق، انظر : مفردات الراغب ص٢٧٧، ولسان العرب ١٠/ ١٩٣، والمقاييس ٣٣٩/٣، مادة (صدق) ، وفي الاصطلاح : قال الراغب : هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، المفردات ص٢٧٧، وقال الجرجاني : مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضد الكذب، انظر التعريفات للجرجاني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، ١٣٢.

(٣) الأحزاب ٢٤/٣٣.

(٤) المائدة ١١٩/٥.

٢- **قال تعالى** : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١)

٣- **قال تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾(٢)

وهناك آيات أخرى كثيرة تكلمت عن الصدق ثناءً أو دعوة أو بشارةً(٣)

ثانياً : الضمني من الآيات الحاثة على الصدق:

١- **قولـــه تعالى:** ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾(٤)

٢- **قوله تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴾(٥)

٣- **قولـــــه تعـــالى:** ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٦)

٤- **قولـــــه تعالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧)

---

(١) التوبة ١١٩/٩.

(٢) الحديد ١٩/٥٧.

(٣) انظر البقرة ٢٣/٢، ٣١، ٤١ ، ٨٩، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١، ١٧٧، آل عمران ٣/٣ ، ١٧، ٣٩، ٥٠، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٨٣. النســاء ٤٧/٤ ، ٦٩ ، ٨٧ . المائدة: ٤٦/٥ ، ٤٨، ٧٥ ، ١١٣ ،. الأنعام ٤٠/٦، ٩٢، ١١٥، ١٤٣، ١٤٦ . الأعراف : ٧٠/٧، ١٠٦،١٩٤. التوبة: ٤٣/٩ ، يونس: ٢/١٠، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٩٣. هــود : ٣٢،١١/١١ . يوسف ٢٦،١٧/١٢، ٢٧، ٤٦، ٥١، ٨٢، ١١١. الحجــر: ٧/١٥، ٦٤. الإســراء ٨٠/١٧. مريم ٤١/١٩، ٥٠، ٥٤، ٥٦. الأنبياء: ٩/٢١، ٣٨. النور: ٦/٢٤، ٩، ٦١. الشــعراء: ٣١/٢٦، ٨٤ ، ١٠١، ١٥٤، ١٨٧. الــنمل : ٢٧/٢٧، ٤٩،٦٤، ٧١. القصــص: ٣٤/٢٨، ٤٩. العنكبوت: ٣/٢٩ ، ٢٩ ، السجدة ٣٢،٢٨. الأحزاب: ٨/٣٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥. سبأ : ٢٠/٣٤، ٢٩. فاطر: ٣١/٣٥. يس: ٤٨/٣٦، ٥٢. الصافات: ٣٧/٣٧، ٥٢، ١٠٥، ١٥٧. الزمــر ٣٢/٣٩، ٣٣، ٧٤ ، غافر: ٢٨/٤٠، الدخان ٣٦/٤٤. الأحقاف ٤/٤٦ ، ١٢، ١٦، ٢٢، ٣٠. محمــد:٢١/٤٧. الفتح: ٢٧/٤٨ . الحجرات ١٥/٤٩، ١٧ . الذاريات: ٥/٥١ . الطور: ٣٤/٥٢. القمر: ٥٥/٥٤. الواقعة ٥٧/٥٦، ٨٧. الحشر: ٨/٥٩. الصف ٦/٦١. الجمعة: ٦/٦٢ التحريم ١/٦٦. الملك ٢٥/٦٧. القلم ٤١/٦٨. المعارج ٢٦/٧٠. القيامة ٣١/٧٥. الليل:٦/٩٢.

(٤) البقرة ٤٤/٢.

(٥) الرعد ٢٠/١٣.

(٦) النحل ٩١/١٦.

(٧) الصف ٦١/ ٢ ، ٣

٥- قولـــه تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[١]

والآيات سوى ذلك كثيرة فرسالة الإسلام بُنيت على الصدق، ومبلِّغها صادق ومـــنهجها مـــنهج صدق، وكل تعليماتها إنما تناشد الصادقين الذين يراقبون الله لا غيـــره، ويخشـــونه ولا يخشـــون ســـواه، لأنهم صدقوا موعوده، وأدركوا مراده، فأرادوا ثوابه، وخافوا عقابه.

ثالثاً: نموذج للبناء الاجتماعي لقيمة الصدق:-

يقـــول تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٢]

هـــؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك[٣] ومُرارة بن الربيع[٤] وهلال بن أمية[٥] حيـــث تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك والمسمَّى جيشها بجيش العسرة لشدة الحـــرارة، وبُعـــد المسافة، ولم يكن لديهم عذر للتخلف، فلما رجع ﷺ من الغزوة جـــاءه المخـــلفون عـــنه، فطفقـــوا يحلفون ويعتذرون، وكان يقبل منهم علانيتهم ويـــبايعهم ويســـتغفر لهـــم ويكل سرائرهم إلى الله. قال كعب ﷺ : "حتى جئت، فلما سلمت، تبسَّم تبسُّم المغضَب ثم قال: "تعال" فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلَّفك؟ ألم تكن

---

(١) النازعات ٧٩/٤٠ ، ٤١.

(٢) التوبة ٩/ ١١٨ ، ١١٩.

(٣) كعـــب بن مالك بن أبي كعب يُكنى أبا عبدالله ، وقيل: أبو عبدالرحمن ، وأمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة ، شهد العقبة واختُلف في شهوده بدرا، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ ، إلا في غزوة تبوك، تـــوفى ســـنة خمســـين للهجرة ، انظر : أسد الغابة ٤/١٨٧-١٨٩، والإصابة ٣/٣٠٢، ٣٠٣ والأعلام ٦/٨٥، وشذرات الذهب ١/٢٤٤، ٢٤٥.

(٤) مـــرارة بن الربيع ، وقيل: ابن ربيعة الأنصاري العَمري، من بني عمرو بن عوف ، شهد بدرا، وتخلَّف في تبوك، وتيبَ عليه، انظر أسد الغابة ٤/٣٥٨، والإصابة ٣/٣٩٦-٣٩٧.

(٥) هـــلال بـــن أميـــة بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف واسمه مالك بن امرئ القيـــس بـــن مالك بن أوس الأنصاري ، الواقفي ، شهد بدراً وكان قديم الإسلام، وكان يكسِّر أصنام بني واقف وكانت معه رايتهم يوم الفتح، انظر أسد الغابة، ٤/٦٣٠ ، ٦٣١ .

قد ابتعت ظهرك؟ "قال: قلت: يا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أُعطيتُ جدلاً. ولكني والله! لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه، إني لأرجو عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك" فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني. فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك"[1]

لقد كان بوسع الثلاثة المذكورين أن يتعللوا بأي عذر يقبله منهم رسول الله ﷺ وذلك ليفلتوا من موقف الحال ولكنهم آثروا الصدق وركبوا مركبه، وتحملوا في سبيل الله بهذا المسلك كل ما وقع عليهم محتسبين صابرين ومن ذلك:-

١- حالة الحرج والحياء التي تنتاب المرء عند ذكره لخطأٍ ارتكبه أو تقصير وقع فيه وبخاصة إذا كان هذا الاعتراف بين يدي شخصيةٍ جليلة، ومَنْ أجلُّ من رسول الله ﷺ قدراً ومكانة؟!.

٢- الضغط الاجتماعي من الأهل والعشيرة والوسط الذي يحيط بالمرء ومقاومته تحتاج إلى جهد وعناء حتى قال كعب ﷺ عن قومه: "فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذِّب نفسي"[2].

---

(١) صحيح البخاري، وانظر الفتح، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ج٧ ص ٧١٨، رقم ٤٤١٨ ومسلم، كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج٤ ص٢١٢٠-٢١٢٨ رقم ٢٧٦٩، وأحمد في مسنده، مسند المكيين، ج٤ ص٤٩٤ رقم ١٥٣٦٢، وانظر قصة الثلاثة في روح المعاني للألوسي، مصدر سابق ٥٦/١، وتفسير الطبري لابن جرير، مصدر سابق ٥٠٢/٦-٥٠٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، مكتبة أحمد الباز، مكة المكرمة، الأولى، د.ت ٢٩٢/٨-٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، مصدر سابق، ٢١٨/٢، ٢١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي مصدر سابق، ٢٨٧/٨-٢٨٨، والدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي، مصدر سابق ٥١٢/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج٤ ص٢١٢٤ رقم ٢٧٦٩، وأحمد في مسنده، مسند القبائل، ج٧ ص٥٣٤ رقم ٢٦٦٣٤.

٣- رؤية قرناء الحالة وهم يسابقون إلى الاعتذار والقسم مع القبول منهم وما في ذلك من إغراء للنفس وإضعاف لها أمام الصدق وتبعاته الكبيرة.

٤- نَهْيُ النبي ﷺ المسلمين عن كلام هؤلاء وهو أمر شديد الصعوبة على النفس ومهما تصوره المرء بسيطاً فلن يعرف قدر هذه المشقة إلا من تعرض لها أو عاش أحداثها.

٥- خُطَط الأعداء الماكرة والتي كثيراً ما يقع تحت إغرائها الناس كما حدث مع كعب بن مالك ﷺ لما أرسل إليه ملك غسان معرباً عن مواساته، داعياً له بالحضور واعداً إياه بالإكرام ومع ذلك يثبته الله ﷻ فيحرق الرسالة ويتحمل تبعات الصدق حتى النهاية غير نادم على ما نهجه.

٦- الأمر باعتزال أهليهم وما في ذلك من الحرج الشديد والعناء الكبير، وما يترتب عليه من تعب الخدمة ومرارة الوحدة، وضيق العزلة.

٧- ضيق النفس بأصحابها، وضيق الأرض بمن عليها برغم رحابتها كل ذلك يصور مبلغ الكرب الذي عانوه، والشدة التي عاشوها.

٨- الخوف والهلع الذي تملَّك هذه النفوس التي تعودت أن تعيش وسط أصحابها وتحيا في جماعتها فما أشقَّ البعد عليها، قال صاحب الظلال عن كعب ﷺ : " كان في لهفته -وقد تنكرت له الأرض فلم تعد الأرض التي يعرف- يتلمس حركةً من بين شفتي رسول الله ﷺ ويخالسه النظر لعله يعلم أن رسول الله ﷺ قد ألقى إليه بنظرةٍ يحيا على الأمل فيها ، ويطمئن إلى أنه لم يقطع من تلك الشجرة ولم يُكتب له الذبول والجفاف"[١]

وما أجمله من تعبير "ولم يُكتب له الذبول والجفاف" فالحياة بدون هذا الأصل لا تكون ولا تُتَصور، إنها حالة نفسية قلقة، متوترة، بائسة حائرة مضطربة، تعكس مدى غربة الشخص، إذا أحس بانبتاره من جماعته، ومدى وحشته إذا تنكرت له حتى ولو ظل يعيش معها يراها وتراه.

لاشك أن كل هذا العناء والمكابدة التي مرَّ بها الصادقون المعترفون،

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ١٧٣١/٣.

الصـــادعون بكلمة الحق المكرمون ذواتهم ، الذين خلُصت أنفسهم تحت وطأة هذا الابتلاء الشديد كل هذا زال عنهم عندما جاءتهم بشرى التوبة، حيث سطعت أنوار الصـــدق فانقشـــعت جميع الظلمات وانزاحت كل الشدائد، فكانت هذه الواقعة درساً عظيماً يُقدَّم لجميع المؤمنين في الأرض، فنودوا بعده: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[١] وهـــذه الآيـــة تثبّت لبنة الصدق في بناء الشخصية المسلمة عن طريق:-

١- إعلان بشارة التوبة قبل ذكر الذنب حثاً وإغراءً حيث قال : "وعلى الثلاثة" أي لقـــد تـــاب الله على الثلاثة كما تاب على المهاجرين والأنصار، والنفس مولعة بحب النفع وتحقيق المصالح، تغريها البشرى ، ويستهويها العطاء.

٢- ضـــيق الأرض وضيق النفس هما ضريبة الصدق والتوبة والفرج هما نتيجته، كما قيل : عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك، فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. كلم عمر بن عبدالعزيز[٢] -رحمه الله- الوليد[٣] فـــي شـــيءٍ فقال له: كذبت : فقال عمر، ما كذبت ، مذ علمت أن الكذب يشين صاحبه[٤].

٣- إن الله هو التواب الرحيم، فما دام هو سبحانه الذي يتوب على المذنب، والذي يرحم المخطئ وما دام هو كذلك ﷻ هو الذي يعلم الحقائق مهما لفق الملفقون وكـــذب الكاذبون ، مادام ذلك كذلك فلا غنى عن الصدق، ولا عوض عنه فهو

---

(١) التوبة ١١٩/٩.

(٢) هـــو : عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن بالحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبـــو حفص ، أمير المؤمنين ، أمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولد سنة ثلاث وستين، كـــان ثقـــة مأموناً، له فقه وورع ، وعلم واجتهاد، ملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً ، توفي -رحمه الله- سنة إحدى ومائة، تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، سابق ، ٢٤٠/٣ ، ٢٤١.

(٣) هـــو : الخليفة أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي، فتح بوابة الأندلس وبـــلاد الـــترك ، وكـــان يختم القرآن كل ثلاث ، توفي سنة ست وتسعين، سير أعلام النبلاء ، الذهبي، سابق، ٣٤٧/٤ ، ٣٤٨.

(٤) صلاح الأمة في علو الهمة، سيد العفاني ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية ، ١٤٢٠هـــ - ١٩٩م، ٤٢/٥ ، ٤٣.

رافع شأن صاحبه، حافظ ماء وجهه ، ضامن له حُسن العاقبة.

٤- النداء بالإيمان ، أي بمقتضاه اصدقوا وبمقتضاه راقبوا من آمنتم به وكذلك انضموا إلى ركب هؤلاء الصادقين بعد أن عرفتم مبتداهم ومنتهاهم ، وما آل إليه أمرهم من رضا الله ورسوله، ورفع شأنهم، وذكرهم كمثال للمؤمنين وكمثالٍ على الصدق وأهله وعاقبته ، وفضله ومقامه الشريف.

٥- الترغيب الحاني في رحمة واسعة وسعت أصحاب الذنوب لما اعترفوا بها وندموا عليها وصدقوا فيها فكان جزاء هذا الاعتراف رحمات تتلوها رحمات، ودرجات فوق درجات، وثناء في الأحاديث والآيات. فما أجمل الاعتراف بعد الاقتراف. ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

المطلب الرابع : بناء الجمال[٢]

من عناصر الكون البارزة الملفتة للرائي عنصر الجمال، الجمال في كل شيء الجمال الذي يطل من جميع المخلوقات، ولقد جاء القرآن ليبني قيمة الإحساس بالجمال والشعور به في نفس المسلم، وذلك في منظومة البناء الاجتماعي للفرد المسلم، لأن المسلم إذا تمرس على الإحساس بالجمال، وقراءة سطوره في النفس أو الكون، أو حتى في كتاب الله ﷻ الذي جاء لبناء قيمة الجمال وعبر عن ذلك بجمال يطغى روعةً على المسامع والوجدان فلم يملك الأعداء إلا أن شهدوا بذلك الجمال وتلك الروعة حتى قال أحدهم: " والله إن لقوله لحلاوة "[٣] والحق ما شهدت به الأعداء ، فالقرآن الكريم نزل على جمال النسق ، والكون أُنشيء على جمال الصنعة، والإنسان خُلق ورُكب بجمال متفرد ﴿ لَقَدْ

---

(١) التوبة ١٠٢/٩.

(١) الجَمَال : الحُسنُ يكون في الفعل والخلق ، لسان العرب ١٢٦/١١. والجمال ضد القبح ، ويقال رجل جميل وجُمال، معجم مقاييس اللغة ٤٨١/١. (مادة : جمل)

(٣) من قول الوليد بن المغيرة المخزومي عندما استمع القرآن، انظر سيرة ابن هشام، تعليق عمر عبدالسلام تدمري ، ط دار الريان للتراث – القاهرة ، الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ، ١/ ٣٠٢ ، ٣٠٣.

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١] و ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[٢] **وفيما يلي استعراض لصريح الآيات التي ذكرت الجمال ، ثم استعراض نماذج للضمني منها.**

أولاً : الصريح من الآيات :

١- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[٣]

٢- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[٤]

٣- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[٥]

٤- **قوله تعالى:** ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٦]

٥- **قوله تعالى:** ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[٧]

٦- **قوله تعالى:** ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٨]

٧- **قوله تعالى:** ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [٩]

٨- **قوله تعالى:** ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [١٠]

ثانياً الضمني من الآيات :-

وإذا سلمنا أنه ما من آيةٍ من كتاب الله الكريم تخلو من جمال في معناها أو تعبيرها أو أحكامها أو أسلوبها أو وقعها على السمع والفؤاد، إذا سلمنا بذلك؛

---

(١) التين ٤/٩٥.
(٢) الانفطار ٨/٨٢.
(٣) يوسف ١٨/١٢.
(٤) يوسف ٨٣/١٢.
(٥) الحجر ٨٥/١٥.
(٦) النحل ٦/١٦.
(٧) الأحزاب ٢٨/٣٣.
(٨) الأحزاب ٤٩/٣٣.
(٩) المعارج ٥/٧٠.
(١٠) المزمل ١٠/٧٣.

أدركنا أن الآيات التي تضمنت الجمال إشارةً أو تربيةً لا حصر لها . لذلك فالمذكور هنا ليس إلا جزءاً من كل ، ومثالاً على كثير:

١- قولـــه تعـــالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

٢- قولـــه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (٢).

٣- قولـــه تعـــالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾(٣).

٤- قولـــه تعـــالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٤) إلى غيـــر ذلـــك مـــن الآيات الكثيرة. ولولا أن يطول مقام عرضها لاستُعرض منها الكثير ولكن المذكور دليل على غيره.

ثالثاً : تصنيف الآيات البانية للجمال موضوعياً:

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم التي تعرضت لذكر الجمال سيجدها تسعى

---

(١) الأنعام ٦/٩٩-١٠١.

(٢) الأنعام ٦/١٤١.

(٣) النمل ٢٧/٦٠.

(٤) فصلت ٤١/٥٣.

لتحقيق شيء مما يأتي:-

١- تـزيين خُـلُقٍ معين كخلق الصبر كما في قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ وهو الصبر الاختـياري وهو أكمل من الاضطراري[١] فزينته وجماله أنه بالاختيار، وكذلك جمالـه "أنـه لا يـأس فيه ولا قنوط"[٢] وبالإضافة إلى هاتين الصفتين يضاف إليهما عدم العتاب"[٣].

٢- مقاطعة الكفار على الوجه الحسن، كما في قوله: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٤]

٣- إبـراز الحسن والزينة كما في قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٥].

٤- تـأمل الجمال وقراءة سطوره في كون الله الفسيح كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[٦].

٥- إطـلاق النسـاء عـلى الوجه الجميل بلا ظلم ولا غبن ولا شماتة، ولا تصفية حساب، كقوله تعالى : ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[٧].

٦- رؤيـة الجمال في النفس البشرية وهي آية من آيات الله في خلقه دقةً وإبداعاً وتميزاً كقوله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٨].

---

(١) انظـر عـدة الصـابرين ، ابن القيم ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي ، بيـروت ، السابعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٥٣ وانظر الضوء المنير على التفسير، من تفسير ابن القيـم ، عـلى الصـالحي ، نشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد ، عنيزة ، السعودية ، الأولى ، د.ت ٥٤٤/٣.

(٢) التفسـير الواضـح، محمـد محمـود حجـازي، مطـبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الثالثة، ١٩٦٣م، ٦٠/١٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي ، مصدر سابق ، ٣٨٠/٣.

(٤) المزمل ١٠/٧٣

(٥) النحل ٦/١٦

(٦) الأنعام ٩٩/٦

(٧) الأحزاب ٤٩/٣٣

(٨) الذاريات ٢١/٥١

رابعاً : أنموذج من بناء القرآن الكريم لقيمة الجمال:

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

فتعبير "ذاتَ بهجةٍ" ، تعبير موحٍ مؤثر جذاب يلقى ظلاله على النفس فيأسرها، وعلى البصر فيشده وعلى القلب فيهيمن عليه، يوحي بالجمال في هذه الحدائق ، ويضمن السرور لرؤيتها، والأنس بالمرور عليها والسعادة الغامرة التي تكون نصيب مَنْ يقف بها ويتأملها.

إنه جمال الطبيعة الدال على جمال مبدعها وخالقها وموجدها ، إنه جمال يسوق إلى جمال ، وبهجة تنقل إلى بهجة أكبر ، بهجة الإيمان بالله وتوحيده الذي خلق كل هذا الجمال وأبدعه وصوره وأمتع عباده به، فما أجمل الله ﷻ ! وما أجمل صنعته الكريمة!.

عن ابن مسعود[٢] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطرُ الحق وغمط الناس"[٣]

والمعنى في : "جميل يحب الجمال أي : "حسن الأفعال كامل الأوصاف"[٤]

---

(١) النمل ٦٠/٢٧

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافر بن حبيب الهذلي ، أبو عبدالرحمن، صحابي جليل، من أكابرهم، فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ ومن السابقين إلى الإسلام، أول من جهر بالقرآن بمكة، خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حلّه وترحاله وغزواته، يدخل عليه كلّ وقت، ويمشي معه، له في الصحيحين ثمانية وثمانون حديثاً، توفى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، انظر الأعلام ٢٨٠/٤، وأسد الغابة ٢٨٠/٣، والإصابة ٣٦٨/٢، وتهذيب التهذيب ٤٣١/٢.

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ج١ ص٩٣ رقم ٩١ ، وأحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، ج١ ص ٦٦٠ رقم ٣٧٧٩ ، ومسند الشاميين ج٥ ص١٤٩ رقم ١٦٩١٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، ط دار الفكر ، بيروت ، الرابعة ، ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م ، ٢٩٩/١.

فـــالفعل جميل والخَلْق جميل، والتصريف للأمور جميل، والتنزيل جميل، وكل شيء مـــنه ﷻ وإليـــه جميل جمالاً عمّ كل الخلائق، وشخص لكل ناظر ، وخاطب كل عاقل حـــتى غدا لا يحتاج إلى برهان أو إثبات، والمسلم حين يبنيه القرآن الكريم اجتماعياً عـــلى هذه القيمة فيتعرف على ربه بجماله وجمال أقداره وجمال مصنوعاته سيحب ربـــه، ويتلذذ بانتسابه إلى جنابه، وسينعم بتذوق الجمال في سائر أموره، وسيتفانى في حب هذا الرب الجميل الذي جَمُلَ به كل شيء.

قال ابن القيم -رحمه الله - في وصف ربه :

وهـــو الجميل على الحقيقة كيف لا	وجمـــالُ ســـائرِ هـــذه الأكـــوان
مـــن بعـــض آثـــارِ الجميـــلِ فربما	أولى وأجـــدرُ عـــند ذي العـــرفان
فجمالُـــه بالذاتِ والأوصافِ والـــ	أفعـــالِ والأسمـــاءِ والـــبرهانِ
لا شـــيء يشـــبه ذاتَـــه وصـــفاتِه	ســـبحانه عـــن إفك ذي البهتان[1]

وللجمال الذي وصف به النبي ﷺ ربه معنًى شامل ، لا يقف عند حد.

قال الإمام النووي[2] -رحمه الله- في شرح مسلم : وقوله ﷺ إن الله جميل يحـــب الجمال اختلفوا في معناه، فقيل: إن معناه أن كل أمره ﷻ حسن جميل، وله الأســـماء الحســـنى، وصـــفات الجمال والكمال، وقيل: جميل بمعنى مُجمِل، ككريم وســـميع بمعـــنى مُكرِم ومُسمِع، وقال الإمام أبو القاسم القشيري[3] -رحمه الله- معـــناه : جليل ، وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي[4] أنه بمعنى ذي النور والبهجة

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم ، شرح د.محمد خليل هراس ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م، ٦٩/٢.

(٢) يحي بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين علامة الفقه والحديث ولـــد فـــي نوا بسورية وتوفى بها ، صاحب تهذيب الأسماء واللغات، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين وغيرها توفى سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة ، انظر شذرات الذهب ٦١٨/٧-٦٢١.

(٣) هو : الإمام الزاهد، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري، الخراساني ، النيســـابوري ، الشافعي ، الصوفي المفسر ، صاحب الرسالة ، توفي سنة خمس وستين وأربعمائة للهجرة. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، سابق ، ج١٨ ص٢٢٧-٢٣٣.

(٤) هـــو : محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان ، فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل، من نسل زيد ابن الخطاب ، أخي عمر بن الخطاب ، له (معالم السنن) مجلدان في شرح سنن أبي داود ، و(بيان إعجاز القرآن)، وله شعر أورد منه الثعالبي في (اليتيمة) نتفاً جيدة ، وكان صديقاً له، توفي في بست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة، الأعلام ، الزركلي ، ج٢ ص٢٧٣ ، وانظر الوفيات ١٦٦/١.

أي مالكهـــا، وقيل معناه : جميل الأفعال بكم ، باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه"[١]

والأنسب أخـــذ العبارة النبوية التي وصفت الرب ﷻ على إطلاقها "جميل يحـــب الجمـــال" بمعـــناها الواسع غير المحدود فالرحمة جميلة يحبها الله، ويحب أهـــلها، والعفو جميل، يحبه الله، ويحب أهله، والكرم جميل، يحبه الله ويحب أهله، والصـــفح جميـــل يحـــبه الله ، ويحب أهله، والصدق جميل يحبه الله ويحب أهله، والوفاء جميل يحبه الله ، ويحب أهله ... وهكذا.

والقـــرآن الكريم قبل أن يطلق بصر المسلم وسمعه على لوحات الجمال في هذا الكون ليقرأ أو يستمتع إنما جاء جميلاً في عذوبة ألفاظ ورقة عبارات، وحلاوة تعـــبيرات مـــا كانت إلا لتربي المسلم القارئ للقرآن ، والحافظ له ، والعامل به ، والراجع إليه في شتى أموره على الجمال ظاهراً وباطناً ، سراً وعلانية، كيف لا؟! وهـــو يطالع لوحات تفيض جمالاً آسراً في كتاب ربه ومهما حوت من أوامر ونواهٍ فـــلا تفـــتقد إلى جمال اللفظ والعبارة، ولطافة الأسلوب والمعنى، مع جمال البلاغة والتأثير، مهما كانت القضية التي يعالجها تبلغ أهميةً وجدية إلا أنه – أبداً لا يتخلى عن عنصر الجمال في شتى الموضوعات ومن ذلك :

١- الكلمة الجميلة .

٢- الصبر الجميل.

٣- الهجر الجميل.

٤- الصفح الجميل.

٥- السراح الجميل

وفيما يلي استعراض لكل منها : -

١- **الكـــلمة الجميـــلة** : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ ﴾ [٢] فالقرآن يربي أهله على ضبط الكلمة وتجميلها وتزيينها ، وينأى

---

(١) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، الإمام النووي ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ج٢/٩٠.

(٢) الإسراء ٥٣/١٧

بهـم عن الفحش والبذاءة - بل "إذا دار الأمر بين أمرين حسنين، فإنه يأمر بإيثار أحسـنهما إن لم يكن الجمع بينهما"[١] وأمْرُهُم بقول الأحسن لأسباب: أولها : لأن الله يحـب ذلـك، وثانيها: لأنهم أولى بذلك وثالثها: ليتمرنوا على ذلك ممارسة له وتخـلقاً به، ورابعها: لأن الكلمة الأحسن تطفئ الشر وتئد الفتنة وتكبت الشيطان، وخامسـها: لخطورة اللسان وأثره القوي خيراً أو شراً، كيف لا "واللسان من نعم الله العظيمـة، ولطائف صنعه الغريبة، فهو صغير جرمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يسـتبين الكفـر والإيمـان إلا بشهادة اللسان، وهما (أي: الكفر والإيمان) غاية الطاعة والعصيان"[٢].

والله ﷻ إذا كـان يأمر نبيه ﷺ بأن يوصي عباده ليقولوا التي هي أحسن ، إنمـا هـو مـنهج رباني قرآني عُلْوي يربي النبي ﷺ أن يقول لعباد الله ليتلفظوا الحسـنى، فالنبي يقول التي هي أحسن لأنه آمر بالخير داعٍ إليه مبلغ له، والناس يقولـون التي هي أحسن لأنها تقطع على الشيطان سبله، وتغلق عليه أبوابه، فلا يجـد إلى الشـر سبيلا وعندما يتمرن المسلم على ذلك ويتربى عليه فسيتنازل - عـندئذ- عـن كـثير من كلامه لأنه سيصفيه بمصفاة (التي هي أحسن) قال أبو إسحاق الفزاري[٣] "كان إبراهيم بن أدهم[٤] -رحمه الله - يطيل السكوت، فإذا تكلم ربمـا انبسـط قـال : فأطال ذات يوم السكوت، فقلت: لو تكلمت؟ فقال الكلام على أربعـة وجـوه، فمـن الكلام كلام ترجو منفعته، وتخشى عاقبته والفضل في هذا السـلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل ما لك في تـركه خفـة المؤنـة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته وتأمن عاقبـته، فهذا قد كفي العاقل مؤنته، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مصدر سابق ، ص٤١١.

(٢) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق سيد إبراهيم ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ١٧٢/٣.

(٣) سبقت ترجمته ص٤٣

(٤) إبـراهيم بـن أدهم بن منصور التميمي البلخي ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور ، توفي سنة إحدى وستين ومائـة لـلهجرة ، انظر البداية والنهاية ١٣٥/١٠ ، وحلية الأولياء ، أبو نعيم ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م ، ٣٦٧/٧ ، والأعلام ٣١/١ .

فهـذا الـذي يجب عليك نشره، قال خلف بن تميم[١] : فقلت لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام ؟ قال : نعم"[٢] .

والكلام قد يصعب تقسيمه وتصنيفه بهذه الطريقة، وإنما الأمر يقدر بحسبه فأحيانـاً يكـون الكلام بلية، وأحياناً يكون الصمت جريمة، وإنما المسلم الفقيه هو الذي يتصرف في كل موقف حسب ما يتطلبه ، كما قال القائل : عن المسلم :

ضـحوكُ السـنِ إن نطقـوا بخـيرٍ وعـند الشـرِ مطـراقٌ عبوسُ[٣]

وكـم تنخر الكلمة السيئة في عظام المجتمع فتفتت بناءه ، وتقطع أوصاله، وتزرع العداوة والبغضاء والكراهية فيه، وتضعف - تبعاً لذلك- البناء الاجتماعي فإذا تخلق المسلم بخلق القرآن وأقام ضابطاً يقظاً على لسانه فلا ينطق إلا بالحق، ولا يـلفظ إلا الخير ولا يتكلم إلا بالسديد من القول، فعندها ستسود المحبة والألفة جنبات المجتمع، وسيعم الإخاء والتواصل حياته، ويقوى بناؤه، ويندحر أعداؤه.

وسـيكون اللسـان أداة خير، ووسيلة دعوة، وسبب برٍ ، بدلاً من أن يكبَّ صاحبه في النار يوم القيامة بعد أن أكبه في الخطايا والفتن والشر في الدنيا.

عن معاذ[٤] ﷺ قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: "لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت" ثم قال: "ألا أدلك

---

(١) هو خلف بن تميم بن أبي عتَّاب مالك ، التميمي مولاهم حدَّث عنه أبو إسحاق الفرازي ، وهو أكبر منه، قـال عـنه ابن معين هو المسكين صدوق توفى سنة ست ومائتين للهجرة، وانظر تهذيب التهذيب، ابن حجر ، سابق ، ٥٤٥/١ ، ٥٤٦.

(٢) الصـمت وحفـظ اللسان لابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد أحمد عاشور ، الطبعة الأولى ، دار الاعتصام ، القاهرة د.ت ص٥٠ وانظر صلاح الأمة في علو الهمة، سيد العفاني ، مصدر سابق ، ٣٧٣/٥.

(٣) العوائق لمحمد أحمد الراشد، ط دار المنطلق، الإمارات العربية ، الأولى ١٤١٥هـ-١٩٨٤م، ص١٢٦.

(٤) هـو : معاذ بن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن علي بن كعب بن عمر ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سـنة ، وشهد بدراً والعقبة والمشاهد ، وروى عن النبي ﷺ ، قال قتادة عن أنس جمع القرآن على عهد رسـول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أُبي ، ومعاذ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، مات سنة سبع عشرة وقيل ثماني عشرة ، وكان من أجمل الناس، انظر تهذيب التهذيب ، سابق ، ج٤ ص٩٧-٩٨.

على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل" قال ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟" قلت: بلى يا رسول الله. قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟" قلت: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه وقال: "كف عليك هذا" فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك[1] أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[2]

والكلام الحسن يأتي بالمران والتكرار والمحاولة حتى يصبح سجية للمرء، يأتي به بلا كلفة، ويخرجه دون عناء فيكتسب سمت الإيمان وخلق القرآن، ويريح نفسه وغيره من عناء التورط في حديث ضار، أو ألفاظ مؤذية، وبالتالي يوجه قوله إلى النافع المفيد المثمر من أمر بمعروف ونهيٍ عن منكر، وذكرٍ وتسبيح وتحميدٍ وتهليل، وإن لم يكن من ذلك شيء فعندها يصمت، كما قال الرسول ﷺ: "طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله"[3]

والقرآن الكريم -كذلك- يربي المسلم على أن يسوس نفسه ويحسن قيادتها

---

(١) أي فقدتك، والثُّكل: فقد الولد، ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب، ولا يراد بها الدعاء كقولهم: تربت يداك، وقاتلك الله" انظر النهاية، لابن الأثير، مصدر سابق، ١/٢١٧، هذا، ولو كان دعاءً فهو -لا شك- طهور وزكاة وقربة له عند الله يوم الحساب، كما جاء في حديث مسلم: "فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوةٍ ليس لها بأهل، أن يجعلها الله له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة"، رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، ج٤ ص ٢٠٠٩ رقم ٢٦٠٣.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج٥ ص١١، ١٢ رقم ٢٦١٦ وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة، ج٢ ص١٣١٤ رقم ٣٩٧٣.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب كراهية إمساك الفضل وغيره محتاج إليه، ج٤ ص ١٨٢، دون رقم.

ويـتحكم فيهـا "ولن يستطيع أن يكون سيداً على نفسه إلا بضبط ميوله ورغباته وحاجاتـه الأوليـة وتوجيهها وفقاً للمثل العليا التي رسمها القرآن أمام الإنسان، والـتي تدعو إلى عدم اتباع الهوى والشهوات ، وتدعو - أيضاً- إلى التقرب إلى الله بالتسـامي الروحي"[١] إن الأحمق عقله خلف لسانه، فيتكلم أولاً ثم يندم، بينما العاقل لسانه خلف عقله، يفكر أولاً ثم يتكلم.

والذي يقول بلا روية مهدر الطاقات، مضيع لوقت غيره، مسيء لنفسه كما قـال أحـد الباحثين: "ومن له عادة اللغو والفضول كمن له ثروة من المال ينفقها فيمـا لا يـنفع ولا يحقق مصلحةً"[٢] والمسلم لن يستطيع أن يحمل نفسه على هذا الخلق إلا إذا تخيل الأثر السريع والجزاء المرتقب في الآخرة، فالأثر السريع فضيلة يكتسـبها ، ومـنزلة يصـلها وغلبة على الشيطان يحققُها وانتصار عليه يحوزه، وتفويـت الفرصـة التي يحاول استغلالها لينزغ بين عباد الله، وأما المرتقب فهو جـزاء من أطاع ولم يعص، والتزم ولم يخالف، وانصاع ولم يتمرد . فساس نفسه فـي الوقت الذي سما بها ، وأرضى ربه في الوقت الذي انتصر فيه على الشيطان خصمه القديم وعدو أبيه اللدود.

وآيـات القـرآن ونظـراً لخلودها، وبقائها، واستمرار المسلم في تلاوتها ومطالعـتها صباح مساء وليل نهار، إنما في ذلك وحده منهجيةٌ التدريب والتمرين والـتذكير والمحاولة فيقول التي هي أحسن، ويمنع التي هي أسوأ ليتناسق حُسنُ كلامه مع حُسن إسلامه، فيحصل أحسن النتائج في حيازة القلوب، ودحر الشيطان.

٢- **الصـبر الجميـل**: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾[٣] والخطاب للمصطفى ﷺ بمعنى: "اصبر على دعوتك لقومك صبراً جميلاً لا تَضـجُّر فيه ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعك عـنهم مـا تـرى من عدم انقيادهم وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيراً

---

(١) عـلم الأخـلاق الإسـلامية ، د. مقداد يالجن، طبعة دار عالم الكتب ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ص١٣١

(٢) الإسلام في حياة المسلم - د.محمد البهى ، ط دار الفكر - بيروت - لبنان ، الأولى ١٩٧٠م ، ص٣٧٤

(٣) المعارج ٧٠/٥-٧

كثيرا"[١] وقال رسول الله ﷺ : "والصبر ضياء"[٢].

والصـــبر عمومـــاً- من أبرز فضائل الرجال تظهر معه قوة الإيمان ورباطة الجأش ومتانة الشخصية الصابرة، وثباتها أمام ما تأتي به الأيام بل وإنه " فضيلة محمـــودة تمكن العقل من تأدية وظيفته في هدوء ، وثبات، وتنقذه من الاضطراب عـــند الشـــدائد وحال اقتحام الأخطار بل وتبعده عن الطيش والاندفاع"[٣] لأن أصل كـــلمة الصـــبر هـــو المـــنع والحبس، أي حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها"[٤] ويواصل ابن القيم - رحمه الله- تعريفه لحقيقة الصبر بقوله: " هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يُمتَنعُ بـــه من فعل ما لا يَحسُن ولا يجمل"[٥] وسئل عنه الجنيد بن محمد[٦] فقال: "تجرع المرارة من غير تعبُّس"[٧].

والصـــبر الجميـــل الهادئ من صفات النفوس السوية الكريمة التي لا تشكو ولا تتـــبرم، ولا تعترض ولا تتضجر، ولا تضعف ولا تنهار، وإنما تبتسم للخطوب، وتهـــزأ بالشدائد. والدعوة إلى الله من أشد أمور الحياة حاجة إلى الصبر الجميل، لأن الداعيـــة إذا لم يصبر الصبر الجميل فسينفد صبره، وسيصيبه الملل والسآمة واليأس بسبب عنت الناس وصدودهم وسيصاب بشيء من الكراهية والضيق بمن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ، مصدر سابق ، ص٨٢٠.

(٢) رواه مســـلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ج١ ص٢٠٣ رقم ٢٢٣ والترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨٦ (حدثنا محمد بن بشار) ج٥ ص٥٣٥ رقم ٣٥١٧.

(٣) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار قتيبة – دمشق ، الأولى، د.ت ٤٦٤/٤.

(٤) عدة الصابرين، ابن القيم ، مصدر سابق ، ص٢٧.

(٥) عدة الصابرين، ابن القيم ، مصدر سابق ، ص٢٩.

(٦) الجـــنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم ، صوفي، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاتـــه بـــبغداد ، قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه، وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة، من كلامه -رحمه الله-: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، توفى سنة سبع وتسعين ومائتين للهجرة، انظر وفيات الأعيان ١٧١/١، وحلية الأولياء ٢٥٥/١٠، وصفة الصفوة ٢٣٥/٢ ، وتاريخ بغداد ٢٤١/٧.

(٧) عدة الصابرين ، ابن القيم ، مصدر سابق ، ص٢٩.

أمامه، أما الصبر الجميل فهو الحامل على الرفق بالمدعو، والشفقة عليه، والنصح له، وهو الحامل على وجود طاقة متجددة تدفع صاحبها إلى مزيد التحمل والرضا، وهو الحامل على التفنن في أساليب جديدة للدعوة وتجريب وسائل أخر. وهو الحامل على تخفيف عبء الدعوة الشاق، والنجاح في أداء واجباتها كاملة غير منقوصة وهو الحامل - أيضاً- على الشعور بقوة المدد الإلهي الذي يسانده بعد أن أطاع أمر ربه في التخلق بالصبر الجميل.

وكم تطرأ على المسلم من أمور في حياته من عقبات ونكبات ومنغصات، وكم هو في حاجة إلى الاقتداء برَسوله ﷺ في صبره الجميل وما يحمله على التربي على هذا الخلق أمور ومنها:

١- أن قدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي خوطب بقول ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١]

٢- أنه مهما قابل من مشكلات وشدائد فلن تصل إلى هموم الدعوة وعقباتها ومشكلاتها فهو أولى بالصبر الجميل.

٣- أنه مهما لقي من عنت قريب أو زميل أو رفيق فلن يصل إلى عنت الكفار والمشركين مع النبي ﷺ الذي وُجِّه -معهم- إلى الصبر الجميل، فهو -أي المسلم- أولى بذلك مع سائر الناس.

٤- أنه - أي المسلم- رأى عاقبة الصبر الجميل للنبي ﷺ من إسلام الكفار، أو هلاكهم، وانتصار الدعوة وظهورها، وانتشار الدين وهيمنته، وبالتالي فالعاقبة محمودة، والغلبة أكيدة.

٥- إدراكه أن أكمل الناس عقلاً ، وأرجحهم فكراً ، وأنفسهم معدناً هو الرسول ﷺ ومع ذلك دُعي إلى الصبر الجميل فتخلق به، فقابل الإساءة بالحسنى ، والجفاء بالمودة، والحسد والحقد بسلامة الصدر ونقاء السريرة، والعدوان بالصفح والغفران، وفي ذلك ما يخجل المسلم من نفسه إذا نفد صبره أمام أمور هي صغيرة بجوار أمور الدعوة التي صبر عليها المصطفى ﷺ. عن عائشة -

---

(١) القلم ٦٨/٤.

رضـــي الله عـــنها- أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: " لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[١] فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاّ بقرن الثعالب[٢] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شيءت فيهم، قال فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد ! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شيءت[٣] ؟ إن شيءت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً"[٤] والمتأمل سيلحظ كم بلغ الصبر الجميل الواثق بالنبي ﷺ حتى إنه لينتظر ما يخرج من أصلاب هؤلاء وما يرجوه من صلاحهم وإيمانهم.. وهل بعد ذلك من صبر؟! ﷺ.

٣- **الهجر الجميل:** ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٥]

وهـــو الهجـــر " الذي لا أذية فيه"[٦] وكم بين الناس اليوم يقع الهجر بدون ضـــوابطه الشـــرعية فالمصـــالح والأهـــواء والمنافع تتحكم والأمزجة والرغبات والأنفـــس تُمْـــلى ، والشـــيطان يـــبارك هذه التصرفات التي تفت في سلامة البناء وقوته، فإذا ما هجر بعضهم البعض تفنن في إيذائه، وإفشاء سره، والإساءة إليه، والتـــنقيص منه وادعاء ما ليس فيه، فيكون الفجور في الخصومة، ذاك الذي حذر منه رسول الله ﷺ حين قال : "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه

---

(١) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف... الفتح ٦/٣١٥

(٢) وهو ميقات أهل نجد ، ويقال له : قرن المنازل ، ويعرف الآن بالسيل الكبير، انظر الفتح ٦/١١٥.

(٣) استفهام ، أي : فأمرني بما شيءت، انظر فتح الباري ٦/٣١٦.

(٤) رواه البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ج٦ ص٣٦٠ رقم ٣٢٣١ ، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج٣ ص١٤٢٠ رقم ١٧٩٥،

(٥) المزمل ٧٣/١٠

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مصدر سابق ، ص٨٢٧.

خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر"[١] وهذه ليست من طباع المسلم الحق الذي تربى على أخلاق القرآن، وتأدب بآدابه، وتضلَّع بأنواره ورحم الله الشافعي[٢] إذ قال :

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلُّفا ... فدعه ولا تكثِرْ عليه التأسُّفا
ففي الناس أبدالٌ وفي الترك راحةٌ ... وفي القلب صبرٌ للحبيب ولو جفا
فما كل من هواه يهواك قلبُهُ ... ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعةً ... فلا خير في ودٍ يجيء تكلّفا
ولا خير في خلٍ يخون خليلهُ ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس في خفا[٣]

والقرآن حينما يبني شخصية المسلم -اجتماعياً- على خلق الهجر الجميل إذا احتاجه فهو يكف أذاه عن الناس، ويعلمه كبح جماح نفسه ويلجم هواه، ويترك له فرصة لمراجعة النفس بدلاً من التمادي في الباطل وفي ذلك إبقاء على بناء المجتمع المسلم سليماً قوياً بدلاً من خصومات بلا داع، وهجرٍ بلا ضابط، وعداوات بلا رادع. وإذا كان الأمر للنبي ﷺ بأن يكون هجره للكفار المخالفين المعادين جميلاً- فكيف به مع المسلم أو القريب؟

١- والأمر كما قال المقنَّع الكِنْدِي[٤] عنه .

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمِّي لمختلف جدًّا

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الإيمان باب علامة المنافق ، ج١ ص١١١ ، رقم ٣٤ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، ج١ ص ٧٨ ، رقم ٥٨ ، واللفظ له.

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف ولد بغزة سنة خمسين ومائة يوم وفاة أبي حنيفة فقال الناس: مات إمام وولد إمام، رحل إلى مكة وهو ابن سنتين وتوفى بالفسطاط سنة أربع ومائتين انظر الأعلام ٦/٢٩٤.

(٣) ديوان الشافعي ، محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، ط دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٤م ، ص٦٠.

(٤) هو : محمد بن ظفر بن عمير، شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية ينتهي نسبه إلى كندة ابن عمير وكان محل شرف ومروءة وسؤدد في عشيرته، وجاءه هذا اللقب لأنه كان أجمل الناس وجهاً وكان لا يمشي إلاّ مقنعاً خشية العين. وانظر قطوف المعرفة - بشير العوف، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص٢٧.

فـإن أكـلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهم ... وإن هدمـوا مجـدي بنيتُ لهم مجدا
وإن ضـيعوا غيـبي حفظت غيوبهم ... وإن هـمُ هـووا، هويتُ لهم رشدا
وإن زجـروا طـيراً بـنحس تمر بي ... زجـرت لهـم طيراً تمر بهم سعدا[1]
ولا أحمـل الحقـدَ القـديمَ عليهمُ ... وليـس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وإني لعـبدُ الضـيف مـا دام نازلاً ... ومـا شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا[2]

خُلُق الإغضاء الجميل، والترفع الأجمل ، بلا مقابل، إنما هي الشيم الكريمة والأخلاق الفاضلة.

٤- الصفح الجميل : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [3].

أي : " فاصـفح الصـفح الذي لا أذية فيه، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب"[4] .

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله ﷺ قال : غزونا مع رسول الله ﷺ قِبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه[5] ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال : فقال رسول الله ﷺ : إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً[6] في يده، فقال لي، من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله ، ثم قال في الثانية : من يمنعك مني ؟ قال : قلت الله ، قال : فشام السيف[7] فها هو ذا جالس" ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ [8].

---

(١) وهذا من فعل المشركين في الجاهلية بينما قال ﷺ " لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة" رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الطب ، باب الفأل ، ج١٠ ص٢٢٤ رقم ٥٧٥٦، ومسلم ، كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل ، وما يكون من الشؤم، ج٤ ص١٧٤٦ رقم ٢٢٢٤.

(٢) انظـر قطـوف المعـرفة ، بشير العوف ، مصدر سابق ، ص٢٧ والخلق الكامل محمد أحمد جاد المولى ٢٤٠/٤.

(٣) الحجر ٨٥/١٥

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ، مصدر سابق ، ص٣٨٧.

(٥) العضاه : شجر عظيم له شوك ، صحيح مسلم، كتاب الفضائل ٨٤٣.

(٦) مسلولا ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، سابق ، ٤٥/١٥.

(٧) شام السيف : أي رده في غمده، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، سابق ، ٤٥/١٥.

(٨) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الجهاد والسير ، باب من علّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ج٦ ص١١٣ حديث رقم ٢٩١٠ ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ج١ ص ٥٧٦ رقم ٨٤٣.

فـــتالله ، ما أعظم خلقاً يصل إلى هذه المرتبة، وما أبلغ أثره في نفس رائيه وشاهده ومبلغه وسامعه، رجل يريد القتل ويهم به، ثم يمكنه ربه ﷻ منه ويعصمه مـــن شره، ثم يعفو إنه الخلق العظيم، والصفح الجميل، ولا شك فهذا الخلق قد أثر فـــي حيـــاة الـــرجل، وأسلم بعد ذلك فاهتدى به خلق كثير[١] ومع الآية القرآنية - موضوع التعليق- وهذه الرواية الصحيحة نتلمس الآتي:-

١- تأدب النبي ﷺ بأدب القرآن فسمع وأطاع ، واتبع وانصاع.

٢- ذكـــر النـــبي ﷺ مـــا حـــدث من الأعرابي ليربيهم على التعلق بالله والارتباط به والاحتماء بركنه الركين، وحصنه الحصين، وكذلك ليروا ثمار الصفح وأثر العفو.

٣- الآية القرآنية الكريمة - موضوع الاستشهاد- تبدأ بتقرير أن الساعة آتية ثم الدعوة إلى الصفح الجميل لتربي المسلم على : -

- إرادة الله واليـــوم الآخـــر بجميع أعماله الجسمانية والقلبية ، الظاهرية والباطنية.
- طمأنته على أن من ترك حقه هنا أخذه هناك، ومن تسامح في الدنيا حمد العاقبة في الآخرة.
- إشـــعاره أن الجزاء من جنس العمل فمن أراد الصفح في الآخرة من ربه فليصـــفح هو -هنا- عن خلقه. ومن أراد صفحاً جميلاً متبوعاً بالإحسان فليتخلق بنفس الصفات في دنياه ليلقاها في أخراه.

٤- الـــبعد الـــتربوي المشاهد والملموس في كون الأمر الإلهي الكريم بالصفح قد وُجه لأسوة الأمة أولاً ليكون ذلك أبلغ في اقتداء غيره وتأسيه به.

٥- كم للصفح الجميل من أثر في قوة بناء المجتمع، وفي تلاحم أفراده وفي سلامة صدورهم وكذلك في اختفاء مظاهر القطيعة والجفاء، وقوة اللُحْمَة بين أعضائه لـــتكون الأمـــة الواحدة كما أرادها مولاها : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٢].

---

(١) انظـــر : فتح الباري ٤٩٢/٧، وشرح النووي على مسلم ٤٤/١٥، ولقد ذكر ابن حجر والنووي أن اسم الرجل : غورث بن الحارث.

(٢) المؤمنون ٥٢/٢٣.

٦- الانـــتقام من المذنب عدل ، والعفو عنه فضل، ومحل الفضل أعلى، والأخذ به أولى وهذا من مقاصد القرآن في تربيته.

٥ـ السراح الجميل : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[١].

أي : يكون الفراق جميلاً ويحمد فيه كل منهما الآخر"[٢].

ومـــا أرق هـــذه الـــلفظة وما أبهاها! -خاصة في هذا المقام- وهو الطلاق فـــالطلاق يعني عدم الوفاق، وعدم المواءمة ، وهو يعني الاختلاف وعدم الاتفاق ، وهو يعني الفراق وعدم الاجتماع ومع ذلك يأمر بتجميله وتزيينه ، وتحسينه، وفي ذلـــك من مكارم الأخلاق ما فيه، وفيه من تربية المسلم والمسلمة على عِفة القول والفعل ما فيه.

وجمـــال الطلاق لن يتأتي إلا بدفع الحقوق كاملة، وذكر المحاسن، والغض عن النقائص والمعايب بل وبسط يد السخاء والجود والكرم تجاه هذه التي لم توفق فـــي حياتهـــا في هذا البيت فأعيدت إلى مثواها الأول لعلها تبقى فيه ، أو تستأنف مـــنه - مـــرة أخرى- مسيرة حياتها. وهذا من كرم النفوس التي ترعى العشرة، وتفي بالعهد، وتحسن في اللقاء والوداع. ولقد طبق نبيُّ الأمة وأسوتها ما أُمر به من ربه ، والتزمه التزاماً عجيباً حيث "تزوج ﷺ أميمة بنت شراحيل[٣]، فلما أن دخلت عليه ﷺ بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد[٤] أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين[٥] "[٦].

---

(١) الأحزاب ٤٩/٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مصدر سابق ، ص٦١٦.

(٣) هـــي : أميمة بنت شراحيل ، تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها ، قال ابن أسيد: لما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ، سابق ، ج٧ ص٢٧.

(٤) هـــو : مالك بن ربيعة بن البدن بن عمرو بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب أبـــو أسيد الساعدي ، شهد بدراً ، والمشاهد كلها ، روى عن النبي ﷺ توفى سنة ستين للهجرة، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ، مصادر سابق ، ١١/٤.

(٥) ثوبان من كتان لونها أبيض.

(٦) رواه الـــبخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الطلاق ، باب من طلّق ، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ، ج٩ ص٢٦٩ رقم ٥٢٥٧. وانظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، مصدر سابق ، ٥٠٦/٣.

فإذا ما مضت الزوجة المسرحة ، وأخذت حقوقها ، وأكرمها زوجها فحينئذٍ لن تندم على تجربة زواجها، ولن تخاف من غيرها من تجارب الزواج، لأنها علمت أنها إما أن تنجح في زواجها فتستقر حياتها، وإما الأخرى فهي مكرمة في سائر أحوالها. والقرآن الكريم حينما يؤكد على تثبيت هذا البناء الاجتماعي في حياة المسلم بهذا الجمال فسيحب المسلم حياته، وسيكرم نفسه بأن يعيشها كما أرادها القرآن ولو تخيل المسلم هذا الجمال عندما يزين الكلمة التي يقولها لغيره، أو يسمعها هو من غيره، وهذا الجمال الذي يصاحب صبره على غيره، وصبر غيره عليه، وهذا الجمال الذي يصاحب الهجران منه أو عليه، بل وإذا صفح وعفا فبهذا الجمال ، وإذا فارق وسرح فبنفس الجمال، فأي جمالٍ في الحياة يكون؟! فما أسعدها من حياة بأصحابها، وما أسعدها من دنيا وما أسعد أهلها بها.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقفة مع البناء الاجتماعي للقيم

ومما سبق، وبالبراهين الساطعة - يثبت للقارئ والفاحص والمتأمل الدور الإيجابي الفاعل والخطير للقرآن الكريم في إرساء دعائم البناء القيمي لدى الفرد المسلم حتى يتوازن بناؤه بين ما هو معنوي وما هو حسي، وحتى يكون هو النموذج القرآني الواقعي، والدليل الصادق على عظمة هذا القرآن في البناء الاجتماعي ومقدرته عليه ، حيث صاغ فيه مقومات الأخلاق الفاضلة، ففجر في قلبه ينبوع رحمة دائم التدفق بلا توقف حتى تنساب رحمته على سائر المخلوقات بما فيها الحيوانات العجماوات، وأقام شخصيته على العدل في كل شيء حتى أصبح العدل رسالته التي يحملها، ورايته التي يرفعها وهدفه الذي يسعى إلى تحقيقه، وكلمته التي ينطق بها ولو على نفسه أو أقرب المقربين إليه، واعترف بهذه العدالة الأعداء قبل الأصدقاء ، وطبقت على الحاكم قبل المحكوم ، والغني قبل الفقير، فالكل سواء ، والجميع سواسية.

وأبدع هذا القرآن العظيم بآياته التي خاطبت جميع ملكات الإنسان وَحَرَّكتها

---

(١) النحل ٩٧/١٦.

فـــي أن يقيم بناءه الإجتماعي على الصدق المطلق ، الصدق العام ، الصدق مع الله، والصـــدق مـــع النفس، والصدق مع الناس ، والصدق مهما كانت ضريبته ، الصدق الذي اختفى أمامه الكذب والتملق والنفاق ، حتى أصبح المسلم - إذا زلت قدمه بخطأ - لا تـــزل مرة أخرى بالتمادي في هذا الخطأ أو إخفائه وإنما شجاعة منقطعة النظير تلك التي تدفع صاحبها لأن يعترف بأخطائه دون شاهدٍ سوى نفسه، أو معترفٍ سوى لســـانه، أو رقيب من الناس سوى ضميره، حتى أصبح هذا الصادق محط رحمة الله وثـــنائه، ومحـــط ذكـــر القرآن وتنزيله ومحط احترام النبي ﷺ وتقديره، ومحط ثقة المجتمع وإعجابه، ثم لم يدع القرآن العظيم الإنسان المسلم بهذه القيم دون أن ينمي لديـــه الجـــانب الجمـــالي فـــي نفسه فيجْمُل مشاعرَ وأخلاقاً وتصوراً وتعبيراً وشكلاً ومظهـــراً أو فيمـــا حولـــه فيحسه، ويتذوقه ، فتستجيب مشاعره لمشهد يراه أو آية يرتـــلها، أو لوحـــةٍ يحلق معها في كون ربه ، فيراها في انسلاخة النهار من الليل ، وفـــي انهمـــار المطر من أفواه السحاب، أو في انطلاقة نبتةٍ صغيرة واهنةٍ من أسْرِ الأرض... إلـــخ. بالإضافة إلى قيم أخرى مصاحبة وضع القرآن أساسها وشاد بناءها فكـــل الفضـــائل، وسائر المكارم ، وجميع المعنويات الإيجابية حشدها القرآن في هذا المسلم، وصدق الله: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (١)

ولقـــد دار الـــبحث فـــي الفصـــل الأول حول منهجية الكتاب العزيز في البناء المعنوي للمسلم ولقد أبرزت الدراسة عبقرية المنهج الرباني في بناء الشعور والفكر والقيـــم بأنواعها، وأثبتت -بما لا يدع مجالاً للشك- أن آيات القرآن الكريم لم توجه توجيهاً عشوائياً، ولم تُرتب ترتيباً عادياً، وإنما نزلت بقدر، وتوالت بحكمة ، ووجهت بهدف ، وتتابعت بقصد، وتولت - بفضل الله تعالى- صياغة الإنسان المسلم حتى إذا ما انقضت مدة الرسالة وُجد المسلم المميز عن غيره، الحامل لبصمة القرآن فهو من إخـــراجه وصياغته وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٢)

---

(١) إبراهيم ١/١٤.

(٢) الإسراء ٩/١٧.

الفصل الثاني

البناء الحسي للفرد

توطئة :

المبحث الأول : البناء الصحي

المبحث الثاني : البناء الاقتصادي

المبحث الثالث : البناء التنظيمي

توطئة

الاعـــتدال والتوازن هما السمتان البارزتان في شريعة الإسلام وفي خطاب القـــرآن الكريم للناس، حيث إنه منهج يراعي شتى الجوانب، ويوفي كل المتطلبات فـــي كـــل مـــا أحـــل وما حرم، فاهتم المنهج بالمعنويات -كما سبق- واهتم أيضاً بالمحسوسات فلم يهتم بالروح ويهمل الجسد وإنما أولى اهتمامه الجانبين، وراعى النداءين ولم يَفُتْهُ أن الإنسان من قبضةٍ سفلية ونفخةٍ علوية.

وأمـــر الإنســـان بالتقوى والزهد والقناعة والرضا ومع ذلك راعى فيه حبه للتمـــلك فأبـــاح اكتساب المال وتنميته والاستمتاع به مع فرضه حقوقاً فيه للناس، الـــزكاة أولها وما سواها من صدقات للمحتاجين والفقراء. إنها وسطية الشريعة، واعـــتدال المـــنهج القرآني الذي لم يشأ أن يجرد الإنسان من غرائزه -كالجنسية مثلاً- كما فعلت بعض الملل، ولم يشأ -أيضاً- أن ينقاد المرء وراء غريزته انقياد الحيـــوان وراء شهوته وإنما تقنين وضوابط ، وحراسة ورعاية، وتقدير واحترام لآدميـــة الإنســـان، روحـــاً وجسداً، خيالاً وواقعاً ، معنىً وحساً حتى شهدت الدنيا المســـلم الذي طهر قلبه، وقوي جسدُه ، والمسلم الذي كثر ماله ونمت تجارته مع عفَّـــةٍ عجيـــبة، وزهد أعجب ، وشهدت المسلم الذي يخلو بربه، وفي ذات الوقت ينتظم مع أمته آخذاً مكانه في الصف المسلم، مؤدياً دوره المنوط به ، مؤثراً فيمن حوله، متأثراً به قوياً في غير عنف، ليِّناً في غير ضعف.

وفـــي هذا الفصل ستوضح الدراسة -إن شاء الله - أثر القرآن في كل من البـــناء الصحي والاقتصادي والتنظيمي للفرد المسلم ليبقى ذلك شاهداً على عظمة القرآن وشموليته واكتمال منهجيته وصدق الله القائل فيه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1].

---

(١) الأنعام ٣٨/٦.

المبحث الأول : البناء الصحي [١]

إن القـــرآن الكـــريم عـــندما نزل يتابع مسيرة الإنسان على وجه الأرض، وعـــندما اعتـــنى بســـلامة قلبه وروحه ومشاعره وجميع معنوياته، ما كان ليهمل جســـده الذي هو هيكله الخارجي حيث يتوقف دوره الذي يؤديه على مدى سلامة هذا الجسد، فصحة الإنسان إذا كانت جيدة، وإذا كان جسده خالياً من الأمراض فإن نشاطه سيزداد، وعطاءه سيتضاعف، واستمتاعه بالحياة سيتحقق، وحياته ستغدو إيجابيـــة لا ســـلبية ، وهـــو سيغدو منتجاً لا مستهلكاً ، وعائلاً لا معولا ، وما من شريعة أولت جسد الإنسان وصحته عموما ما أولته شريعة الإسلام حيث حثت على الوقايـــة من الأمراض بالنظافة والطهارة والحمية ، والرياضة، وحثت على العلاج بالرقية والاستطباب ، والحجامة... إلخ.

لأن القـــرآن الكريم لا يريد أفراداً مهازيل متهالكين، إنما يريد سواعد فتية، وعضـــلات قويـــة تحمل قلباً طاهراً وعقلاً نيِّراً وإرادة صلبة، وعزيمة جبارة، لأن القـــرآن الكـــريم يُعِدُّ هذا الإنسان المسلم لعمارة الأرض ونشر الدين، وإقامة العدل والمســـاواة والجهـــاد فـــي ســـبيل مولاه والحركة الدائبة في الحياة، وهذا كله لن يســـتطيعه سقيم أو معلول تلازمه الأمراض، وتفتك به الأسقام، ولَكَمْ ضاعت أسرة بســـبب مرض عائلها، ولَكَم -بالمقابل- كان للأقوياء وأصحاب البأس من الرجال والشـــباب المسلم الأثر المباشر في انتصار الإسلام، واندحار الأعداء كما سيتضح فيما يلي، وإذا لم ترد آيات صريحة عن الصحة في ثنايا كتاب الله ﷻ فإن الضمنيَّ مـــنها كـــثير يشير من قريب أو بعيد إلى هذا العامل الهام الذي يشكل لبِنَةً من أهم لبنات البناء الاجتماعي للمسلم.

---

(١) الصـــحة : خلاف السقم وهو ذهاب المرض، وقد صح فلان من علته واستصح، لأن الصاد والحاء أصل يـــدل على البراءة من المرض والعيب فيقال: صَحَّ ، يصِحُّ فهو صحيح، ويقال أصحَّ الله فلانا : أي أزال مرضـــه، انظـــر لسان العرب ٥٠٧/٢ ومعجم مقاييس اللغة ٢٨١/٣ والقاموس المحيط ٢٣٣/١، وتاج العروس للزبيدي ١٧٧/٢.(مادة : صحح)

الضّمني من الآيات:

١- **قوله تعالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

٢- **قوله تعالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(٢).

٣- **قوله تعالى:** ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣)

٤- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ (٤)

٥- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾(٥)

٦- **قوله تعالى:** ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٦)

٧- **قوله تعالى:** ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ (٧)

---

(١) البقرة ١٧٢/٢ ، ١٧٣

(٢) البقرة ١٨٣/٢ ، ١٨٤

(٣) البقرة ٢٢٢/٢

(٤) البقرة ٢٤٧/٢

(٥) المائدة ٦/٥

(٦) الأعراف ٣١/٧

(٧) هود ٥٢/١١

٨- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ (١)

٩- قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

١٠- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٣).

وسوى ذلك من الآيات كثير مما ينهى عن قتل النفس ، وينهى عن إلقائها إلى التهلكة، والأخذ بالأسباب المختلفة ومنها المحافظة على الصحة العامة، وفيما ذُكِرَ -فقط- إشارات إلى أهمية هذا الأمر الحيوي في حياة الإنسان وإلى اهتمام القرآن الكريم به منذ تنزله، وإلى احتوائه على قواعد الطب العامة والرعاية الصحية الضرورية في حياة البشر.

أبرز جوانب الاهتمام بالصحة في القرآن الكريم: -

[١] الوقاية ومن وسائلها : -

١- عدم الإسراف في الطعام والشراب:

قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٤)

قال ابن كثير -رحمه الله- : "قال بعض السلف : جمع الله الطب كلَّه في نصف آية: وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"(٥) وقال رسول الله ﷺ : "ما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطنه، حسبُ ابن آدم أكلات يقمن صلبه"(٦). ومهما جاء الأقدمون والمتأخرون بأقوالهم في هذا المعنى فلن يستطيعوا أن يوجزوا هذا الإيجاز مع هذا المعنى البليغ الذي يبيح الأكل والشرب وعدم الحرمان، وفي نفس الوقت يؤكد على التوسط والاعتدال

---

(١) الأحزاب ٥٣/٣٣

(٢) الفتح ٢٩/٤٨

(٣) المجادلة ١١/٥٨

(٤) الأعراف ٣١/٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢١٩/٢

(٦) رواه بن ماجه في سننه ، كتاب الأطعمة ، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، ج٢ ص١١١١ رقم ٣٣٤٩ ، والترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، ج٤ ص٥٩٠ رقم ٢٣٨٠ ، وأحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، ج٥ ص١١٧، رقم ١٦٧٣٥.

وعـدم الإسـراف وكـل هذا في كلماتٍ معدودة، وعبارةٍ وجيزة. فعلْمُ الطبِ أصله التوسـط والاعـتدال في القرآن كما يقول الحافظ السيوطي[١] : "أما الطبُّ فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوت، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج ، بتفاعل الكيفيـات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قولـه : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٢] عرّفـنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله، في قوله تعالى:﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٣] ثم زاد على طب الأجسام طب القلوب وشفاء الصدور"[٤]

والقـرآن الكـريم هو كلام الله رب العالمين الذي يعلم من خلق، ويعرف ما فيـه مصالح العباد، وما يدفع الضُرَّ عنهم، إنما يربي المسلم على أن يتجنب العِلَلَ ومسـبباتها، والأمـراض ومقدماتها. يربيه على أن يأكل -فقط- قدر حاجته، ولا يـزيد وبالتالي يسلم من الأسقام التي يتعرض لها المتخمون المسرفون في تناول مشتهياتهم ، ويربيه على الاعتدال الغذائي الذي يقيه الاعتلال الصحي، فيبقى بعيداً عـن أمـراض الـترهل والسِّمنة والقلب، وضغط الدم ليبقى -بالتالي- قادراً على العمل والإنتاج والاستمتاع بالحياة.

والقرآن العظيم -بهذا النهج- لا يحجر على المسلم الطعام، أو يحرمه منه، كـلاَّ، إنما هو الترشيد الذي يدور حول إشباع الرغبة مع عدم الإفراط ، فليأكل كل مـا شـاء، وليـلبِّ رغـبة نفسـه، لكن ليكبحْ جماح هذه النفس ولا يتوسَّع في المشتهيات ليبقى الإنسان سيد نفسه، مالك أمرها متغلباً عليها بمعنى: " إنني جائع فمـن حقـي أن آكل فليس في شهوة الطعام عيب حيث لا أهبط عن آدميتي حين

---

(١) عـبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري جلال الدين إمام ، حافظ، مؤرخ ، أديب، له نحـو ستمائة مصنف منها الكتاب والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيماً، من أشهر كتبه: الإتقان في عـلوم القـرآن، والـدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها كثير، ولد عام تسعة وأربعين وثمانمائة وتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة، انظر الأعلام ، ٧١/٤ ، ٧٢ .

(٢) الفرقان ٦٧/٢٥.

(٣) النحل ٦٩/١٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف بكر ، مراجعة مصطفى قصاص ، ط دار إحياء العلوم ، بيروت ، الثانية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٣٥٤/٢.

أجـــوع وحيـــن آكل، ولا يصيب احترامي أيُّ ضررٍ ، ولا احترام الناس لي، ولكنْ ليس معنى ذلك أن آكل حتى التُّخمة، أو آكل أكْلَ المسعور، أو أسرق لآكل، أو أذل كرامـــتي وأمتهن نفسي لآكل، أو أن يصبح الأكل -فقط- هو حياتي وهوايتي، أو آكـــل وحدي وأترك الجياع المحرومين، ولكنني آكل وأتلذَّذ حسِّياً بالطعام، ونفسياً وروحيـــاً بمـــا اكتسبته فوق ذلك من حرية الاختيار والانتصار على النفس وإسعاد الآخرين والشعور بالآدمية الراقية"(١) .

والقـــرآن الكريم - ومن باب ترقِّيه بالإنسان- جعل الطعام وسيلةً لا غاية حـــتى لا يصـــبح المسلم أسير شهواته، فهو يهذب نفسه، ويكسر شهوته بل يعلن القـــرآن الكـــريم أن الوقوف عند التلذذ والتمتع إنما هما من صفات الكافر الجاحد الـــذي لـــم يَعْدُ الأمر عنده اللذة العارضة، والشهوة العاجلة فقال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(٢) ثـــم إن القـــرآن الكريم يربي فيه الشعور بالآخرين، بالإضافة إلى المحافظة على صحته بعد أن أثبتت الدراســـات الحديثة ما سبق إليه القرآن والسُّنة أن كثيراً من الأمراض القاتلة بصحة الإنســـان وحياته إنما مصدرها المعدة. وبالعكس فإن الاستمتاع بحياة طيبة، وصحةٍ مســـتقرة، ونشاط وثاب إنما يأتي بعد أن ينهج المرء أسلوب الاعتدال في طعامه كما قـــال "جايلور هاوزر": "أتريد أن يكون لك عَقلٌ قويٌّ وسالم، وأن يكون حديثك يفيض بالحرارة والحيوية ويعطيك مظهر الرجل الباش الملهم المملوء بالمقدرة والكفاءة؟ أو بـــالعكس.. أتفضل أن تكون هدف السخرية المؤلمة، وصورة التشاؤم المرير ينعكس عن مرض جسمك وعقلك، انتخب أي الطرفين تريد منذ الآن، واستهدف الوجهة التي تريد السير نحوها إنك تستطيع أن تحصل على هذا كله من غذائك"(٣) .

ولقد سبق القرآن بتوجيهاته الرامية ما قاله هؤلاء لأن من مقاصد الشريعة الإســـلامية الحفـــاظ على سلامة الإنسان فهي من نعم الله عليه والمحافظة عليها

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، مصدر سابق ، ١١٣/١ ، ١١٤ بتصرف.

(٢) محمد ١٢/٤٧.

(٣) الغـذاء الكـامل يصـنع المعجزات، جايلوردهاوزر ، ترجمة أحمد قدامة، ط دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الحادية عشرة ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، ص١٩.

سليمة كاملة من شكر الله على هذه النعمة، ومن وسائل قيام الإنسان برسالته التي خلقه الله لها في هذه الأرض.

٢ـ الدعوة إلى المشي بعد الطعام:

حيث ثبت أن الإنسان في حاجة إلى الحركة بعد الطعام حتى يساعد عملية الهضم، وحتى يبقى بعيداً عن أمراض الجهاز الهضمي من عسرٍ وانتفاخ وغيرها. ولقد ألمح القرآن إلى ذلك المسلك بقوله : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ ﴾[١] ، ولئن كان الأمر في سياق تربية الصحابة ﷺ على مكارم الآداب مع رسولهم ﷺ إلا أنه أيضاً يفيد إلماحةً إلى أهمية الانتشار بعد الطعام، والدخول في حركة بعد السكون، وهذه سبق بها القرآن العظيم من جاءوا -بعد ذلك- ليؤكدوا أهمية المشي والحركة ، وينادوا بها ويثبتوا الضرر البالغ الذي يصيب الإنسان إذا أكل ثم أخلد إلى الراحة والنوم. والقرآن الكريم بأمره للمسلم بالصلاة والجهاد والحج وصلة الرحم والدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم ، والمشي في حوائج الناس ، والحركة الدائبة كل هذه تتطلب حركة وقوةً ورياضةً ونشاطاً ، والمسلم أحوج ما يكون إليها ليبقى قوياً نشيطاً صحيحاً معافىً مستطيعاً أن يملأ الأرض بحركته وسعيه. لأن الرزق يتحقق ببذل الأسباب والسعي ، وإن كان هذا الرزق مكفولاً من الرزاق، ويصاحب هذا السَّعي جد ونشاط وحركة وانتقال بما يتنافى مع الكسل والخمول والراحة والاستكانة، وهذا كله من مقومات الصحة العامة.

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو المتلقي للقرآن ، والمطبق له ، وهو الصورة الحية الواقعية المترجمة لهذا القرآن ، وهو النموذج الكامل لهذا القرآن كان نشطاً متحركاً، دافق الحيوية مشاركاً بيده في عمل أصحابه، سابقاً لهم إلى الجد والإنتاج والبذل والعطاء. "عن البراء بن عازب[٢] ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم

---

(١) الأحزاب ٥٣/٣٣.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمارة ، ويقال: أبو عمرو ، قال : استصغرني رسول الله ﷺ يوم بدر أنا وابن عمر وشهدت أحدا ، روى جملة من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، مات بالكوفة أيام مصعب ابن الزبير ، انظر الإصابة ١٤٢/١ ، ١٤٣ والاستيعاب ١٣٩/١ ، ١٤٠ .

الأحزاب ينقل التراب وقد وارى بياض بطنه وهو يقول:

لـــولا أنـــت مـــا اهتديـــنا ولا تصـــدقنا ولا صـــلينا

فأنـــزلِ الســـكينة عليـــنا وثـــبت الأقـــدام إن لاقـــينا

إنَّ الألى قـــد بغـــوا عليـــنا إذا أرادوا فتـــنةً أبيـــنا[1]

حركة دائبة، وقوة عارمة، وعزيمة فائرة منه ﷺ.

٣- التحذير من أكل الضار من الأطعمة وتناول الطيب الصالح:

كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2] .

دعوةٌ إلى أكل الطيب المبارك، وتنفير من أكل الضار المؤذي غير الصالح، وإنما أكله يكون بمثابة إهلاك النفس وتعريضها للفاتك من الأمراض والعلل، قال صاحب الظلال: " والميتة تأباها النفس السليمة وكذلك الدم، فضلاً على ما أثبته الطب بعد فترة طويلة من تحريم القرآن والتوراة من تجمع الميكروبات والمواد الضارة في الميتة والدم، وأما الخنزير فقد حرمه الله منذ ذلك الأمد الطويل ليكتشف الإنسان منذ قليل أن في لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة وهي الدودة الشريطية وبويضاتها المتكيسة"[3] .

والقرآن بذلك يقف حارساً على الطعام الذي يتناوله المسلم ليحول بينه وبين الضار الفاتك بصحته، وليبعده عن الخبيث المهلك، وليدله على الطيب النافع الذي ينعم بكسبه، ويسعد بأكله، ويستفيد بتناوله ويقوى بسببه ، ويؤجر عليه من ربه، فأي منهجٍ أكمل من هذا المنهج الذي ما ترك شيئاً إلا تعرض له، وأي منهج أرحم من هذا المنهج الذي يصون المرء مما يضره أو يتسبب في إمراضه أو

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الجهاد والسير ، باب حفر الخندق، ج٦ ص٥٥ رقم ٢٨٣٧ ، ومسلم ، كتاب السير ، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ، ج٣ ص١٤٣٠ ، ١٤٣١ رقم ١٨٠٣ ، واللفظ للبخاري.

(٢) البقرة ١٧٢/٢ ، ١٧٣.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب، مصدر سابق، ١٥٦/١.

يـــؤدي إلى نقـــل العدوى إليه، وفي الوقت نفسه يميزه عن غيره من البشر الذين يـــرتعون دون تفـــريق بين طيبٍ وخبيث، أو تفضيل بين نافع وضار ولو لم تُعرف الحكمـــةُ مـــن تحـــريمِ هذه المحرمات لكان كافياً أن الله هو المشرع وهو الحكيم الخبير.

أَمَـــا وقـــد كشف العلم عن أخطار هذه المحرمات صحياً، وأزاح الستار عما فيها من داء عضال يؤذي الإنسان فقال : "جون هونفر لارسن"[١] عندما سئل عن قولـــه فـــي أكل لحمة الميتة من حيث فائدته الصحية فقال: "هي مستودع للجراثيم ومستودع للأمراض الفتاكة، والقوانين في أوربا تحرِّم أكل الميتة"[٢] فلما سئل عن قولـــــه في لحم الخنزير. قال : "إنني أقود معركة في بلادي ضد أكل لحم الخنزير لأنـــني اكتشفت جرثومة جديدة اسمها (يارسينا) وهذه لا توجد إلا في الخنزير فقط يصـــاب بهـــا كـــثير مـــن الأوروبيـــن وتسبب كثيراً من إصابات العمود الفقري والمفاصل"[٣] فما بقي إلا التسليم لما جاء به الكتاب العزيز.

فأي سَبْقٍ هذا الذي سبق به القرآن كلَّ هؤلاء في وقت ما كان الغرب يعرف شـــيئاً عن هذه الأضرار؟ ، أولا يدل ذلك على كون القرآن الكريم كتاباً صادقاً؟ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٤]. وعـــلى صـــدق المبـــــلغ ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٥] وعـــلى رحمة الرب الكريم وشفقته بخلقه وهو يشرِّع لهم ما تقوم به مصـــالحهم ويحميهم من أخطار لا قبل لهم بها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦] وعـــلى إحاطـــة القـــرآن الكريم وشموليته، فهو ليس كتاب شعائر فقط وإنما هو

---

(١) كـــبير الأطـــباء في المستشفى الرسمي في كوبنهاجن، انظر مجلة الإعجاز العلمي ، العدد الثالث ، ربيع الثاني- ١٤١٨هـــ ص٢٢

(٢) الإعجاز، إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٢ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ١٤١٨هـــ

(٣) الإعجاز، إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٢ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ١٤١٨هـــ

(٤) فصلت ٤١/٤٢.

(٥) المائدة ٥/٦٧.

(٦) الحج ٢٢/٦٥.

دستور ينظم كل الحياة وسائر الأمور فصان الروح والجسد، والعقل والنفس، وعمل للدنيا والآخرة.

٤ـ التحذير من الزّنا:

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[١]

حيث حرم القرآن الكريم الزنا ودواعيه ومقدماته حتى يسلم المجتمع من عواقبه الوخيمة وآثاره السيئة من هدر الكرامات، واختلاط الأنساب ، وتلويث الأعراض، وانتشار البغاء، وضياع الحقوق ، وذهاب المروءة، بالإضافة إلى الأمراض الجنسية التي تجتاح عدواها الأوساط المنحلة التي تعيش الإباحية وترفع راية المتعة البهيمية فتصاب بنقمة الله عز وجل وترى عاقبة أمرها خسرا إن لم ترجع لصوابها ، وتتطهر من رجسها، وكلما زاد ما يسمونه بالتقدم والمدنية، ارتفع مؤشر الإصابة بهذه الأمراض "فباستقراء رسم بياني عن الحالات الجديدة التي سجلت في عيادات الأمراض الجنسية في بريطانيا تبين أنه في عام ١٩٥٠م سجلت ١٢٥,٠٠٠ حالة منها ٨٥,٠٠٠ ذكور ، ٤٠,٠٠٠ إناث. ثم ارتفع هذا الإجمالي عام ١٩٧٥ إلى ٤٣٠,٠٠٠ حالة منها ٢٧٠,٠٠٠ ذكور ، ١٦٠,٠٠٠ إناث"[٢].

وكم للإباحية القاتلة وفوضى الجنس من ضحايا لأمراض الزهري والسيلان والإيدز، سَلِمَ منها المسلمون، وعوفي منها المجتمع المحافظ.

والقرآن الذي يأمر بالحجاب ، وبغض البصر، وبالزواج والإحصان ، وبالتعفف والتطهر إنما يحافظ على سلامة صحة المسلم من هذه الأمراض ، ويضمن له الوقاية من الإصابة بها "فالزواج حِصْنٌ ضد هذه الأمراض الجنسية المنتشرة في عالم اليوم"[٣] وحتى لا يقع الشاب في الزنا - إذا لم يستطع الزواج- فقد أمر بالصوم لأن فيه كبحاً لجماح شهوته وكسراً لعنفوانها فقال ﷺ : "يا معشر

---

(١) الإسراء ٣٢/١٧.

(٢) الأمراض الجنسية ، د. محمد علي البار ، ط دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الرابعة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،١٠٢ ، ١٠٣.

(٣) الأمراض الجنسية ، د. محمد علي البار ، مصدر سابق ، ١٠٢ ، ١٠٣.

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[١].

ولقد استحدثت بعض الدول قوانين تمنع البغاء لما رأت انتشار الأمراض فيهم انتشار النار في الهشيم، ولكنْ مهما نظَّروا وقنَّنوا ، وأصدروا وعدَّلوا، سيبقى القرآن الكريم بسبقه، واحتياطاته، وسدِّه للذرائع، وحمايته للصحة، العامة ووضعه سداً منيعاً أمام ما عرفته البشرية من أمراض ومالم تعرفه حتى الآن سيبقى منهج البناء الاجتماعي السليم، الذي يحمي الفرد من الأمراض الخطيرة، والمجتمع من الأوبئة التي تجتاحه وتقضي على سعادته، وليبقى الفرد طاهر النفس معافى الجسد، كامل القوة، سليم البنيان، وصدق سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[٢].

٥ـ التحذير من مواقعة النساء أثناء الحيض:

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [٣] .

قال الراغب[٤] : "ويسألونك عن المحيض، قل هو أذى ، فسمَّى ذلك أذى باعتبار الشرع وباعتبار الطب، على حسب ما يذكره أصحاب هذه الصناعة"[٥].

فما كان الله الحكيم الخبير -وعَبْر كتابه الحكيم- ليمنع عباده إلاّ مما يثبت

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب النكاح ، باب قول النبي ﷺ من استطاع الباءة فليتزوج ، ج٩ ص٨ حديث رقم ٥٠٦٥ ، ومسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ج٢ ص١٠١٨ ، ١٠١٩ ، رقم ١٤٠٠.

(٢) الأنعام ١٥١/٦.

(٣) البقرة ٢٢٢/٢.

(٤) الحسين بن محمد بن المفضّل أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء ، من أهل أصبهان، سكن بغداد ، واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، له أخلاق الراغب، وجامع التفسير، والمفردات وغيرها، توفي -رحمه الله - سنة اثنتين وخمسمائة للهجرة، انظر ترجمة الراغب في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبدالله ٣٦/١، وبغية الوعاة للسيوطي ١٩٧/٢، وسير الذهبي ١٢٠/١٨، والأعلام ٢٧٩/٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ضبط ومراجعة محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص٢٤.

ضرره وإيذاؤه، وهو الرؤوف بهم، الشفيق عليهم، البصير بشؤونهم، وبكل ما فيه صـــلاحهم وخيرهم ورشادهم الناصح لهم بكل ما يضمن سلامتهم، وهذا من وسائل الوقاية الهامة جداً في حياة الفرد المسلم ، حيث يبيح له الاستمتاع ومع ذلك يمنعه فـــي وقـــت محـــدد من ذلك لما سيترتب عليه من إضرار بصحته ، وإتلاف لحياته وأيضاً سيلحق الضرر بزوجته.

ولا شـــك أن صـــاحب العقل السليم، والذوق السليم -حتماً- سيأنف من دم الحيض وسيبتعد عنه حتى قبل معرفته للنص القرآني وذلك بفطرته السليمة ، لما فيه من قَذَرٍ ومنافاةٍ لمرغوب النفس ومطلوبها.

ولقـــد وقـــف علماء الأمة- رحمهم الله- أمام هذا النص شارحين ومبينين المغزى من هذا الاعتزال.

فقـــال ابن العربي[١] -رحمه الله- : "قل هو أذىً : فيه أربعة أقوال : الأول قَـــذَرٌ قاله قتادة والســـدي[٢] والثاني : دم ، قاله مجاهد والثالث : نجس ، والرابع: مكـــروه يـــتأذى بـــريحه وضرره ونجاسته ، والصحيح الرابع بدليلين: أنه يعمها، ولقول الله عز وجل : إن كان بكم أذىً من مطر"[٣]

ولكـــل ما سبق من قَذرٍ ودمٍ ونجسٍ وأذىً مضافاً إليه ما ينعكس على نفس الـــزوج من صدود عن زوجته بعد ذلك ومن زهد فيها ومن فتورٍ يصيبه مما يكون له أثره على الحياة الزوجية كانت حِكَمُ هذا النهي.

إن القرآن بآياته وتعليماته ، وأوامره ومنهياته يقف حارساً أميناً على حياة

---

(١) العلامة الحافظ القاضي ، أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الإشبيلي، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة، ورحل إلى المشرق، وسمع العلم على مشايخه، صنّف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والـــنحو والـــتاريخ ، وتـــوفى -رحمه الله- سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للهجرة، انظر طبقات الحفاظ للســـيوطي ٤٦٨ ، ٤٦٩ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٤٧/١٢، والديباج المذهب لابن فرحون ص٢٨١ وشذرات الذهب ٢٣٢/٦-٢٣٤.

(٢) إســـماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السُّدي الأعور، أبو محمد الكوفي، وهو السدي الكبير القرشي بالولاء، تابعي ، سمع جميع الصحابة، وروى عن كثير من التابعين، روى له مسلم في صحيحه، ووثقه جماعة من أهل العلم ، وقال فيه ابن حجر في التقريب: صدوق يهم، رُمي بالتشيُّع وهو حجازي الأصل، مات بالكوفة سنة سبع وعشرين ومئة للهجرة وقيل:سنة ثمان وعشرين ومئة ، انظر الأعلام ٣١٣/١٢

(٣) أحكام القرآن ، ابن العربي ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى د.ت ١٦١/١.

وصحة الفرد يقويها ، وينمّيها، ويحفظها ويحميها، ويباركها ويطهرها ويزكيها ولا يحسبنَّ من هو ضيق الأفق أن القرآن بذلك يكبت الرغبات، ويضيق على الإنسان في مشتهيات نفسه، كلا فإنه يطلق رغبات الفرد في كل اتجاه بلا كبت أو منع أو حبس أو تضييق، إلا من ضبط هذه الرغبات، وتنظيمها، وتقنينها بالشكل الذي يحقق المصالح ويدرأ المفاسد، علمها من علمها وجهلها من جهلها. وأخيراً جاء العلم ليثبت خطورة دم الحيض على الصحة، وكذلك عدم استعداد الرحم وضعفه في هذه الفترة مما يسبب مضاعفات وأضراراً للمرأة هي في غنى عنها لو أن الجميع لزم أمر الله وشرعه، وتأدب بأدبه في المعاشرة سراً وجهراً فطهُر من هذه الأقذار، وسلِمَ من تلك الأمراض لذلك قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١] .

٦- تحريم اللواط:

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[٢].

وبالإضافة إلى آثار هذه الجريمة أخلاقياً من ضياع المروءة، وسقوط الهيبة، ومسخ الشخصية، وإهدار الكرامة، وانتكاس الفطرة فقد أثبتت البحوث الطبية بشكل قاطع أن "الشاذين جنسياً في الولايات المتحدة وأوربا يشكلون ما بين ٧٠-٧٤ بالمئة من المصابين بالإيدز"[٣] ذلك المرض العضال الذي أرعب الغرب الغارق في شذوذه وانحرافه، بينما نجت منه جميع البيئات المحافظة التي ألزمت نفسها شريعة الله عز وجل قولاً وعملاً، ووقفت عند حدوده ﷻ فلم تتعدها ولم تتجاوزها وشتان بين فطرة سليمة تأتي المكان الذي هيأه الله لذلك، وفطرة منكوسة تصادم الصواب وتترك الطيب إلى الخبيث ولا تستمع لنداء عقل أو صوت ضميرٍ أو نصح ناصح .

---

(١) البقرة ٢/٢٢٢.

(٢) الأعراف ٧/٨٠ ، ٨١.

(٣) الإيدز وباء العصر ، د/ محمد علي البار، د/ محمد أيمن صافي ، ط دار المنارة ، جدة ، الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م ، ص٦٨

قـــال ابن القيم -رحمه الله- : "فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له، وإنما الذي هُيئ له الفرج فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعا، وهو مضر للرجل لذلك ينهى عنه عقلاء الأطباء"(١)

ولقـــد سبق القرآن الكريم في نهيه وتنفيره من هذه الفاحشة ووصف أهلها الواقعيـــن فيها والمتلطخين بها بالإسراف والجهل والعدوان، وما هذا النهي عنها، والـــتهديد لأصـــحابها، والتشـــنيع بهم إلا لتربية المسلم على بغضها والنفور منها ليســـلم من أضرارها، ويعافى من أخطارها بعد أن قرأ عنها في آيات الله، وبعد أن اســـتمع إلى نبيه ﷺ قائلاً: " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا"(٢) ولو حكَّم الملاحدة عقولهم في هذا القول النبوي وحـــايدوا في تفكيرهم وحكمهم لآمنوا جميعاً فإنه دليل على صدق قائله لأن الواقع يثبـــته، والمشاهدة تقرره بعد أن اجتاحتهم أمراض ما سمع بها أحد من قبل جزاء وفاقا.

٧- تحريم المسكرات والمفترات حماية للعقل:

كالخمر والأفيون والهيروين ، والمورفين وغيرها ويكفي أن الله ﷻ حرمها ولو لم يكن إلا النص القرآني لكفى لبغضها وتركها والابتعاد عنها حيث قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣).

والعقـــل، هذه النعمة الجليلة التي أمد الله بها ابن آدم ما كان ليتركه القرآن الكـــريم نهـــباً لمـــا يتناوله الإنسان لكي يغيب أو يفسد أو يختل لذلك حرم الله ﷻ المسكرات وقايةً لهذا العقل وحماية لوجوده.

ولقـــد كـــان الســـابقون للإسلام يزعمون ويصرون أن الخمر -إذا شربت باعـــتدال- إنمـــا تكـــون دواء نافعاً، فيها منافع شتى للبدن من حيث هضم الطعام

---

(١) الطب النووي ، ابن القيم ، ط دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٩٨٤م ، ص٢١٣.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب العقوبات ، ج٢ ص١٣٣٢ ، رقم ٤٠١٩

(٣) المائدة ٥/٩٠.

وشـــحذ الأذهان، وتصفية الكبد. وزعم ذلك -أيضاً- المتأخرون- رغم ما أخبر به - القــرآن الكريم، وأخبر به رسول الله ﷺ "فعن وائل بن حُجْرٍ[١] أن طارق بن سُوَيْدٍ[٢] الحضري سأل رسول الله ﷺ عن الخمر يُجعل في الدواء فقال ﷺ إنها داء وليست بدواء"[٣] ولقــد أثبت الطب الحديــث- أخيراً زيف ما كان يدعيه الأطباء، وصدْقَ ما قرره المصطفى ﷺ فكثير مــن العــلل والأمراض يصاب بها مدمنو الخمر خصوصاً والمخدرات والمسكرات عمومــاً حيــث ثــبت أن من أهم الفئات المصابة بالإيدز هم من مدمني المخدرات "حيــث يشكلون من ١٧-٢٠ بالمئة من مجموع حالات الإيدز في كل من الولايات المتحدة وأوربا. أما في إيطاليا على سبيل المثال فيشكل مدمنو المخدرات ما نسبته ٥٤ بالمائة من مجموع حالات الإيدز"[٤]

بــل إن كثيراً من الوفيات تنجم عن الإدمان بشتى صوره وأشكاله في غيبة الوعــي والــرقابة والأخــلاق حيث "تعتبر الخمور من أهم ثاني سبب للوفيات في الولايــات المــتحدة، ففي كل عام يتوفى مائة وخمسة وعشرون ألفاً بسبب تعاطي الخمــور - وما تؤدي إليه من حوادث السيارات والطرقات وجرائم القتل والوفيات الناتجة عن أمراض وبيلة وقعت بسبب شرب الخمور"[٥]

وإذا كــان القــرآن الكــريم قد أتى بتحريم الخمر تحريماً مُمرحلاً فإنما ذلك لحكمــة المشرع في مراعاةِ أحوال الناس. والتمشي مع الأسلوب الأمثل للتربية إلا أنــه - أي القــرآن- وصل بالناس إلى التحريم القاطع وذلك ليحميهم من الأخطار الداهمة التي لم يكونوا قد عرفوها بعد، فسعد المسلمون الذين اتبعوا شرع الله ﷻ وطهــروا أنفســهم وصانوا حياتهم، وحافظوا على مقوماتها من العلل والأمراض

---

(١) وائــل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي ، كان أبوه ملكاً من ملوك حضرموت، كان رسول الله ﷺ قد بشر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام، استعمله ﷺ على حضرموت وأقطعه أرضاً عاش إلى أيام معاوية ، وشهد مع علي صفين، روى عن النبي ﷺ، انظر أسد الغابة ٣٠٥/٤ ، ٣٠٦.

(٢) طــارق بــن سويد الحضرمي روى عنه وائل بن حُجْر ، وابنه علقمة بن وائل ، له صحبة ، وحديثه في الشراب حديث صحيح الإسناد وانظر أسد الغابة ٤٧٩/٢-٤٨٠ ، والاستيعاب، ٣٠٧/٢ ، ٣٠٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده ، مسند الكوفيين ، ج٥ ص ٤١٤ ، رقم ١٨٣٨٠.

(٤) المخدرات ، د/ محمد علي البار ، ط دار القلم، دمشق ، الثانية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ص١٦٧

(٥) الإعجاز العلمي ، العدد السابع ، جمادى الأولى ١٤٢١هـ.

والدمـــار، وشـــقي الذين وقعوا في براثن هذا الأخطبوط اللعين فما أبقى لهم عقلا، ولا تـــرك لهـــم بقيـــة من قوةٍ أو عزمٍ يواصلون به رحلة حياتهم، وليهنأ المسلم بمـــنهجه القرآني وليحبه وليزدد به تمسكاً واعتزازاً ، وليعضَّ عليه بنواجذه وهو فـــي كـــل يوم يكتشف كم هو عظيم وحكيم وباهر ، وكم هو نعمة من عند الله ﷻ حفظـــه بهـــا في الدنيا، ويحفظه بها من عذاب الآخرة ، ولقد أدرك الأعداء الذين يـــريدون الكيـــد للإســـلام وأهله أثر هذه المواد المسكرة على شباب الأمة فعملوا جـــاهدين عـــلى غزو بلاد الإسلام عن طريق تهريب المخدرات إليها بإدخالها مع عمـــلاء مـــنهم، أو مـــع مأجورين من ضعاف النفوس ممن خانوا الأمانة وباعوا ضـــميرهم مقـــابل حفـــنة دراهـــم، ومـــا ذلك إلا ليتحول شباب الأمة إلى مدمنين ومـــتعاطين فتُســـتهلكَ أموالُهم ، وتخورَ قواهم، ويتعطل إنتاجهم ويدمروا أنفسهم وأمتهم، فلا خيرهم يُرجى ، ولا أمتهم ترقى، ولا دينهم يبقى.

ولن تستطيع الأمة التصدي لهذا الخطر الداهم إلا بوعي شامل، وفهم عميق لهذا المخطط، تصحبه رقابة لله ﷻ ووقوفٌ عند حدوده وإدراك أن صحة الإنسان مِـــلْكٌ لله، يجـــب الحفاظ عليها، وعدم إهدارها فهو عنها مسؤول قال ﷺ : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع..... الحديث"(١) .

٨ـ الغسل والوضوء والنظافة بصفة عامة:

فبالإضـــافة إلى كون الغسل والوضوء أمراً تعبدياً ، وتعليماً إلهياً فإن لهما فوائـــد لحمايـــة الصحة العامة للمسلم في غسل الأعضاء وتدليكها وتكرار ذلك في اليـــوم مـــرات ومـــرات بل بالإضافة إلى عملية النظافة والطهارة وحُسن الرونق والنضـــارة لهـــذه الجـــلد " فـــإن عملية الوضوء وما فيها من التدليك تنبه الدورة الدمويـــة فتنشط اغتذاء الأعضاء وبذلك ينشط الجسم كله كما أنها تخفف من حدة التوتر العصبي لدى المسلم"(٢).

---

(١) رواه الـــترمذي فـــي ســـننه ، كتاب صفة القيامة والرقائق ، باب في القيامة ، ج٤ ص٦١٢ رقم ٢٤١٧ والدارمي في المقدمة ، باب من كره الشهرة والمعرفة ، ج١ ص١٤٢ رقم ٥٤٣ ، واللفظ للترمذي.

(٢) الطب النبوي والعلم الحديث، د/ محمود ناظم النسيمي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ١٦٧/١.

وإذا كان الجسد البشري يعتبر أرضاً خصبة لكثير من أنواع الجراثيم والميكروبات، فإن الله ﷻ عندما شرع لنا الغسل والوضوء كان من حِكَمِه وأهدافه وقاية الجسد من هذه الكائنات الدقيقة، وتأمين الصحة العامة للإنسان ، وتجنيب أعضائه ما يصيبها في غيبة النظافة والتعهد ، لذلك أثنى الله ﷻ على أهل التطهر فقال : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[١] .

فالوضوء المتكرر يزيل ما يعلق بجلد المسلم من الكائنات الدقيقة والغسل -كما أثبتت البحوث- "يزيل عن جلد الإنسان ٩٠% من هذه الكائنات، أي بأكثر من مائتي مليون جرثومة في المرة الواحدة ، وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة ، لذلك أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل"[٢]. بل وثبت أن المضمضة المتكررة تخلص الفم من الكائنات الدقيقة التي أصابت أفواه غير المتوضئين ، ويضاف إلى المضمضة السواك الذي أمر به النبي العظيم ﷺ حيث قال : "تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وما جاءني جبريل إلا وأوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عليّ وعلى أمتي"[٣].

أما الاستنشاق واستنثار الماء فقد ثبت أنه يطهر الأنف من الجراثيم والميكروبات التي تعشش فيه، "وقد وجد الباحثون أن نسبة التخلص من الجراثيم بالأنف تزداد بعدد مرات الاستنشاق وأنه بعد المرة الثالثة يصبح الأنف خالياً تماماً منها"[٤] وهذا هو هدي رسول كريم أتى منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ويأتي العلم والمعمل -اليوم- ليثبتا بالمشاهدة والبرهان صدق هذا الهدي وصحة هذا القول، فهل بعد سبل الوقاية بالكتاب والسنة من سبل، وهل بقي شيء في مصلحة العباد وخيرهم لم يأت ذكره. ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥] .

---

(١) التوبة ١٠٨/٩.

(٢) الإعجاز العلمي ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٤١٨هـ ص٦٦.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الصوم ، باب سواك الرطب واليابس للصائم ، ج٤ ص١٨٧ ، بدون رقم.

(٤) الإعجاز العلمي، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٤١٨ ص٦٩.

(٥) الأعراف ٣/٧.

ولـــو تتبعنا كل عضو من أعضاء الوضوء والغسل لوجدنا أن العلم الحديث قد أثبت فائدة غُسله وتنظيفه، وخطورة تركه وإهماله، بل وأثبت أن المتوضئين قد ســـلموا من أمراض وعلل وأسقام أصيب بها غير المتوضئين ليثبت الله المؤمنين ويدحض دعاوى المبطلين. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (١) .

٩- الوقاية من أمراض الجهاز التنفسي :

حيـــث في الزحام ينتشر الرذاذ المتناثر، ويقل الأوكسجين ويضيق التنفس، وترتفع درجة الحرارة ويتوافر الجو المساعد على انتقال العدوى وتفشي الأمراض من أجل ذلك "وضع الخبراء -حديثاً- القواعد المنظمة لتباعد المسافات بين مقاعد التلاميذ في الفصول والأسرة في غرف النوم الجماعية"(٢) .

ولكـــن إذا كـــان الخـــبراء المعاصرون قد التفتوا إلى هذه الظاهرة وحاولوا التصـــدي لها فإن القرآن الكريم - وفي مشوار بنائه الصحي للفرد- قد أشار إلى ذلك الأمر منذ نزوله ولفت النظر إلى خطورة الزحام، وأهمية التفسح في المجالس حـــتى يوفـــر عـــامل الوقاية والبعد عن بيئة الأمراض . فقال ﷻ في كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(٣).

وإذا كـــان هـــذا الأدب القرآني لتوليد الحب والاحترام والأخوة بين الجالس والداخـــل أو بين السابق واللاحق، إلا أنه -كذلك- يوفر جواً من الفسحة والتهوية حفاظاً على الصحة العامة، وتوفيراً للهواء المتجدد ومنعاً لتناقل الأمراض المعدية وكل ذلك أوجزته الآية الكريمة المذكورة.

وهكـــذا يَثْـــبُتُ بجـــلاء ووضوح اعتناء القرآن الكريم بالفرد المسلم صحياً وإحاطته إياه بسياج قوي من الوقاية والمحافظة ، حتى يتميز بجسده وصحته، كما تميـــز بإيمانـــه ومنهجه. فإن الفرد القوي صحياً ينتصر به الدين، وتُعز به الأمة، وتـــتحقق على يديه الخيرات كما أعز الله ﷻ الإسلام بعمر في قوته ، وبخالد في

---

(١) الأنبياء ١٨/٢١.

(٢) الطب في القرآن ، د/ عبدالله عبادة ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الأولى د.ت ، ص٥٥.

(٣) المجادلة ١١/٥٨.

بطولـــته ، وبعـــلي فـــي بسالته وشجاعته، وما كانت هذه القيم العظيمة لتوجد في أجســـاد معتـــلة أو بنيان خائر، وإنما كما قال ﷺ " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"(١) .

[٢] العلاج والتداوي :-

وإذا كان القرآن الكريم يربي الرسول ﷺ على الشدة على الكفار والقوة في ملاقـــاتهم وعلى الرحمة واللين على المؤمنين فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢). وبالطـــبع لن يتحقق هذا إلا في مسلم قوي في ديـــنه وعقيدتـــه سليم في بدنه، ليكون كما أراده الله ﷻ ، وكما كان هؤلاء الذين خوطـــبوا بالقـــرآن حيـــث قال ابن عباس-رضي الله عنهما- : "كان أهل الحديبية أشداء على الكفار أي غلاظاً عليهم كالأسد على فريسته"(٣) .

فـــإن المرضـــى والمعتـــلين والمقعدين ليس لهم في مقارعة الأعداء والكرّ والفرّ ومواجهة الأخطار بل هم في حاجة إلى من يخدمهم ويعولهم ويأخذ بأيديهم، وإن ديـــناً تواجهه تحديات من أعدائه لفي حاجة إلى هؤلاء الأشداء الصحاح الذين يسخّرون هذه الشدة في سبيل الله تعالى.

وإذا كان منهج القرآن والسنة قد وضع وسائل الوقاية من الأمراض والعلل فإنـــه -كذلـــك-وضع وسائل العلاج والتداوي لمن أصابه مرض، أو لحقت به علة من العلل. قال ﷺ : "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزوجل"(٤)

---

(١) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج٤ ، ص٢٠٥٢ ، رقـــم ٢٦٦٤، وابـــن ماجه ، المقدمة ، باب في القدر ، ج١ص٣١ ، رقم ٧٩ ، وأحمد في المسند، مسند المكثرين ، ج٣ ص٥٥ ، رقم ٨٥٧٣.

(٢) الفتح ٢٩/٤٨.

(٣) الجـــامع لأحكـــام القرآن ، القرطبي ، مصدر سابق ، ٢٩٢/١٦ ، والبحر المحيط - أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود و علي معوض ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـــ، ١٠٠/٨.

(٤) رواه مســـلم ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء ، واستحباب التداوي ، ج٤ ص١٧٢٩ رقم ٢٢٠٤ وأبو داود ، كـــتاب الطـــب ، باب في الأدوية المكروهة ، ج٤ ص٧ ، رقم ٣٨٧٤ ، وأحمد في المسند ، باقي مسند المكثرين ، ج٤ ص٢٨٩ ، رقم ١٤١٨٧.

ولا ينافي مفهوم التداوي والبحث عن علاج وطلب العافية مفهوم التوكل - بل إن من التوكل استيفاء الأسباب واليقين أن الشفاء ورفع الضر إنما هما بيد الله عز وجل وإنَّ قوماً تركوا التداوي والعلاج ظناً منهم أنه توكل فقد جهلوا وما فقهوا.

وما أدركوا أن الأعراب جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أتداوى؟ فقال: "نعم تداوَوْا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير واحد، الهرم"[١].

ومن وسائل التداوي: الرقية الشرعية التي شرعها رسول الله ﷺ وحافظ عليها والتزمها أصحابه كقراءة الفاتحة والإخلاص والمعوذات.

ومنها العسل لقول الله ﷻ: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٢]

ومنها الحجامة والتمر والكي والإثمد الذي كان يكتحل به النبي ﷺ، ومنها ماء زمزم كما أخبر عليه الصلاة والسلام بقوله: "ماء زمزم لما شرب له"[٣]، ومنها الحبة السوداء، ومنها العقاقير الطبية التي استحدثت وما على المسلم إلا أن يبذل أسباب الوقاية حتى يسلم -بإذن الله من الأمراض فإذا أصيب بشئ منها فليصبر وليرْض، وليسْعَ في طلب العلاج وليعلق قلبه بربه فعنده الشفاء وبيده رفع البلاء. ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[٤].

بالإضافة إلى منهج التيسير في إعفاء المريض من بعض التكاليف أثناء مرضه حتى لا تزداد صحته سوءاً، وحتى يستطيع استرداد عافيته، والمثول للشفاء سريعاً ومن أمثلة ذلك: إفطار المريض في نهار رمضان، وإعفاؤه من الوضوء إذا كان الماء يضرُّ به وجلوسه في الصلاة إذا كان غير قادر، وإعفاؤه

---

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، ج٥ ص٣٥٠، رقم ١٧٩٨٦، وأبو داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ج٤ ص٣ رقم ٣٨٥٥.

(٢) النحل ٦٩/١٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، ج٢ ص١٠١٨، رقم ٣٠٦٢، والبيهقي في سننه، كتاب الحج، باب سقاية الحاج والشرب منها ومن ماء زمزم ج٥ ص١٤٨ بدون رقم.

(٤) الشعراء ٨٠/٢٦.

مـــن الجهاد بسبب مرضه. ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (١) .

إلى غيـــر ذلـــك مـــن رحمة المنهج الرباني القرآني بالمريض الذي أضعف المرض قوته وفتَّ في عضده.

وقفة مع البناء الصحي في القرآن الكريم

مـــن يـــتأمل آيات القرآن العظيم سيجد فيها جميع مقومات وعوامل البناء الصـــحي ســـواء مـــنها ما يتصل بالوقاية وأسبابها وطرائقها أو العلاج ووسائله المشـــروعة ، والقـــرآن الكـــريم إذ يـــرمي لذلك إنما لأهمية هذا الجانب في حياة الإنســـان لأنـــه يشـــكل القدرة على العبادة والطاعة والقدرة على السعي والنشاط والقدرة على الجهاد وحماية الحق في الأرض، فإن حماية الحق في الأرض تحتاج قوة تظلله وتحوطه وتمنع كل من يحاول الاعتداء على هذا الحق.

ولأن لـــذة العبادة ،وخشوع القلب ، وطول التبتل ، والصبر على القيام بين يدي الله ﷻ تحتاج إلى جسد صحيح يتجلد لكل هذا كان اهتمام القرآن بصحة الفرد المســـلم، ولأن العقـــل الســـليم في الجسم السليم دعا القرآن إلى الاهتمام بالجسم رياضةً وغذاءً وحماية ووقاية. والناظر في أحوال النبي ﷺ وهو الأنموذج القرآني الصادق سيجد ويعرف مدى اهتمامه بجسمه وصحته فهو الذي يختار طعامه جودة واكـــتمالا، وهو النظيف في بدنه وثوبه ومظهره ومخبره، وهو القوي في بنيانه ، الشـــديد في بأسه، وهوالداعي في أحاديثه إلى التداوي وبذل الأسباب ويظل البناء الصـــحي مـــن لبـــنات البناء الاجتماعي الهامة والخطرة إذ يمكن القول أن حركة الإنســـان في حياته وإيجابياته وسلبياته وأخذه أو عطائه تتوقف على هذا البناء ، بـــل ويـــتأثر كل من حول الإنسان إذا اختل هذا البناء أو ضعف ، فالأبناء يحرمون مـــن سعي أبيهم، والوالدان يحرمان من سعي ولدهم والمجتمع يحرم من جهد هذا الإنسان وعطائه، والأعداء يتمنون أن ينقلب المجتمع المسلم إلى معاليل ومأنونين فينقضـــوا عليه انقضاض الأسد على فريسته ويفلتوا مما ينتظرهم من وعد صادق

---

(١) الفتح ١٧/٤٨.

قال الله فيه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1]

فليرع المسلم صحته، وليعدَّ للعدو قوته، وليحتسب ذلك مرضاةً لربه ونصرةً لدينه.

* * * * *

(١) الأنفال ٨/٦٠.

المبحث الثاني

البناء الاقتصادي[١]

القــرآن الكريم لا يريد أتباعه أن يكونوا عالة على الغير، أو يعيشوا كسالى فقــراء الحال، لا يريد لهم أن يكونوا قابعين عاجزين مكتوفي الأيدي، لا يريد لهم أن يكونوا مستهلكين غير منتجين، متواكلين غير متوكلين.

والقــرآن الكريم منهج دنيا ودين لا يغلِّب جانبا على آخر، ولا يهتم بناحية عــلى حســاب أخرى. فلم يدْعُ القرآن أهله إلى ترك الدنيا ومتاعها والسعي فيها والانقطاع لعمل الآخرة وإنما شجع العمل والسعي والكد، وشجع الحرف ودعا إلى الإتقان ، ولفت النظر إلى ما في الأرض من كنوز، وما أودع في الكون من ثروات ونظرة الإسلام للمال كلها اعتدال فهو مقوم الحياة الرئيس، وهو الدعامة الأساسية فيها ومع ذلك يهذب النظرة إليه والتعامل معه.

وهــذه آيــات القــرآن الكــريم التي ذكرت فيها كلمة (مال) صريحة يليها الضمني منها.

أولاً : الصريح من الآيات:

١- قولــــه تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٥].

---

(١) الاقتصاد : ضدُّ الإفراط ، انظر القاموس المحيط ٣٢٧/١ ، مادة (قصد).

(٢) البقرة ١٧٧/٢

(٣) البقرة ٢٤٧/٢

(٤) الأنعام ١٥٢/٦ والإسراء ٣٤/١٧..

(٥) الكهف ٤٦/١٨.

٥- قولـــه تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾(١)

٦- قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢).

٧- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣)

٨- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾(٤).

٩- قولـــه تعـــالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٥).

١٠- قوله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٦).

وآيات كثيرة وردت فيها مشتقات الكلمة في سياقات مختلفة وتجنباً للإطالة والاستطراد اكتُفِي بما سبق.

ثانياً : الضمني من الآيات:

والمقصود الآيات التي تضمنت في ثناياها الإشارة إلى السّعي والكد والإنتاج أو ذكـــر مـــتع الدنيا ، أو الإشارة إلى دور الإنسان في هذه الأرض منذ خلقه الله وحتى يحاسبه ومنها -على سبيل المثال- :

١- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٧).

٢- قولـــه تعـــالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(٨).

---

(١) المؤمنون ٢٣ / ٥٥ ، ٥٦

(٢) النور ٣٣/٢٤

(٣) الشعراء ٨٨/٢٦ ، ٨٩

(٤) النمل ٣٦/٢٧

(٥) القلم ١٤/٦٨ ، ١٥

(٦) الفجر ٢٠/٨٩

(٧) البقرة ٢٩/٢

(٨) البقرة ٢٤٥/٢

٣- **قولـــه تعـــالى:** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(١)

٤- **قوله تعالى:** ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (٢)

٥- **قوله تعالى:** ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(٣)

٦- **قوله تعالى:** ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٤)

وآيـــات كـــثيرة جـــداً سوى ذلك تحرِّض على السعي والكد والإنتاج، وتبيح الاستمتاع الحلال بما أودع الله ﷻ في الأرض من مكنون الرزق.

ثالثاً : التصنيف الموضوعي لآيات البناء المالي والاقتصادي في القرآن الكريم:

١- **الـــتذكير بالمـــالك الأصـــلي للمال، حتى لا تتمادى النفوس البشرية في البخل والشح به** ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٥)

٢- **ربـــط المال ونمائه بالاستغفار والتوبة** ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(٦)

٣- **كـــثرة المال ليست دليلاً على رضا الخالق، ما لم تصاحبها التقوى والاستقامة على أمر الله** ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(٧)

٤- **ليـــس المال في يد الكافر مثار إعجاب بل مثار إشفاق** ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ

---

(١) آل عمران ١٤/٣

(٢) النساء ١٣٤/٤

(٣) يونس ١٤/١٠

(٤) هود ٦١/١١

(٥) النور ٣٣/٢٤

(٦) نوح ١٠/٧١-١٢

(٧) المؤمنون ٥٦،٥٥/٢٣

أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[١]

٥- **نِعْمَ المال الصالح في يد المتقين ينفقون في سائر الأحوال** ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[٢]

٦- **الإغراء بالسخاء والتحريض على الجود والكرم** ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]

٧- **التعهد للمهاجر والمتحرك بالسَّعة والرزق الحسن** : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ ﴾[٤]

٨- **المال بلا إيمان يخذل صاحبه يوم القيامة ، وها هو الكافر يعلن** ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾[٥]

والمال عصب الحياة به تبنى المساجد، وبه تنشأ الطرق، وبه تقام المصانع، وبه تُسلَّح الجيوش لمحاربة أعداء الملة، وبه يقرض المحتاج، وبه يُطْعَم المسكين، وبه يكفل اليتيم وبه تصان الحرمات وتحفظ الكرامة، وبه يُتَقَوَّى على طاعة الله، وعظمة هذا الدين في أنه يراعي في الإنسان كلّ ما فطره الله عليه من طبائع ، فهو محبٌ للمال، محبٌ لمتع الحياة، وزخارفها، ولكنه -أي القرآن الكريم- يقنِّن هذا الحب، ويهذبه ويرشِّده حتى لا ينقلب الإنسان المسلم بهمياً يسعى فقط في خدمة نفسه وجسده وشهوته أو يلهث -فقط- وراء مطامعه، وإنما يرتقي به ويجعل المال في يده لا في قلبه، وسيلة لا غاية، سبباً للحياة . لا الحياة نفسها.

---

(١) التوبة ٩/٥٥.

(٢) آل عمران ٣/١٣٣ ، ١٣٤.

(٣) البقرة ٢/٢٦١

(٤) النساء ٤/١٠٠

(٥) الحاقة ٦٩/٢٨ ، ٢٩

لذلك فكلُّ زاعم أن الإسلام دين فقرٍ وزهدٍ وفاقةٍ إنما هو مفترٍ عليه قائل فيه بغير علم وذلك " لأن كل دعوةٍ تحبب الفقر إلى الناس أو تُرضِّيهم بالدون من المعيشة ، أو تقنعهم بالهون في الحياة ، أو تعودهم قبول البخس والرضا بالدنيَّة فهي دعوة فاجرة يراد بها التمكين للظلم الاجتماعي، وإرهاق الجماهير الكادحة في خدمة فردٍ أو أفراد"[١] .

لقد ربى القرآن أهله على الاستغناء عن الناس، والاعتماد -بعد الله - على السَّعي في الأرض وكسب الرزق بذات اليمين، وهؤلاء هم الصحابة المهاجرون القادمون من مكة مع النبي ﷺ وقد آخى بينهم وبين أهل المدينة من الأنصار، ووجدوا الحياة سهلة ميسَّرة فلم يقبلوا ذلك ، وإنما تعففوا عن مال إخوتهم وسألوهم -فقط- عن مكان السوق حيث البيع والشراء والكسب الحلال والحصول على المال فضربوا بذلك المثال الواقعي الحيّ للفهم الحقيقي للقرآن والإسلام الذي يدعو المرء إلى الحركة والكسب وجمع المال ليعف به نفسه ويستغني به عن الناس.

ومنهم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف[٢] ﷺ حيث آخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع[٣] -الأنصاري- ﷺ فعرض الأخير عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبدالرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ، دُلني على السوق. فذهب وتاجر وانفتحت أمامه أبواب الرزق الغزير حتى كان من قوله : لقد رأيتني لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة. وأصبح ابن عوف من أغنى أغنياء الصحابة فأنفق وتصدق ووسع على نفسه وغيره وكان مثال المؤمن الزاهد الباكي

---

(١) الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية ، محمد الغزالي ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الخامسة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص٦٦.

(٢) عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبدالحرث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، أبو محمد -أحد العشرة المبشرين ، وأحد الستَّة أصحاب الشورى الذين أخبر عنهم عمر ﷺ أن الرسول ﷺ توفى وهو عنهم راضٍ ، توفى ﷺ سنة إحدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين وهو الأشهر، انظر الإصابة ٤١٦/٢ ، ٤١٧ والاستيعاب ٣٩٣/٤-٣٩٨.

(٣) هو سَعْد بن الربيع بن عمرو، من بني الحارث بن الخزرج ، صحابي ، من كبارهم ، كان أحد النقباء يوم العقبة وشهد موقعة بدر ، واستشهد يوم أحد ﷺ سنة ٣ هـ ، انظر الأعلام - الزركلي ١٣٤/٣.

الأواب الـــذي -رغـــم كثرة ماله- يخاف ويشفق من أن تكون طيباته قد عُجِّلت له حيـــث " أُتـــي عبدالرحمن بن عوف ﷺ يوماً بطعامه فقال: قتل مصعب بن عمير، وكـــان خيـــراً مـــني، فلم يوجد له ما يُكفن فيه إلا بردة ، وقُتل حمزة -أو رجل آخـــر- خيـــر مـــني ، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، لقد خشيت أن يكون قد عُجِّلَت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي "[١]

فكان ﷺ التاجر الناجح، ورجل الأعمال الخبير ، والثري العجيب، الذي جمع كـــثيراً ولكنه لم يطمع كثيراً ولا قليلاً بل سخر المال في خدمة دينه وأمته، عندما وصـــلت إحدى قوافله الكثيرة من الشام تحمل الأرزاق لأهل المدينة وكانت تتكون مـــن ســـبعمائة راحلة، فقالت عائشة -رضي الله عنها- : " أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً "[٢] فلما نقل إليه بعض أصحابه هذه المقولة وتذكـــرها حث خطاه إلى بيت عائشة وقال لها : "لقد ذكرتني بحديث لم أنسه، أما إنـــي أشـــهدك أن هـــذه القافلة بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل ووزعت كلها على أهل المدينة وما حولها[٣]

ولا يفهـــم من هذا الحديث أن هذا ذم للمال - كلاَّ ، إنما هو حثٌ على البذل والإنفـــاق، ودفـــع إلى الجـــود والإيثار ، وكم من الخير أصاب الناس على يد ابن عوف وأمثاله، وليت كل ثري وصاحبِ مالٍ من المسلمين يرقى إلى هذا المستوى، ويتسلح بهذا الخوف الذي زان هذه النفس الكريمة، فإذا بالغالي يرخص ، والكثير يهون طلباً لمرضاة الله، وإيثاراً لما عنده.

ولو أن كل مسلم قال مقولة ابن عوف ﷺ -دلُّوني على السوق- لاستغنى بعـــد فقـــر واكـــتفى بعـــد حاجة، وقوى بعد ضعف، وعندما يكون المال في أيدي المؤمـــنين الذيـــن يسخرونه في مرضاة الله خيراً من أن يكون في أيدي الكافرين

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الجنائز ، باب الكفن من جميع المال ، ج٣ ص ١٦٨، رقم ١٢٧٤

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند الأنصار ، ج٧ ص١٦٦ رقم ٢٤٣٢١

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير، مصدر سابق، ٢٦٦/٤ ، والاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبدالبر بهامش الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر ، مصدر سابق، ٣٩٣/٢-٣٩٨، ورجال حول الرسول ، خالد محمد خالد، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص٤٦٦-٤٧٤

الذيـــن يسخرونه في التعدي على حرمات الله، ومحاربة دينه فقال الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[١] .

ومـــا موقـــف عثمان ﷺ عنا ببعيد وهو يجهز جيش العسرة في غزوة تبوك، وهـــو يشـــتري بئر رومة للمسلمين لينقذهم من الاستغلال اليهودي فَيُدعم مكانتهم ، ويُحَسِّن وضعهم ويوسع عليهم حين أغرى الرسول ﷺ أصحابه بقوله "من يحفر بئر رومة فله الجنة، وقال النبي ﷺ من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان"[٢]، فيكون وجوده فعَّالاً عن غيره، مؤثراً عن سواه لعظم الدور الذي اضطلع به فقام به خير قيام.. ولم يلهه ذلك المـــال عـــن عـــبادةٍ أُمِـــرَ بهـــا ، أو أخلاقٍ دُعِيَ إليها فهو العابد الخاشع، البسيط المتواضـــع، مـــا يرى نفسه مُيِّزَ عن غيره إلا بكثرة مسؤولية ، وعظيم حساب ، هنا حقاً يكون الأمر كما قال ﷺ : "نعم المال الصالح للمرء الصالح"[٣] .

واســـتخلاف الله ﷻ للإنسان في أرضه حيث قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٤] وقـــال : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٥] لا يتـــنافى هذا الاستخلاف -أبداً- مع كون الله ﷻ هو مالك الملك كله لأنه خالق كل شئ مالك كل شئ والمتصرف في كـــل شئ بأمره وإرادته ومشيئته حيث " يقرر في مواقع كثيرة ومناسبات متعددة أن الملك المطلق هو لله، فملك السموات والأرض له، وملك ما بينهما أيضاً له وما فيهن أيضـــاً وليس له في ملكيته المطلقة هذه شريك ولا ولد"[٦] ولكن الله يمنح من يشاء

---

(١) الأنفال ٣٦/٨.

(٢) صحيح البخاري وانظر الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ ج٧ ص٦٧ بدون رقم.

(٣) رواه أحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، ج٥ ص٢٢٠ رقم ١٧٣٠٩.

(٤) يونس ١٤/١٠

(٥) الحديد ٧/٥٧

(٦) الـــنظام الاقتصادي في القرآن ، د. محمد فريز منفيخي ، ط دار قتيبة ، دمشق ، بيروت ، الأولى ١٤٠٣ هـــ- ١٩٨٣م ص١٢٢.

ليملك ما يشاء إمَّا هبةً كما قال تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[١] أو بمشيئته وتمشياً مع حكمته ﷻ كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾[٢] .

وهنا ، "مع أن الملكية في الأصل لله إلا أنه أجاز أن يملك الإنسان شيئاً من ذلك"[٣] والقرآن الكريم - وفي سياق إكرامه للإنسان- يأمره بالسعي والتملك والتنمية والمتاجرة حتى يتَحسن وضعه وترتقي معيشته ويصبح عنصراً مؤثراً في هذا الكون له دوره الذي يقوم به، وليحدث له التطور اللازم في حياته طبقاً للسنن الكونية والنواميس الربانية، "وما كان ليبقى هكذا أبد الدهر في الحياة الساذجة ، ولكن الله أودع فيه من القوى ما يؤهله لأن يعيش عيشة اجتماعية وأن يصنع لنفسه متاعاً مريحاً يتمتع به"[٤] .

ونظرة القرآن الكريم -وهو دستور أهل الإسلام - للمال نظرة احترام وتقدير وحماية مع الترشيد والتقنين والتوجيه السليم، فهو يأمر المرء باستثمار المال بعد كسبه، وإنمائه بعد الحصول عليه، والمحافظة عليه من السَّفه والتبذير والإسراف ، والدفاع عنه ضد كل عادٍ وباغ. بل جعل الشرع الحنيف من يموت دون هذا المال من الشهداء . فعن أبي هريرة ﷺ قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني. قال: فأنت شهيد ، قال: أرأيت إن قتلته قال: هو في النار"[٥] .

---

(١) النساء ٤/٥٤.

(٢) يس ٣٦/٧١.

(٣) النظام الاقتصادي في القرآن ، د. محمد فريز منفيخي ، مصدر سابق ، ص١٢٢.

(٤) الإسلام ومعضلات الاقتصاد ، أبو الأعلى المودودي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٢٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، ج١ص١٢٤ رقم ١٤٠ ، وأحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار ، ج٦ ص ٣٩٩ رقم ٢٠٠٨.

وكـــفى بتوجيه كهذا يجعل الحفاظ على المال والدفاع عنه والذود عنه ضد من يريد الاستيلاء عليه طريقاً إلى الشهادة على شرفها ومقامها.

ولمـــا كانت هناك فروق بين أفراد المجتمع المسلم حسب سعيهم ومواهبهم وجهودهـــم وذكـــائهم وحركتهم في الحياة، كانت هناك فروق في أنصبة كل واحد فيهـــم من المال والثروة "لأن الأفراد يتفاوتون في الغنى والثروة على قدر سعيهم وحسب ظروفهم ولذلك كان بعضهم فوق بعض في الرزق ومتاع الحياة تبعاً لكون بعضهم فوق بعض في الكفايات والمواهب"[١] ولاشك أن الفروق بين الأفراد فروق نسبية، فإنه لم يُحْرَم فردٌ من كل شئ تماماً ، كما لم يُعْطَ فردٌ كل شئ كاملاً، وإنما المقصـــود بالفروق ما يلاحظ على مستوى نعمةٍ واحدة، فمثلاً رجلٌ وسِّع عليه في المـــال وآخر ضيِّق عليه ، هذا فرق ولكن ربما رأينا هذا المضيَّقَ عليه في المال قد وسِّع عليه في شئ آخر، وليكن في الصحة مثلاً، أو العقل أو العلم ، وهكذا.

"فميزان عدل الله ﷻ قد اقتضى أن يكون كل من المعْطَى القدرات والمواهب والبســـط في الأرزاق جزئياً أو كلياً والمحروم من كل ذلك حرماناً جزئياً أو كلياً ، موضـــع ابـــتلاء حيث قال: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٢] وبناء عـــلى ذلك فكلٌ منا مبتلى فيما أعطي بتكاليف مختلفة ومحاسَبٌ على القيام بها أو التقصير فيها"[٣]

وهـــذا الفهـــم ســـيحمِّل كـــل فرد مسئوليته تجاه النعم شكراً وإنفاقاً وحفظاً واستثماراً، فَنِعْمَ المالُ للمسلم الذي يطعم الجياع ويكسو العراة، ويقرض المحتاج، ويمشي به عزيزاً في الناس لا مختالاً ، وكريماً لا مهاناً ، ومكتفياً لا محتاجاً.

ونعـــم المال يُصان به العِرض، ويؤدى به الفرض ، ويُستغنى به عن القرض، ونعـــم المـــال يعـــود نفعه الاجتماعي على الآخرين ليشكل لبنةً قوية متينة في البناء الاجـــتماعي حيث تختفي كل مظاهر البؤس والفاقة، ويعم التراحم والتكافل وهذا من

---

(١) الإسلام ومعضلات الاقتصاد، أبو الأعلى المودودي ، مصدر سابق، ص٥٤.

(٢) الأنبياء ٣٥/٢١.

(٣) رأس المـــال فـــي المذهب الاقتصادي للإسلام، دراسة مقارنة ، شعبان فهمي عبدالعزيز ، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة ، الأولى ، د.ت ، ص١٣٢.

مقاصد الإسلام، ومتطلبات القرآن "فمن المدهش حقاً أن الإسلام قد حاول منذ أربعة عشر قرناً إيجاد توازن دائم بين الكسب والإنفاق بهدف تحقيق أقصى فائدة اجتماعية"(١) وتلك من عظمة هذا القرآن الذي يحاول -دائماً- إسعاد أتباعه في حدود ما شرع من قيم ومُثل ومبادئ جاءت بها الآيات الكريمة وقررتها الأحاديث الشريفة.

الملكية الخاصة:

أقرها الإسلام، واعترف بها القرآن وجاءت الآيات تشهد بذلك ولا تعارضه، وتقره ولا تحاربه ، فأسندت الكسب لأهله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٢) واعترف بها ناصحاً ألا تلهى عن ذكر الله وطاعته ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٣) واحترم ملكية المسلم وحريته في التصرف فلا تُقَسَّم تركته إلا بعد سداد دينه، وإنفاذ وصيته فقال : ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾(٤)

فمن جوانب العظمة في هذا القرآن ، ومن خصائص الوسطية في منهجه ، وأيضاً من مظاهر واقعيته واحترامه للفرد المسلم ، أنه اعترف بالملكية الخاصة وحماها وأقرها وشجعها ولكنْ بشرط " أن تخضع للالتزام الأخلاقي الذي يدعو إلى أن جميع أقسام المجتمع -بل حتى الحيوانات - لها نصيب في هذه الثروة"(٥)

إنه احترام لسعي الفرد وكدّه وعرقه، احترام لذكائه وتفكيره وإبداعه، احترام لتخطيطه ودراساته ومجهوده، احترام لسهره وسفره واغترابه، فلا يعيش مهدداً ولا خائفاً ولا قلقاً على مكتسباته، ولا متوتراً لأنه يخشى على أمواله، ولا مضطرباً لأنه يتوجس من سطوة الغير على كده وتعبه، إنه يؤدي ما عليه ويضمن

---

(١) الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، م.أ. منان ، ترجمة د/ منصور إبراهيم التركي ، دراسة مقارنة ، ط المكتب المصري الحديث ، الإسكندرية ، القاهرة ، الأولى ، د.ت ، ص١٤.

(٢) البقرة ٢٦٧/٢.

(٣) المنافقون ٩/٦٣

(٤) النساء ١١/٤.

(٥) الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، م. أ. منان ، ترجمة د. منصور إبراهيم التركي ، مصدر سابق، ص٩٣.

-فـــي الوقت نفسه- أن المجتمع كله حارس لأمواله، أمينٌ عليها، وهذا -بدوره- ســيؤدي إلى استقرار وزيادة الفرد لجهوده، وإظهاره لأمواله، ونفع المجتمع بها، وهذا ما قاله الفقهاء في شأن الملكية الخاصة.

حيــث إن الأصــل فــي الملكية الفردية أن تبقى مُصانةً عن العبث بها، ولا يجــوز لأي فــرد أن يعتدي على ملكية غيره، كما لا يجوز للدولة أن تهدد الأفراد بــأملاكهم وأموالهم إذلالاً لهم وانتقاماً منهم، لأن الملكية حق من الحقوق المقررة فــي الإسلام، وكل من يعتدي على ملكية غيره يعاقب ملائمة لطبيعة هذا الاعتداء، وهــذا لا يتعارض مع مبدأ المصلحة العامة ولا يقدم عليها ، فمن المؤكد أنه يجوز - عــلى طــريق الاســتثناء- أن تنتزع الملكيات الفردية من أصحابها إذا اقتضت مصلحة الأمة ذلك، ويجوز عندئذ لولي الأمر الذي يتولى شؤون الجماعة أن ينزع مــلكية فردٌ من الناس لحماية مصلحة اجتماعية مقررة ، وقد أقرّ الفقه الإسلامي هــذا المــبدأ ، وأقــر مــبدأ الشُّفعة وهي "استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه وهي ثابتة بالسنة والإجماع"[١] ذلك المبدأ الذي يمثل صورةً من صور النزع الجبري للملكية.

إذن فليمــلك الفــرد المســلم مــا شــاء ، وقتما شاء بشرط التزامه بآداب المجــتمع، وحقه عليه ، وبمعنى آخر ، بشرط توافر المبادئ الثمانية[٢] التي تحكم وتنظم مبدأ الملكية الخاصة في شريعة الإسلام وهي : -

١- الانتفاع بالممتلكات :-

مبدأٌ أَرْسَت دعائمه شريعة الإسلام الخالدة يكفل العمل وزيادة الإنتاج وحُسْن الاستثمار، واستمرار التنمية ، وعدم ترك الممتلكات دون انتفاع بها فترة ، قال ﷺ:

---

(١) المغــني ، ابن قدامة ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وعبدالفتاح محمد الحلو، ط هجر للطباعة والنشــر ، القاهــرة ، الــثانية ، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م، ٤٣٥/٧، وانظر أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإســلامي فــي المجــتمع، د. عيســى عــبده ، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية ، الأولى ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م، ص٣٠٨.

(٢) انظر الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، م.أ . منان ، مصدر سابق ، ص٩٤. وما بعدها.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾[١]

فكـــل كسبٍ للمال عن طريق الغش والاحتيال إنما هو مندرج تحت الوصف نفســـه، وكـــم تضـــيع حقوق وتهدر ملكيات، وتُكنز أموال ، وتزيد فوارق ، وتعمُّ شحناء، وتولد بغضاء بسبب تطاولٍ أو بغيٍ أو غش أو كسب حرام، أو حيازةٍ غير مشـــروعة والقـــرآن يبني أخلاق المرء على ترك ما ليس له، مهما كان الحصول عليه ميسوراً ومتاحاً.

٦ـ الاستخدام المتوازن :

فلا تبذير ولا إقتار ، ولا تبديد ولا إهدار ، ولا مجون ولا سفه، ولا بطر ولا إســـراف، وإنمـــا كما قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾[٢]

فالســـفيه يُضْـــرب على يده، ويُحجر على ماله لأنه لا يحسن التَصرف فيه وبالمقابل إذا عمَّ الشُّحُّ أفراد المجتمع وسيطر عليهم البخل فعندها سيكنزون المال وسيمنعونه من حقه، وسيحجبون نفعه عن الغير وهذا مما يتعارض مع الاستخدام المتوازن.

٧ـ الفائدة المستحقة :ـ

فـــلا يكون المال والثراء والثروة والملكية الخاصة الفردية مهما بلغت سبباً في حصول صاحبها على ما لا يستحقه، أو وصوله إلى ما لا يستحقه، وإلا انهارت القيـــم وتهاوت المبادئ، وانعدمت المثل، وحلَّ محلها التفكير المادي الصِّرف الذي فيه يكون تقريب الشخص أو إبعاده ورفعه أو خفضه، وإكرامه أو إهانته على قدر مـــا يمـــلك ويحوز من مال، وتلك حياة يأباها الله ﷻ لعباده المسلمين ولا يرضاها لهـــم. وبـــالعكس يرضى لهم حياة المبدأ والقيمة والخلق الفاضل وبه يرحمهم قال تعـــالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

---

(١) النساء ٢٩/٤.

(٢) الإسراء ٢٩/١٧.

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

٨ـ الاهتمام بمصالح الأحياء:

فتُنفَّذ قوانين الميراث المشروعة والتي جاء بها القرآن الكريم دون النظر إلى أهواء صاحب المال إن كان ذا هوى وأراد أن يحرم صاحب حقٍ حقه، فيأخذ كلُّ ذي حق حقه، ليصبح له مطلق الحرية في التصرف فيه والتنعم به، فالحيّ أبقى، ومصلحته أولى، ومراعاتها أجدى.

وكم دبت من عداوات ، وتقطعت من صلات، ونشبت من حروب وخصومات، وحلَّ البعد محلَّ القرب، والعداوة محل الود، والحقد محل الرضا والصفاء بسبب مخالفة البعض لمنهج الله ﷻ فإذا بطعم الحياة يغدو مريراً، ووجهها يصبح كالحاً ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢)

وقفة مع البناء الاقتصادي

وبعد هذا العرض عن حث القرآن والإسلام للفرد المسلم على الكسب والسَّعي والتنمية والاستغناء إلا أنه تجدر الإشارة إلى عدة حقائق في هذا القرآن تعكس روعة منهجه في سائر شؤونه: -

الأولى : أن القرآن الكريم -مع هذا التشجيع- على التملك والغنى والثراء إلا أنه يجعل أساس التفاضل على قدر ما في القلوب لا ما في الجيوب، وعلى قدر التقوى والعمل لا على قدر المال المدَّخر. ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٣) ولا أوضح من إرساء الرسول ﷺ لهذا المبدأ الخالد ، والميزان العادل من هذه الرواية حيث "مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ قال: رجل من أشراف الناس،

---

(١) التوبة ٩/٧١.

(٢) النساء ٤/١٣ ، ١٤.

(٣) الحجرات ٤٩/١٣.

هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يُشفَّع. قال فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يشفَّع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا"(١) فهذا هو الميزان، وكل ميزان سواه مرفوض غير صحيح.

الثانية: أن القرآن لا يعترف بأهل الثراء الشرهين، أو كُنَّاز المال الجشعين ولو كانوا أثرى الأثرياء، كلا "إنما الثري الذي يعترف به هو الذي يستثمر ماله كلَّه لصالح المجتمع، وهو الذي ينفق ما زاد عن حاجته لصالح المجتمع مبتغياً في استثماره وإنفاقه وجه الله"(٢)

الثالثة: أن القرآن الكريم - وإن كان يدعو للإنفاق والعطاء، وتعدِّي النفع إلى الغير إلا أنه يفضِّل أن تكون الصدقة في الخفاء ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾(٣) وفي هذا مزيد إخلاص لله، ومزيد بعد عن دواعي الرياء وألاعيب النفس، وكذلك فيه حث للفقير على العمل والتَّحرُّك حتى لا يظل مقعداً على باب الصدقات السِّرية، فيرى سريتها حضاً له على الاكتفاء، إذ لو كان محموداً أن يمد الإنسان يده للناس لَمَا حُمدت سراً عنها جهراً.

الرابعة: أن القرآن ذمَّ المن والإيذاء مع الصدقة فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾(٤)

---

(١) رواه البخاري، وانظر الفتح، كتاب الرقائق، باب فضل الفقر، ج ١١ ص ٢٧٨ رقم ٦٤٤٧، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب فضل الفقراء، ج٢ ص١٣٧٩ رقم ٤١٢٠، وأحمد في مسنده، مسند الأنصار، ج٦ ص ١٩٦، رقم ٢٠٨٨٧.

(٢) الإسلام والمشكلة الاقتصادية، د. محمد شوقي الفنجري، مكتبة الأنجلو المصرية، الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص٨٩.

(٣) البقرة ٢/٢٧١.

(٤) البقرة ٢/٢٦٢، ٢٦٣.

وفـــي هذا الأدب أولا: كسر الشعور بالعجب يصيبُ المعطي والمنفق وتأديبٌ لـــه، ثانيـــاً: تذكيـــرٌ له أنه لا يعدو وسيطاً بين الله وخلقه، وأنَّ المال - وإن كان صـــاحبه هو الذي تعب فيه وجمعه وحافظ عليه- إلاَّ أنه مال الله قد استخلفه فيه، أمّا جمعه والتعب في استثماره وإنفاقه فسيجزيه عليه.

وبهذه التربية القرآنية فإنَّ أحداً لن يركن إلى ذكائه أو مهارته، ولن ينتشي بحســـن إدارته وتخطيطه وصفقاته ، ولن يشمخ أنفاً بعقله المدبر، ورأسه المفكر، فكـــم مـــن عـــاقل أريب يكدح ولا يحصل إلا على الكفاف، وكم من أحمقٍ سفيه - وبأقل جهد- ينصبُّ عليه فضل الله صباً.

قال سفيان بن عُيينة [١] - رحمه الله-

كـــمْ مـــن قـــويٍ قـــويٌّ في تقلُّبه ... مهـــذبُ الـــرأى عنه الرزقُ ينحرفُ

ومـــن ضـــعيفٍ ضعيفٌ العقل مختلطٌ ... كأنـــه مـــن خليجِ البحر يغترفُ[٢]

وهـــذا من مقاصد القرآن - في تربيته للنفس المؤمنة وهي تسعى وتعطي وتـــنفق فتزداد تواضعاً وإخباتاً أكثر من الطرف الآخر، بل يصل الأمر بالمعطي أنه يـــرى لـــلفقير عـــليه يداً حيث يراه سبباً في رضا مولاه، وطريقاً يحمل زاده إلى أخراه.

كـــان الفضـــيلُ بـــن عياض[٣] -رحمه الله- يقول : نعم السائلون يحملون أزوادنـــا إلى الآخـــرة بغير أجرة، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى"[٤] وكـــان إبـــراهيم بن أدهم إذا جاءه سائل يدخل إلى عياله ويقول لهم : "قد جاءكم رســـول المقابر ، فهل توجهون إلى موتاكم شيئاً من الصدقة"[٥] فأي منهجٍ أخلاقي

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٠

(٢) النظام الاقتصادي في القرآن د. محمد فريز منفيخي ، مصدر سابق، ص١٤٤.

(٣) الفضـــيل بـــن عيـــاض بـــن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي ، شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصـــلحاء، كـــان ثقة في الحديث، وأخذ عنه خلق منهم الشافعي، ولد بسمرقند - وجاء الكوفة كبيراً ثم سكن مكة وتوفى بها رحمه الله سنة سبع وثمانين ومئة للهجرة، انظر الأعلام ٣٦٠/٥.

(٤) نقلاً عن صلاح الأمة في علو الهمة ، د. سيد العفاني ، مصدر سابق ، ٦٢٢/٢.

(٥) نقلاً عن صلاح الأمة في علو الهمة ، د. سيد العفاني ، مصدر سابق ، ٦٢٢/٢.

يسمو بالنفس هذا السمو، ويجعل المعطي آخذا، واليد العليا كأنها هي اليد السفلى، إنه القرآن بتوجيهاته، والإسلام بتعليماته.

الخامسة: تصل التربية ذروتها عندما لا يترك الله ﷻ العلاقة بين الغني والفقير ثنائية، وإنما يدخل معهما ثالثاً ﷻ ليزيد قدْرَ المنفِق، ويجبر خاطر المنفَق عليه، فيقول : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]

وتلك معانٍ كفيلة بأن تُغري الشحيح بالإنفاق، والكسول بالنشاط الدفاق، والمتواني بالإسراع قبل الفراق، لينضمَّ إلى قافلة المنفقين ، بدلاً من أن يظل في دائرة المحتاجين السائلين.

السادسة: أن القرآن في مجال المال وكسبه والاستغناء وسبله، إنما يحرر العقول من فهمها السقيم فمن الناس من يُعرض عن العمل والسعي بدعوى التوكل على الله، وانتظار الرزق من السماء وهؤلاء خَطَّأهم الإسلامُ حيث أفهمهم القرآن أن التوكل لا يُنافي الأخذ بالأسباب حيث قام الرجلان اللذان أنعم الله عليهما من قوم موسى عليه السلام بنصْح قومهما وأمرهم بالشجاعة والمبادرة بدخول الباب على الأعداء ، ثم نصحاهم بالتوكل فقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] فجاء التوكل وتسليم الأمر لله ﷻ بعد استيفاء الأسباب من التحرك والإقدام والمسارعة، وحيث أمر الله مريم -عليها السلام- وهي النفساء المريضة بقوله : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [3] وكان الله قادراً على إطعامها بدون هذا ، لكنها الأسباب.

بل ومن الناس من يترك العمل بحجة التفرغ للعبادة، وما دَرَوْا أن معنى العبادة أشمل مما يفهمون ، وأوسع مما يتصورون وما فهموا حقيقة قوله ﴿ وَمَا

---

(١) البقرة : ٢/٢٤٥.

(٢) المائدة ٥/٢٣.

(٣) مريم ١٩/٢٥.

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [١] ولايمكن -بأية حال - أن يجتمع في قلب مسلم - قط - التوكل الصحيح ، ثم يترك الأسباب ويصبح كَلاًّ على الناس لا يأتي بخير.

قال ابن القيم -رحمه الله- : "أما الفهم للتوكل وترك الأسباب جملة فهذا أبعد شئ عن حال أولي التوكل حقا من الصحابة وسلف الأمة ، وأكمل المتوكلين بعدهم هو من اشتمَّ رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة أو لحق أثراً من غبارهم، فحال النبيِّ ﷺ وأصحابه مَحَكُّ الأحوال وميزانها. بها يُعلم صحيحها من سقيمها ، فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم مَن بعدهم، حيث إنَّ توكلهم كان في فتح بصائر القلوب وأن يُعْبَد الله في جميع البلاد ، وأن يوحده جميع العباد وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملؤوا بذلك التوكل القلوب هدىً وإيماناً وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان ، وهبَّت نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملأتها يقيناً وإيماناً ، فكانت همم الصحابة ﷺ أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شئ مما يُحَصَّلُ بأدنى حيلة وسعي فيجعله نُصْبَ عينيه"[٢] .

ومن الناس من يَدَعُ السعي استهانةً بالعمل وتحقيراً ، والإسلام يرفع قدره ويُعلي شأن أهله حيث قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٣] وقال ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[٤]

ومن الناس من يدع العمل والسعي والكسب استغناءً بالزكاة والصدقات والإسلام يريد المسلم أن يكون عزيزاً غير مهان، وقادراً غير عاجز، ومن هنا قال ﷺ لمن سألاه أن يعطيهما من الصدقة : " لاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب"[٥]

---

(١) الذاريات ٥٦/٥١.

(٢) مدارج السالكين - ابن القيم ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت - الأولى ، ١٣٩٢هـ ، ١٣٥/٢.

(٣) التوبة ١٠٥/٩.

(٤) النساء ١٠٠/٤.

(٥) رواه النسائي كتاب الزكاة ، باب مسألة القوى المكتسب ، ج٢ ص٥٤ رقم ٢٣٧٩ وأبو داود ، كتاب الزكاة ، باب من يعطي من الصدقة وحد الغنى ، ج٢ ص١٢١ رقم ١٦٣٣ ، وأحمد في مسنده ، مسند الأنصار ، ج٦ ص٤٩٧ رقم ٢٢٥٥٤.

فمـــا أعظـــم القرآن الكريم كتاباً، يكفل الكرامة والعزة لأهله، ومنهجاً يحقق الســـعادة والغـــنى لأصحابه، وطريقاً للحياة الهانئة في الدنيا والآخرة ، حياة فيها يســـتغني الفرد عن العباد بقدْرِ ما يحتاج ويفتقر إلى رب العباد، حياةٍ قويةٍ عزيزةٍ كريمةٍ لمسلمٍ قويٍ عزيزٍ كريم.

* * * * *

المبحث الثالث
البناء التنظيمي[١]

في حديث أم معبد[٢] جاء في صفته ﷺ : " كأن منطقه خرزاتُ نظمٍ يتحدَّرن، يعني أن كلامه ﷺ كان ينساب مرتَّباً كأنه خرزاتُ عقدٍ تنساب في سلاسة وترتيب، فلا يتأخر ما حقه التقديم، ولا يتقدم اللاحق على السابق، وإنما وضع كل في مكانه اللائق به"[٣]

وبتأمل حديث أم معبد في وصف كلامه ﷺ بأنه خرزات نظم تتحدر، وبما ذُكر في معاجم اللغة عن معناه من الاتساق والاستقامة حينئذ يمكن القول بأن النظام في الاصطلاح الأخلاقي هو: "ترتيب الفرد أو الجماعة الأمور ترتيباً يجعلها متناسقة، مؤتلفة، لا تناقض فيها ولا تنافر فيقدَّم ما حقه التقديم، ويتأخر ما ينبغي فيه التأخير، ولا يكون ذلك إلا باتباع منهج الشرع الحنيف"[٤]

القرآن الكريم والنظام :

الإسلام بجميع شرائعه دين نظام والقرآن الكريم كتاب يدعو إلى النظام والدقة والترتيب والتناسق وليس كتاب فوضى أو همجية أو عشوائية.

---

(١) النَّظم : التأليف ، يقال نَظَمَه نَظْماً ونظاماً ، ونظَّمه فانتظم وتنظَّم ، ويقال نظمت اللؤلؤ: أي جمعتُه في السِّلك وكلُّ شئٍ قرنته بآخر، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنَّظم -أيضا- نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد ، وفي المعجم الوسيط : النظام الترتيب والاتساق. انظر الصحاح ، الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، القاهرة ، الأولى ، ١٩٨٢م ، ٢٠٤١/٥ ومقاييس اللغة -ابن فارس ٥/ ٤٤٣ (مادة نظم) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ٧٩/٥، ولسان العرب ، ابن منظور ، ٥٧٩/٢، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط دار المعارف ، القاهرة ، الثانية ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، ٩٣٣/٢.

(٢) هي : أم معبد الخزاعية عاتكة بنت خالد أخت حبيش بن خالد مرَّ بها رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن عامر بن فهيرة ودليلهما عبدالله بن أريقط، فرأت رسول الله ﷺ ، وأخبرت زوجها عنه بما رأت ، انظر الإصابة ٤٩٧/٤ ، والاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش الإصابة لابن عبدالبر ٤٩٥/٤ ، ٤٩٦.

(٣) منال الطالب في شرح الغرائب ، ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، مكة المكرمة ، الأولى ، د.ت ص١٧٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد ومجموعة من المختصين، ط دار الوسيلة ، جدة ، الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٣٥٠٩/٨.

لقد نزل بنظام، وتلقاه الرسول ﷺ بنظام وتولى مباشرة دوره في الحياة بنظام وآياته تثبت هذا وتشير إليه، وترغب فيه وتحض عليه، بل وتحتمه وتربي المسلمين جميعاً عليه. وكم من الآيات الكريمة في ثنايا القرآن العظيم قد تضمنت الدعوة إلى النظام في شتى ميادين الحياة وفي سائر شؤون الإنسان ومن ذلك - على سبيل المثال:-

١- في مواقيت الصلاة وهي ركيزة هذا الدين وعموده : - قال تعالى:

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[١]

نظام وانضباط ودقة وترتيب في أداء الصلوات الخمس ، وإذا انتظم المسلم في أداء الصلوات الخمس سينتظم فيما بينهن من سائر أعماله، وجميع أحواله، لأن الصلوات وترتيبها وتوزيعها على أوقات اليوم بنسقٍ معين ستساعده على الالتزام والانضباط فيما سواها، فبعد صلاة الصبح سعيٌ وحركة، وبعد صلاة الظهر قسط من الراحة في فترة القيلولة، وبعد صلاة العشاء تبكير بالنوم إلاّ لضرورة، حتى يستطيع أن يقوم ليلته ويواصل في الصباح الباكر حركته.

٢- في الدخول إلى الصلاة : حدث أنس[٢] ﷺ قال : " قال ﷺ: سوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة"[٣] تهيئة ونظام ، واتساقٌ وتلاحم، وتسوية وتلاصق فلا مجال لفوضى، ولا مكان لعشوائية، فكما أن النظام ينتظم الحياة كلها خارج الصلاة، فلينتظمها وليشملها -أيضا- عند لحظة الدخول للصلاة ولهذا ماله من آثار على خشوع القلب ووحدة المشاعر، وشعور القوة، والتآلف والتقارب الذي

---

(١) النساء ١٠٣/٤.

(٢) هو أنس بن مالك بن النَّضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري خادم رسول الله ﷺ نزيل البصرة ، شهد مع رسول الله ﷺ الحديبية وعمرته والحج والفتح وحُنيناً والطائف وخيبر توفى سنة تسعين واثنتين للهجرة ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٩١/١ ، ١٩٢

(٣) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، ج١ ص١٧٧ رقم ٦٦٨ وابن ماجه ، كتاب الصلاة ، باب إقامة الصفوف ، ج١ ص٣١٧ ، رقم ٩٩٣ ، وأحمد في مسنده ، باقي مسند المكثرين ، ج٤ ص١٧ رقم ١٢٤٠٢.

يشد أزر المسلم، وتلك من حكم الصلاة في الجماعة، أن يشعر بالجماعة، وبمكانه فيها، ووجودها حوله واتساقه معها وانسجامه مع جميع أفرادها.

٣ـ في صلاة الخوف : قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾[١]

وهنا نظام دقيق يبدو لكل ناظر في جنبات المشهد ، وليس هنا مكان لارتجال أو تخبط أبدا فالتقسيم والطريقة والهيئة والكيفية والتتابع وكذلك الحكمة، كل ذلك بنظام متقن وأسلوب بديع وفريد، يتعلمه المسلم في سائر جوانب حياته وهو يجد القرآن الكريم يفرضه في ساح القتال حيث الأهوال والرعب والفزع والخوف والهلع ، حيث الحركة والكرّ والفرّ وبذل المهج والأرواح، فكيف بباقي جوانب الحياة الأخرى، أو ليست أولى بالنظام والدقة والترتيب؟! وأمة لديها كتاب عظيم كالقرآن ينظم صلاتها وهيئتها في ساح الوغى لجديرةٌ أن تنظم نفسها في سائر أمورها.

٤ـ الإعداد لمجابهة للكفار : قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢]

وضع القرآن الكريم للمسلمين نظاماً في الإعداد والمجاهدة واستنفاد الوسائل الممكنة والأسباب المتاحة، بمنهجية عجيبة، فالإعداد والبذل، والعمل الدؤوب، والتضحية بالغالي والنفيس وفق نظام معين ، وخطةٍ معينة، وعبر زمنٍ معين ، لتحقيق هدفٍ معين كل ذلك من دروس القرآن الكريم للمسلم حتى يفهم طبيعة هذا الدين، وأنه لابد من العطاء والتضحيات وأن النتائج والأهداف فيه لا تتحقق حَسْبَ الأماني والتصورات، وإنما حسب المقدمات والأسباب، وكلٌ بقدر الله ﷻ فلا تكفي العواطف الفائرة، ولا الأمنيات الوردية لدحر عدوٍ، أو تحرير

---

(١) النساء ١٠٢/٤.

(٢) الأنفال ٦٠/٨.

مقدسات، أو استرداد حقوق، أو دفع ظلم بل ربما "اجتمع بعض فتية متحمسين إلى أمثالهم فيتشاكون ويتألمون لما انتهى إليه حال المسلمين فيؤلفون من أنفسهم جماعة لإصلاح ما فسد، وبناء ما انهدم، وهنا يتمنون ويسرفون في التمني، ويحلمون فيغرقون في أحلام اليقظة، ويظنون أنهم بين عشية وضحاها يقيمون دولة الإسلام في الأرض ذاهلين عن العوائق والعقبات وما أكثرها، مضخمين ما معهم من إمكانيات وما أقلّها كالرجل الذي جاء لابن سيرين[١] -رحمه الله- فقال : إني رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح ما تعبير رؤياي؟ قال: إنك رجل كثير الأماني والأحلام"[٢]

وهذا كله لا يمنع أن الله على كل شئ قدير، وأنه لو شاء لانتصر منهم، وأنه ينزل ملائكته وما يعلم جنوده إلا هو، وإنما هذه طبيعة هذا الدين لابد من الأسباب والتضحيات والرسول محمد ﷺ عندما أراد الهجرة كان الله عز وجل قادراً أن ينقله مباشرة إلى مهاجره، كما نقله إلى بيت المقدس في رحلة الإسراء ، أو كان الله ﷻ قادراً أن ينصره في مكة ويفتح قلوب أهلها للإسلام كما فتح له قلوب أهل يثرب، وإنما هذه معالم ودروس ستبقى للمسلمين إلى قيام الساعة فالرسول ينظم ويخطط ويبيّت ،.ويخرج سراً وليلاً ويعيّن من ينام في فراشه، ومن يأتيه بالأخبار، ومن يخفي معالم الأقدام بسَيْر الأغنام، ومن تحمل الزاد ويغير الطريقة ويختفي حتى يخفَّ الطلب، أيُّ نظام هذا وهو النبي المرسل المعصوم المنصور المؤيد من ربه، ويوم يظن المسلمون أنهم منصورون على أعدائهم بغير طريقة نبيهم من العمل والإعداد والتجرد والإخلاص فإنهم واهمون وقد أضاعوا أوقاتهم ، وأهدروا جهودهم وأسرفوا في أمانيهم.

٥ـ بين يدي القتال : قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ

---

(١) هو محمد بن سيرين الأنصاري ، أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، روى له أصحاب الكتب الستة ، وهو من الثقات الأثبات ، توفي سنة عشر ومئة للهجرة ، انظر طبقات ابن سعد ١٩٣/٧ ،.وتهذيب الكمال ٣٤٤/٢٥ .

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. القرضاوي ، ط دار الشروق ، القاهرة ، وبيروت ، الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص١٩٢.

لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] فتحديد المواقع، وتعيين المراكز بنظام ودقة متناهية بارز في الآية غير خاف.

٦ـ **في القتال نفسه** : قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [٢] والمسلم يحبُّ ما يحبه الله وهو التلاحم والتراص والنظام لما فيه من قوة وشد أزر، وإرهاب عدو، وأيضاً تصعيب لمهمتهم ، فالمسلم بتواجده بين إخوانه يتصل بقوتهم ويتلاحم معهم أقوى وأفضل من تواجده وحده أو بعيداً حيث تسهل إصابته والنَّيْلُ منه، ومن البدهي "أن نقل حجرٍ من مكان إلى مكان ودحرجته شئ سهل مهما كان الحجر كبيرا ، ولكنَّ رفع الحجر من بناء متراص يحتاج إلى أضعاف أضعاف ما يحتاجه الأول، وهذه نقطة ينبغي أن نفهمها وأن نكون يداً واحدة في المعركة في سبيل الله فلا يخذل بعضنا بعضا، ولا يتخلى بعضنا عن بعض، ولا نختلف ولا نتنازع"[٣] .

ومن هنا يدرك المسلم أن للنظام ثماراً وفوائد تعود بالخير على الصف المسلم، بل وتحمي المسلم نفسه من غوائل الأعداء ، وتصدُّ عنه رياح الخطر وعواصف الاجتياح، وتجعله في حالة تماسك مستمر مع بقية الجسد في الأمة المسلمة، بل ويفهم المسلم حكمة تأكيد القرآن الكريم على النظام في سائر شئون الحياة. ويفهم أيضاً النظرة الصائبة التي عناها رسول الله ﷺ عندما قال : "إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"[٤] .

٧ـ **في الآداب** : قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٥] فتولي التأديب وفق نظام، وممارسة التربية وفق

---

(١) آل عمران ١٢١/٣.

(٢) الصف ٤/٦١.

(٣) جند الله ثقافة وأخلاقاً ، سعيد حوى ، ط دار السلام ، القاهرة ، الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص٢٤٥.

(٤) رواه النسائي ، كتاب الإمامة والجماعة ، باب التشديد في ترك الجماعة، ج١ ص٢٩٦ رقم ٩٢٠ وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في التشديد في ترك الجماعة ج١ ص١٤٨ رقم ٥٤٧ وأحمد في مسنده، مسند القبائل ، ج٧ ص٥٩٩، رقم ٢٦٩٦٨.

(٥) النور ٥٩/٢٤

خطـــة، ومتابعتها بدقة، والمحاسبة عليها والمؤاخذة على الإخلال بها بميقات، إنها مظـــلة مـــن النظام الدقيق البديع الذي يشمل الحياة بجميع أنفاسها وتكتنف المسلم في منزله وخارجه، في نفسه وأسرته ، في إخوانه وجماعته في سلمه وحربه.

٨ـ في الدعوة إلى الله تعالى :

فمـــن ناحيـــة المـــراحل فمرحلةٌ سرية ومرحلة جهرية، ومن ناحية الكيفية فـــتدرج ونظام وانتقال من أسلوب إلى آخر بعد استيفاء مرحلته، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١].

وبمـــن نـــبدأ وكيف نتدرج؟ وما ترتيب الوسائل والسبل والأساليب المتبعة؟ وكيـــف يواجه كل موقف بما يناسبه؟ وما يصح مع حديثي العهد بالإسلام غير ما يصـــح مـــع السابقين فيه، وما يصح مع أهل البادية لا يصح مع أهل الحضر، وما يناسب أهل العلم لا يتناسب مع البسطاء الأميين، وما يناسب المسلم لا يتناسب مع كافـــر أو ذمـــي ، كل هذا لابد من فهمه واتباع النظام الدقيق الذي أرسى قواعده القرآن العظيم بمنهجية متفردة، وطبَّق أسسه النبيُّ ﷺ وأصحابه النجباء ﷺ.

وكـــثيراً مـــا أدت الفوضى وترك الترتيب المرحلي إلى نتائج عكسية، فنفر المدعـــوون، وفشلت الدعوة، وتولَّى الناس عنها، ويوم توجه الدعوة وفق النظام المـــنطقي فالأصـــول قـــبل الفـــروع، والواجـــبات قـــبل النوافل، والمحرمات قبل المكـــروهات، والمتفق عليه قبل المختلف فيه، عندها يتقبل المدعو الدعوة، لأنها ســـارت مـــع مـــا يقره المنطق، ويقبله العقل. فقُدِّم ما حقه التقديم، وأُخر ما حقه التأخير وطُرِح الأهم فالمهم.

قال السعدي[٢] في تفسير ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ.... الآية ﴾ [٣] : "ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصـــالح بالحكمـــة، أي كل أحد حسب حاله، وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل ، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما

---

(١) النحل ١٦/١٢٥.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٢.

(٣) النحل ١٦/١٢٥.

يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[١] نظام دقيق حساس يتطلب من الداعية أن يكون فاهماً له، متدرباً عليه، خبيراً به، حتى يستطيع أن يقوم بدور الطبيب الذي يعرف ما يقرره وما قدره، وما توقيته.

وقفة مع منهجية القرآن الكريم في البناء التنظيمي

ومما سبق ، تتضح حقائق كثيرة منها :

١- أن القرآن الكريم كتاب نظام، تعاليمه بنظام، وتوجيهاته بنظام ووفق نظام محدد.

٢- أن القرآن الكريم نزل ليقيم أمة على نظام ، ويربي فرداً وفق نظام، ووعد بالنصر وفق نظام ورتب النتائج على المقدمات تبعاً لنظام وطالب المسلم بالنظام ورتب نجاحه على النظام.

٣- أن القرآن الكريم -ولكي يحقق في الفرد الشخصية المنظمة المرتبة المنضبطة- فتح عين المسلم على كونٍ منظم، فالشمس في شروقها وغروبها، والقمر في طلوعه وأفوله، والليل في ظلمته ودجاه، والنهار في إشراقته وضحاه، كل ذلك بنظام ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢] .

٤- والقرآن الكريم -ولكي يحقق في الفرد الشخصية المنظمة المرتبة المنضبطة- فتح عينه على التدرج في كل شئ، والترتيب في كل شئ والمرحلية في كل شئ في التشريع، في الدعوة في الجهاد، بل حتى في الحياة والأحياء " فالطفل ينزل من بطن أمه وليداً ، فرضيعاً، ففطيماً ، فيافعاً ، حتى يبلغ أشده ، وهكذا تتدرج الحياة في كل صورها من مرحلة إلى مرحلة، حتى تكتمل وكذلك بدأ دينُنا أول ما بدأ عقيدة سهلة، ثم أنزل الله التكاليف شيئاً فشيئاً ، وفرض الفرائض وحرَّم المحرمات، وفصَّل الشرائع، بالتدرج حتى كمل البناء، وتمت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن آل سعدي ، مصدر سابق، ٤/٢٥٤.

(٢) يس ٣٦/٤٠.

الـــنعم"[١]. وبذلـــك يقـــف المسلم على جانب آخر من جوانب العظمة في هذا القـــرآن وهـــو الجـــانب التنظيمي وكيف أرشدت إليه الآيات البينات، والسور النيِّرات، حتى يتصف المسلم بالنظام في جميع الأحوال وسائر الأوقات.

٥- جميـــع صـــور الفوضى في حياة المسلم في عمله أو مواعيده ، أو التزاماته، وكل صور العشوائية التي تبدو في حياته، إنما هي دليل صارخ على البعد عن القـــرآن روحـــاً ومعنى وفهماً وتطبيقا بل جميع صور الفوضى في الحياة دليل عـــلى الفوضى في نفس الإنسان، فالذي لا يستطيع أن يلغي الفوضى في نفسه ويحلَّ محلَّها النظام لعاجزٌ عن إلغاء الفوضى فيما حوله وإحلال النظام.

* * * * *

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، د. القرضاوي ، مصدر سابق ، ص١٩٢.

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم في بناء علاقات الفرد

توطئة

المبحث الأول : العلاقة مع الله

المبحث الثاني : العلاقة مع إخوانه المسلمين.

المبحث الثالث : العلاقة مع غير المسلمين.

توطـــئة

هـــناك علاقـــات[١] تـــنظم حياة الناس وتحكمها داخل المجتمع، والمقصود بالعلاقـــة فـــي هـــذه الدراسة المحاور المنظمة لتعامل الفرد المسلم مع ربه ومع الجماعة المسلمة ثم مع غيره من غير المسلمين.

وكمـــا أن القـــرآن وحيُ الله المنزل، ودستوره المطهر، وكما أنه لم يغادر شيئاً إلا بينه ولا شأناً إلا وضحه، فقد وضع الأسس التي تقوم عليها علاقات الفرد المســـلم بأســـلوب محدَّد للتعامل ، وشكل معين للعلاقة حتى لا يتخبط الفرد ويكون عرضـــة لـــلزيغ والضـــلال، والمســـلم مع من يتعامل؟ إمَّا مع ربه، أو مع أفراد جماعـــته، أو مـــع غيرهم من غير المسلمين وفي كلٍ هو متعاملٌ مع ربه حتى في تعاملـــه مـــع غيره، ما دام ربانيَّ المنهج، وبطبيعة الحياة لا غنى للمسلم عن ربه فلابـــد من معرفة أصول هذه العلاقة، وهو فرد في جماعة فحتماً يتعامل معها أخذاً وعطـــاءً ، وســـلباً وإيجابـــاً، وكذلك هو يتعامل مع غير المسلم يخالطه ويجاوره، ويســـتخدمه، ومـــا كـــانت شريعة الإسلام لتترك الفرد المسلم يتخبط دون بصيرة، فوضـــعت أســـساً وضـــوابط تبني عليها هذه العلاقات وهي لبنات قوية في البناء الاجتماعي للفرد المسلم والتي اتخذتها الدراسة موضوعاً لها.

وفـــي ثلاثة مباحث يتحدث الأول عن علاقة الفرد بربه، والثاني عن علاقته بغيره من أفراد جماعته المؤمنة ، والثالث يتحدث عن علاقته بغير المسلمين، وما على المسلم إلا الاتباع والانصياع لهذا الهدي الرباني والعمل بهذا التشريع القرآني ، وصـــدق الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٢] لتســـتقيم حياته على الإيمان ، وتصطبغ بصبغة القرآن.

* * * * *

---

(١) العلق : التشبث بالشئ، واعتلقه : أي أحبه، والعلاقة : الهوى والحب اللازم للقلب، ومادة: العين واللام والقـــاف أصـــل كبير يرجع إلى معنىً واحد وهو أن يناط الشيء بالشيء ، انظر مفردات القرآن للراغب ص٥٧٩، ولسان العرب لابن منظور ٢٦٢/١٠، ومعجم المقاييس لابن فارس ١٢٥/٤، مادة (علق).

(٢) البقرة ٢٠٨/٢.

المبحث الأول

العلاقة بالله ﷻ

وتقوم هذه العلاقة على ثلاثة أسس وهي : الإيمان والمحبة والخوف، فإنه إذا آمن صدق، وإذا أحب أطاع، وإذا خاف انتهى.

أ- الإيمان[١]

مئات الآيات -بلا مبالغة- قد جاءت تذكر الإيمان ومشتقاته، وتجنباً للإطالة -غير المرغوبة- يُكتفى -هنا- بذكر الآيات التي ذكر فيها كلمة الإيمان دون المشتقات الأخر.

١- قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢]

٢- قال تعالى : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾[٣]

٣- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[٤]

٤- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾[٥]

٥- قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾[٦]

٦- قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾[٧]

٧- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٨]

---

(١) انظر الإيمان ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه ، د/ محمد نعيم ياسين ، الأولى د.ت ص١٥ وما بعدها

(٢) البقرة /١٠٨.

(٣) آل عمران ١٦٧/٣.

(٤) آل عمران ١٧٣/٣.

(٥) آل عمران ١٧٧/٣.

(٦) آل عمران ١٩٣/٣.

(٧) المائدة ٥/٥.

(٨) الأنفال ٢/٨..

٨- **قال تعالى** : ﴿ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾[١]

٩- **قال تعالى** : ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٢]

١٠- **قال تعالى** : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[٣] **وآيات سوى ذلك**[٤]

معنى الإيمان : -

الإيمان يقين بلا ارتياب، وتصديق بلا شك، وإذعان لا تخالطه وسوسة وهو ما يميز أهله عن سواهم من أصحاب الآراء والفلسفات والمذاهب. وتتجلى صور الإيمان الوضيئة في تصديق خبر الغيب الذي جاء به القرآن والسنة تصديقاً لا يطرأ عليه ما يطعن فيه أو يعكره.

حيث يحصر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- معنى الإيمان في التصديق بالغيب الذي لم يقع ، كما قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٥] **فقال -رحمه الله- " والإيمان ليس مرادفاً للتصديق في المعنى، فإن كلَّ مُخبرٍ عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت كما يقال : كذبت، فمن قال السماء فوقنا. قيل له: صدق، كما يقال : كذب وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، ولم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال : آمناه كما يقال: صدَّقناه، فإن الإيمان مشتق من الأمن ، فإنما يستعمل فيما يستأمن عليه المخبر كالأمر الغائب ولهذا لم يوجد قط في القرآن**

---

(١) التوبة ٢٣/٩.

(٢) التوبة ١٢٤/٩.

(٣) النحل ١٠٦/١٦.

(٤) انظر الروم ٥٦/٣٠ ، الأحزاب ٢٢/٣٣ ، غافر ١٠/٤٠ ، الشورى ٥٢/٤٢ ، الفتح ٤/٤٨ ، الحجرات، ٧/٤٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، الطور ٢١/٥٢ ، المجادلة ٢٢/٥٨ ، الحشر ٩/٥٩ ، ١٠ ، والمدثر ٣١/٧٤.

(٥) البقرة ١/٢-٣.

الكريم وغيره لفظ آمن له إلا في هذا النوع"[١] .

لذلك قال ﷻ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[٢] أي صدَّقه فيما جاء به وأخبر عنه. والإيمان المطالب به الفرد المسلم هو الذي يدخله في الأمانة التي حملها وتحمَّلها ورضي بها حتى يوفيها ويؤديها كاملةً أحسن ما يكون الأداء دون تضييع أو إهدار أو تفريط أو غفلة، مصدقاً بقلبه ما ينطقه لسانه "فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدَّق لسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق" [٣].

فالإيمان تصديق ومطابقة، وما سمَّى الله ﷻ نفسه المؤمن إلا أنه ﷻ يَصْدُقُ عباده ما يعدهم به من الفضل والمثوبة فيرونه واقعاً مُنالاً مضموناً مادام الله تعالى هو الذي أخبر عنه.

قال ابن الأثير[٤] -رحمه الله- : "في أسماء الله ﷻ المؤمن وهو الذي يصدق عباده وعده فهو من الإيمان والتصديق، أو يؤمنهم في القيامة عذابه، فهو من الأمان ضد الخوف" [٥] والحقيقة أن الأمانة التي حملها الإنسان تتطلب النية الإيمانية التي يستقر فيها الإيمان كمعتقدٍ باطنيٍ ثم يترجم عنه لسانه وتصدقه الجوارح شاهدةً بصدقه أو بكذبه، فإذا ما خالف القول العمل فقد ضيَّع صاحبه الأمانة، وإذا نقص العمل عن القول فقد بخس هذه الأمانة، أمّا إذا صدق اللسان ما

---

(١) الإيمان ، ابن تيمية ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، الثالثة ، ١٤٠١هـ ص٢٧٦ وانظر الإيمان الأوسط لابن تيمية ، توزيع مكتبة الفرقان ومكتبة الإيمان ، د.ت الأولى ، ص٧١.

(٢) العنكبوت ٢٦/٢٩.

(٣) نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد عبدالله الوهيبي، رسالة دكتوراه منشورة ، ط دار المسلم بالرياض، الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٣٢ ، ٣٣.

(٤) مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن محمد الشيباني الجزري ، ولد سنة ٥٤٤هـ بجزيرة ابن عمر، بلدة فوق الموصل، وقد جمع بين علم العربية والقرآن والحديث والفقه وصنف تصانيف مفيدة من أشهرها : جامع الأصول ، والنهاية في غريب الحديث، توفي بالموصل سنة ستٍ وستمائة للهجرة، انظر مقدمة جامع الأصول للشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، مصدر سابق ، ٦٩/١-٧١.

فـــي القـــلب ، ثم صدَّق العمل ماجرى على اللسان فهو الأمين الذي حمل الأمانة، وأداها خير الأداء وقام بها خيرالقيام.

قـــال الـــزجّاج : "أمـــا قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾[١] والـــذي عـــندي فيـــه أن الأمانـــة ههنا النيَّة التي يعـــتقدها الإنســـان فيما يظهره باللسان من الإيمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهـــر، لأن الله ﷻ ائتمـــنه عليها، ولم يُظهر عليها أحداً من خلقه، فمن أضمر التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها"[٢] .

لذلـــك فلا عجب أن يقترن الإيمان بالعمل الصالح الذي يتبع الإيمان بالله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٣] .

فالإيمان بلا عمل روح بلا جسد، وعمل بلا إيمان جسد بلا روح، وإيمان بلا عمل مشلول، وعمل بلا إيمان غير مقبول وفي الإدراك والتصور غير معقول، لذلك ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان الشرعي هو اعتقاد وقول وعمل، بل "واتفق الصـــحابة والـــتابعون فمـــن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان وقـــالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة وإذا كان الإيمان قولاً وعملاً ونية فمعلومٌ أن أحدها لا يعوض الآخر ولا ينوب عنه.

وذكر الإمام اللالكائي[٤] عن الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتابه الأم قوله: "الإجمـــاع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركنا أن الإيمان قول وعمل ونية

---

(١) الأحزاب ٧٢/٣٣.

(٢) لسان العرب ، ابن منظور، ، مصدر سابق ، ٢٤/١٣.

(٣) العصر ، ١٠٣/١-٣.

(٤) أبـــو القاســـم ، هـــبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، درس فقه الشافعي على أبي حامد الاســـفرائيني وروى عنه الخطيب البغدادي وغيره، له مصنفات من أشهرها ، شرح اعتقاد أهل السنة، وهـــو من أجمع الكتب في عرض أحوال أهل السنة والآثار عن السلف في ذلك، توفى سنة ثمان عشرة وأربعمائة، انظر سير أعلام النبلاء، ٤١٩/١٧، وتاريخ بغداد ٧٠/١٤.

لا يجزي واحد من الثلاثة عن الآخر"[١].

والإيمـــان المطلوب من المسلم هو ذلك الذي يمتلئ به قلبه عزةً وقوةً تشد مـــن أزره، حيـــث يشـــعر أنه ينتسب إلى جَنابٍ رفيع، ويشعر براحة تملأ وجدانه وتكتنف ضميره، ويشعر بسعادة ربما لا يستطيع وصفها وإن شعرها، ويشعر بأنه الأعـــلى والأقوى والأعز، بل يُرى أثر الإيمان وبصمته على سائر حياته، فهو نقيُّ الصدر، طاهر النفس، كريم الخلق، عفُّ اليد، وهو كبير الإرادة شديد العزمة، وهو -أيضاً- الصادق الأمين كما أنه الشجاع الجسور، "وليس المقصود بالإيمان -هنا- مجـــرد المعـــرفة الذهـــنية التي لا تنفذ أشعتها إلى القلب فتضيئه، ولا إلى الإرادة فتحركها، ولاهو مجرد حشو الذاكرة بعباراتٍ ومصطلحاتٍ عن معاني الرب والإله ، والديـــن والعبادة، والتوحيد وأقسامه، والامتلاء عجباً وغروراً أن هذا هو الإيمان ومحـــض اليقين ، وشغل الآخرين بمعارك جدلية حول هذه الألفاظ -على أهميتها- فـــإن هذا لن يُنشئ إيماناً كإيمان سحرة فرعون حين آمنوا برب هارون وموسى، ولا كإيمان الصحابة حين صدقوا برسالة محمد ﷺ"[٢].

فالإيمـــان إذا خالطت بشاشته القلوب تغيرت، وتغيرت -تبعا لها- الجوارح والسلوك والفكر والتصور والعمل والتعامل وسائر الأحوال ، وهذا هو فعل الإيمان وأثره.

فليس الإيمان مجرَّد كلامٍ أو تعريفات إنشائية، أو حركات تعبدية، أو معارف ذهـــنية ليـــس لها رصيد من الواقع، وإنما هناك هوة سحيقة بين ما بداخل النفس وما بخارجها فلا تطابق ولا تماثل وإنما انفصام وازدواجية.

أمـــا الإيمان الحق فإنه " هو الذي تشرق شمسه على جوانب النفس كلها، فتـــنفذ إليهـــا أشـــعتها حامـــلة الضوء والحرارة والحياة، فتنفذ إلى العقل فتقنعه، وتطمئـــنه، وإلى القلب فتهزه وتحركه، وإلى الإرادة فتدفعها وتوجهها ، وإذا اقتنع

---

(١) شـــرح أصـــول اعتقاد أهل السنة - اللالكائي، تحقيق د. أحمد حمدان ، ط دار طيبة ، الرياض ، الأولى، د.ت ٨٨٦/٥.

(٢) أولويات الحركة الإسلامية - د.يوسف القرضاوي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثالثة عشرة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ص٧٩.

العقل وتحرك القلب، واتجهت الإرادة، استجابت الجوارح، واندفعت للعمل استجابة الرعية للراعي المطاع"[١] .

المسلم والذنوب :

خلق الله ﷻ الناس لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، ونهاهم عن مخالفته ومعصيته وجعل أكبر الذنوب يقعون فيها: الشرك به فقال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [٢] وأخبر عمن أشرك به ﷻ أنه انقطعت به الأسباب وتنكرت له الدنيا بأسرها، وأصبح متخبطاً في غياهب شركه ومتاهات ضلاله بلا دليل ولا مرشد فقال : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٣].

وبيَّن ﷻ عاقبة الشرك الكالحة في الدار الأخرى، وما ينتظر صاحبه من سوء العذاب والنكال لبشاعة ما أتاه وفظاعة ما ارتكبه فقال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٤] فإذا عرف العبد خطورة الشرك كما بيَّنتْها الآيات، وأسلم وجهه لله ﷻ ودخل هذا الدين الذي لا يقبل الله غيره، ولا ينجي بسواه ، ولا يرضى إلا به ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[٥] بقيت -بعد ذلك - الذنوب الأخرى في حق المسلم والتي تصنف إلى صغائر وكبائر فيما أجمع عليه سلف الأمة -رحمهم الله-.

قال ابن القيم -رحمه الله- : "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص

---

(١) الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، السابعة عشرة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص١٨.

(٢) الزمر ٦٥/٣٩.

(٣) الحج ٣١/٢٢.

(٤) المائدة ٧٢/٥.

(٥) آل عمران ٨٥/٣.

القرآن والسُنة وإجماع السلف وبالاعتبار"[١] والأدلة على هذا التقسيم متضمنة في كتاب الله ﷻ ومنها:

١- قولـــه تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[٢] .

قـــال الإمـــام القرطبي[٣] -رحمه الله- :"لما نهى الله تعالى في هذه السورة عـــن آثـــام هي كبائر، وَعَدَ على اجتنابها التخفيف من الصغائر، ودلّ هذا على أن الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء"[٤] .

وقـــال الإمـــام الشوكاني[٥] - رحمه الله- : " أي : إن تجتنبوا الكبائر التي نهاكم عنها نكفر عنكم سيئاتكم التي هي الصغائر، وحَمْلُ السيئات على الصغائر - هنا- متعين لذكر الكبائر قبلها، وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات"[٦] .

٢- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾[٧] فاختلف السلف في معنى اللمم على قولين مشهورين: -

قـــال ابـــن القيـــم -رحمـــه الله- : "فأمـــا الـــلمم فقـــد رُوي عن جماعة مـــن الســـلف أنـــه الإلمـــام بـــالذنب مـــرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيرا، قال

---

(١) مـــدارج الســـالكين بيـــن منازل إياك نعبد وإياك نستعين - لابن القيم ، مصدر سابق، ٣٤٢/١، وانظر الجـــواب الكـــافي ، ابـــن القيـــم تحقيـــق عبيدالله بن عالية، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت، الثانية، ١٤١٠هـــ ص١٨٦.

(٢) النساء ٣١/٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ، مصدر سابق ، ١٨٥/٥.

(٥) محمـــد بـــن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني - فقيه مجتهد من كبار علماء الدين من صنعاء، ولي قضـــاءها ســـنة تســـع وعشرين ومائتين وألف، له نيل الأوطار ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، توفي -رحمه الله- سنة خمسين ومائتين وألف، انظر الأعلام ١٩٠/٧

(٦) فـــتح القديـــر - للشـــوكاني ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م، ٧٣٢/١.

(٧) النجم ٣٢/٥٣.

البغوي[١] : هذا قول أبي هريرة ومجاهد والحسن[٢] ورواية عطاء عن ابن عباس، والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وهو أصح الروايتين عن ابن عباس كما في صحيح البخاري من حديث طاووس[٣] عنه، قال : ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ : "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"[٤] إلى أن قال -رحمه الله- : قول الجمهور أن اللمم صغائر الذنوب كالنظرة والغمزة والقُبلة ونحو ذلك ، هذا قول جمهور الصحابة ومن بَعْدَهم، وهو قول أبي هريرة وابن عباس في الرواية الأخرى : "إنه يلم بالكبيرة ثم لا يعود إليها" فإن اللمم إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين كما قال الثعالبي[٥]، أو أن أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرةً واحدة ولم يصرَّ عليها بل حصلت له فلتة في عمره باللمم، ورأيا أنها إنما تتغلظ وتكبر وتعظم في حق من تكررت منه مرات عديدة وهذا من

---

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أو ابن الفراء ، أبو محمد ، يلقب بمحيي السنة، البغوي ، فقيه ، محدث ، مفسر ، نسبه إلى (بغا) من قرى خراسان ، له التهذيب في فقه الشافعية ، وشرح السنة في الحديث ، ومعالم التنزيل في التفسير ، و غير ذلك ، توفي -رحمه الله- سنة عشر وخمسمائة للهجرة، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مصدر سابق ، ١٩/٤٣٩-٤٤٣ ، وانظر شذرات الذهب، لابن العماد ٤/٤٨ ، ٤٩ ، والأعلام ، الزركلي ، ٢/٢٨٤.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن ، يسار البصري، أبو سعيد مولى الأنصار وأمّه خَيرة، مولاة أم سلمة -رضي الله عنها- قال عنه أنس بن مالك : سلُوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا، وكان كأنما جاء من الآخرة فهو يخبر عما رأى وعاين، انظر تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، مصدر سابق، ١/٣٨٨-٣٩١.

(٣) هو طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبدالرحمن الحميري ، روى عن أبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم بالإضافة إلى العبادلة الأربعة ، قال ابن عباس : إني لأظن طاووساً من أهل الجنة، كان أعف الناس ، توفي سنة ست ومئة للهجرة. انظر تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، سابق ، ٢/٢٣٥ ، ٢٣٦ ، والأعلام للزركلي ، ٣/٣٢٢.

(٤) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الاستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج ، ج١١ ص٢٨ رقم ٦٢٤، ومسلم ، كتاب القدر ، باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا ، ج٤ ص٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٧.

(٥) هو عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد ، مفسر من أعيان الجزائر، زار تونس والشرق ، من كتبه: الجواهر الحسان في تفسير القرآن أربعة مجلدات، والأنوار في المعجزات النبوية، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، وغيرها كثير ، ت سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة، الأعلام ٤/١٠٧ ، وانظر الخزانة التيمورية ٣/٥٢، والمكتبة الأزهرية ١/٢١٨ وهدية العارفين ١/٥٣.

فقــه الصــحابة ﷺ وغــور علومهم ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والــثلاث، وإنمــا يُخــاف العنت على من اتخذ الذنوب عادته وتكررت منه مراراً عديدة"[١] .

٣- قــول النــبي ﷺ : "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"[٢].

قال النووي[٣] -رحمه الله- : "وتنقسم -أي المعاصي- باعتبار ذلك إلى ما تكفــره الصــلوات الخمس أو صوم رمضان، أو الحج أو العمرة، أو الوضوء ، أو صــوم عــرفه، أو صوم عاشوراء ، أو فعل الحسنة ، أو غير ذلك مما جاءت به الأحــاديث الصــحيحة، وإلى مالا يكفِّره ذلك كما ثبت في الصحيح " مالم تُغشَ الكبيرة" فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر، وما لا تكفره كبائر"[٤]

وهــذا مــن أوضح الأدلة على كون الذنوب ليست سواءً ، وإنما هي أقسام منها الصغيرة ومنها الكبيرة.

٤- ومن الأدلة الواضحة - أيضاً - على كون الذنوب منقسمة إلى صغائر وكــبائر الأحاديث الكثيرة في ذكر الكبائر مثل حديث أنس ﷺ الذي قال فيه : "ذكر رســول الله ﷺ الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال: الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين... إلــخ"[٥] الحديــث. وجميــع الأدلة السابقة تثبت أن الذنوب كبائر وصغائر، فالنقل

---

(١) مــدارج السالكين - ابن القيم ، مصدر سابق ١/٣٤٣-٣٤٥ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ٤/٣٩٧ ، ٣٩٨.

(٢) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ج١ص٢٠٩، رقم ٢٣٣، وأحمد ، باقي مسند المكثرين، ج٣ ص١١٤، رقم ٨٩٤٤.

(٣) سبقت ترجمته ص٩٥

(٤) شرح مسلم ، للنووي ، مصدر سابق، ٢/٨٥.

(٥) رواه الــبخاري ، وانظــر الفتح ، كتاب الوصايا ، باب قوله -تعالى- (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظــلماً) ، ج٥ ص ٤٦٢ ، حديــث رقــم ٢٧٦٦ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ، ج١ص٩٢ رقم ٨٩.

والعقل يؤكدان هذه الحقيقة إذ لا يُعقل أن تتساوى الذنوب والخطايا صغيرها وكبيرها.

قال صاحب الزواجر : "فخصَّ الرسول ﷺ الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يَسُغْ ذلك"(١) أي لوكان الكل سواء لما حدّد ﷺ ذنوباً بعينها وسماها كبائر.

فالله ﷻ أنزل القرآن الكريم وخاطب فيه المسلم على أساسٍ من فطرته البشرية بما فيها من مواطن الضعف ، وفترات القصور، فلا هو بالحيوان بليد الحسِّ ميت المشاعر، راتع في الرذيلة، ولا هو بالمَلَك الذي لا يعصي ولا يغفل، وإنما هو الإنسان يسمو أحياناً ، ويَسْفُلُ أحياناً أخر وهو الإنسان يفعل الطاعات ويقترف المعاصي، ويقع في الزلات ويندم عليها، وعلى قدر معرفته لنفسه بقصورها وضعفها وغفلتها وجميع سوءاتها، يعرف ربه بقوته وسطوته وقدرته ورحمته وواسع فضله.

وما دامت قاعدة الإيمان راسخة ثابتةً ، وحصن التوحيد قوياً متيناً، فكلّ ما عدا ذلك يستوجب رحمة الله إذا صاحبه الإحساس بالقصور والضعف والفقر والحاجة إلى الرب الغني القادر قال ابن القيم -رحمه الله- : "فإنه -أي الإنسان- إذا عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائص والحاجة والفقر والذل والمسكنة والعَدَم، عَرَفَ ربه بضد ذلك فوقف بنفسه على قدره، ولم يَتعدَّ بها حدودها، وأثنى على ربه ببعض ماهو أهله وانصرفت خشيته ورجاؤه وإنابته وتوكله إليه وحده، وكان الله ﷻ أحبَّ شئ إليه وأخوف شئٍ عنده، وأرجى له، وهذا هو حقيقة العبودية"(٢).

وعلى قدر معرفة العبد ربه بأسمائه وصفاته يكون إيمانه عمقاً ورسوخاً، وقوةً وثباتاً، بل وبعداً عن الذنوب والمخالفات والمعاصي لأنه أدرك أنه معه يسمعه ويراه ويحيط به ويطلع عليه ، فهو دائم الذكر لربه، مستحضر لعظمته،

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد حجر المكي الهيثمي ، ط دار المعرفة، بيروت الأولى، د.ت ، ص٥.

(٢) فوائد الفوائد ، ابن القيم ، نشر دار ابن الجوزي ، السعودية ، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص٣٤٣.

وقدرتــه وقــربه، ومــا الذنــوب والخطايا إلا غفلاتٌ عن هذه المعاني الكريمة ، ولحظــاتٌ مــن الضعف البشري المحض الذي يثبت إنسانية الإنسان وعظمة الرب الكريم المنان.

ب. المحبـــة(١)

والمحــبة كمــا قــال العلماء : "ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً، وذلك ضــربان : أحدهمــا طــبيعي وذلــك يكون في الإنسان والحيوان ، وقد يكون في الجمــادات، والآخر اختياري ويختص به الإنسان"(٢) ومعنى المحبة الشرعي هو " الميــل إلى ما يوافق المحب إمَّا لذاته كالفضل والكمال، وإمّا لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضر"(٣) .

ومحــبة العــبد لــربه الكريم روح العبادة، التي تشجع عليها وتدفع إليها ، وتشــوّق لها. فهي وراء اللذة في العبادة ، والأنس بالطاعة، والحلاوة في الذكر، والطمأنيــنة فــي المــناجاة، وهي الباعثة على الصبر والمجاهدة، وتحمُّل المشاق والمــتاعب، وهــي حــادي الطريق ونسيم القلوب وزاد الأرواح وريحانة النفوس فالمحب ينساق إلى محبوبه باختياره ، ويتوجه إليه بكليته، ويستغني بذكره وقربه عمــن ســواه، ويتفانى في مرضاته ولو ذهبت نفسه فهذا من كمال سعادته وتمام نشــوته، ولَكَمْ -من أجل هذه المحبة- هانت أنفس ورخصت أرواح، وقدِّمت مهج

---

(١) "الــوداد والمحــبة والحب نقيض البغض ، وكذلك الحِبّ بالكسر ويقال للمحبوب، وأحبَّه فهو مُحَبٌّ وهو محــبوب ، قــال الأزهــري : وحبَّه يُحِبُّه بالكسر فهو محبوب، قال الجوهري وهذا شاذ، وحكى سيبويه حَبَبْــتُه وأحببْــتُه بمعــنى ، قــال أبــو زيــد: أحــبَّه الله فهو محبوب ، واستحبه كأحبه ، والاستحباب كالاستحسان، والمحبة اسم للمحب وتحبّب إليه : تودَّد." انظر لسان العرب ٢٨٩/١ ، ٢٩٠ ، والمصباح المــنير فــي غــريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد الفيومي، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الأولى، د.ت ١٢٧/١ ، ومخــتار الصحاح للرازي ، دراسة وتقديم د/ عبدالفتاح البركاوي، القاهرة ، دار المــنار ، الأولى ، ١٩٩٣م ص١١٩، والمقــاييس لابــن فــارس ٢٦/٢، والمفردات للراغب ص١٠٥ والصحاح للجوهري ١٠٦/١، مادة : (حبب)

(٢) الذريعــة إلى مكــارم الشريعة - الراغب الأصفهاني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الأولى ١٩٨٠، ص ٣٦٣.

(٣) رواه البخاري ، وانظر فتح الباري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان ، أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج ١ ص٧٤ حديث رقم ١٣.

واستُعْذِبَ أذىً، وسَهُلَ بلاء وطرد وإخراج وغربة من أجل أن يرضى المحبوب.

إنها المحبة التي قال عنها ابن القيم - رحمه الله- : "هي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون ، وإلى عَلَمِها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون ، وهي الحياة التي من حُرِمَها فهو في جملة الأموات. والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه هموم وآلام"(١) .

أولاً : صريح الآيات التي ذكرت فيها المحبة بمشتقاتها (٢)

ثانياً الضمني من الآيات :

وما أكثر الآيات التي تحمل في ثناياها محبة الله عز وجل والثناء عليه .

١- سواء كان ذلك من الملائكة كقولهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣).

٢- أو كان من أحد أنبياء الله ومرسليه كقول شعيب عليه السلام راداً على قومه مغرياً لهم بالطاعة والانصياع والمسارعة والمبادرة إلى عبادته وتوحيده :

---

(١) مدارج السالكين - ابن القيم ، مصدر سابق ، ٤٣٦/٣.

(٢) انظر البقرة ١٦٥/٢، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، آل عمران ١٤/٣ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، النساء ٣٦/٤ ، ١٠٧ ، ١٤٨ ، المائدة ٥/ ١٣ ، ١٨ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ٩٣ . الأنعام ٧٦/٦ ، ١٤١ ، الأعراف ٣١/٧ ، ٥٥ ، ٧٩ ، الأنفال٥٨/٨ ، التوبة ٤/٩ ، ٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٨ يوسف ٨/٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، إبراهيم ٣/١٤ ، النحل٢٣/١٦، ١٠٧ ، طه ٣٩/٢٠ ، الحج ٣٨/٢٢، النور ١٩/٢٤ ، ٢٢ ، القصص ٥٦/٢٨ ، ٧٦ ، الروم ٤٥/٣٠ ، لقمان ١٨/٣١ ، ص ٣٢/٣٨ ، فصلت ١٧/٤١ الشورى ٤٠/٤٢، الحجرات ٧/٤٩ ، ٩ ، ٤٩ ، الحديد ٢٣/٥٧ ، الحشر ٩/٥٩ ، الممتحنة ٨/٦٠ ، القيامة ٢٠/٧٥ ، الإنسان ٨/٧٦ ، ٢٨ الفجر ٢٠/٨٩ ، العاديات ٨/١٠٠ .

(٣) غافر ٤/ ٧-٩ .

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١)

٣- أو كان من أحد عباده الصالحين مثنياً على ربه ، ذاكراً لآلائه راجياً مغفرته، متشبثاً بحبله كذلك الذي قال الله عنه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢)

ثالثاً التصنيف الموضوعي لآي المحبة في القرآن العظيم :-

وباستعراض الآيات التي تضمنت في ثناياها لفظة المحبة بأنواعها يجد المتأمل موضوعات كثيرة قد أبرزتها أو دعت إليها أو دارت حولها ومن هذه :

١- محبة الله ﷻ تفوق كل محبة ، وتعلو عليها ، وترجحها ، مهما أحب المسلم في حياته، يبقى حب الله ﷻ هو المقدَّم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (٣)

٢- محبة الله ﷻ تستوجب طاعة رسوله، وطاعة رسوله تستجلب حبَّ الله لعبده: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٤)

٣- محبة الله ﷻ لصفات الخير يتصف بها المؤمنون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥) وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦) و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٧)

٤- بغض الله ﷻ لصفةٍ يُثبتُ حبَّه ﷻ لعكسها مثل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) هود ١١/٩٠ .
(٢) الأحقاف ٤٦/١٥.
(٣) البقرة ٢/١٦٥.
(٤) آل عمران ٣/٣١.
(٥) البقرة ٢/٢٢٢.
(٦) البقرة ٢/١٩٥.
(٧) المائدة ٥/٤٢.

ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[١] ومثل : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢] ومثل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[٣].

٥- محبة القيم ومكارم الأخلاق كما قال ﷻ في صفات المؤمنين الأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[٤]

٦- محبة الصفح والإحسان كقوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] إلى غير ذلك مما جاء ينفي محبة الله للكافرين، والخوّانين والمستكبرين.... إلخ.

رابعاً : مثال على المحبة :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٦].

إنها المحبة التي تجعل العبد يتفانى بنفسه في ذات الإله، ويتلذذ بذلك غير عابئ بما يصيبه أو يعتريه فكل هذا حُلْوٌ لغلبة المحبة عليه واستيلائها على قلبه، وسيطرتها على مشاعره، فالقلب بها متضلع، والفكر بها مشغول، واللسان بها لاهج ، والعقل فيها سارح، فتظهر هذه المحبة في قوله إذا قال ، وفي عبادته إذا دخل فيها. وفي عمله إذا عمل وفي أخلاقه مع غيره، فهو إنسان محب قد ذابت نفسه في محبوبه فأخبر عنه وحبَّب فيه ودعا إليه بعد أن أدرك قدر الرِّبح في معاملته بل وعرف أنه أحوج ما يكون إلى ربه في كل شأن. قال ابن القيم -رحمه الله- : "فمن أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى

---

(١) البقرة ١٩٠/٢.

(٢) الشورى ٤٠/٤٢.

(٣) لقمان ١٨/٣١.

(٤) الحشر ٩/٥٩.

(٥) النور ٢٢/٢٤.

(٦) البقرة ١٦٥/٢.

انشـــراح الصـــدر بذكـــره ومناجاته، وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه وأنك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض، وفيما يبعدك عنه راغب"[١]

وهل أجمل من الحب يتسلح به العبد المحب فإذا به راغب في العمل ، بعيدٌ عن الكسل، غير غافلٍ ولا ساهٍ ولا لاهٍ ، قد اتخذ الله صاحباً وترك الناس جانباً.

ذُكِرَ أنَّ مسألةً في المحبة جرت بمكة أيام الموسم، فتكلم فيها الشيوخ وكان الجـــنيد[٢] أصـــغرهم سناً، فقالوا : هاتِ ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيـــناه، ثم قال : "عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه متصلٌ بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليـــه بقلـــبه، أحـــرقت قلبَه أنوارُ هيبتِه، وصفا شربُه من كأس ودِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإنْ تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن ســـكت فمـــع الله. فهو بالله ولله ومع الله" فبكى الشيوخ وقالوا: "ما على هذا مزيد ، جبرك الله يا تاج العارفين"[٣] .

ومـــا هـــي إلا فكـــرة تتبعها فكرة في ملكوت الرب الكريم ، وآلائه التي لا يحصـــيها عـــد، ونعمهِ التي تملأ النفس والكون إلا " وتلوح نعوت الجمال للمولى، وهي التي أشرقت منها القلوب واستنارت بها الوجوه، وحَيَتْ بها الأرواح وأذعنت لها الجوارح طوعاً واختياراً وضرورة واضطراراً"[٤]

وإذا حُـــرمَ العبد المحبة لم تُقبل عبادته، حتى لو أطاع ، فإن الطاعة الكاملة هـــي القائمـــة على المحبة والخوف في آنٍ ، والمرتكزة على الرغبة والرهبة في حـــال، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[٥] إن صورة الفرد المسلم المحبِّ لربه المتفاني فيه لتتمثل في صحابة النبي ﷺ ، حيث جعـــلهم ذلـــك الحب يأتون بالأعاجيب وبما يشبه الخيال ولا يعرف الشوق إلا من

---

(١) الفوائد ، ابن القيم ، مكتبة النهضة العلمية السعودية ، مكة المكرمة ، الأولى ، د.ت ، ص٤٦.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٠١.

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة - سيد العفاني ، مصدر سابق ، ٧٤٥/٥ ، ٧٤٦.

(٤) مـــوارد الظمـــآن فـــي محـــبة الرحمن ، سيد العفاني ، مكتبة الصحابة ، جدة ، والتابعين بعين شمس، القاهرة، الثانية ، ١٤١٥هـــ ، ص٥٠.

(٥) الأنبياء ٩/٢١.

يكابده، فكل من لم يجرب حبَّهم وتقواهم ، لن يعرف ما الذي شغلهم وأضناهم.

فـــي يـــوم أحد سار الصحابيان الجليلان عبدالله بن جحش[١] وسعد بن أبي وقاص[٢] -رضي الله عنهما- فقال : ابن جحش لسعد : " ألا تأتي ندعو الله " أي أنـــه رأى ما حضر من أمر الله، وربما كانت النهاية - أو البداية !- . فسارا حتى إذا كانـــا فـــي مكـــانٍ خالٍ وقفا هناك ودعا سعد فقال : " اللهم إذا لقيت العدو غداً فلقـــني رجلاً شديداً بأسُه، شديداً حرده فأقتله فيك وآخذ سلَبَه" ، فأمَّن عبدالله على ذلـــك ، ثم وقف هو يدعو فقال : "اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسُه شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلني ويأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلتَ يا عبدالله فيم جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك" فقال سعد: صدقت، يقول سعد لما رآه آخر الـــنهار بعـــد المعركة وقد حقق الله له ما أراد ، ورأى نفس الصورة التي رسمها لنفســـه فقـــال : " كانت دعوتك خيراً من دعوتي ، لقد رأيتك آخر النهار وإنَّ أنفك وأذنك معلقتان في خيط"[٣]

فـــأي حـــب هـــذا الذي يُحيل هذا الخطر إلى لذَّةٍ واستمتاع وحب وتفانٍ في مرضـــاة المحبوب فالدنيا تذهب، والروح ترخص ، والحياة تهون، والجسد يمزق، فحوَّل الحب لله النفوس إلى شموع تذوب حباً ووجداً.

والمســـلمون في حاجة إلى هذا الحب وتلك المعاني التي تحرك في أنفسهم هـــذه القيـــم، وتولد هذه الطاقة الجبارة التي لا يقف في وجهها شيء مهما كان. وعندها يقوى الأفراد فتحل الشجاعة محلَّ الجبن، والإقدام مكان الإحجام، والتجرد

---

(١) عـــبدالله بـــن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، صحابي ، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا وهو صهر رسول الله ﷺ أخو زينب أم المؤمنين، قتل يوم أحد شهيداً فدفن هو والحمزة في قبر واحد ، سنة ثلاث من الهجرة ، الأعلام ، الزركلي ، ٤/٢٠٣ ، ٢٠٤

(٢) سعد بن أبي وقاص واسم أبيه وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، الأمير ابو إسحاق القرشي الزهري المكي ، أحد العشرة ، وأحد السابقين الأولين ، شهد بدراً والحديـــبية وكـــان من الستة أهل الشورى، توفي -رضي الله عنه- سنة خمس وخمسين للهجرة. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، سابق ، ج١ ص٩٢-١٢٤.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر، مصدر سابق، ٢/٢٧٤ ، وانظر شهداء الإسلام في عصر النبوة د. على سامي النشار ط المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص ٣٣.

مكـــان الأنَـــا ، والاســـتعلاء مكـــان الرضوخ والخنوع والذل والاستكانة ، وكأن الشـــخص ولد من جديد، والعمل -مهما كان- إذا خلا من الحب جاء باهتاً واهناً، بـــل ميتاً لا روح فيه حيث خلا من قوةٍ تحركه، وسعادة تغمر القائم به حين أدائه وإتمامه.

قـــال ابـــن القيـــم -رحمـــه الله- : " فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامـــات الإيمـــان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام، ومـــنزل كـــل عمل، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها - أي المحبة - إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام ، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة له ، لا إسلام له البتة، بل هـــي حقيقـــة شـــهادة أن لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذي يألَهُهُ العباد حبًّا وذلاً وخوفـــاً ورجـــاءً وتعظيماً وطاعة بمعنى مألوه، وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له"[١]

وبـــناءً عـــلى ذلك. فالقرآن الكريم يريد شخصاً منساقاً للطاعة بدافع الحب لـــربه، وأنسه به وطلبه رضاه، فكما لم يُجْبِرْه على الإيمان ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[٢] فإنـــه إذا آمن يريد طاعته بحبٍ ورغبة واشتهاء ، فتستغرقه هذه المحبة وتستولي عـــلى كيانـــه كله فيفرح بالطاعة فرح غيره بالمعصية ، ويأنس بذكر مولاه أُنْسَ سواه بذكر دنياه.

* * * * *

(١) مدارج السالكين ، ابن القيم ، مصدر سابق، ٤٣٦/٣.

(٢) البقرة ٢٥٦/٢.

جـ الخوف[١]

صـــفة من صفات المسلم في علاقته بربه ، يتحلَّى بها ، ويتسلَّح بها أيضاً أمـــام نزغات الشيطان ودواعي الهوى فيردعه ذلك الخوف ويلجمه سواء ذلك في أمور الدنيا أو الآخرة ، كما جاء في معناه الاصطلاحي من أنه : "توقع مكروه عن أمـــارةٍ مظـــنونةٍ أو معـــلومةٍ ويضـــاده الأمن، ويُستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"[٢]

أولاً : صريح الآيات :

وتجنُّـــباً للإطالـــة -إذ ليســـت من أهداف البحث- ، سيكتفي الباحث بذكر الآيـــات التي تضمنت كلمة : خوْف ، وخاف ، وخوفاً ، ففيها الكفاية لتأمل اهتمام القـــرآن الكـــريم بهـــذا الخلُق، وكيف يربي عليه المسلم فيقرأ عنه في كتاب الله، ويتخلَّق به في حياته.

١- **قال تعالى :** ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[٣]

٢- **قال تعالى :** ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤]

٣- **قال تعالى :** ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٥]

٤- **قال تعالى :** ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[٦]

٥- **قال تعالى :** ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٧]

---

(١) الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على النوع والفزع، يقال: خِفْتُ الشيء خوفاً وخيفة، مقاييس اللغة - ابـــن فارس مادة : (خاف) ٢/٢٣٠، وقيل هو : اضطراب القلب وحركته من تذكرِ المخُوف ، وقيل قرع القـــلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته ، انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد بن عـــلان ، ط دار الإيمـــان ، القاهـــرة ، الأولى ، ٤ مجلدات ، ١٤٠٧هـــ، ٢/٢٨٥، وقال الجرجاني في تعريفاته أن الخوف : هو توقع حلول المكروه أو فوات محبوب ، التعريفات ، ص١٠١.

(٢) مفردات القرآن ، الراغب ، مصدر سابق، ص١٦١، ١٦٢ بتصرف .

(٣) البقرة ١٨٢/٢.

(٤) الأنعام ٤٨/٦.

(٥) الأعراف ٣٥/٧.

(٦) الأعراف ٤٩/٧.

(٧) الأعراف ٥٦/٧.

٦- **قال تعالى :** ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١]

٧- **قال تعالى :** ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[٢]

٨- **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[٣]

٩- **قال تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾[٤]

١٠- **قال تعالى :** ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[٥]

وآيات سوى ذلك كثيرة[٦]

ثانياً : الضمني من الآيات

كثيرة هي الآيات التي تصف العذاب الأليم والعقاب الشديد ، والبطش الكبير، أو تنذر بعاقبة المعاصي والغفلة والكفر بالله، أو تشرح حال الأمم السابقة وما دهاهم من نوازل وما اجتاحهم من أليم العذاب ، أو تعرض لصفات الرب سبحانه كبطشه وقدرته وقوته وقهره وجبروته لتترك المسلم متخيلاً هذه المعاني ، مستحضراً لها أمام ناظريه ، عند كل خاطرة لذنب ، أو بارقة لمعصية ، أو سانحة لهوى أو بادرة لغفلة ، وعندها يعود ويقلع ، ويتوب ويرجع.

ثالثاً : التصنيف الموضوعي لسابق الآيات في الخوف :

١- منها ما يخوف المسلم من ربه ليتربى على توقيره وإجلاله والإشفاق من عذابه والحذر من عصيانه.

٢- ومنها ما يبشر بعاقبة الخوف بشارة ترغب فيه، وتشد إليه وتربى عليه حيث

---

(١) البقرة ١٨٢/٢.

(٢) يونس ٦٢/١٠.

(٣) يونس ٨٣/١٠.

(٤) هود ١٠٣/١١.

(٥) إبراهيم ١٤/١٤.

(٦) انظر النحل ١١٢/١٦ ، الروم ٢٤/٣٠ ، السجدة ١٦/٣٢ ، الأحزاب ٩/٣٣، الزخرف ٦٨/٤٣، الأحقاف ١٣/٤٦، الرحمن ٤٦/٥٥ ، النازعات ٤٠/٧٩، قريش ٤/١٠٦.

قال سبحانه :" وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين: إنْ هو أمنني في الدنيا ، أخفته يوم أجمع عبادي، وإنْ هو خافني في الدنيا أمّنتُه يوم أجمع عبادي"(١)

٣- ومنها ما يبشر بالتمكين والنصر والغلبة لمن يخاف مقام ربه ووعيده.

٤- ومنها ما يكون الخوف سبباً في التجافي عن المضاجع والدعاء والرجاء والذكر والإنابة والإنفاق.

٥- ومنها ما يحذر من الكفران والجحود والبطر وإلا فالخوف والجوع هو المآل والمصير.

٦- ومنها ما يدعو إلى الإيمان والإصلاح لينتفي الخوف والحزن.

٧- ومنها ما يقرر أن المستفيدين بالآيات ، المعتبرين بمصارع الأمم السابقات، المتأملين في قصص القرآن وما يحمله من عظات هم الخائفون لعذاب الآخرة الذاكرون له المشفقون من هوله.

٨- ومنها ما يقرر أن الذي لا يخشى الله ولا يخافه يخاف من كل شيء ومن أي شيء فالعيون تدور والأبصار تزيغ، وهذا من صفات المنافقين فإذا ذهب مصدر الخوف طالت الألسنة، وتناولت المؤمنين بحاد الكلمات وسيئ الألفاظ ، وقبيح الأوصاف .

٩- ومنها ما يدعو إلى تقوى الله مع الإصلاح في الأرض ففيهما دَفْع الخوف والحزن وكفى بذلك نعمة وفضلاً.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ، ٩٨/٦، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الخوف والرجاء ج١٠ ص٣٠٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الأولى ، د.ت ، وقال : "رواهما البزار (أي المرسل والمسند) عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمر بن علقمة، وهو حسن الحديث" ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٣٦٧/٢ ما نصه : "فالمسند ضعيف لجهالة محمد بن يحيى بن ميمون، ولكنه يتقوى بمرسل الحسن البصري، لأنه من غير طريقه، فيرتقي إلى درجة الحسن إن شاء الله تعالى"، ثم استدرك -رحمه الله- بقوله: "بل هو صحيح، فقد وجدت لابن ميمون متابعاً قوياً ، وهو إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وهو حافظ ثقة - قال : حدثنا عبدالوهاب بن عطاء به.

١٠- ومنها ما يبين أن أهمَّ نعمتين بعد الهداية هما الطعام والأمن فالأولى مطلب الجسد والثانية مطلب القلب، ولا يستحق العبادة والإجلال إلا من يهبهما ويكفلهما لجميع المخلوقات وخصوصاً قريش التي جاورت البيت العتيق.

إن طبائع الخلق مختلفة ، فمنهم من يأسره الحب فيندفع به إلى الطاعة ، ومنهم من يردعه الخوف فينزجر به عن المعصية، لذلك كان الخوف هو الوجه الآخر لعلاقة العبد بربه بعد بنائها وقيامها على أساس الإيمان.

فهذا ابن آدم الأول قد أُشْبِعت نفسه خوفاً من جلال الله ، فأعلن هذا الخوف، ورفع شعاره وانضوى تحت لوائه ، أمام تهديد أخيه له بالقتل ، فأخبره أن ما يمنعه من مقابلة صنيعه بمثله هو خوف ربه ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [١] ما كان ضعيفاً أمام غَشَمِ أخيه، ولا قاصراً أمام قوته ، إنما كان ضعيفاً أمام خوفه من ربه وإدراكه لبطشه وانتقامه ، وقوته وغضبه ومساءلته.

فإذا كان القرآن يبني المسلم بناءً اجتماعياً ثابتاً محكماً قوياً راسخاً ، وإذا كان يربي العبد المسلم على معرفة ربه بعفوه وسعة رحمته وسَبْقِ عفوه، وعظمة مغفرته، فإنه -أي القرآن- دائماً يذكر هذا العبد بشدة العذاب، وأليم العقاب ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ [٢] رباه على توقع العقوبة، وخوف البطش والغضب والإلهي.

ومنهج القرآن في تربية المسلم على الخوف منهج تربويٌّ ناجح وغير مسبوق، بل متبوع يجب أن يستفاد به، ويُقبَسَ من أنواره.

والناس – كما سبق ذلك – منهم من يحثه الوعد، ومنه من يردعه الوعيد، منهم من تغلب عليه الرغبة، ومنهم من تدمغه الرهبة، فإذا ما سلك الفرد المسلم سبيل حياته بين خوفٍ من حلول غضبِ ربه عليه ، أو عقوبته به، أو خوفٍ من فوات رضاه عنه ، وحبه له ، أو خوف من سلب نعمه منه ، أو خوفٍ من لقائه

---

(١) المائدة ٢٨/٥.

(٢) الحجر ٤٩/١٥ ، ٥٠.

ومســـاءلته ومحاســـبته، فإنـــه بين هذه المشاعر سيجاهد نفسه في إقامتها على الطـــريق السَّـــويِّ ، والصـــراط المستقيم، فيحقق ما يرجو ويتجنب ما يحذر . بل ســـوف يفيـــض هذا الخوف على القسمات والجوارح خشوعاً وخضوعاً ودموعاً ، إشـــفاقاً ووجـــلاً ، فهـــذا الأوزاعي[١] -رحمه الله- قيل عنه : " ما رؤي ضاحكاً مقهقهـــاً قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلس قط، وكان إذا خلا بكى حتى يرحم"[٢] وهذا أثر الخوف عـــلى هؤلاء ، لدرجة ما بدا عليهم من حزن وما سَحُّوه من دموع وما غلبهم من إشفاق ، بل وما عَمَروا به ليلهم من بكاء.

ذكـــر ابـــن كثير -رحمه الله- قال : " دخلت امرأةٌ على امرأةِ الأوزاعي - فـــرأت الحصير الذي يصلي عليه الشيخ مبلولاً ، فقالت لها : لعلَّ الصبي بال هنا ، فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده، هكذا يُصبح كلَّ يوم"[٣]

فلـــله درهـــا مـــن أنفس ملأها الخوف ، ولله درها من أعينٍ طالما أرسلت الدمـــوع مـــن خشية الله، وخوفه وهيبة عذابه وخوف مقامه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[٤]

وهذه وقفات تتضح من خلال العرض السابق : -

١- أن القـــرآن الكـــريم وضح وفصل علاقة المسلم بربه ببيان وظيفته ومهمته ، وما ينظم هذه العلاقة وكيف يحافظ الفرد عليها وكيف يقويها وينمِّيها ، وكيف يترقى معها ويزداد منها.

---

(١) عـــبدالرحمن بن عمرو بن محمد بن عمرو الأوزاعي ، والأوزاع بطن من حمير ، هو من أفقههم ، نشأ يـــتيماً فـــي حجر أمه، وتأدب بنفسه فلم يكن من أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل مـــنه ولا أورع مـــنه ، ولا أعـــلم ولا أفصح ولا أحلم ولا أكثر سمتاً منه، حجَّ مرة وسفيان الثوري آخذٌ بـــزمام جمله ومالك بن أنس يسوق به، والثوري يقول : أفسحوا للشيخ حتى أجلسه عند الكعبة ، انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ١٠/١٢٠.

(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مصدر سابق، ١٠/١١٦.

(٣) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مصدر سابق، ١٠/١١٧.

(٤) إبراهيم ١٤/١٣ ، ١٤.

٢- اســتطاع القــرآن الكريم بتربية أهله على الحب والخوف مرتكزاً على إيمان راســخ أن ينجح في ضبط سلوكيات الأفراد دون رقيب عليهم من البشر، في حين فشلت جميع الأنظمة البشرية في ذلك فأصبحوا ضالعين في الجريمة رغم الحراســات والشُــرط والرقابات الصارمة، ولكن أنّى لها أن تفلح دون رقابة ذاتية داخلية في الفرد نفسه؟!

٣- أن القرآن أفاد المسلم عندما أمره بالخوف ودعاه إلى محبة الله فإنما تكفَّل له بطمأنيــنة القــلب، والسلام الداخلي، لأن المسلم عندما خاف ربه لم يخف أيَّ شــيء عــلى الأرض، وعــندما أحب مولاه جاء كلُّ حبٍ تَبَعاً لهذا الحب فلم تتــنازعه الأهــواء، ولــم يقــف في مهبِّ الريح وإنما يقين وثبات ، وهدوء واستقرار.

٤- أن القــرآن الكــريم بتنظيمه لعلاقة المسلم بربه ، إنما يضع له ضابطاً يراقب تصــرفاته، ومــرآةً تعكس سلوكياته، فدائماً ينظر أين هو من فعل طاعة، أو ارتكاب معصية، وأين هو من إرضاء ربه أو إغضابه فهو وثيق الصلةِ بالملأ الأعــلى ، ممــا يحرس مسيرته على الأرض، ويحقق الغاية التي لأجلها خُلق وعنها سيسأل.

٥- أن البــناء الاجــتماعي يقــوى إذا تعلق الأفراد بربهم فاستمدوا قوة من قوته ومدداً من خزائن قدرته.

* * * * *

المبحث الثاني

علاقته بإخوانه المسلمين

تفـرَّد القـرآن فـي مـنهجه الباهر في توثيق الصلة بين المسلم وإخوانه المسلمين ، وفي بناء العلاقة المتينة بينه وبين بقية أفراد المجتمع الإسلامي.

فجـاءت آياتـه الكثيرة المتنوعة لتقرر حق الغير عليه، وتؤكد واجبه تجاه الآخـرين من المسلمين سواء كانوا جيراناً أو أقرباء، أو حتى مجرد مسلمين ومن هذه الآيات : -

١- قولـه تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(١)

٢- قولـه تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(٢)

٣- قولـه تعـالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ ﴾(٣)

٤- قولـه تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) البقرة ١٧٧/٢.

(٢) آل عمران ١٠٣/٣.

(٣) النساء ٣٦/٤.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

٥- قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)

وآيـــات سواها كثيرة تحث على الإخاء ، وتأمر بالتقارب والألفة والوحدة، وتدعو إلى الحب والوئام وتنسب الفرد إلى عضويته في جسد أمةٍ كبيرة، وتخاطب المجـــتمع كجســـد واحـــد، وأمةٍ واحدة وتحذر من الفرقة والعداوة ، والبغضاء ، وتدعـــو إلى الصـــلح ونـــبذ الخصـــومات وتسوية الخلافات، وترغب في الاجتماع والـــتكاتف حـــتى تكـــون الأمـــة يداً واحدةً على من عاداها فتعلي البناء ، وتجاهد الأعداء وتُعبِّد أهل الأرض لرب السماء.

وحقـــوق المســـلم لدى المسلم كثيرة كثيرة، قررتها الآيات القرآنية، ودعت إليها الأحاديث النبوية ، وأبرز هذه الحقوق ، المحبة والتعاون ، والنصيحة.

أولاً : المحبة : -

محبة تستقر في القلب ، وتفيض على الجوارح والسلوك ، وتُلمح في العمل وتُســـمع في القول، محبة تصبغ جميع التصرفات وتنضح على سائر المعاملات مع كل مسلم، بحيث تكون هذه التصرفات وتلك المعاملات مرآةً لهذه المحبة ، وبرهاناً عـــليها لأنهـــا عبادة ، كيف لا، "وحبُّ أهل التوحيد وبغض أهل الشرك أوثق عُرى الإيمان وأوثق ما يعبُد به العبد ربه"(٣)

والقـــرآن الكـــريم عـــندما يبـــني شخصية المسلم إنما يبنيها على التوازن والاعـــتدال ، فهـــو محب لربه ، محب لرسوله، محبٌ لإخوانه ، وفي الوقت ذاته

---

(١) التوبة ٩/٧١.

(٢) الحجرات ٤٩/٩ ، ١٠.

(٣) الولاء والبراء، د. محمد بن سعيد القحطاني، ط دار طيبة، مكة والرياض، السادسة ١٤١٣ص٢٦٤.

مـــبغض للأوثـــان والطاغوت والمشركين فهو يربيه على معرفة من يستحق حبه فيحملـــه له ، ومـــن لا يستحقه فيحرمه منه ولا ينيلُه منه شيئاً إن القرآن عندما ينادي : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١] إنما أراد أن يصنع من الإسلام وطناً لكل مسلم، وطـــناً واسعاً مهما تباعدت أجزاؤه، وترامت أطرافه فهو وطنه وهو أوسع من كل وطـــن يقـــوم على جنس أو لغة أو مذهب ، فحسب المسلم إسلامه وحسبه قرآنه ليكـــون في زمرة المؤمنين حتى لو تناءى مكانه أو اختلف لونه أو تباين جنسه ، إنها الأخوة والمحبة التي تجعل الأخ المسلم قطعة من أخيه، لصيق نفسه ، وقسيم روحه ، ونزيل قلبه ، ومحرّك وده، ومشاعره حتى يترنم بها سيد – رحمه الله–

أخـــي ، ذلك اللفظُ الذي في حروفهِ ... رمـــوزٌ وأشـــكال لشـــتى العواطـــفِ
أخـــي، ذلـــك اللحن الذي في رنينه ... ترانـــيم[٢] إخـــلاصٍ وَرَيَّـــا[٣] تـــآلف
أخـــي أنـــت نفسي حينما أنت صورةٌ ... لآمـــالِيَ القصـــوى الـــتي لم تُشَـــارِفِ
تمـــنيت مـــا أعيـــا المقاديـــر إنمـــا ... وجدتُـــكَ رمـــزاً للأماني الصوادف[٤]
فـــأنت عـــزائي في حيـــاةٍ قصـــيرةٍ ... وأنـــت امـــتدادي في الحياةِ وخالفي[٥]

ويظل من يطالع آيات الذكر الحكيم يمر بآيات تذكر بالأمة الواحدة ، والجسد الواحد ، والكيان الواحد حتى تظل هذه المعاني في حياة المسلمين ولا ينسوها في غمـــار الفتنة وتيار الأهواء ، وتربص الأعداء الذي لا يتوقف من أجل تمزيق هذا الجســـد وجعلـــه أشلاء، ليسهل عليه السيطرة ثم القضاء فقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٦]

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٧] وهنا إشارة

---

(١) الحجرات ٤٩/١٠.

(٢) الترانيم: ما استُلذَّ صوته والمراد: إخلاص عن رضىً وقبول دون هدف أو غرض: ديوان سيد قطب ص٧

(٣) رَوِيَ من الماء رَيّاً : شرب وشبع ، والمراد تآلفٌ صافٍ محبوب. ديوان سيد قطب ص٧.

(٤) الأماني التي تنتظر دورها ديوان سيد قطب ص٧

(٥) ديـــوان ســـيد قطـــب ، جمع وتوثيق وتقديم عبدالباقي محمد حسين ط، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م، ص٧.

(٦) الأنبياء ٢١/٩٢.

(٧) المؤمنون ٢٣/٥٢.

إلى أن الأخـــوة والوحـــدة والتماســـك لـــن تـــتحقق إلا في ظل إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بالتقوى ، فلا عبادة لأهواء ولا اتقاء أو خوف أعداء .

والعجيـــب أن الأولى في سورة الأنبياء ، والثانية في سورة المؤمنون وما كـــان هـــذا ليأتي عبثاً ولا مصادفة ، فكلٌ بمقدار، وكأن هذا إلماح في بيان العلاقة بيـــن المؤمنين والأنبياء فالمؤمنون -كافة- إذا اتبعوا ما جاء به الأنبياء كمرسلين قويـــت شوكتهم ، وارتفع بناؤهم ، وأفلحوا في دنياهم وآخرتهم والأمر للمرسَلين والمرسَل إليهم.

إنه حبٌ وإخاء يجتثُّ الأثرة، والأنانية من نفس المسلم، ويدفع يده للعطاء ، ولســـانه للنصـــيحة، وعقله للتفكير ، وماله للبذل ، وكل طاقاته لصالح جماعته ، وهـــو مـــا تألق فيه المبعوث رحمةً عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وعندما أبـــدع في إدخال النسيج المهاجر على النسيج المناصر وجعله نسيجاً واحداً ، حتى تـــاهت المعالم وأصبح من المستحيل التمييز بينها ، فكانت أجمل منظومة في حياة البشـــرية جمعـــاء ، بصورة عقمت الأرض أن تلد مثلها أو ترى شبيهها ليس في عصـــر بعينه ولكن على مدى التاريخ بطوله لم ولن تشهد الدنيا لهذا الحب مثيلاً ، ولا لصـــوره تكراراً ، فجاء الثناء على الفريقين من يقرأ أحدهما يظن أنه لم يُبق للآخـــر شيئاً من هذا الثناء ، وإذا القرآن ببلاغته ، يخصُّ كل فريق بلوحةٍ ناطقة مـــن الفضـــل والأريحيـــة الـــتي مات أصحابها وعاشت مآثرهم تشهد على الدنيا بحقارتهـــا ، وتشهد على المتشاحنين من المسلمين بابتعادهم عن المنهج وجهلهم بـــروح الإسلام وتنكبهم سواء الصراط فقال : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

---

(١) الحشر ٨/٥٩ ، ٩.

صورة خالدة ، ولوحة حية ناطقة ، وشاهدة في الوقت ذاته على عظمة هذا القــرآن فــي البناء ، وعبقرية هذا المربي في التوجيه البنَّاء ، إذ استطاع - في ضوء تعاليم القرآن- أن يصوغ هذه المنظومة، وأن يُجْرِي نهر الحب يتهادى بين هــاتيك القــلوب وأن يرفع من قدر الأخوة والمحبة بشكل يفوق الخيال ، فعن أبي هريــرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : "إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فكلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها[1] ؟ قال: لا ، غير أني أحببتُه في الله عز وجل، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته"[2]

إن القرآن لا يعنى فقط بأجساد قوية، وإنما أيضاً بنفوس نقية، طاهرة تقية، تألف وتُؤلف تحِب وتُحَب.

إن عظمــة هــذا القــرآن تبرز في شرح الرسول ﷺ له ، وتلقِّي الصحابة لمعانيــه ، سلســلاً مــن سلســلٍ في بضع سنوات فيستطيع أن يطهر القلوب من علائقهــا الدنيويــة ، ووشائجها الجاهلية، ليضع مكانها نوعاً آخر وتقييما آخر ، وميــزاناً آخر غالياً ليس رخيصاً وخالداً ليس فانياً ، ثم ثمة هدف آخر لهذا الحب مــن المســلم لإخوانه ، وهو أنه لن يستطيع بأية حال من الأحوال أن يحمل الحب لغيــره، ويقدمه له ، إلا إذا تَغلَّب على نفسه وأخضعها للحق وأقامها على النُبْل ، وخلصها من أسقامها كالأنانية والأثرة والعجب والكبر، إلى غير ذلك ، فليس من المــبالغة -إذن- أن يقــال : " إن حبَّ الغير في واقع الأمر ينطق بتهذيب الإنسان الــذي أحب غيره ، كما ينطق بأنه سيد نفسه وأنه انفكّ - فعلاً - من أمر الأنانية والانفــرادية، وذلــك شأن لا يصل إليه الإنسان إلا إذا تمرس عن طريق الرياضة النفســية بتحرير نفسه وتخليصها من حب الذات وإخلاء مكانٍ في قلبه لهذا الغير أي المسلم المشارك له في الحياة والوجود"[3]

---

(١) تربُّها : تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٢) رواه مسـلم ، كـتاب البر والصلة ، والآداب، باب في فضل الحب في الله، ج٤ ص١٩٨٨ رقم ٢٥٦٧، وأحمد في مسنده، مسند المكثرين ، ج٢ ص٥٦٧ رقم ٧٨٥٩.

(٣) الإسلام في حياة المسلم ، د. محمد البهي ، مصدر سابق ، ص٣٥٧.

ثـم ثمـة هـدف آخر لهذا الحب : ألا وهو تعميق الإيمان بالله ، وترسيخ العقيـدة في قلب المؤمن وتثبيت جذور هذه المعاني في نفس المسلم حيث يعلم أن حبَّه لأخيه هو حبٌ لله، وأن حرصه على التقرب لأخيه هو حرصٌ على التقرب من الله ﷻ وأن سـعيه فـي وصل أخيه هو سعيٌ في طاعة الله ، فما أشرف ذلك وما أسـماه ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- "إنك إذا أحببتَ الشخص لله ، كـان الله هـو المحـبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك ، تصورت محبوب الحق فأحببـته ، فـازداد حـبك لله ، كما إذا ذكرت النبيّ ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصـحابهم الصـالحين ، وتصورتهم في قلبك فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المـنعم عـليهم وبهـم ، إذا كـنت تحبهم لله فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله ، والمحـب لله إذا أحـب شخصاً لله فإن الله هو محبوبه فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى ، وكل من المحب والمحبوب لله يجذب إلى الله"(١) .

والقرآن بهذا المنهج يحرص على أن تعم المحبة المجتمع وأن يسود الوئام جميـع أفـراده ، وللإنسان أن يتصور مقدار السعادة التي ستكتنفه ، والبِشْر الذي يرفـرف عليه ، والأنس الذي يُضْفيه هذا الحب عليه، والمودة التي سيفيض بها، ومـن هنا تأتي قوة المؤمنين، ويتحقق نصرهم، ويُرهب جانبهم ، ويحلو عيشهم ، فيشـكرُ غنيهم ، ويسعد بائسهم، ويهنأ فقيرهم ، ويمكَّن لهم في الأرض، فالبائس لن يلقى نفسه وحيداً ، والعاصي لن يجد نفسه شريداً ، والمخطئ لن يفاجأ بنفسه طريداً ، كلا ، فالحب جامعٌ لهم ، والإخاء مؤلف بين قلوبهم، فإذا بهم يكرمُ بعضهم بعضـا، فيفـرح الأخ بأخيه بلقائه ورؤيته ، وموعظته وتحيته، وهديته وعطيته ، وسائر أحواله وأموره ، ولا عجب فقد "رؤي على علي بن أبي طالب ﷺ ثوبٌ كأنه كان يُكثرُ لبسه، فقيل له فيه ، أي سئل عن ذلك ، قال : هذا كسانيه خليلي وصفيٌ عمرُ بن الخطاب ﷺ إن عمر ناصح الله فنصحه"(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - مصدر سابق ، ٦٠٨/١٠.

(٢) كـتاب الإخوان ، ابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد عبدالرحمن طوالبه ، إشراف ومراجعة نجم عبدالرحمن خلف ، ط، دار الاعتصام ، القاهرة ، الأولى ، د.ت ، ص٢٣٨.

فبـــلغ الحب بأهله أن كل شيء من المحبوب تحبُّه النفس ، لا لقيمة الشيء في ذاته ، ولكن أخذ قيمته لكونه من أخيه الذي أحبه ، وأحب كلَّ شيء فيه.

ثـــم ثمـــة هـــدف أخيـــر لهذا الحب : وهو شعور المسلم أن كل المسلمين عشـــيرته، وجميعهـــم أهله وخاصته فلن يُهضم النسب فنسبه الإسلام، ولن يمسي قليل العشيرة فعشيرته الإخوان وكأن كلَّ مسلم يرى الإسلام والمسلمين حوله دائرة وهو مركزها والكل منجذب إليه حريص عليه.

ثانياً : التعـــاون[١] :

والذي يتأمل خطاب القرآن سيجده موجهاً للجماعة كلها ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٢] لأن القـــرآن عندما يخاطب لا ينظر إلى المسلمين كآحاد متفرقين ، وأفراد متناثرين ، وإنما ينظر إليهم كجماعة واحدة مترابطة متآلفة.

تعـــاون يشـــمل كل مناحي الحياة ، ويمد رواقه على كل ما فيه الخير ، لأن الـــبر والتقوى معانٍ جامعة لكل ما يحقق الخير ويدفع الشر، ويجلب النفع ويجنب الضـــر، تعـــاون في الصلاة، وتعاون في الزكاة ، وتعاون في الجهاد ، وتعاون في الحـــج ، وتعاون في الدعوة ، وتعاون في العلم كالطب والفلك والبحار والتعدين ، وتعـــاون فـــي حَسْمِ الخلاف ورأب الصدع وتسوية المشاكل وإصلاح ذات البين ، وترغيـــباً فـــي ذلـــك قـــرن الله ﷻ -بمنهجية القرآن السباقة- الرحمة بالإصلاح والـــتقوى وإحســـان النية وحب الخير والمعاونة عليه. فبعد أن أمر بالإصلاح بين الطائفـــتين المتقاتلـــتين ، ومقاتلة الباغي منهما ، والإصلاح بينهما بالعدل والقسط قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣] ويوم

---

(١) "مصدر تعاون وهو مأخوذ من : العون الذي يراد به المظاهرة على الشيء ، والعون أيضاً الظهير على الأمـــر ، الواحـــد والاثنان والجمع والمؤنث سواء ، وقد حُكِيَ في تكسيره : أعوان ، والعرب تقول : إذا جـــاءت السَّنَةُ : [أي الجدب والقحط] جاء معها أعوانها أي الجراد والذئاب والأمراض ورجل معوان : حَســـن المعونـــة ، وكل شيء أعانك فهو عون لك ، كالصوم عونٌ على العبادة " انظر لسان العرب ٥/ ٣١٧٩ ، ٣١٨٠ (مادة: عون) ، والصحاح للجوهري ٢١٦٨/٦ ، ٢١٦٩ .

(٢) المائدة ٥/٢.

(٣) الحجرات ٤٩/١٠.

يتعاونون ويحرصون على بقاء الأمة أمة واحدة ، لا أمما كثيرة ، فالرحمة تغشاهم وتنزل عليهم ، وكذلك يضمنون رحمة ربهم إن هم رحموا أنفسهم من داء الخلافات ، وشر الانقسامات ، واتباع الأهواء والقرآن الكريم يريد من كل الجماعة المسلمة أن تقف حارسة يقظة للحب والوئام والود والسلام فيما بينها حتى لا يضيع أو يفقد أو يتناقص ، وعند أول بادرة لذلك تسارع إلى الإصلاح والتقريب ومداواة الجراح بالدواء الناجع ، ووالله ما أجلَّها من معانٍ : "حين يطلب القرآن من المؤمنين أن يتعاونوا وأن يتكاملوا لا في إقامة الولاء في العلاقات بين بعضهم بعضاً ، ولكن في الحرص على بقاء هذا الولاء وفي استمراره بدفع النزاع والخصومة وتسوية الأمر بين المتنازعين تسوية عادلة"[١]

والأمة كلها أُمرت بالتعاون ليكون البعض معيناً والآخر مستعيناً ، أو لأن الفرد المسلم نفسه أحياناً يكون في موقف المعين وآخر يكون هو المستعين ، وفي كل خير فإذا كان معيناً فنعِمَّا هو ، وإن كان مستعيناً ففي الحالين سيلتقي المسلم بأخيه ، ويفيض أحدهما بجهده أو فكره أو ماله ، أو رأيه على الآخر ، وهذا التعاون شجرة تثمر حباً وإخاءً ، تماسكاً وقوةً وترابطاً بين أفراد المجتمع الواحد.

والقرآن وهو يبني الفرد اجتماعياً ، ويضع فيه لبنة التعاون جعل هذا التعاون تابعاً للإيمان والتقوى ، فنصيب كل فرد من هذا الخلق على قدر نصيبه منهما ، لذلك اختلفت أنصبة الأفراد في هذه الصفة حسب حظهم من الحياة ، وتركيبة نفوسهم ومستوى إيمانهم وكذلك إمكانياتهم من عطاءات الله في النفس والرزق ، فمنهم معين مستعين ، ومنهم معين غير مستعين ، ومنهم مستعين غير معين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ، وتلك حكمة الله ﷻ في خلقه وهذا شأنه في عباده، وفي هذا المعنى كلام نفيس للإمام الماوردي[٢] -رحمه الله- رأى الباحث من تمام الفائدة استعراضه: قال : "تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة

---

(١) الإسلام في حياة المسلم ، د. البهي ، مصدر سابق ، ص٢٨٤.

(٢) هو : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ولد بالبصرة وولي القضاء في بلدان كثيرة ، توفي سنة خمسين وأربعمائة للهجرة ، انظر طبقات الشافعية ٣٠٣/٣ ، الشذرات ٢٨٥/٣ ، والأعلام ٣٢٧/٤.

أقسام ، فمنهم من يعين ويستعين ، ومنهم من لا يعين ولا يستعين ، ومن يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين"[١] وهذه سجايا في النفس ، وصفات في الطبع ومن الحتميِّ أن للتربية والتنشيءة أثراً في ذلك حسب التوجيه والقدوة في البيئة الأولى، ثم بين -رحمه الله - أول نوع بقوله : " فأما المعين المستعين فهو معاوض ، منصفٌ، يؤدي ما عليه ويستوفي ما له ، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ، ويسترد عن الاستغناء وهو مشكور في معونته ومعذور في استغنائه فهذا أعدل الإخوان"[٢] .

وهذا هو المنهج المعتدل وهو نهج الرسول ﷺ - وهو الذي تحقق فيه ما يرمي إليه القرآن من الأخذ والعطاء ، والإعانة والاستعانة ، لأنه يريدها أمة لا يستغني أحد فيها عن الآخر وإنما أصابع في يد ، وأسنان في ترس.

ثم قال -رحمه الله- " وأما من لا يُعين ولا يستعين فهذا متروك، قد منع خيره، وقمع شره، فهو لا صديقٌ يُرجى، ولا عدوٌ يُخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة ، يروقك حسنُها ، ويخونك نفعها ، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر"[٣]

وهذا لا يكون حال لبنةٍ في بناء أو عضو في جسد ، ولو تعادل في منع شره مع حَجْب خيره إلا أنه يشكل ضعفاً في البناء الاجتماعي فلا يُعْتَمدُ عليه ، ولا يُهْرَعُ إليه، ولا يؤمَّلُ عِندَ الشدائد، فيداه عن بسط الخير مقبوضة، وأيدي الناس منه منفوضة ثم قال -رحمه الله-: "وأما الذي يستعين ولا يعين فهو لئيم ، كَلٌّ مهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبُسِط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى، ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مُسْتَثْقَلٍ عند إقلاله، ويستقلُّ عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ ولا في الوداد نصيب"[٤]

---

(١) أدب الدنيا والدين ، الإمام الماوردي ، ط دار الريان للتراث ، بيروت ، الأولى ١٤٠١هـ ، ص٢١١

(٢) أدب الدنيا والدين ، الإمام الماوردي ، مصدر سابق ، ص٢١١

(٣) أدب الدنيا والدين ، الإمام الماوردي ، مصدر سابق ، ص ٢١٢

(٤) أدب الدنيا والدين ، الماروردي ، مصدر سابق ، ص٢١٢

وهو أسوأ الجميع فهو يقترب عند الحاجة ، ويبتعد عند الاستغناء ، ما قرأ القـرآن، ومـا عـرف روح الإسلام، ولا فهم أخلاق خيرِ الأنام ، يمثل صَدْعاً في البناء، وعورة في جبين الإخاء.

ثـم قال -رحمه الله - "وأما من يُعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصـنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عند نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفساً وأكرمهم طبعاً ، فينبغي لمن أوجد له الـزمان مثـلَه، وقَلَّ أن يكون له مثل لأنه البر الكريم، والدرُّ اليتيم أن يُثني عليه خنصـره، ويعض عليه بناجذه ، ويكون به أشدَّ ضَنًّا منه بنفائس أمواله ، وسنيِّ ذخائـره ، لأن نفـع الإخـوان عـام، ونفع المال خاص ، ومن كان أعمَّ نفعاً فهو بالادخـار أحـق ثم لا ينبغي أن يُزهد فيه لخلُقٍ أو خلُقَيْنِ ينكرهما منه، إذا رضي سائر أخلاقه ، وحمد أكثر شيمه، لأن اليسير مغفور ، والكمال مُعوزٍ"[١]

وقـليل في الناس هذا الصنف ، فليسو القاعدة السائدة، لذلك الموجود منهم بياض في سواد ، وذهبٌ في رماد.

ومـا أجمـل الاعتدال في أن يكون الفرد المسلم الذي بناه القرآن اجتماعياً فرداً إيجابياً يلقى إخوانه إذا احتاجهم ، ويلقاه إخوانه إذا احتاجوه ، ويعين إخوانه عند طلب العون، ويعين إخوانه عند اللزوم.

وهـذا ذو القرنين لما أراد بناء السد نادى فيمن حوله: ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾[٢] والـتعاون أوسـع وأشـمل من إمكانية حصره ، فمقاسمة الفكرة تعاون ، وتبني القضية تعاون والمؤازرة بالدعاء تعاون.

فهذه -مثلاً - قضية الأقصى ، ونكبة فلسطين، لو طبق كل مسلم على وجه الأرض ما عليه من واجب التعاون لرأى الناس عجباً فالتعاون بالجهاد ، والتعاون لدفـع الظـلم والبغي الواقع من اليهود وغيرهم على المستضعفين من المسلمين، وشعور الجسد الواحد والنبض الواحد، لا شك إن واجب التعاون على البر والتقوى

---

(١) أدب الدنيا والدين ، الماوردي ، مصدر سابق ، ص٢١٣.

(٢) الكهف ١٨/٩٥.

يحمِّل الأمة بأسرها مسؤولية النُّصرة العاجلة والغضبة العارمة ، والمبادرة لإحقاق الحـــق وإبطـــال الباطل ، فلما غابت هذه المعاني أو تراجعت أعْطِيَ الأعداء فرصةً مـــن ذهـــب للانقضاض على جسد الأمة ونهشه، وعلى مقدساتها لتدنيسها، وعلى أبـــنائها لتشريدهم والتنكيل بهم، والأمر الجماعي ما يتم إلا بتعاون وثيق، والتحام بـــه العدو يضيق: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

وهـــا هو صوت النبوة سارٍ في سمع الورى : "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"(٢).

ثالثا : النصيحة (٣) والتواصي(٤)

فـــي القـــرآن الكريم حشدٌ من الآيات الداعية إلى هذين الخلقين ، النصيحة والتواصي بين المسلمين ، تحبيباً وترغيباً ، ومدحاً وثناءً ، وحثاً ودعوة ، وتذكيرا

---

(١) التوبة ١٤/٩ ، ١٥ .

(٢) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ج٤ ص٢٠٧٤ رقـــم ٢٦٩٩، والـــترمذي في سننه، كتاب الحدود ، باب ما جاء في السَّتر على المسلم، ج٤ ص٣٤ رقـــم ١٤٢٥، وأبـــو داود ، كتاب الأدب ، باب في المعونة للمسلم، ج٤ ص٢٨٨ رقم ٤٩٤٦، وأحمـــد فـــي مســـنده، باقي مسند المكثرين، ج٢ ص٤٩٧ ، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ج١ ص٨٢ رقم ٢٢٥.

(٣) "هي الاسم من النصح ، وكلاهما مأخوذ من مادة ن ص ح التي تدل على ملاءمة بين شيئين ، وإصلاح لهما وأصل ذلك الناصح وهو الخياط ، والنصيحة خلاف الغش، يقال : نصحته : وأنصحُه ، وهو ناصح الجيـــب مَثَلٌ يضربُ لمن وصف بخلوص العمل والتوبة النصوح فيه" مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٥/٥ مادة (نصح) وقيل : " النصيحة : كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له" الكليات- الكفوي ، ٩٠٨ وقيل : "النصح إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه " الذريعة إلى مكارم الشريعة – الراغب ص ٢٩٥.

(٤) مصـــدر قولهم : "تواصى فلان وفلان ، أي أوصى كلّ منهما صاحبه، بمعنى عهد إليه ، وأوصى الرجل ووصاه بمعنى واحد ، والاسم من ذلك الوصية ، والوصاة ، قال الشاعر :

ألا مَنْ مُبلِغٌ عني يزيداً وصاةً من أخي ثقة ودود "

انظر لسان العرب ، ابن منظور ، ٣٩٤/١٥ . مادة (وصى)

وتوجيهاً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [١] قال عنها الشافعي -رحمه الله - : " لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"[٢] فالمسلم في جماعته مُوصٍ وموصى، ناصح ومنصوح ، مذكِّر ، ومُذَكَّرٌ، منبِّه ومنبَّه عاهدٌ ومعهودٌ إليه، فلو ساد هذا الخلق المجتمع ، لقلت أخطاؤه ، وانحسرت عيوبه، واستقامت مسيرته في الحياة.

والقرآن وهو يبني الفرد بناء اجتماعياً شاملاً ما كان ليغفل هذا الجانب الهام والفعال في حياة الناس ألا وهو جانب النصيحة والتواصي لما فيهما من تقوية لذاكرة المجتمع فلا ينسى معالم شخصيته ولا ينغمس في شهوته ومعصيته دون صوت ناصح أو فمٍ مذكِّر وتلك من الصفات الملازمة للإيمان والتابعة له قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝ ﴾[٣].

ولقد أولى صاحب المنهج ﷺ باب النصيحة اهتمامه الأكبر فربى عليها الأمة، حاكماً ومحكوماً ، راعياً ورعية، حتى تشيع في الناس ، ويتعودوها ، ولا ينفروا منها أو يستغربوها فللحاكم : قال : "ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يَحُطْها بنصيحة، لم يجد رائحة الجنة"[٤] دَفْعٌ للحاكم وتربية لينصح رعيته، ويتعهدهم فيقوِّم اعوجاجهم ، ويرفع مستواهم ويرعى مصلحتهم ، ويقف أمامهم حائلاً دون نزغات الشيطان ، وشهوات النفس، ونزعات الهوى وإلا فليعمل ما شاء فلن يجد للجنة ريحاً ، ولن يهتدي إليها طريقا.

---

(١) سورة العصر ١٠٣/١-٣

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، مصدر سابق ، ٥٨٥/٤.

(٣) البلد ٩٠/ ١٢-١٧.

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب من استُرعي رعية فلم ينصح ج١٣ ص١٣٥ ، رقم ٧١٥٠، ومسلم كتاب الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش للرعية النار ، ج١ ص١٢٥ رقم ١٤٢ ، واللفظ للبخاري.

ولـــلفرد العادي : علَّم هذا الخلق، وأخذ عليه العهد به لأهميته ، ودوره في إصلاح المجتمع وحاجة الناس إليه، "فعن جرير بن عبدالله[١] ﷺ أنه يوم مات المغيره بن شعبة[٢] ﷺ قام (أي جرير) فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، (وكان المغيرة أميرهم) فإنما يأتيكم الآن، ثم قال استغفروا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام، فَشرطَ علي: والنصح لكل مسلم، فبايعته على ذلك، ورب هذا المسجد إني لناصحٌ لكم ثم استغفر الله ونزل"[٣].

والأمة عندما تتربى على قبول النصيحة، وتتعود عليها ، بل وتبلغ في ذلك درجـــة عاليـــة ليســـت فقـــط في قبولها، وعدم ردها ، بل – أيضاً – في طلبها ، والتفـــتيش عنها وانتزاعها من أفواه الغير، وتشجيع هذا الغير على النطق بها، بل ويســـعد بها المنصوح ويعتبرها خيراً قدِّم إليه، ولا يراها تغض من قدره، أو تحط مـــن شـــأنه أو تسيء إلى شخصيته، ويتساوى في ذلك الحاكم والمحكوم ، فالكل ســـواء والكـــل غيـــر معصوم ، وهذا ثاني الخلفاء ﷺ عمر بن الخطاب وهو على المنبر يقول: "أنشدكم الله، ألاّ يعلم أحد مني عيباً إلا عابه، فقال رجل : نعم يا أمير المؤمـــنين ، فيـــك عيـــبان، قال: وما هما؟ قال : تُديل بين البردين[٤] وتجمع بين الأدمين[٥] ولا يسع ذلك الناس، قال : فما أدال بين بردين ولا جمع بين أدمين حتى

---

(١) جريـــر بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البجلي ، الصحابي الشهير يكنى أبا عمر ، وقيل يكنى أبا عبدالله ، كان جميل الخلقه، قال فيه عمر : هو يوســـف هذه الأمة، مات سنة إحدى وخمسين وقيل أربع وخمسين. انظر الإصابة ٢٣٢/١ ، والاستيعاب بهامشها ٢٣٢/١-٢٣٥.

(٢) المغيـــرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيـــس ، يكنَّى أبا عبدالله ، كان موصوفاً بالدهاء ، ولاه عمر ﷺ البصرة واستعمله معاوية على الكوفة إلى أن مات سنة خمسين للهجرة. انظر أسد الغابة ، ١٨١/٤ ، ١٨٢.

(٣) رواه البخاري ، انظر الفتح ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ، ج١ ص١٦٨ رقم ٥٨، ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ج١ ص٧٥ رقم ٥٦ ، واللفظ للبخاري

(٤) تديـــل بيـــن البردين : أي تلبسه وتخليه وتلبس غيره، انظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ، تحقيق د/ زينب القاروط ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ص١٥٤.

(٥) الأدمين : مَثَنَّى أدم ، وهو ما يؤكل به الخبز ، أي شيء كان.

لقـــي الله تعالى"[١] فلله درُّه أمير المؤمنين ، أيُّ نفس هذه التي بلغت هذا السمو، وفـــي الوقت ذاته صغرت حتى خضعت لصاحبها فساسها أحسن السياسة ، فأصبح يفـــرح بالناصحين ويحب الناقدين ، ويعتبر ذلك نعمةً عظمى أُسْدِيت إليه هو أحوج ما يكون إليها.

فمـــا أحـــرى المســـلم داخل مجتمعه بهذا الخلق النبيل ، ليعمل به ويتحلى بزينته، ، ويمرن نفسه عليه، ويهيئ ذاته له، بل ويفتش عنه ، ويسأل عنه إذا ما أبطأ عليه.

فضل التجرد في الناصح :-

بمعـــنى أن يكـــون الهدف من النصح هو إظهار الحق ، وتصحيح الخطأ ، وإيصال النفع للمسلم ولا يقصد به التشهير أو التجريح أو الإساءة ، أو الفضيحة، فكل هذا مما ينهى عنه الشارع ويرفضه ولا يرضاه للمسلم.

قـــال ابـــن رجب[٢] - رحمه الله - : " الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحـــق، ومعـــرفة المسلمين له ، سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصـــيحة لله ولكتابه ورسوله ، ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم ، وذلك هو الدين كما أخبر النبي ﷺ"[٣] يعني بذلك قول النبي ﷺ : "الدينالنصيحة"[٤] ويُخَصُّ بالذكر - هـــنا- نصـــحُ العلماء والفقهاء وأهل الفضل ، فبالإضافة إلى أدب الأسلوب ورقة العـــبارة ، وعذوبـــة اللفظ ، يجب أن يكون المقصود معرفة الحق لا الانتقاص أو

---

(١) مـــناقب أميـــر المؤمـــنين عمـــر بن الخطاب ، ابن الجوزي ، تحقيق د/زينب القاروط ، مصدر سابق ، ص١٥٤.

(٢) هـــو : عـــبدالرحمن بـــن أحمد بن رجب السلاَّمي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين ، حافظ للحديث ، من العلماء ، ولد في بغداد ، ونشأ وتوفي في دمشق ، من كتبه: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم ، ولطائف المعارف ، والاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ -لابن عباس. إلخ. توفي - رحمه الله- سنة خمس وتسعين وسبعمائة من الهجرة. الأعلام ، سابق ، ٦٧/٤ ، وانظر شذرات الذهب ٣٩/٦، والدرر الكامنة ٣٢١/٢.

(٣) القصـــد بين النصيحة والتعيير ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف ، القاهرة ، الأولى ، د.ت ، ص٣٢ ، ٣٣.

(٤) رواه البخاري وانظر الفتح ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة، ج١ ص١٦٦ رقم ٤٢، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ج١ ص٧٤ رقم ٥٥.

الـــذم، قـــال ابن رجب –رحمه الله– : " من عُرِف منه أنه أراد بردِّه على العلماء النصـــيحة لله ورســـوله فإنـــه يعـــامل بالإكرام والاحترام والتعظيم ، كسائر أئمة المســـلمين الذيـــن كـــان يردُّ على المخطئ منهم، ومن عُرف أنه أراد بردِّه عليهم التـــنقيص والذم وإظهار العيب فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمَّة"[١] .

ويـــوم تَحسْنُ النيات ويملأ النفوس التجرد ويكون الدافع للنصح مرضاة الله ورســـوله والخير للأمة والدعوة إلى الله وكيد الشيطان ومحاربته ، وتكثير الخير في الناس ومحاربة الرذائل ، وسد الخلل، مصحوباً بالأدب والاحترام واللفظ الحسن فـــإن مســـتوى المجـــتمع سيرتفع في فهمه ووعيه، في حسِّه وإدراكه، في تقواه وتجرده، في رضاه وتقبله، في محاسبة كل فرد لنفسه قبل أن يحاسبه غيره، وقبل أن يحاسبه –يوم القيامة– ربُّه.

البدء بالنفس قبل الغير : –

فليس من اللائق أن ينصح المرء غيره ويترك نفسه أو يوجه غيره ويهمل نفسه أو يرى أخطاء غيره، ويغضَّ عن أخطائه هو. قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٢] وهـــذا خُلُقٌ ذميم ، يأباه الطـــبع الســـليم، وتـــنفر منه الفطرة السوية إذ كيف يرى قصور الغير ويغفل عن قصوره، وكيف يَتفحَّص شؤون الناس وأمورهم ويشتغل عن شؤونه وأموره، لذلك فلا عجب إذا قيل : "لايكون ناصحاً لله ﷻ ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم إلا مـــن بدأ بالنصيحة لنفسه، واجتهد في طلب العلم، والفقه ليعرف به ما يجب عليه ويعـــلم عداوة الشيطان له، وكيف الحذر منه، ويعلم قبيح ما تميل النفس إليه حتى يخالفها بعلم"[٣] بل وإن إصلاح المرء أمر نفسه، وتهذيبه لها ونصيحته إياها أولا هـــو من باب النصح للمسلمين الآخرين، لأنه بذلك الفعل يقنعهم بنصحه، ويدعوهم بفعله ويرشدهم بحاله.

---

(١) القصد بين النصيحة والتعيير ، ابن رجب ، مصدر سابق، ص ٣٦ بتصرف يسير.

(٢) البقرة ٢/٤٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز ، الفيروز أبادي ، مصدر سابق، ٥/٦٧.

وعلى المسلم -بعد ذلك- أن يجتهد في نصح إخوانه نصيحة المحب الشفيق، والحاني الرفيق حَسْبَ موقعه وصلاحياته ووفق قدرته وإمكانياته، معتبراً أن عيب الآخرين عيبه وقصورهم قصوره، فهو بنصحهم ينصح نفسه، ويداوي عيوبها، أما غير المسلم فليس له على المسلم نصحٌ سوى من باب دعوته للإسلام، وتعريفه بمحاسنه وترغيبه في دخوله.

قال الإمام أحمد[١] -رحمه الله- : " ليس على المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم"[٢] .

لكن إذا اعتبرنا أن أعلى درجات النصح هو استنقاذ الإنسان من الكفر وهدايته إلى الإسلام، ودعوته إليه ، لكان الذميُّ داخلاً في المنصوحين الذين يقصدهم المسلم عارضاً الإسلام عليهم مرغباً لهم فيه ولكنّ النصح -هنا- يكون محصوراً في التعريف بالدين الذي لا يقبل الله غيره.

وقفة مع منهجية القرآن في بناء علاقة المسلم بالمسلمين

وثمة وقفات تتضح من خلال العرض السابق ومنها : -

١- أراد القرآن الكريم المسلم فرداً في تكليفه وفرداً في حسابه عن هذا التكليف وما أراده فرداً في حياته أو نشاطه أو مشاعره وإنما هي أمة واحدة.

٢- بعدالة غير مسبوقة ، وتوازن منقطع النظير نظم القرآن العلاقة بين المسلم وإخوانه ففرض له وأوجب عليه فما حاباه فارضا، ولا ظلمه موجبا.

٣- تعامل القرآن مع الفرد المسلم بموضوعية كاملة، وواقعية شديدة فأمره بالممكن، ودعاه للمستطاع، وأعفاه من المستحيل، وافترض أنه قد يزل

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الوائلي ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، ولد ببغداد ، نشأ منكباً على طلب العلم وسافر في سبيله كثيراً إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر وغيرها صنَّف المسند وله كتب في التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من ادعى التناقض في القرآن والتفسير وفضائل الصحابة وغيرها، توفي -رحمه الله- سنة خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة. الأعلام ١٩٢/١ ، ١٩٣، ووفيات الأعيان ، ٦٣/١-٦٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح ، ط مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الأولى ، ١٩٨٧م، ٢٩٠/١ وجامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مكتبة الرسالة الحديثة بعمَّان د.ت ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة ، الأولى ، د.ت ، ص٧٨.

ويخطئ فعمل حساب هذه أيضاً ووضع لها الحلول والمخارج ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1] فنبَّه لاحتمال التقاتل والتشاجر مع تسميتهما بالمؤمنين ووضع الحل لو حدث هذا. فما أعظمه من منهج.

٤- ربى القرآن بمنهجه الفريد كل مسلم أن يكون مرآةً صافية، فما يقابل المسلم أخاه المسلم إلاّ رأى فيه وبصفاء كل عيوبه وقصوره وبذلك يسعى المجتمع نحو الكمال الممكن والرقيّ الإنساني الفاضل.

٥- أراد القرآن بهذه التربية أن يحمي قنوات الاتصال بين المسلم وإخوانه منه وإليه، فلا يكفي لقيام بناء اجتماعي قويٍ تربية الفرد فقط، وإنما أيضاً تأمين وسائل الاتصال البشري، وصيانة قنوات التعامل لتبقى صافية المحتوى لا تعتريها الأحراش ولا تعطل مسيرها النفايات.

٦- إذا كان الرسول ﷺ يخبر أن مثل المؤمنين فيما بينهم كالجسد فالقرآن الكريم يبين الشرايين التي تضخُّ دم الحياة في هذا الجسد ليبقى حياً قوياً شامخاً.

* * * * *

(١) الحجرات ٩/٤٩.

المبحث الثالث

علاقة المسلم بغير المسلم

يعلم المسلم علماً يقينياً أن الإسلام هو الدين الخاتم، ويوقن أن الله لن يقبل غيـــره، ولن ينجي بسواه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٢] وإذا كـــان الإســـلام والقـــرآن قد وجها المسلم إلى تأدية واجبه تجاه مجتمعه المسلم، وتجاه إخوانه بل وتجاه ربه قبل ذلك ، فإن القرآن قد وجه المسلم وبين له ما يجب عليه تجاه غير المسلمين في مجتمعه ومن ذلك :-

١- الشـــعور الكـــامل بالعزة أمام غير المسلمين سواء كانوا كفاراً من الوثنيين أو كفـــاراً من أهل الكتاب أو حتى من المنافقين فقال ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] اعـــتزاز كامل بالإله الذي يعبده، والحق الذي يحمله، والهدف الذي يقصده، والرسالة التي ينضوي تحت لوائها، والمفـــاهيم التي ينطلق منها، اعتزاز بتميزه اعتقاداً ومنهجاً وسلوكاً وأخلاقاً، اعتزاز بأنه من خير أمة أخرجت للناس.

٢- حَجْـــب المـــوالاة عن غير المؤمنين لا في قليل ولا في كثير وادخار الحب كله لـــلمؤمن الـــذي أحـــب الله ورســـوله قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] وقـــال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [٥] وقـــال ﷻ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ

---

(١) آل عمران ١٩/٣.

(٢) آل عمران ٨٥/٣.

(٣) المنافقون ٨/٦٣.

(٤) آل عمران ٢٨/٣.

(٥) المائدة ٥١/٥ .

عَشِيرَتَهُمْ ﴾[١] .

٣- الإنصاف والعدالة مع من لم يكن محارباً ، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٢] وصاحب الرسالة ﷺ يقول : "من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة"[٣] ولتأت الدنيا بأسرها لتسمع هذا القول وتبصر هذه العدالة وليأتنا أهلها من المتشدقين بالعدالة أو الرحمة أو حقوق الإنسان بمثل هذا، أو بقريب من هذا ، ألا إنها الشريعة العادلة، والرسالة العظيمة التي قامت على العدالة وأرست قواعدها ، ولم تتحيز حتى لأهلها أو منسوبيها، وإنما أعطت كلَّ ذي حق حقه، وحمت له نصيبه وكرامته، وقررت إنسانيته وبشريته بصرف النظر دخل تحت لوائها أو ندَّ عنها.

٤- رحمة غير المسلمين رحمةً عامة والإشفاق عليهم من النار، والرغبة في هدايتهم حباً لله ومرضاته، وتأسياً بالمصطفى ﷺ وهو المخاطب بقوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] والقائل في حديثه ﷺ : "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "[٥] فيرثى لحالهم ، ويشفق على أوضاعهم ويتذكر برؤيتهم نعمة الله عليه ورحمته أن هداه للإسلام ، وانتشله من هوة الكفر والضلال والزيغ والانحراف ، ويتذكر بهذه الرحمة في الدنيا الرحمة المدخرة

---

(١) المجادلة ٢٢/٥٨.

(٢) الممتحنة ٨/٦٠.

(٣) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ج٣ ص١٦٨ رقم ٣٠٥٢، والترمذي في سننه ، كتاب الديّات ، باب ما جاء فيمن قتل نفساً معاهدة، ج٤ ص٢٠ رقم ١٤٠٣ ، وابن ماجه ، كتاب الديات ، باب من قتل معاهدا، ج٢ ص٨٩٦ رقم ٢٦٨٦.

(٤) الأنبياء ١٠٧/٢١.

(٥) رواه الترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين ، ج٤ ص ٣٢٣، ٣٢٤ رقم ١٩٢٤، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، ج٤ ص٢٨٧ رقم ٤٩٤١، وأحمد في مسنده ، مسند المكثرين ، ج٢ ص ٣٤٣ رقم ٦٤٥٨.

لـــه يوم القيامة. قال أيوب السختياني[١] -رحمه الله- مناجياً ربه : "إن رحمة قســمتها فـــي دار الدنيا وأصابني منها الإسلام فإني لأرجو من تسع وتسعين رحمـــة مـــا هـــو أكـــثر من ذلك"[٢] فإذا بالمسلم – وبهذا الشعور- يندفع إلى الدعـــوة وتبليغ دين الله في الأرض، وعَرْضِه على الناس وتعريفهم بخالقهم، وإرشادهم إلى ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة.

٥- يُهـــدي أهل الكتاب ويقبل هديتهم ، ويأكل طعامهم ، ويتعامل معهم قال تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[٣] وهو مع ذلك يُهينهم ولا يكرمهم ويضعهم ولا يرفعهم ، فإن الله ﷻ أهانهم وأذلَّهم ووضعهم، فقال: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٤] فمشـــــيئته ﷻ أن يهـــانوا ويحقّروا ويصغَّروا، ومشيئته نافذة إلا أن يشاء هدايتهم واستقامتهم ، فعندئذٍ يكرمون ويوقرون ويوالَون.

٦- جهـــادهم : ومعنى الجهاد : "استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[٥] وقال صاحب الـــتعريفات: "هـــو الدعاء إلى الدين الحق، وقد جمع ابن حجر[٦] -رحمه الله- بين هذين النوعين من الجهاد وأضاف غيرهما ، فقال : الجهاد بذل الجهد في قـــتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان ، والفساق والكفار، فأمَّا مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات ثم على تعليمها وأما

---

(١) هـــو : أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر ، سيد فقهاء عصره، تابعي من النساك الـــزهاد ، مـــن حفـــاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة ، انظر الأعلام ، ٣٨٢/١، وتهذيب التهذيب ، ٢١٠/١.

(٢) صلاح الأمة – سيد العفاني ، مصدر سابق، ٢٣٥/٤.

(٣) المائدة ٥/٥.

(٤) الحج ١٨/٢٢.

(٥) مفردات الراغب ، مصدر سابق ، ص١١٠.

(٦) هـــو أحمـــد بـــن عـــلي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ، ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، صنف الكثير والجليل من التصانيف ، كـــالدرر الكامـــنة ، ولسان الميزان ، والتقريب والتهذيب ، وغير ذلك الكثير ، توفي -رحمه الله- سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة ، الأعلام ١٧٣/١ ، ١٧٤.

مجـــاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب"[١]

ولقـــد نزلت آيات في القرآن الكريم كثيرة جداً تنادي بالجهاد وتحض عليه، وتـــرغب فـــي ثوابـــه، وتبصر بعقباه من نصرٍ وتمكن ، وتبشر بأجر الشهداء من خـــلود ونعيـــم، وتعـــرِّف بثماره من نشر الدين وكبت الأعداء ، ودَحْرِ الظالمين، وإصـــلاح الأرض وإقامـــة الشرع فيها، وكذلك نصرة اليتامى، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، والتخلية بين الناس وربهم ليختاروا دينهم بحرية دون ضـــغط أو إكـــراه أو تضييق من أحد ، ومن هذه الآيات : - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] وقولـــــه تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٣] وقوـــــــله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [٤] وقولـــــه تعـــالى: ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[٥] وأعـــلن قـــائد الأمـــة ﷺ قولـــه : "أفضل العمل الإيمان بالله والجهاد في سبيله"[٦] والأمة -منذ القـــدم- أدركـــت مكـــارم الجهاد وبركاته ، وآثاره الإيجابية على الحياة كلها فقام عـــلماؤها -رحمهم الله- بتبنيه ، ورفع لوائه ، والدعوة إليه ، والتحريض عليه،

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ، ٥/٦ ، وانظر التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني، سابق، ص٨٠.

(٢) البقرة : ١٥٣/٢ ، ١٥٤ .

(٣) آل عمران ١٤٢/٣

(٤) النساء ٧٥/٤.

(٥) الحج ٧٨/٢٢.

(٦) رواه مسـلم فـي صـحيحه ، كـتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله -تعالى- أفضل الأعمال، ج١ ص٨٩٢ رقم ٨٤ ، وأحمد في مسنده ، باقي مسند المكثرين ، ج٣ ص٩٣ ، رقم ٨٨٠٥.

فقال العز بن عبدالسلام[١] -رحمه الله- " إذا كانت مشقة الغبار عاصمةً من عذاب النار ، فما الظن بمن بذل ماله وغرر بنفسه في قتال الكفار"[٢]

والأمـــة المجـــاهدة أمـــة تكبر همومها ، وتعلو آمالها ، وتتجاوز سفاسف أمورهـــا، لأنهـــا شغلت بالهم الأكبر، والقضية الأعظم، فبات الجهاد حديث نفسها وكـــلمات دعائها حتى امتزج بأفكارها واختلط بمنطوقها. حتىكان من دعاء عائشة -رضـــي الله عنها - : " اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه"[٣]

والقرآن الكريم عندما يبني الفرد المسلم اجتماعياً على حبه الجهاد وأخلاق المجاهدة فذلك لأن المجاهد جاد لا هازل، وقويٌّ لا خائر، وصبورٌ لا هلع، وصاحب همـــة عاليـــة لا تدعه يهدأ أو يستريح ، وإنما يتحرك لله وبه ، ويسعى لمرضاته، وبـــلوغ جناته، ويسعى لتعبيد كل شيء له، يحب الجهاد وينادي به، ويتربى عليه ويربي غيره عليه، ومع ذلك فإنه لا يتمنى لقاء العدو، وإذا لقيه صبر وثبت وأبلى بلاءً حسنا . "فعن عبدالله بن أبي أوفى[٤] -رضي الله عنهما- أنه قال : إن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فينا فقال : يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء

---

(١) هـــو : عـــبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء - فقيـــه شـــافعي ، ولد ونشأ بدمشق ، له عدد من المؤلفات ، توفي ٦٦٠هـــ ، طبقات الشافعية ٨٠/٥ ، والأعلام ٢١/٤

(٢) أحكـــام الجهـــاد وفضائله، عز الدين بن عبدالسلام ، تحقيق نزيه حماد ، ط مكتبة الوفاء بجدة ، الأولى ، ١٤٠٦هـــ ، ص٦٨.

(٣) رواه الـــبخاري ، وانظر الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، ج٧ ص٢٦٧ رقم ٣٩٠١، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ج٣ ص١٣٩٠، رقـــم ١٧٦٩ ، فـــي رواية عائشة -رضي الله عنها- عن سعد بن معاذ ﷺ ، واللفظ للبخاري.

(٤) هو : عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي يكنى أبا معاوية وقيل أبا إبراهيم وقيل أبا محمد شهد الحديبية وخيبر ومـــا بعد ذلك من المشاهد بقي بالمدينة حتى قُبض رسول الله ﷺ ثم تحول إلى الكوفة ، ومات بها سنة ست وثمانين للهجرة ، انظر الاستيعاب ٧/٣ ، ٨ .

العدو، وأسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قام ﷺ وقال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم"[١] لذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢] فأُمروا بعدم تمني لقاء العدو، وأُمروا بالثبات إن هم لاقوه فالثبات مفتاح النصر على الأعداء دليل إيمان وعنوان يقين، وسبيل مجدٍ وعزٍ وتمكين، قال الراغب في معناه: "والثبات دالٌ على رباطة الجأش وثبات القلب، والرضا بالقضاء"[٣] لذلك كان هذا الوعيد الشديد في انتظار كل متولٍ أو فارٍّ أو هارب، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٤].

وقفة مع منهجية القرآن الكريم في بيان علاقة المسلم بغير المسلم

ثمة وقفات تتضح من خلال ما سبق عرضه ومنها:

١- أولاً ركز القرآن الكريم على إشعار المسلم بنعمة الله عليه إذ هداه لهذا الدين، وشرح صدره لنور الإسلام، وعرفه الطريق الصحيح والصراط المستقيم.

٢- وبعد أن تم هذا دعاه لتبليغ الدعوة، ونشر الإسلام، والإشفاق على غيره ممن يتقلبون في غياهب الكفر ومتاهات الضلال، ولا شك أن المسلم بعد أن عرف قدر نعمة الله عليه بالهداية سيندفع وبقوة نحو الدعوة والبلاغ، وسيشعر بأهمية نشر الإسلام بين من لا يعرفه، وتوصيله إلى من يجهلونه.

---

(١) رواه البخاري، وانظر الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس، ج٦ ص١٤٠، رقم ٢٩٦٥، واللفظ له، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، ج٣ ص١٣٦٢ رقم ١٧٤٢.

(٢) الأنفال ٨/٤٥.

(٣) مفردات الراغب، مصدر سابق، ص٧٨.

(٤) الأنفال ٨/١٥، ١٦.

٣- ضـــمن القـــرآن الكـــريم للمســـلم في تعامله مع غير المسلم كل وسائل العزة والكرامة برغم ما دعاه إليه.

٤- اعتـــبر القرآن الكريم المسلم -فقط- هو خليفة الله في أرضه لحماية منهجه وتبليغ دينه، ونصرة أهله من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

٥- دعـــا القرآن المسلم للجهاد ولكن لتكون كلمة الله هي العليا ، وللقتال ، ولكن لنشر الدين الحنيف ، وللتصدي للكفر ولكن ليخلّى بين الناس وعبادة ربهم.

٦- غَيَـــرةُ القـــرآن على أهله شديدة ومنقطعة النظير، فلا يريدهم أن يكونوا في الأرض أذلاء ، ولا منكســـرين ، ولا منهزمين، ولا صاغرين ، ولا مضطهدين ولكن يريدهم أعزاء منتصرين ، ظاهرين أئمة متبوعين.

* * * * *

الباب الثاني

منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للأسرة

*** الفصل الأول : الزوجة**

تـوطئة :

المبحث الأول : اختيار الزوجة

المبحث الثاني : رسالة الزوجة

المبحث الثالث : تعدد الزوجات

*** الفصل الثاني : الزوج**

تـوطئة

المبحث الأول : شروط قبول الزوج

المبحث الثاني : رسالة الزوج

*** الفصل الثالث : الأبناء**

تـوطئة

المبحث الأول : التربية وهمومها

المبحث الثاني : الطلاق وآثاره

المبحث الثالث : أبناء وآباء في القرآن الكريم

الفصل الأول

منهج القرآن الكريم في بناء الزوجة المسلمة

توطئة :

المبحث الأول : اختيار الزوجة

المبحث الثاني : رسالة الزوجة

المبحث الثالث : تعدد الزوجات

توطئة

إن الأسرة المسلمة التي رعاها الوحي المطهر واعتنى بها أيّما اعتناء تقوم عـلى ثلاثة محاور هامة هي المرأة والرجل والأبناء ، ولعل البدء بالمرأة هنا جاء عن قصد ، وذلك لما هو معلوم من دور المرأة الفذ في صبغ الأسرة بصبغة معينة، وفي توجيهها وجهة محددة ، وفي تشكيل الأبناء تشكيلاً خاصاً يكون - في الغالب - حَسـب شخصية هذه المرأة قوة أو ضعفاً ،إيجاباً أو سلباً الأمر الذي حدا بأمير الشعراء أن يقول مخاطباً المرأة : -

لـولا الـتقى لقـلتُ لم ... يخـلق سـواك الولـدا
إنْ شـيءت كـان العـير أو ... إن شـيءت كـان الأسدا[1]
وإن تُـردْ غيـاً غـوى ... أو تـبغِ رشـداً رشـدا
والـبيت أنـت الصـوت فيه ... وهْـو للصـوت صـدى
كالبـبغا في قفـصٍ ... قيـل له.. فقـلّدا
أوكالقضـيب الـلّدن قـد ... طـاوع في الشـكل اليـدا
يـأخذ مـا عودتِـه ... والمـرءُ مـا تعـوَّدا[2]

وقـد صدق -رحمه الله- وهو يؤمل في المرأة كل هذا الأمل ، وينتظر منها ما هو أكثر من ذلك.

ولقـد اعتـنى القـرآن الكريم بالمرأة وكرمها وشرفها وصانها ووجهها ، فأفـردها بآيات ، وخصّها بتوجيهات ، وفرض لها حقوقا وكلفها بواجبات ، فبنى شخصـيتها على القوة والتأثير والفاعلية ، وحفظ لها مكانتها ومقامها لدى زوجها وأولادهـا وأعطاهـا صـلاحيات في بيتها ، وحرية في عشها ، وخط لها الطريق الراشـد لحيـاة تموج سمواً وتزداد رقياً ، وآخرةٍ أجمل ، ومنتهى أفضل ، فتكون هـذه الآخـرة هي الحلقة المكملة للحياة الدنيا فيجتمع الشمل في الجنة كما اجتمع

---

(١) العيرُ : مؤنثة : القافلة ، وقيل العيرُ الإبل التي تحمل الميرة، لسان العرب، ابن منظور ، سابق ، ٦٢٤/٤

(٢) الشوقيات ، أحمد شوقي ، سابق ، ١٩٢/٤ (بعنوان : الأم)

عـــلى الأرض ، ويكتمل الأنس في جوار الله كما بدأ في الدنيا ، ويتم النعيم في دار الجزاء كما عاشته الأسرة المسلمة في دار العمل، في ظل الطاعة والخير والهداية وهـــي تتـــلو الآيات ، وتسمع البشريات ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[1] ، قـــال أبو حيان : " هو حكاية ما يقال في ذلك اليـــوم ، وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود له في النفوس وترغيب إلى الحـــرص عـــليه وفيمـــا يثمره"[2] وصورة هذا النعيم المشرقة من الأمور الحادية لتكوين أسرة مسلمة، وبناء بيت يستحق هذا النعيم المقيم، والمرأة المسلمة اليوم تـــتعرض لهجمة شرسة تزداد حدة يوماً بعد يوم، بين مُطالبٍ بحريتها، وداعٍ لنزع حجابهـــا ، ومـــدَّعٍ لـــلرفق بهـــا والإشفاق عليها ، وبين ماجن يريد هتك سترها وإخـــراجها مـــن بيتها وعرضها سلعة للاعبين ، يتسلى بها الساقطون ، ويلتهمها الذيـــن فـــي قـــلوبهم مرض، وبين مهرولٍ وراء الغرب يريد للمرأة المسلمة التي صـــانها الله بوحيـــه أن تتأسى بنسائه عُرياً وخلاعة ومجوناً وجنساً ، وبين منفذٍ لمخطـــط وضـــعه أعـــداء الإسلام – درى بذلك أم لم يدر، لغزو المسلمين في عقر دارهـــم وإفســـاد بيوتهـــم ، وهدم أخلاقهم ، وشغل نسائهم بالتافه من الأمور عن الرســـالة العظـــمى ، والمســـئولية الكبرى ، وهي تربية الأجيال وإعداد الرجال ، وإخـــراج الأبطـــال فتنشأ بذلك – أرقام من البشر ليس لها قيمة، لا تعرف لنفسها هوية ، ولا تذكر أنها خير أمة أخرجت للبشرية ، تتنكر لموروثها الأصيل ، وتجني عـــلى نفسها وأمتها وتحيا على هامش الحياة ، فلا دور تلعبه ، ولا مجد تحصله، ولا عدو ترده، ولا غزو تصده ، ولا دنيا تكسبها ، ولا آخرة تحوزها.

وفي هذا الفصل بمباحثه الثلاثة عن اختيار الزوجة ورسالتها وكذا عن تعدد الـــزوجات ستوضـــح الدراسة – بحول الله وقوته- منهجية القرآن الكريم في بناء المـــرأة المســـلمة وفي إبراز دورها الخطير ، وفي بيان ما تؤمله أمتها فيها وما

---

(١) يس ٣٦/٥٥-٥٨

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان ، سابق ، ٩/٧٥ ، وانظر تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ٢٦/٩١.

تنتظره منها ، عسى أن تعود إلى سالف عصرها ، وسابق مجدها فتقدم لأمتها بيتاً آمناً مطمئناً ، موصولاً بالملأ الأعلى ، وإن عاش على الأرض ، وتخرج لها أسوداً أقوياء ، أباةً أعزاء ، يستعصون على الأعداء ، لهم في الأرض حياة ولكن نسبهم موصـــول بالسماء ، اجتمعوا على منهج الله في الدنيا ، ليجتمعوا على مائدته في الآخـــرة مـــع ذويهـــم حيث هناك :﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾[1] وهي بشارة للمطيع بكل ما يزيده سروراً وبهجة حيث يجتمع بالآباء والأزواج والأولاد لعلم الله ﷻ أن المؤمن يحب الاجتماع بأهله في الدنيا فأحب أن يجمعهم له في الآخرة[2]

* * * * *

(١) الرعد ١٣/٢٣-٢٤

(٢) انظـــر تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ١٩/٤٦ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الحافظ السيوطي، مصدر سابق ، ٤/١٠٨.

المبحث الأول

منهج القرآن الكريم في اختيار الزوجة[١]

لـــئن تعـــددت أسباب اختيار الناس لزوجاتهم حسب تصوراتهم عبر الأزمنة والقرون ، ولئن اختلفت وجهات نظرهم في أسباب اختيار امرأة بعينها دون سواها لتواصل معهم مسيرة الحياة ، كل بحسب ما يتطلبه في شريكة مشواره بين مظاهر تفـــنى ، وحقـــائق تبقى، بين أوهام كالسراب وواقع كفلق الصبح ، فللقرآن العظيم وهـــو يؤســـس الأســـرة عـــلى تقوى من الله ورضوان أسلوبه المتميز، ومنهاجه المتفرد في بناء هذه الأسرة وبالتالي في اختيار هذه الزوجة التي هي أول ما يطير إليـــه خيال الرجال عندما يُزمع إنشاء أسرة ، وتأسيس بيت ، وكما صاحب القرآن بتعـــليماته وتوجيهاتـــه – الفرد وهو يبنيه اجتماعياً -معنوياً وحسّيا- فهو – أي القـــرآن – يصاحبه – أيضاً – وهو يفتش بين بنات حواء عمن تشاركه في مشوار حياته الخطوة ، وعمن تنال من نفسه الحظوة، وعمن يرضاها لأولاده أماً ، وتحمل عنه من عناء الحياة هماً.

ودليـــل اهـــتمام هذا الكتاب المعجز بهذه الإنسانة في حياة الرجل أنه ذكرها بيـــن دفـــتيه كـــثيراً مشـــيراً إلى دورها وأثرها في الحياة[٢] وذلك بأسلوب مباشر وأيضاً، هناك آيات تضمنت ذكر الأهل أو النساء أو الصاحبة[٣]

وآيات سوى ذلك في مضمونها تخاطب المرأة مع الرجل أو تنهاها معه ، أو

---

(١) انظـــر الأمومـــة فـــي القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ، مصدر سابق، ص١٢٩ وما بعدها .

(٢) انظـــر الـــبقرة ٢/٣٥ ، ١٠٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، النســـاء ٤/١ ، ١٢ ، ٢٠ ، الأعراف ٧/١٩ ، ١٨٩ ، الـــتوبة ٩/٢٤ ، الـــرعد ١٣/٢٣ ، ٣٨ ، النحل ١٦/٧٢ ، طه ٢٠/١١٧ ، الأنبياء ٢١/٩٠ ، المؤمـــنون ٢٣/٦ ، الـــنور ٢٤/٦ ، الفرقان ٢٥/٧٤ ، الشعراء ٢٦/١٦٦ ، الروم ٣٠/٢١ ، الأحزاب ٣٣/٤ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، فاطـــر ٣٥/١١ ، يـــس ٣٦/٥٦ ، الصـــافات ٣٧/٢٢ ، الزمر ٣٩/٦ ، غافر ٤٠/٨ ، الشورى ٤٢ / ١١ ، الزخرف ٤٣/٧٠ ، التغابن ٦٤/٤ ، التحريم ٦٦/١ ، ٥ ، المعارج ٧٠/٣٠ ، والنبأ ٧٨/٨٠.

(٣) انظر النساء ٤/١٢٧ ، طه ٢٠/ ٩ ، ١٠ ، النور ٢٤ /٢٦ ، التحريم ٦٦/٦ ، وعبس ٨٠/٣٤-٣٦

تأمرها معه ، أو تبشرها معه ، أو تخبرها معه ، فنداء : يا أيها الذين آمنوا يقصد به الرجال والنساء ، فالمرأة ما هي إلا زوجة، بل والفتيات الصغيرات في الطريق ليكن زوجات ، فموكب الآيات المضيء وعقدها اللألاء يتألق في عنق كلٍ من الرجل والمرأة على حد سواء لأن حكمة الله اقتضت ألا تصلح الحياة إلا بصلاح الجنسين ، وقافلتها لا تسير إلا بهما ولا تقوم إلا عليهما.

التصنيف الموضوعي للآيات القرآنية حسب السياق:

والمتأمل في نسق آيات القرآن الكريم التي أشارت لذكر الزوجة أو الأهل صراحة أو ضمناً سيجدها تندرج تحت واحدٍ من هذه الموضوعات:

١- التشريع :

كإبطال التبني الذي كان مألوفاً في الجاهلية ومتعارفاً عليه ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾[١] وهنا "علل تزويجه إياها بقوله لِكَىْ﴿ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ في أن يتزوجوا زوجات من كانوا تبنَّوه إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ﴾[٢] أو الوفاء للزوجة بمستحقاتها إذا طلقت أداءً للحق وقياماً بالعدل وسعياً لوجود مجتمع قوي البناء طاهر النفس ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾[٣] أو وجوب زواجها بآخر في حالة وقوع الطلقة الثالثة ليبقى ذلك المصير تهديداً وإنذاراً لكل من يتجرأ على الطلاق دون دواعيه وليبقى البناء الأسري قوياً لا تهدده العواصف والأنواء ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾[٤] أو التشريع للنبي ﷺ بصفة خصوصية تشريعاً يثبت أنه لا يتصرف من عند نفسه، وأنه مأمور ومتلقٍّ ، وأنه مُلزم بأوامر

---

(١) الأحزاب ٣٧/٣٣

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان ، سابق ٤٨١/٨، وانظر التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، سابق ، ٢١٣/٢٥ ، والظلال ، سيد قطب، سابق ص٢٨٦٨ - ٢٨٧١.

(٣) النساء ٢٠/٤

(٤) البقرة ٢٣٠/٢

ربـــه، منصـــاع لهـــا، وأن هذا القرآن يتولى مسيرة الرسول ومسيرة أمته في كل الشؤون فلا مجال لرأيٍ أو هوىً وإنما هو الوحي والتوجيه ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَاجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ (١) أو تقســـيم الميـــراث وفـــرض الحقـــوق وبيـــان الحدود ، وتوزيع الأنصبة يتولاه الله ﷻ من فوق سبع ســـموات وعبر سورٍ وآيات فيقول : ﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ ﴾(٢) أو تشـــريعٌ للمؤمـــنين باعتـــبار أزواج رســـولهم أمهات لهم ، وبالـــتالي لا تُنكح أزواجه من بعده أبداً ليبقى هؤلاء الأزواج في مقامهن العالي ، ومكانهن الرفيع ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾(٣) ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾(٤).

وهكـــذا يقـــف القـــرآن الكـــريم رقيباً على تصرفات الرجال ، يحمي حقوق النساء، ويضمن لهن الكرامة ، ويكفل لهن العدالة ، ويحوطهن بسياج من الوقاية دفاعـــاً عـــنهن، وانتصاراً لهن ، واعتناءً بهن. وليت الناعقين بالدفاع عن حقوق المـــرأة يقـــرؤون هـــذه النصوص ويقفون عندها محايدين متحرين للحق وعندها سينتهون.

٢ـ المنّة بالخلق(٥):ـ

فـــلم يجعـــل الله ﷻ زوج الرجل من الجن أو أي جنسٍ آخر ولكن من تمام الـــنعمة وعظيـــم المنة أن جعل مصدر الخلق نفساً واحدة ليكون الأنس والانسجام

---

(١) الأحزاب ٥٢/٣٣

(٢) النساء ١٢/٤

(٣) الأحزاب ٦/٣٣

(٤) الأحزاب ٥٣/٣٣

(٥) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٧٦٣.

والـــتلاؤم والانجـــذاب لأن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر[١] وهي نعمـــة تقـــابل بالتقوى وتبارك بالشكر ، وتنمو بالثناء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٢]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[٣] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] .

٣ـ استشعار جمال الرّفقة والمشاركة في مشوار الحياة

حيث الهم يقتسم والصعب يهون ، وفيح الحياة يغدو ظلاً ظليلا، وكم لصحبة الـــزوجة زوجها من أثرٍ في حياته ينتصر على الصعاب ، ويقوى على المعوقات، ويشـــعر بقـــوة تســـانده ، ومددٍ يؤازره، تشاطره اللقمة والكلمة والبسمة ، تمسح دمعـــته وتشـــعل همـــته ، فالطريق واحد، والغاية واحدة والمصير واحد وبالتالي فـــالأمل والألم -أيضاً- واحد. ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[٥] ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[٦]

٤ـ الشهادة بقوة ورسوخ علاقة المرء بزوجه:

والدليـــل عـــلى قوتها ورسوخها وسموها -أيضاً- أنه بلغ من قبح السحر وأثره أنه يفسد هذه العلاقة، وينسفها بل قد يقلبها عداوة وبغضاء وقطيعة وجفاء، وليس أبلغ من قوله ﷻ في السحر : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[٧].

---

(١) تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ١١٠/٢٥.

(٢) النساء ١/٤

(٣) الأعراف ١٨٩/٧

(٤) الروم ٢١/٣٠

(٥) البقرة ٣٥/٢

(٦) الأعراف ١٩/٧

(٧) البقرة ١٠٢/٢

٥ـ التحريض على التقارب والتمازج :

حيث المصير واحد، والخطر الذي يهددهما واحد والعدو -أيضاً- واحد وهذا من شأنه أن يزيد التقارب والتآلف، ويولد الحب والتعاطف ، فإن اتحاد الخطر من شأنه أن يوحد الجبهة المضادة لتلافيه من باب المصلحة والمصير فقال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[١] رغم أن الشقاء خُصَّ به هو أي الزوج[٢] ، ولكن العداوة للشيطان جمعت بينهما ، والبغض له وحَّد بينهما ، وحبّ السلامة والنجاة كان هدفهما.

٦ـ مشاركة المرسلين لسائر البشر :

في حياتهم وزواجهم وإنجابهم ، وهذا يزيد ربط الناس بربهم وليس بالمرسلين ، فالمرسلون ما ميِّزوا إلا بالوحي واصطفاء الله لهم فهم بشر يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، ويتزاوجون ويتناسلون وينجبون ، وهذا تأديب للمرسلين وللمرسل إليهم فالجميع بشر وما من إله إلا الله الذي لم يلد ولم يولد ولم تكن له صاحبة فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[٣] فالجميع في هذا سواء ، فهو من طبع البشر والفطرة التي فطرهم عليها يستوي في ذلك النبي وغير النبي.

٧ـ الإشارة إلى مصدر الإصلاح والهداية :

وأن الصلاح نعمة منه ﷻ وهو يأتي كثمرة للمسارعة في الخيرات وللدعاء الراغب الراهب فمن أراده فليسلك سبيله وليلجأ للذي بيده صلاح خلقه وللآخذ بنواصيهم وهذه تربية للخلق أجمعين ليحذوا حذو المرسلين في الافتقار إلى الله والانكسار بين يديه وسؤاله في جميع أحوال الرغبة والرهبة واليسر والشدة. ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾[٤]

---

(١) طه ١١٧/٢٠

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢٣٥٤/٤.

(٣) الرعد ٣٨/١٣

(٤) الأنبياء ٩٠/٢١

٨ـ تحديد الغاية ووضوح الهدف من أول الطريق :

فإمـــا دنيا وإما آخرة ، وإما طريق الشيطان أو طريق الرحمن ، فلا أنصاف حلول ، ولا خلط ولاغبش في الرؤية، ولا تميع موقف ، ولا تأرجح بين إرادتين ، ولا جمـــع بيـــن متضـــادين وإنما من اختار طريق الله فيلزم ومن أراد نعيم الجنة فـــليعزم، وإذا كان من حق كل إنسان أن يختار، فبعد الاختيار من واجبه أن يلتزم ويوفـــي ويـــتمم فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] **وليـــس معنى ذلـــك أن من يختار الله والرسول والدار الآخرة يترك الدنيا وما عليها ، كلا وإنما معناه أن تُعبَّد الرغبات والهوى ، والمتع وسائر الطيبات المباحة لله رب العالمين ، لتكون النية خالصة له ، وسائر الأعمال يُبتغى بها وجهه ، ونساء النبي هن أسوة لكـــل نساء الأرض وقدوة للعالمين ، وهذا البيت -بيت الرسول- هو منبع الفضيلة ولابـــد مـــن تميزه ليبقى محطّ أنظار الناظرين ، ومثار إعجاب المسلمين حتى قيام الســـاعة ، ولـــتجد كل امرأة لنفسها في هذا البيت الكريم دروساً تتعلمها ، وأنواراً تقتبسها ، خاصة بعد أن ارتفع قدر أمهات المؤمنين بعد هذا الاختيار وهن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة ويؤثرن الباقي النفيس على الفاني الرخيص.**

٩ـ الأمر بالحجاب :

ليزداد شأن المرأة المسلمة ، فهي كالدرة المصونة ، والجوهرة المكنونة ، لا تخـــترقها الأعين ولا تلمزها الألسن ، ولا تصيبها سهام الناظرين ، بل ولتتميز على سائر النسوة الأخريات غير المسلمات اللائي ليس لهن منهج يرعى ولا كتاب يوجـــه، ولقـــد تشـــرفت المسلمة وهي تضاف وتعطف على خير النسوة وأطهر الأزواج أزواج النـــــــبي ﷺ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا

---

(١) الأحزاب ٢٨/٣٣ ، ٢٩

رَّحِيمًا ﴾[١] فمن تشرفت بهذا الذكر فلتشرّف نفسها بالاتباع ، لتكون في زمرة من ذكرت معهن، وفي معية من انتسبت إليهن.

١٠ـ أمر الله أولاً :

قبل الزوجة وطاعتها ومحبتها ، فلا يقدَّم شيء عليه ، ولا يُبدأ بشأن قبله ، ولا يتنكر المسلم لأمر ربه خضوعاً لمحبة أبيه ، أو ولده أو إخوته أو زوجاته وعشيرته أو حتى أمواله وسائر مكتسباته ، وفي هذا تربية عالية للمسلمين أن يحبوا زوجاتهم لكن في الوقت الذي يتناغم هذا الحب مع حب الله ، أما إذا تصادم هذا الحب مع محبة الله وطاعته ، أو النفرة في سبيله ، أو الاقتداء برسوله فهذا لا مجال للاختيار أو المقارنة أو تحقيق الرغبات ، أو الخضوع للمشتهيات بل على الفور طاعة الله أولى، وأمره أعلى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٢].

١١ـ في الزوجة غنىً عن التلطخ بالفواحش :

فقوم لوط عليه السلام لم يكتفوا بالأزواج الحلال ، ولم يقنعوا بالطيب المباح فاستحدثوا جريمة لم يسبقهم بها من أحد من العالمين ، فأتوا الرجال ، تركوا الطيب الذي يتمشى مع الفطرة السليمة ، وفعلوا الخبيث الذي تنتكس به الفطرة، وتمسخ به الطبيعة، فذُكِّروا بالأزواج توبيخاً لهم على شناعة الفعل وقلة العقل ، وسوء المصير وفي هذا إيماء لدفء الزوجة، وطبيعة ما فطرها الله عليه من إشباع رغبات الرجل وإسعاده، وإغنائه عن كل فعل خبيث محرم. ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[٣]

---

(١) الأحزاب ٣٣/٥٩

(٢) التوبة ٩/٢٤

(٣) الشعراء ٢٦/١٦٥-١٦٦

١٢- الزوجة موضع سر زوجها وشاطئ سفينته:

يبوح لها بمكنون نفسه ، ويُنزل في ساحتها ما يساوره من هموم وأحزان ، وما يتردد في صدره من أسرار ، وما يخطط له في قادم حياته، وما يُقلقه أو يزعجه أو يعترض طريقه من عقبات الأيام ، يحادثها ليجد عندها السَّلوى ، ويؤمل منها النصيحة ، ويستقبل منها المشورة ، فهي شريكة دربه ، وقسيمة همه وكربه[١]، وتلك إيماءة القرآن الكريم وهو يربي أمةً بأسرها من خلال ما يدور في بيت الأسوة ﷺ ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾[٢] وبعيداً عن موضوع الحديث ، والحكمة منه، فإن الرسول ﷺ لم يخطئ -وحاشاه- عندما أتى بزوجه وباح لها بما في صدره، واصطفاها من بين سائر نسائه، وآثرها ببنات فكره، لكنّ الله ﷻ يأبى إلا أن يعلمنا ويربينا على دروس من هذا البيت الكريم الذي ما طلعت شمس ولا غربت ، على أفضل منه ولا أطهر.

١٣ التحذير من عداوة قد تكمن في الزوجة:

إذا لم تعرف رسالتها ، ولم تدرك دورها ، ولم تفهم مهمتها، ولم تكن عوناً لزوجها على طاعة ربه والهجرة إليه[٣] ، والتقرب منه ، إذا دعت للقعود ، أو أمسكت يداً عن الإنفاق أو كانت سبباً في فتنة زوجها في دينه فهي العدو اللدودة التي يحذر القرآن منها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[٤]

١٤- الثناء على المؤمنين الذين أحسنوا الدعاء :

فأدركوا -بفطنتهم- خطر الزوجة ودورها ، وأهمية صلاحها ، وأثر هدايتها على البيت والأسرة والأولاد وبالتالي المجتمع كله، وأنه بصلاحها يصلح مَنْ حولها في الغالب لذلك لهجت ألسنتهم دعاءً لله أن يجعل من هذه الزوجة قرة عين، ومهجة خاطر ، ومتعة روح لتحلو الحياة ، وتهون الخطوب ، ويسهل الطريق إلى

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ٢٧٦٣/٥.

(٢) التحريم ٣/٦٦

(٣) انظر تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ٢٧/٣٠.

(٤) التغابن ١٤/٦٤

الله ﷻ ، طـريق الإمامـة والتمكين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[١]

١٥- البشارة بمرافقة الأزواج في الدار الآخرة :

وهـذا من تمام النعمة ، ومن محفزات الاستقامة ، ومن جميل البشريات ، فكل محبٍ لزوجه كم كان سيأسى ويحزن لو عرف أن الموت هو نهاية اللقاء ، ولا لقاء في الجنة ، وإنما جاء القرآن ليطمئن قلوب الأزواج بمعاودة اللقاء واستمرار الصـحبة واستئناف الرِّفقة إلى غير افتراق بين الزوج وزوجته ، ويا لها من آيات تبشـر ويسعد بها قلب المؤمن وهو يرى من تمام نعيم الجنة أن يجتمع الشمل بعد أن قطعه الموت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[٢] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[٣] .

وإذا كـانت وقفـة الحسـاب الحـرجة تجعل المرء -من هولها- يفر من صـاحبته، ويقـول نفسي نفسي، إلا أنه بعد هذا الهول تأتي الرحمة لترفرف على أهـل الجنة حيث يحبرون أي يكرمون[٤] فلا يبقى نعيم إلا أخذوا منه بنصيب وافر ومنه لقاء المحبين الذين سلكوا سوياً الطريق إلى الله ﷻ متواصين بالحق والصبر ، متعاونين على البر والتقوى ، وهذه اللقطات القرآنية القادمة من مشاهد الآخرة إنما تعمق في المسلم مشاعر الإيمان بالله واليوم الآخر ، وتدفعه إلى حسن اختيار مـن يريدها رفيقة دربه هنا وهناك ، وتغريه بإقامة أسرة تأمن عذاب الله وتجتمع في دار كرامته ، وتذكره أن الله محاسب الجميع مهما تصور المرء أن هذه حياته الخاصـة بـه وهو المسؤول عنها ، وتحفزه إلى نصح أهله وإقامتهم على شريعة المـولى وصولاً إلى هذا الرضا وطلباً لذلك النعيم المقيم وتخفف عنه لأواء الحياة مهمـا كـان فيها ما دامت النهاية على الأرائك حيث الإكرام والإنعام ، وتدفعه إلى

---

(١) الفرقان ٧٤/٢٥

(٢) الزخرف ٦٩/٤٣-٧٠

(٣) يس ٥٦/٣٦

(٤) انظـر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الحافظ السيوطي ، مصدر سابق ، ٧٣٢/٥ ، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما -

التمسك بهذا القرآن والعكوف عليه وهو الذي يحمل في ثناياه بشريات تهمه ، ووثائق تعنيه ، وتفتح له باباً عظيما على واسع رحمة الله الودود الذي يمتنُّ على عباده الصالحين بكل ما يسعدهم في الدنيا والآخرة . فهي أسرة في الدنيا وهي أسرة في الجنة ، وهي صحبة في دار العمل ، وصحبة أطيب في دار الجزاء ، فالزوج والزوجة معاً ، وحتى الأبناء ليكتمل الفضل وتتم النعمة وهذه تربية تنشد الصلاح والاستقامة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (١)

أسس الاختيار وفقاً للمنهج الرباني :

قال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (٢) وقال ﷺ : "تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"(٣) . وقال ﷺ: " الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(٤)

إن البيت المتوافق نفسياً ، المتناغم شعورياً هو البيئة الصالحة لإثمار طفل سوي متوازن عقلياً وسلوكياً ونفسياً ودينياً واجتماعياً ، وأول نواةٍ لهذا البيت المنشود هي المرأة فهي تربة الغرس ، وهي أُسّ البناء ، وهي سكن النفس وهي عنوان البيت ، إذا أدركت الحكمة من اجتماعها بالرجل ، والغاية من انتقالها من بيتها إلى بيت زوجها ، والرباط المقدس الذي يجمعها بمن اختارها والآمال التي تعلقها أمتها عليها، "فالأرحام كالأرض الطيبة إذا طاب زرعها وأينع أحلى الثمار"(٥)

---

(١) الطور ٢١/٥٢

(٢) النور ٢٦/٢٤

(٣) رواه البخاري وانظر الفتح ، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ج٩ ص٣٩ حديث رقم ٥٠٩٠ ، واللفظ له، و مسلم كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح ذات الدين، ج٢ ص١٠٨٦، حديث رقم ١٤٦٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ج٢ ص١٠٩ حديث رقم ١٤٦٧ ، وأحمد في مسنده، ج٢ ص٣٥٥ رقم الحديث ٦٥٣١.

(٥) المرأة كما يريدها الإسلام ، خالد مصطفى عادل ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٣٥.

والقــرآن الكــريم وضع منهجاً فريداً في الاختيار يضمن لمن يتبعه السعادة والاســتقرار والحيــاة الرغيدة السعيدة ، والأيام الباسمة حتى مع ضيق ذات اليد وقلة الإمكانات المادية فالرضا سيكون رأس مال هذه الأسرة الكريمة ، وتدور أطر هذا المنهج الرباني على :

١ـ الإيمان أولاً :

قــال تعــالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾[١] قال الطبري –رحمه الله– "فمعنى الكلام إذاً : ولا تنكحوا أيهــا المؤمنون مشركاتٍ ، غير أهل الكتاب، حتى يؤمن فيصدقن الله ورسوله وما أنــزل عــليه"[٢] ورغــم مــا بين الحرة والأَمَة من فروق فالحرة لها أهلية التملك والتكســب وتملك نفسها ، والأَمَة حُرمت من كثير من المزايا وكفى أن ولدها تابع لها في الرق والحرية إلا أن القرآن يرغب في نكاح الأَمَة بدينها وخلقها وأمانتها ، فــالدين بــه صلاح الدنيا والآخرة، وبه سعادة النفوس والقلوب ، وبه تُرى القيم وسائر الأخلاق، ومعه يُربى أطفال أسوياء "ذلك لأن الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشيءة ورعايتها وتنمية أجسادها وأرواحها وفي ظله تُتــلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل"[٣] وفي ظله يرضى الزوج ويسعد ، ومن خلالــه تضاف أسرة قوية البناء إلى لبنات المجتمع وإليه يرجع الكل في تصوراته وحُكمــه عــلى الأشــياء ، وبتعليماته تزول عن النفوس غشاوتها ، ويكبح جماح شهواتها، وبهذا الدين تؤدى الأمانات وتُصان الأعراض ، وبه يسود التسامح وتعم المحــبة وتســيطر القناعة وبذلك تكمل المنافع الدنيوية والأخروية وتكون الحياة الدنيا مقدمة وعنواناً على الحياة الأبدية في كنف الله عز وجل .

إن الأســرة هــي المجــتمع المصغر الذي يتكون منه المجتمع الأكبر، وإن أخــص خصائص الألوهية هي حاكمية التشريع ، لذلك شرع الله ﷻ كل ما يحمي

---

(١) البقرة ٢/٢٢١

(٢) تفسير الطبري ، محمد بن جرير ، سابق ٢/٣٩٠.

(٣) انظــر تفســير القاســمي (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٣٩٨هــ-١٩٧٨م، ٣/٢١٨ ، ٢١٩

الأســـرة من أي دخيل يريد الإفساد ، ورعاها رعاية تكفل لها الحماية والوقاية من كل ما يتهددها .

وأيما إنسان يتجاهل تشريع الله ﷻ في إقامة الأسرة فيصيبه الفشل الذريع والســـقوط المروع ، والضياع الأكيد ، وإذا قام البناء على غير أسسه السليمة فلن يقـــوم أصـــلاً ، ولـــو بدا للعيون قائماً فهو إلى السقوط والانهيار أقرب "وكل نظام يـــتعامى عن حقيقة الأسرة الطبيعية هو نظام فاشل ضعيف مزور الأسس لا يمكن أن يعيش حياة كريمة هانئة مستقرة"(١)

ويـــوم يـــنحرف ميـــزان الاخـــتيار ويتـــنكر للتشريع الرباني ويقدم الهوى والمطامع ويولي ظهره لآيات الذكر الحكيم ويلهث وراء زخارف الدنيا مستغنياً بها عـــن جوهر الأشياء وحقائق الأمور فقد اختار التعاسة لنفسه وأسرته ومجتمعه ، وقد شارك في تقويض البناء وساعد على انهياره.

٢ـ ولاية المؤمنين والمؤمنات :

قـــال تعـــالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٢) وإذا كان المؤمـــن مأموراً بأن يوالي المؤمنين والمؤمنات وأن يحبهم ويرتبط بهم ، ويأوي إليهـــم ، ويدخل فيهم وإذا كان الزواج ميثاقاً غليظاً يَصِلُ نفساً بنفس، وقلباً بقلب، وروحـــاً بـــروح حتى تزول الفوارق ، وتتلاشى الحواجز ، وتختلط المشاعر فكيف يكـــون ذلك إلا لمؤمنة في الأصل وقبل الزواج بها، لها حق الولاء وبالزواج يزداد نصـــيبها فـــي ذلـــك. ولـــن يستطيع امروٌ أن يجني ثمار الزواج اليانعة إلا بامرأة صـــالحة، فهـــي "متعة الحياة الأولى ، ونعمة الله الكبرى، إذ يسكن إليها من لأواء العيش ولغوب الكدح والنصب فيجد عندها الراحة والسلوى والمتاع الذي لا يدانيه في حياة الإنسان أي متاع"(٣) .

---

(١) بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة ، خالد عبدالرحمن العك ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ، ص٣٢.

(٢) التوبة ٩/٧١.

(٣) شخصية المسلم ، د. محمد علي الهاشمي ، ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان، السابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ص٦٩ ، ٧٠.

والمؤمن الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً يرضى باختيار الله وتشريعه ، وباختيار رسول الله ﷺ وتشريعه.

ثم إن لقبول اختيار الله واختيار رسوله ، مصلحة تعود على المجتمع أجمع، إذ عندما ينصاع الناس لأوامر الله ولا يخطب الرجل إلا صاحبة الإيمان حتى لو كانت صِفراً من الأمور الأُخَر ، فإن كان لديها جمال وحسب ومال مع ذلك فتلك نعمة عظمى ، عند ذلك ستجد الفقيرة في دينها أن الناس تخلَّوا عنها ، وتركوها ولم يبق لها إلا الفساق ومن هم على شاكلتها ، حينها سيكون ذلك رادعاً لها عن غيها، وزاجراً عن فسقها ، ولعلها تعود إلى دينها بعدما علمت أنها في مجتمع نابه ناضج راشد يقدم ميزان الدين على كل ميزان، ويرجح رصيد القيم على كل رصيد، لكن الطامة تكبر عندما يُرى أهل الصلاح والفضل والدين لا يشترطون الدين في اختيارهم ، أو يسقطونه من حساباتهم أو يقدمون عليه رغباتهم وشهواتهم ، أو يخلطون بينه وبين ما تعارف عليه الناس من زخارف كاذبة ، ومظاهر خادعة ، كالسراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الحقائق المُرة ، والوقائع المؤلمة.

٣- نِعم الخاطب رسول الله ﷺ :

وإذا كان القرآن قد عمم ، فالسنة قد فصلت صفات المرأة، وكأنَّ الرسول ﷺ يخطب لكل مؤمن زوجته ، ويضع يده على صفاتها ، ويحذره من مخالفتها ويساعده في عملية اختيارها ، ويزوده بنصائحه الغالية وهو في طريقه إلى البيت الذي يختاره ، والمرأة التي يجتبيها، ففتح عينيه على الحقائق ، ولفت نظره إلى النفائس ، وبعد هذا المنهج النبوي الكريم الذي يعاضد المنهج القرآني العظيم فما على المسلم إلا أن "تستهويه شخصية الفتاة المسلمة الكاملة ، ولهذا فهو يتريث في اختياره رفيقة عمره ، مفتشاً عن الفتاة التي تحلت بالصفات الإسلامية العالية والتي تحقق الحياة الزوجية الهنيئة المستقرة"[١] وليس معنى هذا أنه يتجاهل رغبات الإنسان الفطرية في جمال الجسد وحُسن المنظر ، ورشاقة القوام ، كلا ، فالرسول ﷺ، ندب إلى النظر للمرأة قبل العقد عليها لكيلا يتورط فعن المغيرة بن

---

(١) شخصية المسلم ، د/ محمد علي الهاشمي ، مصدر سابق ، ص٧٠.

شـــعبة قال : "خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ فقال : "أنظرت إليها" ؟ قلت : لا ، قال : "فانظر إليها " فإنه أجدر أن يؤدم بينكما"[١] .

ولقـــد أدرك النابهون أهمية المظهر والمخبر فطلبوهما، وحرصوا عليهما ، وبالغوا في أمانيهم حتى قال قائلهم :

خـــزاعية الكعبين كندية الحشا قضـــاعية العيـــنين طائية الفمِ

لها حكمة لقمان وصورة يوسف ومـــنطق داود وعفـــة مريمِ[٢]

والظاهر أن قبيلة خزاعة العربية عرفت بجمال الكعبين في نسائها ، وقبيلة كندة عرفت بكثرة الإنجاب ، وقبيلة قضاعة اشتهرت بجمال العينين ، بينما عرفت نســـاء طـــيء بحسن الفم، أو حسن الكلام ، فجمع الشاعر أوصاف من يريد هكذا لكنه -في الوقت نفسه- لم يغفل عن الجوهر من حكمة وأدب وطهارة وعفة وهو ما يُطلب من المسلم الذي يفهم الأمور ويدرك الحقائق.

والإســـلام -عمومـــاً- لا يتحمل نتائج أعمال وتصرفات نُحِّي عنها مبدئياً ، وعجـــباً لقـــوم لا يخطر على بالهم قول الله ﷻ ولا قول رسوله ﷺ في الاختيار والخِطـــبة، وانـــتقاء مـــن تصلح زوجة ، ثم يبوؤون بالفشل الذريع ، ويتجرعون غصـــص المرارة والشكوى ثم يفتشون لدى الإسلام عن حل لمشاكلهم ، ويطلبون من القرآن إسعافهم بمخرج وهم الذين خالفوه ، واتبعوا هواهم في أول الأمر .

ومـــنهم ذلـــك النفعي الوصولي ، الذي كان كل همه المال ولم يعبأ برصيد المخطوبة من خلقٍ أو دين أو أدب وحياء أو حتى جمالٍ وحُسن خِلقة، فلم يكن له هم إلا المال يريد أن يغتني بأقرب الطرق وأيسر السبل، لا يريد أن يعتمد على كده وســـعيه -بعد ربه- وإنما يريد أن يرضع ثدي غيره ، فكان هذا هو محور اختياره

---

(١) رواه النســـائي ، كـــتاب النكاح ، باب إباحة النظر إلى المرأة قبل تزويجها، ج٣ ص٢٧٢، رقم الحديث ٥٣٤٦، وانظـــر صحيح سنن النسائي، الألباني، ج٢ ص٦٨٢ رقم ٣٠٣٤، وابن ماجه في سننه ، كتاب النكاح ، باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوج ج١ ص٥٩٩ رقم الحديث ١٨٦٥، وانظر صحيح سنن ابـــن ماجـــه للألباني، ج١ ص٣١٣ رقم ١٥١١ ، وأحمد في مسنده ج٥ ص٢٩٩، برقم ١٧٦٨٨، عن المغيرة بن شعبة ، واللفظ للنسائي، ومعناه أن يكون بينكما المحبة والوفاق.

(٢) لم يعثر الباحث على الشاعر القائل

وليس القرآن ، فتزوج من رآها محققة آماله في الثراء والغنى ، ولما تزوجها "فإذا بها الحاكم المطلق الآمرة الناهية ، تقول أريد ولا أريد ، فيقول زوجها البليد أنت السيدة المالكة ، ونحن كلنا عبيد ، يعدُّها إذا ضحكت باباً فتحه رضوان ليدخل منه الجنة ، ويراها إذا غضبت الشمس أصابها الكسوف لذنبٍ جناه عليها أو إساءة وقعت منه إليها"[١]

فهل بعد هذا الضياع ضياع ، وأي رجولة أو مروءة بعد ذلك ترجى ، وليت مثل ذلك الإنسان كفّ عن الزواج أصلاً حتى لا يضيف إلى المجتمع أسرة كهذه ، أخلاقها موؤودة ، وأطفالها صورة من أبيهم بخسّة طبعه ، ونسخة من أمهم بفساد فطرتها وسوء طويتها ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾[٢] فكل إناء ينضح بما فيه، فالقلوب تربات منها الطيب الخصيب ومنها الخبيث الجديب[٣] وكم من الشباب المسلم الذي ينساق وراء الكافرات من نساء الغرب فتغره المظاهر الكاذبة وتخدعه الفتن البراقة ، وتضطره معوقات الزواج في بلاده كالفوارق الاجتماعية ، وغلاء المهور إلى الزواج بإحداهن في لحظات من غياب العقل وتحكم الهوى ، ويظن بذلك أنه حقق ما لم يحققه الأولون ولا الآخرون ، ثم إذا به – والتجارب كثيرة – يجد نفسه أمام أمور أحلاها مر، فإما أن يتخلى عن دينه وقيمه وموروثاته التي ولد فيها ، ونشأ عليها، وإما يرجع إلى وطنه بخفى حنين وقد ترك أبناءه -إن أنجب أبناء – للضياع وهو لا يدري عنهم شيئاً ، وإما أتى بزوجته وأسرته لينشأ الأبناء في بيئة يغلب عليها الصراع والنزاع ، وبالتالي الانحراف والضياع ، وهذا يحدث في بناء المجتمع وهناً وضعفاً، ويوم يغيب الدين عن ساحة الاختيار فالعاقبة مشؤومة ، ولا يجني المجتمع المسلم إلا عناءً وضياعاً ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما النوران اللذان يرشدان كل راغب في الزواج إلى من يريد ، ولا يقفان عقبة في طريق تحقيق رغباته من طلب الحسب والنسب والجمال وإنما -فقط- يجعلان الدين

---

(١) إصلاح المجتمع ، محمد بن سالم البيحاني ، (غير معلومة جهة الطبع) الأولى ، د.ت ، ص٣٠١

(٢) الأعراف ٥٨/٧

(٣) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ١٣٠٠/٣ ، وتفسير الرازي ، سابق ، ١٤ / ١٥٠.

والأخـــلاق همـــا المدار الذي يدور عليه الاختيار وما ذلك إلا رعاية لحق الأجيال القادمـــة من الأبناء ، فمن حقهم أن يولدوا في بيئة صالحة لأبوين صالحين ، وأن يشبوا في مهد يظله الإيمان ويرعاه القرآن ، وأن يرضعوا ألبان الهداية والبر في بيـــت مسلم لوالديْن مسلميْن، وحالات الزواج السابقة تتطلب وقفة من المسؤولين وتوعيـــة للشـــباب ، ودراسة للظاهرة لمعرفة أسبابها ، وإدراك نتائجها ومحاولة علاجهـــا لتجـــنيب المجتمع ويلاتها وما ينتج عنها ، واتباع تشريع الله ﷻ لتؤمّل الســـعادة المرجوة ، وتُرى البيوت محاريب إيمان يسعد مَنْ بداخلها ، ويأمن شرَّها مَـــنْ بخارجها ، ويطعم المجتمع خيرها ويتوقى شرها ، وصدق الله ﷻ في وصف ربات هذه البيوت بقوله : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[١]

٤ـ القصص القرآني وآثاره في الاختيار [٢]:

فالمسلم يقرأ القرآن ويستجلي العبر ، ويستخلص الدروس، ويستشف الحكم ويســـتفيد بكل ذلك في حياته الحقائق النافعة وخصوصاً من القصص القرآني الذي قصّـــه الله ﷻ ليتربى المسلم على مادته ، وينهل من معينه ، ويقرأ أحداثه ويتعلم مـــن ســـياقه مـــا يقدم له تجارب السابقين ، ومواقف الغابرين فيتجنب الأخطاء ، ويكتسب حاسة معرفة الحق والشعور به والاهتداء إليه.

والقرآن الكريم عندما يضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لكل مؤمن فيقول: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[٣] إنمـــا يـــلفت الانتـــباه إلى دور المـــرأة في حياة زوجها وإلى وجوب مؤازرتهـــا له ومعاونـــتها لإنجاح مهمته ، وإكمال رسالته ، وأداء أمانته ، ولو لم يكـــن موقـــف هـــاتين المرأتين من زوجيهما مؤثراً -كعقبة من العقبات في طريق الدعوة- لما ذكره الله ﷻ ولما ضرب ذلك مثلاً للاعتبار والادّكار ، وفهم المقصود

---

(١) النساء : ٤/٣٤

(٢) انظـــر المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، د/ عبدالكريم زيدان ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، الأولى ، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م (مجلدان).

(٣) التحريم ٦٦/١٠

ومعـرفة الهدف المنشود ، ويلفت الانتباه -أيضاً- إلى أهمية حرص المسلم على اختيار الزوجة الصالحة التي تعينه على أمر دينه كما أعانت أم المؤمنين خديجة - رضـي الله عـنها- النـبي ﷺ عـند نزول الوحي عليه فآزرته ولقي لديها الأمن النفسـي والمعنوي فهوّنت عليه ، وهدأت من روعه ، وطمأنت خاطره بأن الله لا يخـزيه لمـا له مـن سوابق الخير وكريم الصفات ، وجميل الأخلاق ، فكان لهذه المواقف آثارها العظيمة في حياته بل في مسيرة الدعوة الإسلامية منذ انطلقت في مهدها وحتى الآن.

فالقـرآن بهذه المنهجية العظيمة إنما يحقق بهذا القصص أكثر من فائدة ، ويرمي لأكثر من غاية ، ومنها الحرص على اختيار من تعين وتساعد على عبادة الله والدعوة إليه حتى يكون ظهر المرء قوياً ، وحصنه متيناً ، فيتفرغ لسوى ذلك من هموم ويعطي كل اهتمامه لدينه وأوامر ربه وباقي أموره المعاشية[1].

* * * * *

(١) انظر مشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن .

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في تحديد رسالة الزوجة

ليس اختيار الزوجة والزواج بها عبثاً يأتي إثر نزوة من النزوات ، أو شهوة أو رغبة ، وإنما الزواج وظائف ومهمات لا تستطيعها إلا الزوجات الصالحات ، اللائي أدركن لب الحقيقة ، وفهمن معنى الحياة ، إنه رسالة مقدسة ، ومسؤولية عظيمة ، وأمانة خطيرة رسم القرآن معالمها، وليست هذه الأمانة عملاً تطوعياً إن شاءت الزوجة قامت به وإن لم تشأ لم تقم ، وعلى مر التاريخ وتتابع الدهور والأزمان هناك من قمن بهذه المسؤولية خير قيام، وأدَّيْن الأمانة أحسن ما يكون الأداء ، بل وأبدعن في ذلك وابتكرن من الأساليب والطرق ما لم يعرفه من سبق ، وما استفاد به من لحق. والقرآن - وضمن اعتنائه العجيب بتكوين الأسرة وبنائها اجتماعياً - قد أشار إلى مهام الزوجة التي تبحث لها عن مكان في الجنة ، وتريد أن تكون في معية المرسلين مع الصالحين من أبنائها وزوجها ، كما أعلنت عنها امرأة فرعون المضروبة مثلاً للمؤمنين الصالحين ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١] ويمكن تحديد رسالة المرأة الصالحة من خلال استقراء بعض النصوص القرآنية فيما يلي :

١- سكنٌ للزوج[٢] :-

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٣] والسكن من أبرز الحِكم التي تتحقق بالزواج فهو أمر فطري فطر الله عليه الزوج حيث يسكن إلى زوجته فتهدأ ثائرته ، ويطيب خاطره ، وتصفو نفسه ويستعيد بذلك قوته وطاقته لمواصلة الحياة والسير فيها ،

---

(١) التحريم ١١/٦٦

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ٢٧٦٣/٥.

(٣) الروم ٢١/٣٠

فكـل شـرٍ عـندها ينطفئ ، وكل خوف معها يزول فهي اللبيبة الأديبة ، الكريمة الحكيمـة ، الـتي تمسح عن زوجها أحزانه، وتزيل أشجانه ، وتهدئ جنانه ، عن أبي هريرة ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ أي النساء خير ؟ فقال : "الذي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله"(١)

وهـذا الهدف وهو السكن والاطمئنان وهو ما يتميز به الإنسان على الأجناس الأخـرى ، فـإذا كانت الأجناس الأخرى تتوالد وتكثر وتنمو، والإنسان مشترك معها بالـزواج في ذلك " فإن هدف الاطمئنان والمودة والرحمة قاصرٌ على زوجية الإنسان وخاصة من خواص مجتمعه"(٢)

وحيـاة الـرجل لا تخـلو أبداً من منغصات ومكدرات ، لا يستطيع أن يحكيها لأقـرب الـناس إليـه كأمه وأخته وأخيه -مثلاً- فتكون الزوجة الصالحة هي مهب النسـمات الهادئة التي تسري على روحه فتنعشها، وعلى همومه فتزيلها . وكم من الـرجال تقتضي طبيعة عملهم التعب والتوتر فإذا رجعوا إلى بيوتهم رجعوا محملين بالهموم والأحزان ، وما أن يدخلوا هذه المملكة حتى يُفرغوا همومهم ويلقوا أحزانهم ليخرجوا إلى الحياة مرة أخرى وقد استردوا عزيمتهم، وجددوا طاقتهم ، وما ذلك إلا لأن وراءهـم ذلك السكن الذي إليه هُرعوا ، وبه لاذوا ، فتستمع الزوجة إلى زوجها وتهـتم بحديثه، وتعالج شؤونه فلا تجادله ولا تقاطعه ولا تماريه وإنما عرفت دورها تماماً فقامت به ، كهذه التي قال لها زوجها :

خـذ العفـو مـني تستديمي مودتي ... ولا تـنطقي في سورتي حين أغضبُ
ولا تـنقريني نقـرك الـدفَّ مرةً ... فـإنك لا تدريـن كيـف المغيَّبُ
ولا تُكثري الشكوى فتذهب بالصفا ... ويأبـاك قـلبي والقـلوب تقلَّبُ
فـإني رأيت الحبَّ في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب(٣)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، مسند أبي هريرة ج٢ ص٤٩٦ ، رقم الحديث ٧٣٧٢، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب : أي النساء خير ، ج٣ ص٢٧١ رقم الحديث ٥٣٤٣ واللفظ لأحمد.

(٢) منهج القرآن في تطوير المجتمع . د/ محمد البهي ، مكتبة وهبة، القاهرة، الثانية ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٣٧.

(٣) انظر بناء الأسرة المسلمة ، خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص١٣٧ بتصرف يسير.

ومـــن المؤكـــد أنـــه في حياة المربين من قادة وفاتحين وعلماء ومصلحين نساء خففن عنهم ، وشدَدن أزرهم ، فأعدن إليهم ثقة مفقودة ، أو طاقة جديدة أو قدمـــن إليهـــم نصـــيحة غاليـــة، أو مشورة صائبة ، أو حمين ظهورهم وفرَّغنهم لمهـــامهم وبـــاقي شـــؤونهم، فكن عظيمات وشاركن في صنع أمجاد أزواجهن ، وتـــركن بصـــمة فـــي حياتهم تشهد بها الدنيا ، ويتعلم منها الناس ، وكن السكن والواحة في هجير الأيام وقيظ الحياة.

ولـــن تســـتطيع زوجـــة أن تقدم هذا السكن لزوجها إلا إذا كانت تؤمن بالله واليـــوم الآخـــر وإلا إذا تربت على القرآن الكريم الذي تولى بناءها اجتماعياً -كما ســـبق الحديـــث فـــي الباب الأول- فبنى شعورها المرهف وفكرها النَّير ، ومنحها رصيداً من القيم العالية فحباها صدق لهجةٍ ، وخلق رحمةٍ ، وجمال نفسٍ ، وعدالة حُكْـــم حـــتى غدت ينبوع خير يفيض على شريك حياتها ، ويروي عطشه، وينعش ركبه، فنِعم البيت بيتها ، ونعم الزوج زوجها ، ونعم السكن إليها وعندها.

٢ـ الإنجـــاب[١] :

قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[٢] وهـــو الهـــدف الـــرئيس من الزواج ، وحب الأولاد فطرة فطر الله الناس عليها منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عـــليها ، وهـــم أمل يراود كل من يتزوج من أول دخوله ، وشغلٌ يشغله وهذا من رحمـــة الله بعباده أن حبب إليهم الإنجاب لتستمر مسيرة الحياة ، فقال ﷻ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾[٣] وقـــال ﷻ عـــلى لسان زكريا عليه السلام ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[٤].

---

(١) يراجع كتاب سياسة ووسائل تحديد النسل ، د/ محمد علي البار ، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) النحل ٧٢/١٦

(٣) آل عمران ١٤/٣.

(٤) مريم ٥/١٩ ، ٦ .

فـالحمل والإنجـاب هما الثمرة الطبيعية للقاء الزوجي بين الذكر والأنثى ، والرغـبة فـي الأمومـة مـن قبل الزوجة والأبوة من قبل الزوج أمر جبل عليه الإنسان، وهي غريزة فطرية ، قبل أن تكون عملاً تقوم به الأم للأسرة والمجتمع، وسبحان من فطرها على ذلك لدرجة أن العُقم يشكل لدى المرأة اضطراباً عضوياً وعصـبياً ونفسياً وفراغاً لا يسده أي بديل ، فهي الزوجة التي لا يهنأ لها بال ولا يهـدأ لها حال إلا إذا أحست في أحشائها بحركة هذا المخلوق الذي به تسعد وتتيه عـلى الخـلق أجمعين[١] ، وهذا كله رغم ما تلقاه وما تكابده من شدة وكُربة في حمـلها بالصـورة الـتي عـبَّر عنها القرآن بقوله : ﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾[٢] قال القرطـبي رحمـه الله : "أي خُلِقَ في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف وقيـل المرأة ضعيفة الخلقة ، يضعفها الحمل"[٣] بينما يقول سيد -رحمه الله- في تفسـير قولـه تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[٤] : "تركيب الألفاظ وإيقاعهـا يكاد يُجسّم العناء والجُهد ويلهث بالأنفاس ، إنها صورة الحمل وبخاصة في أواخر أيامه وصورة الوضع وطلقه وآلامه"[٥]

وليـس لـلمرأة أن تـرفض رغـبة زوجها في الإنجاب بحجة ما ينادي به بعضـهم مـن تحديـد للنسل أو غيره ، إلا إذا كانت صحتها لا تسمح[٦] ، وأصبح الحمـل والوضـع يشكل خطراً على حياتها وصحتها فكما قال رسول الله ﷺ : " لا ضرر ولا ضرار"[٧].

---

(١) انظر الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ محمد السيد محمد الزعبلاوي ، سابق ، ص١٩.

(٢) لقمان ١٤/٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ، مصدر سابق، ٦٤/١٤

(٤) الأحقاف ١٥/٤٦.

(٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ص٣٢٦٢.

(٦) انظر سياسة ووسائل تحديد النسل ، د/ محمد علي البار ، مصدر سابق ، ص٤٥١.

(٧) رواه : ابـن ماجـه فـي سننه ، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضُر بجاره ج٢ ص٧٨٤ رقم ٢٣٤١ ، وأحمد في مسند بني هاشم ج١ ص٥١٥ رقم ٢٨٦٢، ومالك في الموطأ ، كتاب الأقضية ، باب في القضاء الموفق ج٢ ص٥٧١ رقم ٣١.

ومـــع دعوة القرآن للإنجاب، وتقديره لحب الناس للأولاد، إلا أن القرآن – أيضـــاً- يدعو إلى حسن رعاية الأبناء وكمال تربيتهم والاهتمام بهم روحاً وجسداً، فـــإن العـــبرة في الإسلام بالكم والكيف ، فأسرة قليلة العدد أو متوسطته ، أطفالها أصـــحاء أقويـــاء أســـوياء نابهون، خير من أسرة كبيرة العدد أطفالها معتلون ، منحرفون ، مضيعون ، وأسرة كبيرة العدد تلقى اهتماماً ورعاية حتى يشب أبناؤها مـــتميزين خيـــر مـــن الأخرى الصغيرة وإن كانت الأسرة الأكبر تحتاج جهداً أكبر وعـــناءً أكـــثر في التربية والتوجيه والمتابعة وكذلك في توفير النفقات ، والأخرى الأقل عدداً تكون – وبحسابات البشر- يسيرة المؤونة ، سهلة التوجيه ، والمؤمن القـــوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وتنظيم النسل عن طريق العزل أو الأقراص لا يمنعها الشرع ما دام وراءها حكمة كمراعاة صحة الأم ، أو إعطاء فرصة للأولاد ليكبروا أو لأي ظرف آخر، أمّا إذا وقع الحمل وتم واستقر فليس من حـــق الأم أن تتخـــلص مـــن جنينها عمداً لأنه روح جديدة خلقت في بطنها وهي المســـؤولة عـــن المحافظـــة عـــليه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾[١] يقول القرطـــبي رحمه الله: "أي لا يئدن المولودات، ولا يسقطن الأجنة"[٢] ويقول العلامة ابـــن كثير –رحمه الله- وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهـــم خشـــية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجاهلات من النساء ، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه"[٣]

وواجـــب على الزوجة الصالحة أن تخلص النية لله في حملها ، وأنها ربما تـــلد صـــالحاً عالمـــاً تقياً وربما يكون سبباً في نجاتها عند الله. وأن تحب جنينها وتســـعد بـــه ، وأن تـــرى في حركته في أحشائها معالم قدرة العزيز الحكيم العليم القدير ، فهذا كما ذكر الأطباء النفسيون – مما ينعكس بالإيجاب على الجنين أثناء تكونه ، وعلى المولود بعد ولادته ، عكس ذلك الذي يولد وهو غير مرغوب فيه ، أو كـــانت أمه تود الخلاص منه ، واستقبلته وهي له كارهة وبه ضائقة ، فهذا كما

---

(١) الممتحنة ١٢/٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مصدر سابق ، ٧٢/١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٣٥٤/٤.

ذكـــر أهل الاختصاص مما ينعكس على هذا المولود قلقاً وتوتراً وعصبية واختلالاً في نفسيته واستقباله للحياة.

والـــزوجة التي تربت على القرآن فبناها بناءً اجتماعياً قوياً راسخاً وعمق فيها الإيمان والقوة والصدق والرضا بالقضاء والتسليم لمن بيده الأمر كله ستعلن توكـــلها عليه، وتفوض كل أمورها إليه، وترضى بما قسم لها وأفاء عليها وتسعد بـــرزق الله يســـوقه لها وبذلك ينعكس الأمر على جنينها ومولودها بركة وسروراً وبراً وإحساناً.

ولأن حياة هذا الجنين وديعة يجب المحافظة عليها والاهتمام بها، وتجنيبها كل ما يهددها أو يضرُّ بها ، لذلك أوجب القرآن على الزوج الإنفاق على زوجته إن كـــانت حـــاملاً حتى بعد طلاقها حتى لا تهمل وتتعرض هي للهلاك أو جنينها فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[1]

وكـــم فـــي المجـــتمع مـــن أســـرٍ وسَّع الله عليها برزق أولادها لما أنجبت واحتســـبت وسلمت ، بعكس من يدخلون في حسابات الدخل والمعيشة فيصادمون أقدار الله ﷻ وما يزدادون إلا شقاء، وما يزداد بهم مجتمعهم إلا عناء وما أدركوا أن لكـــل حـــي رزقه ، ولكل مولودٍ قسمه، كما قال ابن القيم -رحمه الله- "الرزق والأجـــل قريـــنان مضمونان، فما دام الأجل باقياً ، كان الرزق آتياً، وإذا سدّ عليك بحكمته طريقاً من طرقه، فتح الله برحمته طريقاً أنفع منه، فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم من طريق واحدة وهو السُّرَّة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تـــلك الطريق، فتح له طريقين اثنين وأجرى له فيهما رزقاً أطيب وألذ من الأول ، لبـــناً خالصـــاً سائغاً. فإذا تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام فتح طرقاً أربعـــة أكمل منها : طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان مـــن المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هـــذه الطرق الأربعة، لكنه -سبحانه- فتح له- إن كان سعيداً- طرقاً ثمانية، وهي

---

(١) الطلاق ٦٥/٦.

أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"[١] إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

ودائـــرة الإنجـــاب لا يكمـــلها إلا الإرضاع ، قال تعالى:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [٢] والـــزوجة الكريمة هي التي لا تحرم وليدها -أبداً- من متعة التقام ثديها، والأنس بصدرها ففوق الحصول على اللبن مآرب أخرى لها بصماتها الباقية على نفسية الطفل وشخصيته ، ومهما ادعى التمدينَ أشخاصٌ وحرموا أولادهم من الرضـــاعة الطـــبيعية ، وجاءوا بأجود أنواع الألبان الصناعية فليعلموا أن " أفضل أنـــواع الرضاع وأطيبه هو المُمتص من ثدي الأم الصحيحة بعد الولادة فهو الغذاء الطـــبيعي الملائم للوليد ، قد أعده الله له بنسبٍ ومقادير معينة لا يضاهيه أيُّ نوعٍ آخر من أنواع الحليب مهما اتصف بالجودة كماً وكيفاً"[٣] .

وقضـــية الرضـــاعة مـــن القضايا الخطيرة التي أهملها كثير من الناس في الوقـــت الحاضـــر بـــرغم اهـــتمام العرب بها كل الاهتمام فكانوا يلتمسون لأبنائهم المرضعات في البوادي طلباً لصحة الجسم وصفاء الذهن ، وسرعة النمو وفصاحة اللســـان ، ومـــا إرضـــاع خيـــر المرسلين ﷺ في بادية بني سعد من السيد حليمة السعدية عنا ببعيد[٤].

والواقـــع والمشـــاهد يصـــدِّق هذه الحقائق ويشهد بعظمة القرآن وصدقه، وبشـــقاء الـــناس إن هـــم خالفوه وأداروا للإسلام ظهورهم ، واتبعوا آراءهم وما أفـــرزته لهم ثقافتهم المعاصرة، فالوفيات في الأطفال الراضعين صناعياً أكثر بكثير مـــنها في الراضعين من الثدي طبيعياً ، ونمو وصحة وحالة من ترعرعوا على ما خـــلق الله وأجـــرى فـــي صدور النساء تفوق مثيلاتها عند من حُرموه حيث تمكن طـــبيب مصري أن يحدد -ولأول مرة- الأجسام المضادة التي يتكون منها لبن الأم وهي في الوقت ذاته تشكل خط الدفاع الأول لحماية الطفل الرضيع من الميكروبات

---

(١) الفوائد ، ابن القيم ، سابق ص١٠٣ ، ١٠٤.

(٢) البقرة ٢/٢٣٣.

(٣) بناء الأسرة المسلمة ، خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص١٧٨.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مصدر سابق ، ٤/٢٧٤.

والفيروسات والبكتريا التي تهاجمه خلال العامين الأوّلين من عمره ، تلك الأبحاث الـــتي أثـــارت اهتمام علماء الطب الطفولي بالأكاديمية الأمريكية فور تلقيها لهذه النـــتائج[١] بل والمستفيد الأول من الرضاعة الطبيعية هي الأم نفسها حيث ثبت أن الحمـــل يـــتأخر أثـــناء الرضاعة الطبيعية بينما التي لا ترضع تكون عرضة للحمل الجديـــد خـــلال تســـعة أشهر[٢] وفوق ذلك الشخصية السوية ، والنفس الهادئة ، والتوازن السلوكي الذي يميز من حصلوا على نصيبهم من لبن الأم ، مقابل العنف والعقد والاضطرابات والقلق الذي تتسم به شخصيات الأطفال الذي جرعهم والداهم مرارة المدنية الحديثة فكانوا ضحايا جهلهم وإعراضهم ، والوليد حينما يندس في صـــدر أمه ويلتقم ثدييها فيستمتع بكمه وكيفه ، فأما كمُّه: "فهو يمتاز بأنه مستمر فـــي زيادة كمياته من يوم لآخر حسب حاجة الطفل "[٣] وأما كيفه: " فمواد تركيبه تـــتركز بمـــا يناسب نمو الطفل بينما تبقى المواد التي يتركب منها اللبن الصناعي ثابتة لمدة طويلة قد تصل إلى ستة أشهر ثم يستعان بنوع آخر"[٤] بالإضافة إلى ما يؤديـــه اســـتخدام الألـــبان الصناعية المجففة البديلة من إنفاق آلاف البلايين من الدولارات سنوياً من الدول الفقيرة وأيضاً حالات ونوبات الإسهال التي يسببها عدم تعقيـــم الأدوات المستعملة للرضاعة[٥] ومع هذا الاستمتاع فهو كذلك إنما يشبع مع اللـــبن مـــن الحـــنان الذي لا يعدله حنان ، ومن الأمن الذي لا يدانيه أمان ، ومن النشـــوة الـــتي لا يعبر عنها لسان ومن السعادة التي لا يتوفر معشارها مع أجود أنـــواع الألـــبان ، ممـــا صنعته يد الإنسان ثم هذه الرضاعة من أهم لبنات البناء الاجتماعي تضعها الأم وتشدها وتقويها رضعةً بعد رضعة ، ووجبة إثر وجبة على مـــدى عـــامين حتى يكتمل البنان. ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ

---

(١) انظـــر الأمومـــة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، محمد السيد محمد الزعبلاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية ، ١٤٠٦هـــ - ١٩٨٥م، ص١٥٣

(٢) انظر سياسة ووسائل تحديد النسل ، د/ محمد علي البار ، سابق ، ص٢٠٢.

(٣) الأمومة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، محمد السيد محمد الزعبلاوي ، مصدر سابق، ص١٥٢

(٤) الأمومة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، محمد السيد محمد الزعبلاوي ، مصدر سابق، ص١٥٢

(٥) انظر سياسة ووسائل تحديد النسل ، د/ محمد علي البار ، سابق ، ص٢٠١

ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١] فشكراً لله الذي إليه المصير.

٣ـ مصاحبة الزوج بالمعروف :

قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [٢]

ذكر البحث في أول شيء في رسالة الزوجة السكن" وهو السكن النفسي المعنوي والسكن الجسدي الحسي أما هنا ، فيقصد بالمصاحبة حُسْن العشرة ، وكرم الخلق ، وأسلوب التعامل ، وكمال الرعاية ، والتفاني في الخدمة، والتضحيات في سبيل راحة هذا الزوج من حيث توفير متطلباته وتوقيره واحترامه، وكتم سره ، والمحافظة على ماله ، ورعاية عياله ، وكف الأذى عنه باليد أو اللسان أو غيره ، ومعرفة قدره ، وتذكُّرُ قول الرسول ﷺ : "لوكنتآمراًأحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها"[٣]

وكم من زوجة استجابت لتربية القرآن ، وانتظمت في صرحه الاجتماعي ، فقيرة الحال ، أو لم تؤت نصيباً من الجمال والحسن، ولكنها أوتيت جمال الأسلوب وحسن الطريقة ولطافة القول سعدت وأسعدت ، واستطاعت أن تحوز على حب زوجها واحترامه وتقديره وكم من امرأة على قَدْرٍ عالٍ من الجمال ، لكنها بذيئة القول ، سيئة الخُلق، قاسية القلب ، لم تعرف لزوجها قدراً ، ولا لصاحبها مقاماً فأحالت حياته جحيماً لا يطاق، وظلت هكذا أو كان مصيرها الطلاق.

والقرآن العظيم والرسول الكريم – إذ يلفتان النظر إلى مقام الزوج وفضله– إنما يحرصان على أن تسعد الأسرة ، وعلى أن ينشأ الأبناء في جو هادئ ساكن

---

(١) لقمان ١٤/٣١.

(٢) النساء ٣٤/٤

(٣) رواه : الترمذي في سننه كتاب الرضاع ، باب ما في حق الزوج على المرأة ج٣ ص٤٥٦ حديث رقم ١١٥٩ ، وأبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب في حق الزوج على المرأة ، ج٢ ص٢٥٠ رقم ٢١٤٠، وابن ماجه في سننه ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ج١ ص٥٩٥ رقم ١٨٥٢، وأحمد في مسنده، ج٥ ص٥١٥، رقم ١٨٩١٣ ، مسند الكوفيين، والدارمي في سننه كتاب الصلاة باب النهي أن يسجد لأحد ج١، ص٣٦٤ رقم ١٤٣٦ ، واللفظ للترمذي.

مطمـــئن، وأن تتهيأ لهم كل مقومات الأمن الأسري ، والأنس العائلي حتى يخرجوا في المجتمع صالحين ويكونوا لأمتهم نافعين يبذلون خيرهم ويكفون شرهم.

وأم الـــزوجة كـــم لها من تأثير بالإيجاب أو بالسلب على الزوجة، فبكلامها تـــتأثر ، وبوصـــاياها تعمـــل ، خاصة في أول حياتها وهي صغيرة السن ، عديمة الخـــبرة ، والنســـاء العـــاقلات يوصـــين بـــناتهن بحسن العشرة ، وحفظ العهد ، ويعرفـــنهن حـــق الزوج وقدره ، ويحذرنهن من الإساءة أو الخيانة أو الإهمال ، ويقفـــن مـــنهن ليلة الزفاف موقف الناصح الأمين الذي يعطي خلاصة تجربته لمن يُحب فإذا بالزوجة تنجح وإذا بزوجها يهنأ وإذا بأطفالها يسعدون ، وإذا بالمجتمع كله يتأثر قوةً ورقياً.

وهذه امرأة عربية نابهة توصي ابنتها ليلة زفافها فتقول :

"أي بنية ، إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك معك ، ولكنها تذكرة لـــلغافل ، ومعونـــة لـــلعامل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى والديها وشدة حاجـــتهما إليهـــا ، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال"(١)

لقـــد بلغ من عقل هذه الأم الحكيمة أنها لمست الحقيقة ، وهي النظر للأمام والمســـتقبل وعـــدم التعلق بالوراء من الماضي ، فكثير من الزوجات لتعلقها ببيت أبويهـــا ، ومهـــد طفولتها ونشأتها تعجز عن التلاؤم مع حياتها الجديدة ، وعشها الصغير ، فهي تريد أن تسكن مع أبويها أو تعيش معهم ، أو تبقى بجوارهم ، وقد تـــرفض الســـفر مع زوجها لأجل ذلك ، وتريد ألا تنقطع عنهم ، غافلة أنها بصدد إنشاء بيت كبيت أمها ، وعشٍ كعشها.

وتواصـــل الحكيمـــة وصاياها قائلة : "أي بنية : إنك تفارقين بيتك الذي فيه خرجت، وتتركين عشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونـــي له أرضاً يكن لك سماءً ، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أمة يكن لك عبداً"(٢)

---

(١) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥.

(٢) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥.

ألا ما أذكى هذه الناصحة الموصية ، فإدراك الواقع مطلوب ، والاعتراف به واجب ، والإقرار به رشاد، ثم الخبرة بنفسيات الرجال وأسلوب كسبهم ، وطريقة الوصول إلى قلوبهم والتسلل إلى نفوسهم عن طريق رقة الأسلوب ، وجمال العشرة ، فالماء مع رقته يتغلغل إلى العمق ، ولكن النار مع شدتها لا تحرق إلا السطح.

ثم تعدد بنود السعادة قائلة: "واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً ، أما الأولى والثانية : فصحبته بالقناعة ، ومعاشرته بحسن السمع والطاعة ، فإن في الصحبة بالقناعة راحة القلب ، وفي المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب"(١)

وهذه الحكيمة في هاتين الوصيتين الغاليتين ، إنما تتمثل معاني القرآن الذي يقول : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(٢) ومعاني السنة التي يقول فيها رسول الله ﷺ : " انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله"(٣) وأيضاً يقول: "إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شيءت"(٤)

وفتاة تسمع هذه المعاني ، وتتقلّد هذه الدرر في أول مشوارها مستفيدة منها لا محالة " وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه، والتعهد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح"(٥)

فلم تغفل جانب النظافة والمظهر وحسن الهندام وهي مجال العين والأنف وهي تحترم عين وأنف الرجل فلا تريد من ابنتها أن تقدم لهما إلا ما يناسب وما

---

(١) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥

(٢) طه ١٣١/٢٠.

(٣) رواه : مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حدثنا زهير بن حرب، ج٤ ص٢٢٧٥ رقم ٢٩٦٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج١ ص٣١٣، رقم ١٦٦٤، مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(٥) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥

يسر ويبهج ، ورُبَّ امرأة تعبت وعاونت وفعلت كل جميل ولكنها لم تلتفت إلى هذه الأمور فكان جزاؤها غضب زوجها وانصرافه عنها.

"وأمـــا الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة"(١)

الطعـــام والـــنوم ، أحدهمـــا يعقـــب الجوع والحاجة ، والآخر يعقب التعب والإرهاق ، والموفقة هي المراعية لهما تمام الرعاية ، فلا تنشغل عنهما بطفل أو أي شـــأن آخر ليقوى البيت اجتماعياً ويسلم من منغصات تجتاحه وقد تعصف به ، أو أقـــل ما يقال تطرد السعادة والراحة والتفاهم لكي يحل الخصام والخلاف فتبدو وتظهـــر عـــلى هـــذا البناء آثار تشويهات اجتماعية ، وتشققات أسرية تحتاج إلى ترميم وإعادة تجديد.

"وأما السابعة والثامنة : فالمحافظة على أمواله ، والرعاية لحشمه وعياله ، فإن الأولى من حُسن التدبير ، والثانية من حسن التقدير"(٢) .

وكـــم مـــن أسر شُتتت ، وزوجات طُلقن ، وأطفال شردوا ، وبيوت انهارت بســـبب إســـراف غير مسؤول ، وتبذير فوق المعقول، أو طلبات مرهقة، ونفقات باهظة دون إحساس بأحوال الزوج وظروفه وإمكانياته والتزاماته ، وكذلك بإهمال أولاده فهم المتروكون في الشوارع ، التائهون في الطرقات ، الرثة ثيابهم ، القذرة هيئـــتهم فـــأهدرت المسؤولية ، وضُيعت الرعية ، وتاهت الأسرة بعد أن نُكبت في أهم شخص فيها.

"والتاســـعة والعاشـــرة : فلا تعصي له أمراً ، ولا تُفشي له سراً ، فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني مكره"(٣)

فالمرأة الصالحة لسانها قصير عن البذاءة والسب والشتم والعصيان ولكنه طويـــل فـــي الذكـــر والدعاء والمدح والثناء وقول الخير ، وكذلك هي حافظة سر زوجها إن قال لها كأنما يقول لنفسه فلا تتحدث بما كان بينهما حتى لو خاصمت أو

---

(١) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥

(٢) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق، ص٧٥.

(٣) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٧٥.

غضـــبت ، فإنها بذلك تحمي عشها من التقويض والانهيار والرجل -بطبيعة الحالة - يحـــب المرأة الكتومة التي قال الله في أمثالها : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[١] أي الحافظـــات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كـــتمه ويتحـــتم ستره من بواطن وأسرار كما قال المفسرون[٢] وكثيرة هي البيوت التي انهارت وفشلت بسبب تسرب أسرارها وما يحدث فيها إلى المجتمع.

خرج رسول الله ﷺ على أصحابه والرجال والنساء قعود فقال: "لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها" فأرم القوم سكتوا ، فقالت أسماء بنت يزيد[٣] : أي والله يا رسول الله ، إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلونه ، فقال : "فلا تفعلوا ، إنما ذلك الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون"[٤]

وبالجمـــلة يـــوم تُحس المرأة -حقيقة- أنها أمينة سر هذا البيت ، وحافظة أســـراره وأنها مسؤولة أمام الله عنه وعمن فيه فستقيم حوله سياجاً من الكتمان والحيطة فلا يدري الناس عنه شيئاً ولا يعرفون عنه، ولا يتسمعون به ، ومن باب أولى يَحْسُن ألا يعرض الزوجان شكواهما في المحاكم ، ولكن كما قال الله سبحانه: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[٥] لتضـــيق -بقـــدر المستطاع- دائرة إفشاء السر ، ولا يعرفه -إن كان ولا بد- إلا المقربون الذيـــن تهمهـــم مصلحة البيت ويحرصون على ثباته واستقراره، وبالتالي يكتمون أسراره ولا يفشونها.

"ثـــم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحا ، أو الترح بين يديه إن كان فرحا،

---

(١) النساء ٤/٣٤.

(٢) بناء الأسرة المسلمة - خالد عبدالرحمن العك ص١٤٠.

(٣) أســـماء بـــنت يـــزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل الأنصارية، الأشهلية أم ســـلمة، ويقـــال أم عامر، روت عن النبي ﷺ بايعته ﷺ وشهدت اليرموك، تهذيب التهذيب، ابن حجر، سابق، ٤/٦٤٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده ، ج٧ ص٦١٠، رقم الحديث ٢٧٠٣٦، مسند القبائل.

(٥) النساء ٤/٣٥.

واعلمي أنك لا تَصلِين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت والله يخير لك"[١]

والـــرجل بفطرته – ومهما بلغ – سنه أو علا منصبه ، أو اشتد بين الناس بأســـه ، يـــبقى الإنســـان الذي يفرح ويحزن ، ويرضى ويغضب، تأسره الكلمة ، وتســـحره العـــبارة، وتستحوذ على عقله الأخلاق الحسنة إذا ما أحس برجولته ، وشـــعر بكرامـــته ووثـــق بشريكته وحينئذٍ فالبيت ثابت الأركان ، مرتفع البنيان ، الـــرجل فيه رجل والمرأة فيه امرأة فيه الحقوق مؤداة ، والواجبات مرعية ، يُظله الحب والوئام، وترفرف عليه المحبة والسلام .

٤ – تربية الأولاد :

أعظـــم أدوار الأم وأقـــدس عملٍ في رسالتها فهي المنجبة الحاضنة المربية هي التي تصوغ وتشكل أطفالها ، هي التي توجه سلوكهم إيجاباً أو سلباً ، ارتفاعاً أو نزولاً ، فالطفل قرين أمه يتأثر بها ، ويقلدها ويشابهها ، ومرحلة الطفولة عند الإنسان تبدأ من لحظة ولادته وحتى يبلغ رشده ، لقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾ [٢] وقولـــه ﷻ : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ ﴾[٣] فتشـــير الآيـــتان إلى أن ســـن الطفولة يبتدئ من وقت الولادة وحتى بلوغ الرشد، وللرجل دوره في التوجيه والتربية–سيأتي بعد – ولكن هذه المرحلة تظهر فيها – عـــلى وجه الخصوص – بصمة الأم وأثرها ، لذلك كلفها الرسول ﷺ بعد أن كلف الكل ومنهم الأمير والزوج فقال : "كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته، قال وأحسب أن قال: والرجل راع في مال أبيه"[٤]

---

(١) بناء الأسرة المسلمة – خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق، ص٧٥

(٢) الحج ٢٢/٥.

(٣) النور ٢٤/٥٩

(٤) رواه الـــبخاري، وانظر الفتح ، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) ، ج٥ ص٤٤٤ ، رقـــم الحديـــث ٢٧٥١، و مســـلم ، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ج٣ ص١٤٥٩، رقم ١٨٢٩ ، واللفظ عند البخاري.

فالمـــرأة الـــتي ترضـــع وتنظف ، وتغسل وتجفف ، هي القائمة على أمور أطفالهـــا بيـــنما زوجهـــا في عمله وكده وسعيه خارج البيت، وهي تتعهد وترعى وتباشـــر وتـــلقن وتعلم ، هي صاحبة التأثير الأقوى واليد العليا في هذا التشكيل ، يتعـــلم مـــنها الأدب والحياء، والصمت والصدق، والعبادات ، والذكر في مدرسته وجامعـــته ، تغرس فيه الرجولة والجدية والجد والمثابرة ، ومكارم الأخلاق، وحب التعـــلم والعـــلماء ، وحب الفضائل ، وتبغض إليه الكذب والمراء والفسق والفجور وجميـــع الـــرذائل، وكذلـــك فـــي بناتها تعلمهن الحياء والحشمة والوقار وتلقنهن الأذكـــار، وتعودهن إقام الصلاة ولبس الحجاب ، وتغرس فيهن خوف الله ومراقبته والحيـــاء منه ، وتشغل عقلهن وفكرهن بالنافع والجاد من الأمور فالطفل -قبل أن يختـــلط بمجـــتمعه يكـــون عندها وتحت عينها وهي التي - بعد توفيق الله تعالى- تشـــكل شخصيته وتُعدُّ منه النموذج الذي سيبقى عليه طول حياته- في الغالب ، ويـــوم تفهـــم الأم أنها فقط تحمل وتضع وترضع تكون الطامة الكبرى فتلك مهمة يقوم بها حتى الحيوان في البراري.

أمـــا دور التربية الروحية والخلقية والنفسية في ظل دين قويم وخلقٍ كريم فتلك من أصعب المهمات ، وليس لها إلا العظيمات من الأمهات المسلمات وكم بين أمٍ وأمٍ فـــي التربية والحكمة والسياسة من فرقٍ كما بين السماء والأرض فواحدة تـــنمي وأخـــرى تقـــتل المواهب وتغتالها "فالأمهات وإن اتفقن في معنى الأمومة والحدب على الأولاد ، وإرادة الخير لهم من كل ناحية ، والحب العظيم لهم والميل إليهم ، فإنهن يختلفن في العلم والعقل والشعور اختلافا بيناً"(١)

ومـــنهن مـــن عوضـــت حتى موت الأب أو سفره أو انفصاله فهي الراعي والمطعم والساقي برزق الله وهي الأستاذ والموجه والملقن ، وهذه أمثلة : -

---

(١) أستاذ المرأة ، محمد بن سالم البيحاني ، مطابع المدني ، مصر ، الثالثة د.ت ص١٥٨.

أ- ابن الزبير [١] وأسماء رضي [٢] الله عنهما :

كم لرأي الأم وحوارها العقلي ومشاركتها أبناءها في قضيتهم ، وتوليها التوجيه السديد وإبدائها الرأي الرشيد من أثر وحشد معنوي لا يملكه إنسان آخر - مهما كان- فهي ساكنة القلب التي لا يُشك لحظة في إخلاصها ، وهي الحانية التي تمتزج عندها عاطفة القلب المحب بلغة العقل المفكر لذلك أثر - ولا زال يؤثر- أمثال هؤلاء الأمهات في مسيرة الأبناء ، وموقف أسماء -رضي الله عنها- من ولدها عبدالله بن الزبير ﷺ يعد وحده مدرسة للأمهات اللائي يطبعن في حياة أبنائهن قضايا الثبات على المبدأ، واستعذاب التضحيات وعدم إعطاء الدنية ، وعزة المؤمن إلى آخر رمق في حياته ، لقد اعتصم ﷺ عنه بالكعبة وهجم عليه الحجاج بن يوسف [٣] بجنده ، وعبدالله بشجاعة فائقة وثباتٍ منقطع النظير يرد جنود الحجاج ويشتت شملهم ، ثم الحجاج يرسل إليه يراوده أن يغمد سيفه ويمنّيه بالإمارة إن فعل ذلك وبسط يده للبيعة.

وحينئذٍ يدخل ﷺ على الكريمة العظيمة أسماء قائلاً : يا أماه ، خذلني الناس حتى أهلي وولدي ، ولم يبق معي إلا اليسير ، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا أي وعدوني بما أنشد، فقالت : والله يا بني : إن كنت تعلم أنك على حق فامش عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك ، وإن قلت : إني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي فليس هذا

---

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة، أمير المؤمنين، كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، قتل -رحمه الله- سنة ثلاث وسبعين للهجرة، سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ، سابق ، ٣/٣٦٣-٣٧٩.

(٢) أسماء بنت أبي بكر ، القرشية ، التميمية ، زوج الزبير بن العوام، وأم عبدالله بن الزبير وهي ذات النطاقين، وأمها قيلة، وقيل قتيلة بنت العزى بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً ، وهاجرت إلى المدينة ، وماتت -رضي الله عنها- سنة ثلاث وسبعين بعد استشهاد ولدها بأيام، أسد الغابة ، ابن الأثير ، سابق ، ٦/٧ ، ٨ .

(٣) حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، الأمير الشهير، كان أبوه من شيعة بني أمية، وحضر مع مروان حروبه، مات سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط وهو الذي بناها ، وقيل لم يعش بعد قتله سعيد بن جبير إلا يسيراً، تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، سابق ، ١/٢٦٣ ، ٢٦٤.

فعـل من فيه خير ، كم خلودك في الدنيا ؟، القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير ، والله لضـربة بالسـيف في عزٍ أحب إليَّ من ضربة السوط في ذل ، فقال يا أماه أخـاف إن قتلـني أهـل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني؟ قالت: يا بني إن الشاة لا يضـرها السـلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك ، واستعن بالله ، فقبل رأسها ، وقال لها : هذا والله رأيي، والذي قمت به داعياً إلى الله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضـب لله عـز وجـل أن تهتك محارمه ، ولكنني أحببت أن أطلع على رأيك ، فيـزيدني قـوة وبصـيرة مع قوتي وبصيرتي ، ثم دنا من أمه وقبل يدها فعانقته وقبلـته ، ثم خرج وهو أثبت عزيمة على الأخذ بالحق والانتصار له ، ثم قالت بعد خـروجه ، الـلهم إنـي سـلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بحكمك ، ورضيت بما رضيت، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين[١].

لله درهـا ، أسـماء ، تأبى لابنها إلا أن يستقبل الموت قوياً شامخاً، فكيف بأمهـات يرضين ويقبلن أن يستقبل أبناؤهن الحياة خائرين متهالكين؟! لله درها ، تحيـل الخـوف جسارة ، والتردد إصراراً والنكوص إقداماً، لله درها يفيض قولها حكمـة ويـتفجر فعـلها عظمة ، حتى غدت هي وولدها وقولها حِكماً على ألسنة القائـلين "وهـل يضـر الشاة سلخها بعد ذبحها"؟ لله درها في ثباتها على المبدأ ، وعـزة نفسـها وفي شجاعة قلبها كأنما حشدت مع ولدها جيشاً جراراً ، صححت نيته، وأضرمت عزيمته، وأعلنت رضاها عنه وعن مسيرته فهونت عليه العواقب، وحمـت ظهره من غوائل الشيطان ونزغات الهوى وقد يقول قائل : أما كان أولى بها أن تكف ولدها ولا تغريه بهذا المصير؟ والرد: إنها أسماء سليلة الجهاد وذات الـنطاقين ، وابنة الصديق ، وزوج الحواري العظيم، ضربت أروع الأمثلة في بدء الدعـوة وهي تشارك في مسيرة الهجرة ، وختمت بأعجب الأمثلة في نصرة الحق والوفـاء للقضـية والتضحية العظمى مع ولدها لفهمها لأعدائه ، ولأنه عبدالله بن الزبير ، ابن أسماء ولئن جاز لسواه أن يتراجع فإن أسماء لا تجيز لولدها ذلك بل

---

(١) انظر تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ٥٣٨/٣ وبعدها ، وحلية الأولياء لأبي نعيم، سابق، ٣٢٩/١-٣٣، والسـير للذهـبي ، سابق ، ٣٦٣/٣ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ابن منظور ، ١٩٨/١٢ ، ١٩٩.

تقولهـــا له صريحةً "لضربة بالسيف في عز أحب إليَّ من ضربة السوط في ذل" ، مـــاتت أســـماء ومـــات ولدها وبقيت مآثرها حية خالدة كأم أنجبت وربت وشكلت ووجهـــت وصاغت ولدها على ما أرادت وحلقت مع ولدها في سماء الخالدين ، ﷺ أجمعين.

ب - الخنساء[١] وأولادها :

خـــلد التاريخ اسمها في سجل العظيمات اللاتي نقشن أسماءهن بأحرف من الـــنور ، وســـتظل الدنيا -راغمة- تذكر جوانب عظمة هذه الأم وهي تشحذ همم بـــنيها وتشـــحنهم بشحنات تطير بهم إلى ميدان الشرف والكرامة والبطولة بعد أن تلقوا دروساً كلماتها معدودة ، ولكن آثارها غير محدودة، كلماتها رغم قلة عددها إلا أنهـــا تختصر المسافات وتلخص الحقائق ، وتقتل في النفس كل بادرة جُبنٍ أو هـــلع ، بـــل وتـــثير فـــي القلب مشاعر العز والاعتزاز والاشتياق إلى قمة المجد وتحقيـــق الإعجـــاز ، لأنهـــا خـــرجت صـــادقة، مختلطة بعزيمة قائلتها، ممزوجة بإصرارها ، مبرزة لعظمتها، فلامست قلوب سامعيها ، وفجرت فيها طاقات ربما لم يعهدوهـــا من قبل ، إنهم أبناؤها الأربعة ، تقف الأريبة البطلة لتقول: "يا بَنيَّ إنكم أســـلمتم طـــائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لبنو رجل واحـــد، وامـــرأة واحدة، ما هجَّنتُ حسبكم ، ولا غيَّرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخـــرة خيـــر مـــن الـــدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفـــلحون، وإذا رأيـــتم الحـــرب قد شمرت عن ساقيها ، فيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة"[٢]

---

(١) هـــي تماضـــر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية من بني سليم ، من قيس عيلان ، من مضر ، أشهر شواعر العرب ، وأشعرهن على الإطلاق ، من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية وأدركت الإسلام وأسلمت ، ووفدت على النبي ﷺ مع قومها بني سليم ، وكان ﷺ يسمع شعرها، رثت أخاهـــا صـــخراً وقدمت أبناءها في القادسية ، توفيت -رحمها الله- سنة أربع وعشرين للهجرة. الأعلام للزركلي ، سابق ، ٦٩/٢ ، وانظر الشعر والشعراء ، ص١٢٣ ، والدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص١٠٩ ، وخزانة البغدادي ٢٠٨/١.

(٢) شخصية المرأة المسلمة ، خالد عبدالرحمن العك ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الثالثة ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م ، ص٥١ ، ٥٩

وقتـــلوا جميعاً مقبلين غير مدبرين ، واستقبلت الأم العظيمة نبأ استشهادهم فـــرحة مستبشـــرة تـــردد: "الحمـــد لله الذي شرفني بقتلهم جميعاً، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"(١)

تُـــرى لو كان مكان هذه المرأة الفذة امرأة أخرى لا هم لها إلا الخوف على أولادهـــا ، والهلع من أجلهم تخوّف وتثبط، وتخذّل ، وتطفئ فيهم جذوة الجهاد ، ونخـــوة الرجولة ، -هذا إن كانوا هم في الأصل راغبين في الجهاد- وتسمعهم ما يُحبط الهمة ، ويوهن العزيمة، ويصيبهم بالجُبن والخور، لو كان الأمر كذلك ، هل كانت الدنيا ستشهد مثل هذه الصورة العجيبة بين الخنساء وبنيها؟ بالطبع لا! إذن دور الأم فـــي فـــتح طـــريق بعينه أمام الأبناء وتمهيده لهم ، والسير أمامهم فيه وقيادتهم إليه ، بل وإقناعهم أن هذا هو الطريق ولا طريق سواه، وهذا هو المنهج ولا منهج غيره، وهذا هو الاتجاه الصحيح وكل اتجاه يخالفه فهو الضلال المبين ، دور الأم فـــي ذلك أكبر من تصوُّره ، وأخطر من تأمله خاصة إذا نتج التوجيه عن قناعة داخلية ، وإصرار نفسي فالخنساء قالت ما قالت ، وما بين قولها وتلقيها نبأ استشـــهاد الأربعـــة إلا ساعات وبنفس الثبات والإصرار والاستبشار تسعد بالخبر وتـــرى نفســـها من الفائزات المتشرفات ، ولو أنها هلعت أو اهتزت أو أصابها ما يصـــيب الأمهات في مثل هذه المواطن لما بلغت عظمة الخنساء ذروتها ، فكلامها الأول وهي ترسلهم عظيم ، وكلامها عنهم وهي تتلقى نبأ استشهادهم أعظم!.

لذلك لا يذكر الناس -غالباً- من أهملت بنيها أو ضيعتهم ، أو فقط أرضعت وألبســـت وأطعمت لأنهن كثيرات، بل هن الأغلب الأعمُّ، أما تاركات الأثر الإيجابي فـــي حياة أبنائهن ، اللاتي مثلن المنعطف في حياة الأبناء ، وكنَّ كالمؤلف المُجيد الذي ألف كتاباً مميّزَ الأسلوب ، راقيَ المعاني قويَّ التأثير ، عظيمَ الفائدة ، وقدمن هذه النسخة للبشر لكي يُفيدوا منها ويتعلموا عليها فهن قليلات ونادرات ، والهوَّة كـــبيرة بيـــن هؤلاء العظيمات أمثال الخنساء ، وبين هؤلاء المفرطات المضيعات، وأحســـن مـــن قال : "إن أماً صالحة خير من مائة معلم والأم في البيت دليل للقلب

---

(١) شخصية المرأة المسلمة ، خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق، ص٥١ ، ٥٩

والعين والتشبه بها دائم"[١] وتحديد الهدف من تربية الأبناء من أهم عوامل السعي للوصـــول إليـــه فماذا تريد الأم من بنيها ، وماذا تريدهم أن يكونوا ، وما الصورة الـــتي ترســـمها في خيالها لهم وما المستوى الأخلاقي أو الفكري أو العلمي الذي يرضـــيها فيهم ، ومن الذي يخطر ببالها وهي تربيهم ، من الأسوة والقدوة عندها لهم ليكونوا أمثاله وأشباهه، وهل هي تحزن إذا اعتل فكرهم وانتكس سلوكهم ، أم أن دائـــرة اهتمامها وحرصها لم تتعدَّ صحتهم وأجسادهم وشحمهم ولحمهم ، وهل تـــدري أنهـــا على ثغرة في أمتها وواجب عليها أن تحاول جاهدة إمداد هذه الأمة بشـــباب صـــالحين جادين ليرفعوا عن هذه الأمة كاهل العناء والمآسي ، وما مدى فهمها لحب الأبناء ، هل الحب الرخيص الزهيد الذي يفرقه الموت وتنهيه الدنيا ، أم ذلـــك الحـــب الخالد الذي يمد رواقه فوق الموت ليصل بأصحابه إلى مظلة الدار الآخرة على سررٍ متقابلين؟! فلو أدركت الأم ذلك لكانت لولدها دون سواها. وكانت لـــه بمعنى الكلمة تسقي الزرع وترعى الغرس، وتشذب وتهذب وتعلم وتقوِّم حتى يستوي على سوقه وهذا البيحاني[٢] -رحمه الله - يخاطب الأم بقوله : " وتعلمين أنـــه لا غـــنى لولـــدك الصغير عنك ولا ينبغي أن تدفعيه إلى امرأة أخرى لتربيه ، وتعطيـــه مـــن نفســـها مـــثل ما تعطينه أنت، فذلك مستحيل عقلاً وحساً ولو كانت المربية من الحور العين"[٣]

ولله در الرصافي[٤] قائلاً :-

هـــي الأخـــلاق تنـــبت كالنـــبات ... إذا سُـــــقيتْ بمـــــاءِ المكـــــرماتِ

تقـــــوم إذا تعهدهـــــا.. المـــــربي ... عـــلى ســـاق الفضـــيلة مـــثمراتِ

---

(١) الأخلاق ، صمول سميلز ، ترجمة محمد الصادق حسين ، ط الاعتماد ، مصر ، الأولى ، د.ت. ص٤٤

(٢) العلامـــة الشـــيخ محمـــد بـــن سالم بن حسن الكدادي البيحاني، ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف لـــلهجرة، فـــي بيحان من أعمال عدن، أسس المعهد العلمي في عدن، انظر مقدمة الشيخ عبدالله إبراهيم الأنصاري لكتاب أستاذ المرأة للبيحاني ص٤ ، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر ١٤٠٨هـــ.

(٣) أستاذ المرأة ، محمد بن سالم البيحاني ، مصدر سابق ، ص١٥٦

(٤) هو معروف بن عبدالغني البغدادي الرصافي، شاعر العراق في عصره من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشـــق ، كـــان جـــزل الألفـــاظ عالي الأسلوب، وصَّافاً مُجيداً، توفي سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف لـــلهجرة، الأعـــلام ١٨٤/٨، وانظـــر لـــب الألـــباب ص٣٣٥، لغـــة العـــرب ٣٨٦/٤، ومجلة الحديث ٢٧٠/٢٩-٢٨٢.

وتسمو للمكارم باتساق ... كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً ... بأزهارٍ لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محلٍ ... يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامتْ ... بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حُسناً ... بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت في الفلاة
وهي يرجي لأطفال كمالٌ ... إذا ارتضعوا صدور الناقصات؟![1]

ولأن تقر المرأة في بيتها تهدهد طفلها وتعلمه وتشبعه حناناً ورعاية وحباً وخاصة في مرحلة الحضانة الأولى "وهي التي يحتاج فيها الطفل إلى نوع من الخدمة والرعاية لا يُحسنه في الغالب إلا النساء لما يتطلبه من الجلد والصبر وكمال الشفقة"[2] خيرٌ لها من أي عمل مهما كان بريقه أو مقامه أو راتبه ، فالأمة بحاجة إلى الأم التي تدرك أنها نصف المجتمع، وأنها تلد النصف الآخر فهي أمَّةٌ بأسرها، إن أجيال الإسلام الحاضرة وسط ما يحوطهم من تيارات الفتن مما خططه العدو ليشغلهم عن معالي الأمور لفي أمس الحاجة إلى أمهاتٍ واعياتٍ يدركن دورهن ويحملن رسالتهن ، ويقرن في بيوتهن ويجعلنها جامعات تخرج، ومدارس تربي ومحاضن ترعى لتخرِّج للناس وتمدَّ المجتمع بشباب صالح، مكانه المسجد ، ووجهته المعالي ، وقبلته الكعبة ، يعتز بدينه ، ويتبع رسوله، ويعمل لإعادة أمجاد أمته بعد أن رضع لبان العزة من أم موحِّدة صالحة قانتة تعرف خطر رسالتها ، وتسعى لرضا ربها بعد أن جاء القرآن بأوصافها هكذا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ والصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3]

---

(١) ديوان الرصافي ، معروف الرصافي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، السادسة ، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، باب نسائيات من قصيدة التربية والأمهات، ج١ ص٣٤٩ -٣٥١.

(٢) الطفل في الشريعة الإسلامية، د/ محمد بن أحمد الصالح ، الأولى ، د.ت ص١٠٢بدون معلومات الطبع

(٣) الأحزاب ٣٣/٣٥.

المبحث الثالث

تعدد الزوجات[١]

قال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾[٢]

يبني القرآن الكريم وهو كلام الله ﷻ وشرعه المطهر شخصية الزوجة المسلمة على توطين نفسها على أن الزواج رسالة مقدسة ، وليس صفقة تجارية، وعلى أنها قد تكون الزوجة الوحيدة لزوجها طول حياتها، وقد تكون الزوجة الوحيدة لزوجها إلى حين، وأن الله ﷻ أباح لهذا الزوج أن يتزوج عليها أخرى ليجمع بين اثنتين ، أو يتزوج معها اثنتين ليجمع بين ثلاث، أو يتزوج معها ثلاثاً ليجمع بين أربع ، وهو مضمون الآية الكريمة - آية بناء الزوجة اجتماعياً- مادام هذا الزوج ملتزماً بشروط ذلك ولقد أجمع أهل العلم على أن المسلم له أن يجمع بين أربع كحدٍ أقصى ، "ولا نعلم أحداً خالفهم إلا شيئاً يُحكى عن القاسم بن إبراهيم[٣] أنه أباح تسعاً لقوله ﷻ ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[٤] قال : والواو للجمع ، ولأن النبي ﷺ مات عن تسع ، وهذا ليس بشيء ، لأنه خرقٌ للإجماع، وترك للسنة ، فإن رسول الله ﷺ قال لغيلان بن سلمة[٥] حين أسلم وتحته عشرة نسوة: "أمسك أربعاً وفارق سائرهن" والآية أريد بها

---

(١) انظر تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات ، خاشع حقي ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٢) النساء ٣/٤

(٣) هو : القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي، أبو محمد المعروف بالرسي، فقيه، شاعر ، من أئمة الزيدية ، وهو شقيق ابن طباطب، أعلن دعوته بعد موت أخيه، ومات بالرس على بعد ستة أميال من المدينة، الأعلام ، الزركلي ، سابق ، ١٧١/٥.

(٤) النساء ٣/٤

(٥) غيلان بن سلمة الثقفي، حكيم، شاعر، جاهلي ، أدرك الإسلام وأسلم يوم الطائف، وعنده عشرة نسوة فأمره النبي ﷺ فاختار أربعاً ، فصارت سنة، وكان أحد وجوه ثقيف، وهو ممن وفد على كسرى فأعجب بكلامه، الأعلام ، الزركلي ، ١٢٤/٥ ، وانظر مجمع الأمثال ٢٦/١ والاستيعاب بهامش الصحابة ١٨/٣.

اثنتان وثلاث وأربع كما قال الله تعالى : ﴿ أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[١] ولم يرد أن لكل ملك تسعة أجنحة ولو أراد ذلك لقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى، ومن قال غير هذا فقد جهل اللغة العربية ، وأما النبي ﷺ فمخصوص بذلك"[٢]

ولمناقشة قضية التعدد ومعرفة محاسنها ، لابد -أولاً- من إلقاء الضوء على عدة حقائق:

الأولى : الاطلاع على حال المرأة عند الأمم الأخرى[٣]:

١ - **عند اليونان** : كانت المرأة مخلوقاً وضيعاً لا قيمة له ولا اعتبار ولا أهلية ولا وجود إذا تزوجت فلزوجها أن يقتلها إذا اتصلت بإنسان آخر ، هكذا دون أدنى مسؤولية بينما هو من حقه اتخاذ الخليلات والغواني والبغايا في بيتها على مرآى منها ومسمع، وللعاقل أن يقارن بين هذه الجاهلية وبين الإسلام الوضيء الذي يحرم على الرجال اتخاذ الخليلات، كما يحرم على النساء اتخاذ الأخدان ، بل ويسوّى بينهما في الأوامر التي تصون العرض وتحفظ الخلق بقوله ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾[٤] وقوله: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٥]

٢ - **في شريعة حمورابي** : النساء كقطعان الماشية ، لا قيمة ولا كرامة ، ولا إحساس ولا مشاعر ولا مراعاة ، بل امتهان واحتقار وازدراء ومهانة ، ولو أن رجلاً منهم قتل امرأة رجل أو ابنته، فعليه أن يسلم امرأته أو ابنته للآخر ليقتلها مثله، أو يملكها ، وذو العقل يقول: وما ذنب المسكينة في هذا لتتحمل عبث الآخرين وحماقاتهم، أين ذلك من قول الله سبحانه : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ

---

(١) فاطر ١/٣٥

(٢) فقه الأسرة المسلمة ، حسن أيوب ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١٠٣.

(٣) انظر كتاب أستاذ المرأة ، للبيحاني ، مصدر سابق ، ص ١٤ وما بعدها ، والأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ محمد الزعبلاوي ، مصدر سابق ، ص ١٥ وما بعدها.

(٤) النور ٣٠/٢٤.

(٥) النور ٣١/٢٤.

ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[١] وقولـــــه ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾[٢].

فكانت المرأة في هذه الجاهلية هي الضحية وهي كبش الفداء للطائشين من بني قومها دون ذنب تأتيه غير أنها امرأة!!.

٣ - **عند الرومان** : هي وصمة العار في حياتهم التي لا تملك لنفسها حرية في اختيار زوج ، ولاحقاً في أي شيء مهما كان فهي الذليلة الصاغرة.

٤ - **عند الفرس** : كانوا يعتقدون أن المرأة من حقوق الرجل ، وله قتلها والحكم عليها بالموت إذا بدا له ذلك ، وكانوا ينكحون محارمهم فالرجل يناكح أمه أو أخته أو خالته وعمته وهو شيء قد لا تفعله البهائم السائمة.

٥ - **عند الهنود** : المـــرأة قاصرة طول حياتها، ولا تستقل عن أبيها أو زوجها ، وهي تابعة الرجل ولا يجوز لها أن تكلمه إلا باحترام ولا أن تؤاكله على مائدة ، ولا تجرؤ أن تتلفظ باسمه ، بل وصل بهم الأمر أنهم كانوا يحتقرون الرجل الـــذي يحـــادث زوجته محادثة عائلية ، وكانت الطامة الأكبر إذا مات زوجها عنها فهم يحرقونها معه بعد موته، "ومنذ قرابة مائتي سنة مات أميران هنديان لأحدهما ســبع عشـــرة زوجـــة، وللآخر ثلاث عشرة فقدمن أنفسهن للنار جميعاً إلا واحدة مـــنهن كـــانت حـــاملا ولما وضعت جنينها التحقت بصواحبها إلى النار في الدنيا والآخـــرة ولـــم تـــبطل هذه العادة إلا بعد أن حاربها الإنجليز في الهند مدة طويلة وقضوا عليها قضاءاً نهائياً"[٣]

٦ - **عند اليابانيين** : المـــرأة ســـلعة تباع وتؤجر وتعار ، فله أن يبيع زوجـــته أو ابنته ، وهي قبل الزواج مملوكة لأبيها ، وبعده لزوجها حتى أبطل هذا الفعـــل بالقانون الصادر سنة خمس وسبعين وثمانمائة وألف والذي أكمل سنة ستٍ

---

(١) المائدة ٥/٤٥.

(٢) البقرة ٢/١٧٨.

(٣) أستاذ المرأة ، محمد بن سالم البيحاني ، مصدر سابق ، ص١٧.

وتسعين وثمانمائة وألف فقضى على هذه العادة.

٧ - **عند الصينيين** : المـــرأة أداة للمتعة والتسلي ، وقتل الوقت وإبهاج النفس دون النظر إلى آدميتها، ولا ترث شيئاً من أبيها أو زوجها إلا ما يعطيه لها فـــي حياتـــه مـــن باب العطية ، والرجل رئيس أوامره مطاعة ، وهي تابعة فعليها الطاعـــة، "ويجوز للرجل أن يجمع بين مائة وثلاثين زوجة في وقت واحد، وأفرط بعض الملوك منهم حتى جمع في قصره ثلاثين ألف زوجة"(١)

٨ - **عند اليهود** : المـــرأة هـــي اللعنة ، لأنها -في نظرهم- أغوت آدم بالخـــروج من الجنة ، وهي لا تصلي ولا تدخل المعبد حتى تقطع الحيض وتصير مـــثل الـــرجال ، يضُم إليها الرجال من النساء ما شاءوا وتطلق لأتفه الأسباب ولا يـــراها بنو إسرائيل إلا متاعاً من أمتعة البيت ، ومن طلق امرأته وتزوجت بسواه فلا يحل له أن يراجعها ، وإن فعل فأولادهما أولاد زنا!!.

٩- **عند المسيحيين** : لـــم يطبقوا شريعة عيسى عليه السلام، ورجال الديـــن المسيحي قرروا أن الزواج دنسٌ يجب الابتعاد عنه ، وأن العزب عند الله أكرم من المتزوج ، والمرأة عندهم مهانة وجالبة عار.

١٠ - **في إنجلترا** : محرومة من التعليم ، وكان القانون الإنجليزي في عام خمســـة وثمانمائـــة وألف يعطي الحق للرجل أن يتصرف في زوجته بالبيع والثمن ست بنسات(٢)

الثانية : الاطلاع على حال المرأة عند العرب قبل الإسلام:

كـــان وضـــعها مـــزرياً ، ووجودها عاراً ، وحياتها ثقيلة غير محتملة، وما يُتصـــور أن هـــناك أغـــلظ قلباً ، ولا أقسى شعوراً من عربي يحفر لابنته ليدفنها ويواريهـــا الـــتراب وهـــي تنفض التراب عن لحيته ، بينما هو ينفضها من شجرة الحياة كليَّةً ، والقرآن يسجل ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ

---

(١) أستاذ المرأة ، البيحاني ، مصدر سابق ، ص١٨.

(٢) انظـــر تعـــدد الـــزوجات أم تعـــدد العشيقات ، خاشع حقي ، مصدر سابق ، ص١١-١٤. وأستاذ المرأة للبيحاني ، مصدر سابق ، ص١٤-١٨.

كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[١] ويتوعد ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[٢] فالمرأة عار -باستثناء كبار القبائل -لا ترث ، وإذا مات عنها الرجل وخلَّفها فلابنه الأكبر الذي ليس منها أن يرثها ، وإن شاء تزوجها بلا عقد، فهي المظلومة الحسيرة الكسيرة ، التي تجرع كؤوس الذل صباح مساء، الضائعة في سوق الموروثات الغاشمة ، وإذا بالقرآن يتنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾[٣] هذه نبذة عن حال المرأة أولى الضحايا للجاهلية، وأولى المستفيدات بتنزيل القرآن ومجيء الإسلام.

الثالثة : وأنصفها الإسلام فهل هي تنصف نفسها بالتزامه؟!

ومن ذلك : -

١- منحها إنسانيتها ورد لها كرامتها مع الرجل سواء بسواء.

٢- أعلن القرآن : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[٤]

٣- هدَّد كلَّ من تسول له نفسه وأدها أو قتلها ليقف حارساً لحياتها الغالية ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[٥]

٤- احترم عقلها ، واستمع مشورتها، وخلَّد رأيها، فالموفقون من المسلمين يعلمون أن شورى أم سلمة[٦] -رضي الله عنها- يوم الحديبية صرفت غضب

---

(١) النحل ١٦/٥٨ ، ٥٩.

(٢) التكوير ٨١/٨ ، ٩ .

(٣) النساء ٤/١٩.

(٤) آل عمران ٣/١٩٥.

(٥) التكوير ٨١/٨.

(٦) هي : هند بنت أبي أمية ، حذيفة، ويقال ، سهيل بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، المخزومية، أم سلمة زوج النبي ﷺ تزوجها سنة اثنتين من الهجرة بعد بدر وبنى بها في شوال، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، قال ابن حبان : ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعدما جاءها نعي الحسين بن علي -رضي الله عنهما- ، تهذيب التهذيب، سابق ، ٤/٦٩٠ ، ٦٩١.

رسول الله ﷺ عن أصحابه حيث قال ﷺ لأصحابه" قوموا فانحروا ثم احلقوا" فما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة –رضي الله عنها– فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً"[1] فأي احترام لعقل المرأة ورأيها، وخير المرسلين ينزل عليه، ويشهد المسلمون جميعاً سداد رأيها، بل يرون أنهم مدينون لصاحبته بحسم هذه الفتنة، بما خلصهم من غضب نبيهم عليهم وهو جالبٌ لغضب الله – لا محالة. وهذا ميلاد جديد للمرأة بين مرحلة لا يسمع لها ولا تستشار فيها، ومرحلة تقول وتشير وتقترح ويسمع لها الرجال بل سيد الرجال ﷺ.

٥- دفع عنها تهمة غواية آدم وإخراجه من الجنة وبرأها فقال: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[2] وقال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[3]

٦- أمر الرجل بحُسن عشرتها والإحسان إليها ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[4]

٧- اشترط على الزوج المسكن الخاص بها عند الزواج.

٨- منحها حق التملك والبيع والشراء والوكالة. وغيرها.

٩- رغب في حسن رعايتها والقيام على شؤونها والاهتمام بتربيتها طمعاً في مرضاة الله، وطلباً لمثوبة الآخرة، وحثاً على إكرامها والتفاني في خدمتها،

---

(١) رواه البخاري وانظر فتح الباري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، ج٥ ص٣٩١ رقم ٢٧٣٢.

(٢) البقرة ٢/٣٦.

(٣) الأعراف ٧/٢٠.

(٤) النساء ٤/١٩.

فقال ﷺ : "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه"[١] يريد الشارع أن يطهر المجتمع مما علق به من آثار الجاهلية ، ومما بقي فيه من أوبائها وأدرانها فيغري ويرغب ويحبب من أجل تغيير الصورة في الأذهان التي تكونت عن المرأة ووجودها في المجتمع .

١٠- أعطاها حق الإرث أماً أو زوجة أو ابنة ، أو حتى جنيناً في بطن أمها. "قال جابر[٢] ﷺ جاءت امرأة سعد بن الربيع ﷺ إلى الرسول ﷺ فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال : "يقضي الله في ذلك" فنزلت آية المواريث ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : "أعط ابنتيْ سعد الثلثين ، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك"[٣].

إنها حقوق كثيرة ، تلك التي حملها القرآن والإسلام إلى ابنة حواء ، حقوق في النفس ، حقوق في المشاعر ، حقوق في الكرامة ، حقوق في الحياة ، حقوق في المال ، حقوق في كل شيء لأنها كانت محرومة من كل شيء، فأعاد الإسلام لها كلَّ شيء.

الرابعة : إدارك الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام أو حتى بعض المسلمين ضد التعدد والرد عليها :

أول شبهة : الآثار التربوية:

يدَّعُون أن البيت الذي فيه أكثر من زوجة ، أو الأسرة التي عدد فيه الرجل يكون عرضة للتفسخ التربوي، وأن أبناء هذه الأسرة تسري بينهم روح التباغض

---

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات ج٤ ص٢٠٢٧ ، حديث رقم ٢٦٣١.

(٢) هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلمي أبو عبدالله ويقال أبو عبدالرحمن، ويقال أبو محمد، مات سنة ثلاث وسبعين وقيل بعد ذلك، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر، سابق ، ١/٢٨١ ، ٢٨٢.

(٣) رواه الترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث البنات ، ج٤ ص٤١٤ رقم الحديث ٢٠٩٢ ، وأبو داود ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الصلب، ج٣ ص١٢٠ رقم ٢٨٩١، وأحمد في مسنده، ج٤ ص٣١٩، رقم ١٤٣٨٤، باقي مسند المكثرين.

والتـــناحر، وأن هيكـــلهم يكون هلامياً وإن كثروا، وإن بنيانهم متهالك ومتصدع ، وبالـــتالي فـــإن هـــذا الوضع يفوّت على المجتمع فرصة وجود أسرة قوية متحابة تضـــيف للمجـــتمع ولا تكون عبئاً عليه وأيضاً فهذا الوضع يفرز للمجتمع أمراضاً اجـــتماعية فـــتاكة تـــنخر في عظامه وتهدر طاقاته وتضعف نسيجه الاجتماعي ، زعموا.

الـرد : ١- لـــو صـــح هذا الزعم في وجود بعض هذه الظواهر في بعض الأســـر التي عدد عائلها ، فكم في المجتمع من أسرة بزوجة واحدة وبين بنيها من التباغض والتحاسد والتناحر ما يفوق ذلك والواقع يشهد بذلك ، ونظرة سريعة في قطاع من أسر المجتمع تصدق هذه الحقيقة ، فتلك حجة داحضة.

٢ - الســـلبيات المـــزعومة والمذكـــورة -أيضـــاً- عيـــب المجتمع وعيب الأشـــخاص وعيـــب التطبيق وليست عيب التشريع ، فالمشرع حكيم عالم بصالح عـــباده وبما فيه سعادتهم وراحتهم وحل مشكلاتهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١].

٣ - بـــنظرة محـــايدة وليست متحاملة سيجد العاقل في المجتمع أسراً فيها أكـــثر مـــن زوجة ، وبين أفرادها من الحب والإخاء والصداقة والتراحم ما يفوق أبـــناء أم واحـــدة فـــي أسرة ، وتلك الحالة هي التي يؤخذ منها الحكم ويُنظر بها للقضية، ويُحكم بها عليها حتى يكون الحكم عادلاً بلا تحيز أو تشنج أو تحامل.

٤ - فـــي العـــدل الـــذي -شرطه القرآن - للتعدد درءٌ لكل المفاسد، فالعدل يجـــتث الكـــراهية من النفوس ويمحو الأحقاد من القلوب ، والعيب عيب الأزواج وليـــس الإسلام " فإذا كان التعدد مباحاً والعدل فرضاً فلا يجوز الأخذ بالمباح وترك الفرض"[٢].

فيجـــب أن يحاكم الشخص التارك للعدل ، المتسبب في زرع بذور الكراهية والتشـــفي بين أفراد الأسرة الذي أساء للزوجة الأولى ولم يعطها حقها ، الذي مال

---

(١) تبارك ٦٧/١٤.

(٢) شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة ، خالد عبالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص١٥٨

لطـــرف عـــلى حســـاب أطراف ، وأكرم أولاداً على حساب آخرين، فالشخص هو المـــتهم لا الإسلام، والزوج هو المحاكم لا القرآن فالذي شرع ذلك أوجب العدل ، فمـــن أخـــذ التعدد فمعه العدل ، ومن خاف من عدم العدل فليلزم حدوده ولا يقحم نفسه فيما يؤدي إلى عواقب وخيمة ويكون سبباً في تقوُّل أهل الكفر والنفاق على الإسلام واتهامه بالظلم والقسوة وهو من ذلك براء[١].

٥ - هـــل ينكر عاقل أنه يرى من ألَّف الإسلام بين قلوبهم من الناس فرآهم الناس إخوة متحابين متآلفين بينهم من الإيثار والوفاء والتعاون والعطاء ما يفوق الوصف؟ فكيف يعجز الإسلام أن يوجد مثل هذا الشعور بين إخوة لأب ولو اختلفت أمهـــاتهم ، إنما العيب عيب التربية والأشخاص وإلا فتعاليم الإسلام وروح القرآن كفيلتان بجمع شمل الأسرة ولم شعث الإخوة مهما تعددت أمهاتهم واختلفت.

وإنمـــا الذين أرادوا الطعن في الإسلام وتعاليمه ، والقرآن وتشريعه أثاروا هذه الشبهة ليغطوا على ضيق صدورهم بما أنزل الله ، وليستروا حقدهم وبغضهم لتعاليم الإسلام، وإلا فالأصل وبدون كل هذه الردود يجب على المؤمن أن يسلم لله ورســـوله وأن ويصـــدق ويذعن مقتنعاً دون أدنى حرج في نفسه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٢]

ولا شك أن المسلم بتركه العدل وإهماله أوامر الله مسؤول عما يثيره أعداء الملة على القرآن من شبهات.

ثاني شبهة : الآثار النفسية :-

يزعمون أن التعدد إهدار لكرامة الزوجة الأولى، وتعدٍ على حقوقها ، وكسرٌ لخاطرها وحطٌ من قدرها وإنكار لجميلها ، وتنكُّر لأيامها وعهدها، زعموا.

الـرد : ١- وهل أُهدرت كرامة عائشة بنت الصديق ، أو حفصة بنت عمر أو غيـــرهما وهـــن خيـــر نســـاء الدنيـــا وقـــد رأت إحداهن أخريات يدخلن البيت

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢/٧٧٠

(٢) النساء ٤/٦٥.

ويشاركنها في الزوج نفسه ؟!

٢ - وهل أنكر رسول الله ﷺ وهو الذي كان ينساب في أخلاقه أرق من النسيم هل أنكر عيش نسائه وخان عهدهن وكسر خاطرهن عندما عدد وهو الذي علم الدنيا الوفاء وأصوله ، وظل يذكر خديجة -رضي الله عنها- بعد وفاتها ، ويثني على مواقفها معه، ونصرتها له ، وشدها من أزره وتضحيتها بنفسها ومالها في سبيل الله، وكان يكرم صاحباتها لمجرد أنهن كن يأتين خديجة ويعرفنها ويتصلن بها.

٣ - وكيف يدعي مفترٍ أن التعدد يكسر خاطر الزوجة الأولى لأنها لا تطيق أخرى تشاركها الرجل نفسه ، ومن الذي شرع لها أن تنتقل من بيت أبيها إلى بيت هذا الرجل؟ أليس الإسلام؟! ومن الذي شرع التعدد وأباحه ، أليس الإسلام؟ ، فهل من الحياد والقسط أن يأخذ الإنسان ما يحبه ، ويلفظ ويرد ما لا يناسبه. ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[1] وهذا لا يمنع أن تغار المرأة من غيرها على زوجها - وقد حدث من زوجات النبي ﷺ وهو أمر جبلي فطري في النفس البشرية ، لكنه بقي في حيزه ولم يتطور إلى كلام ينم عن الإعراض عن أمر الله عز وجل .

٤ - وتعاد النقطة المهمة نفسها: إنه لا يكسر خاطر المرأة إلا انحياز الرجل، وإهماله لها وتفضيل أحد عليها وإهدار حقوقها ، والمسلم المستفيد بحقه في التعدد هو نفسه المأمور بالعدل والمطالب به في الدنيا والمسؤول عنه يوم الحساب، قال رسول الله ﷺ " إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط"[2]

٥ - في الواقع ما يكذب ويدحض هذه الشبهة فكم من البيوت تحوي أكثر من امرأة وبينهن من الحب والوئام والتآلف ما يثير العجب هذا في حالة وجود أناس يتخلقون بأخلاق القرآن ، وينزلون على حكم الله ، ويعلمون أن الحياة الدنيا

---

(١) البقرة ٢/٨٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في التوبة بين الضرائر ج٣ ص٤٣٨ رقم ١١٤١.

ليست كل شيء ، ويشعرون أنهم مسؤولون عن تغيير فكرة الناس عن التعدد ، وإقناعهم أن الحب قد يجمع بين الضرائر ، وأن بينهن قاسم مشترك لابد من الاجتماع عليه ولكل منهن حقوق كما عليها واجبات.

٦ – ثم هذه الزوجة الأولى التي يدَّعون إهدار كرامتها وكسر خاطرها ، ما شعورها أمام أخت لها في الدين لم يتزوجها أحد، فهي تتجرع غصص الحزن والذل يوماً بعد يوم، هذه الفتاة التي فاتها سن الزواج، أو هذه المرأة التي مات عنها عائلها ولا تجد من يمسح دمعتها ، ويجبر كسر قلبها، أو ليس من الإيثار وأخلاق الإسلام أن يفكر المرء في الآخرين[١].

لما هاجر المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة وآخى بينهم كان الأنصاري يقول لأخيه المهاجر انظر إلى إحدى زوجتي لأطلقها لتتزوجها ، إحساس عالٍ مرهف بالآخرين، وكان المجتمع النبوي إذا مات أحد رجاله اجتمعوا يتباحثون في أمر زوجته إذا انقضت عدتها ولا ينفضون حتى يقرروا في أمرها برغم أنها كانت مكفولة من بيت مال المسلمين، ولكنهم فهموا أن هذه كفالة مادية ومن للكفالة النفسية والمعنوية سواهم؟

إنه البناء الاجتماعي القوي المتماسك الذي شعر الجميع فيه أنه لُحْمةٌ واحدة ونسيج واحد حقاً وواقعاً .

٧- يقول صاحب كتاب "من قضايا المرأة المسلمة" : قرأت أن في أمريكا اثني عشر مليون امرأة يقمن بالإنفاق على أولادهن لأنهن ما بين مطلقة أو زانية حملت من السفاح ، فهرب الرجل خفيف الظهر وترك لها الهم والفضيحة والولد"[٢] فهل يعطي المجتمع لمثل هذه الإحصاءات المفجعة ظهره ولا يفكر فيها حفاظاً عل مشاعر مزعومة لدى الزوجة الأولى، دون النظر إلى المجتمع ككل ، وكوحدة واحدة وصرح واحد.

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٥٧٩/١.

(٢) من قضايا المرأة المسلمة ، وهبي سليمان غاوجي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص١٨.

٨- ثـــم أوليس للزوجة الأولى استفادات من التعدد؟! إن وجدت عدل الرجل مثل : -

أ - طاعـــتها لله عـــز وجـــل ونزولها على أمره وتشريعه وإيثارها طاعته والدار الآخرة.

ب- وفائهـــا لـــزوجها ومساعدته على ذلك وإيثارها راحته وسعادته بشيء من التضحيات.

جـــ- استفادتها من الزوجة الثانية بالمشاركة في أعمال المنزل والواجبات البيتية وتربية الأولاد.

د - دفاعها العملي عن قضية من قضايا الإسلام وردها على خصومه بالفعل لا بالقول.

هـــ- تشبهها في ذلك بخير النساء -نساء رسول الله ﷺ ونساء الصحابة رضـــوان الله عليهم أجمعين- فقد كن أكثر من زوجة في المنزل وما شـــعر أحـــد أن هناك مشكلة قامت أو قضية أثيرت ، وبالعكس غطت سعادة الإيمان وأنس الطاعة على كل شيء في حياتهن.

ثالث شبهة : الآثار الاقتصادية :-

يقولـــون أن التعدد يتسبب في زيادة الإنجاب وكثرة النسل وهذا يشكل عبئاً ثقيـــلاً عـــلى الوضـــع الاقتصـــادي للبلاد ويمتص مواردها ويؤدي بها إلى الفقر والتخلف... زعموا

الـرد : ١- مـــا من مولود إلاَّ ومعه رزقه الذي كتبه الله ﷻ وهو في بطن أمـــه، وهذا تأكيد النص القرآني على قضية الرزق التي جفت منها الأقلام وطُويت الصـــحف ، قـــال تعـــالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1] وقـــال ســـبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[2] وقـــال ﷻ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

---

(١) هود ٦/١١.

(٢) الذاريات ٥٦/٥١ ، ٥٧ .

وَإِيَّـاهُمْ ﴾[١] وقال ﷻ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[٢] ويأتي تأكيد النص النبوي على ذلك -أيضاً- حيث قال ﷺ : "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"[٣]

٢ - العنصر البشري هو أهم عناصر الإنتاج والثروة إذا أحسنت الدول الاستفادة به واستغلاله الاستغلال الأمثل واستثماره الاستثمار الفعال . والبلاد التي أحسنت الإفادة بالبشر تقدمت برغم قلة مواردها الطبيعية.

ففي سويسرا وهي بلد فقير في موارده الطبيعية تبلغ الكثافة ١٥٦/كم٢، وفي بريطانيا تبلغ ٢٢٩/كم٢ ، وفي اليابان ٣٦٣/كم٢ ، وكل هذه الدول فقيرة في ثرواتها الطبيعية والزراعية ولكنها وصلت لمستوى عالٍ من الرفاهية ووفرة الغذاء بسبب التنظيم المتقن وحُسْن الإدارة واستخدام الأساليب العلمية الحديثة والعمل الدؤوب فاعتنت بالكيف وليس بالكم فقط[٤]

ومثال الصين دولة الإلحاد - والتي تعدى سكانها المليار، ومع ذلك بالجدية والعمل والتخطيط والاهتمام بالإنسان غزت بصناعاتها أمريكا في عقر دارها ، فالإنسان مورد هام من موارد الثروة خاطبه الله بقوله : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) الأنعام ١٥١/٦.

(٢) الإسراء ٣١/١٧.

(٣) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ج٦ ص٣٥٠ ، رقم الحديث ٣٢٠، وكتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، ج٦ ص٤١٨ ، رقم الحديث ٣٣٣٢ ، وكتاب القدر، باب ١ ج١١ ص٤٨٦. ورواه مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، ج٤ ص٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣ ، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر كتاب : سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر ، د./ محمد علي البار، مصدر سابق، ص٧٣.

وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[١] هـذا إذا تـربى الناس على العمل والكد والإنتاج ، والأخذ بأسباب التقدم ، وعدم التواكل والكسل والتواني وعرفوا أن الإسلام يشجع العمل ، ويباركه ، ويحض عليه ، ويحقر العالة الفارغ المضيع وقته وعمره وأوقات الناس معه.

٣ - بالعنصـر البشـري الذي توافر فيه الكيف والكم معاً تُحمى الأوطان ، وتُجيـش الجيوش وتُحرر المقدسات وتُستخرج كنوز الأرض ويُهدد الأعداء ، وهل يتـنادى اليهـود من أنحاء الأرض ليتجمعوا على ثرى فلسطين إلا لطلبهم للنماء والكـثرة والوفرة البشرية وشعورهم أن التقنية الحديثة ، وآلة الحرب المتقدمة لا غـنى لها عن العنصر الإنساني الذي يديرها ويوجهها "فإن الجهد البشري يستطيع أن يـردم الفجوة بين الثروات الطبيعية المحدودة والحاجات المتنامية المتزايدة"[٢] ولكـن الغرب خطط لإضعاف المسلمين من جميع النواحي فأتت إلى ديارهم دعاوى خُـدع بها كثير منهم، حتى اقتنع بعضهم أن سبب كل أزمة كثرة الإنجاب ، ولذلك لابد من محاربة تعدد الزوجات الذي يؤدي إلى هذه المشكلة في -نظرهم- علماً أن العقلاء منهم شهد بعكس ذلك فقد قال علماء أوروبا : إن تعدد الزوجات من جملة أسباب انتشار الإسلام في أفريقيا وغيرها، وكثرة المسلمين ، ومهما يكن من ضرر وتعـدد الـزوجات -هكذا قالوا- فهو لا يبلغ ضرر قلة النسل الذي مُنيت به فرنسا بانتشـار الزنا وقلة الزواج وكثرة الحروب التي طحنت رجالها طحنا، وجعلت من النساء البغايا والخادمات في البيوت والمعامل والمستشفيات ، ولولا العلاج الطبي لإسقاط الأجنة وما حدث أخيراً في الملاجئ داخل الكنائس وخارجها لتربية اللقطاء وأبناء الزنا لكانت أوربا بأسرها تعاني حالة هي أتعس وأشقى من حالتها اليوم[٣]

المسلمة والتعدد :

مـا سميت المسلمة مسلمةً إلا لكونها تسلم لله عز وجل في تشريعه، حيث إنها آمنت بالله ، فمن مقتضيات هذا الإيمان أن تستقيم على أمر الله وتسلم له في

---

(١) هود : ٦١/١١

(٢) سياسة ووسائل تحديد النسل ، د/محمد علي البار ، سابق ، ص٧٣.

(٣) انظر أستاذ المرأة - البيحاني ، مصدر سابق، ص٢٦٠.

جميـــع الشـــؤون كما أجاب رسول الله ﷺ الذي سأله ليقول له في الإسلام قولاً لا يســـأل عـــنه أحـــداً غيره فقال : "قل آمنت بالله ثم استقم "[١] ومن هذه الاستقامة قبول إباحـــة الإســـلام أن يتزوج الرجل ما شاء حتى أربع بشرط القدرة والعدل ، وهناك حقيقة هامة يجب ألا تغيب عن ذهن المسلمة وهي أن الإسلام والقرآن جاء ليحدد لا ليعـــدد ، فقـــد كان الناس قبل الإسلام -كما سبق بيانه- يتزوج الرجل منهم ما شـــاء ، فجـــاء الإســـلام ليحـــدد العدد بأربع وهذه حقيقة هامة لابد من معرفتها واستحضارها.. ولتعلم المسلمة أن التعدد ليس قضية مخيفة وإنما الذي يخيف عدم العدل وعدم القيام بأمر الله ﷻ ، والحياة -كما قال الشيخ محمد الغزالي[٢] -رحمه الله- "لها قوانين عمرانية واقتصادية ثابتة تفرض نفسها على الناس حتماً عرفوها فاســـتعدوا لمواجهتها ، أم جهلوها فظهرت بينهم آثارها ، وصلة الرجل الفرد بعدد من النساء من الأمور التي تبتّ فيها الأحوالُ الاجتماعية ، ويعتبر تجاهلها مقاومة عابـــثة للأمـــر الواقـــع ، وذلـــك أن النسبة بين عدد الرجال والنساء إما أن تكون متساوية ، وإما أن تكون راجحة في إحدى الناحيتين، فإذا كانت متساوية أو كان عـــدد النســـاء أقل فإن تعدد الزوجات سيختفي من تلقاء نفسه ، وسيفرض الواقع توزيعه العادل قسراً ، ويكتفي كل امرئ طوعاً أو كرهاً بما عنده ، أما إذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحدة من ثلاث :

١- أن نقضي على بعضهم بالحرمان حتى الموت.

٢- أن نبيح اتخاذ الخليلات ونقر بجريمة الزنا.

٣- أن نسمح بتعدد الزوجات[٣]

---

(١) رواه مســـلم ، كـــتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، ج١ ص٦٥ ، رقم٣٨ ، وأحمد في مسنده ، مسند المكيين ، ج٤ ص٤٢١ ، رقم ١٤٩٩٠.

(٢) هو : الشيخ محمد الغزالي ، ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ، بقرية نكلا العنب ، بمحافظة الـــبحيرة بمصـــر ، تـــولى عدة مناصب بالأزهر الشريف ، ألف ما يزيد على الخمسين كتاباً ، له جهوده الـــبارزة فـــي الدعوة والدفاع عن الإسلام ضد خصومه، توفي رحمه الله منذ حوالي خمس سنوات ودفن بالبقيع. انظر مقدمة كتاب حوار هادئ مع محمد الغزالي ، سلمان العودة ، ص٥ ، ٦

(٣) انظـــر كـــتاب تعدد الزوجات – أم تعدد العشيقات ، خاشع حقي ، مصدر سابق، ص٨٥ ، ٨٦، وانظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٥٧٩/١-٥٨١.

والشيخ -رحمه الله- يناقش القضية مناقشة عقلية وهي مناقشة جدٌ مقنعة، ولكـــن هناك أمران ، الأول : أنه قد تتساوى أعداد الذكور والإناث ومع ذلك يحتاج المجتمع للتعدد وذلك لأن النسبة بين الجنسين تتفاوت من فئة إلى فئة ، بمعنى قد يكون عدد الذكور أكثر من عدد الإناث - مثلاً في مرحلة الطفولة - التي لا يعنيها هـــذا الأمر الآن ، بينما هناك العكس في مرحلة الشباب فالإناث أكثر مع أن العدد الإجمالي لكل من الجنسين متساوٍ على حد قول الشيخ.

والثاني : - أن المسلم والمسلمة يعقد نيته على حب هذا التعدد والرضا به والتســـليم له ليؤجـــر عليه كتشريع لربه، بصرف النظر طبقه هو في حياته أم لم يطـــبقه، فالإيمان به والرضا عنه فرض على الجميع، ولكن الأخذ به ،كل حسب ما يناسبه.

هذا هو بناء القرآن للزوجة الصالحة ليهذب ضميرها ، ويطهر قلبها ، يزيل أحقادهـــا ، ويجعـــلها تعلم أن زوجها إذا تزوج بأخرى فليس ذلك من عند نفسه ، وإنما هو من عند ربه بينما هي المكرمة دائماً بعد أن أمر بالعدل معها ، بل وقال : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [١] كـــل ذلـــك مـــن أجلها ، أي أبطل هذا التعدد صيانة لحقها ، ودفعاً للظلم عنها.

ثـــم المرأة المسلمة الصالحة العالمة تعلم وتوقن "أن مجتمعاً فيه تعدد لأربع بعدلٍ وقسطٍ خير من مجتمع فيه زوجة واحدة وتتعدد فيه الخليلات والعشيقات"[٢]

وبهـــذا البـــناء تبقى الزوجة مصونة وتزداد قوة وتألقاً ، فكم من زوجة كانت مـــثالاً لـــلحكمة والعطاء والتفاني ، فلما تزوج عليها زوجها انفرط عقدها ، وانتكس حالهـــا ، ولكـــن القـــرآن بمنهجه البنَّاء يحول المحنة إلى منحة والعناء إلى سعادة وهناء.

والمرأة الصالحة الذكية هي التي لا تنظر إلى الأمر كأنه صفقة تجارية تريد أن تـــربحها بأية وسيلة وترى الزوج غنيمة تريد أن تستأثر به وليكن ما يكون ، وإنمـــا الصـــالحة الذكيـــة هي التي ترى الأمر صفقة رابحة مع الله ﷻ ، فتشتري

---

(١) النساء ٣/٤.

(٢) شخصية المرأة المسلمة - خالد العك ، مصدر سابق، ص١٥٩.

رضـــاه ، وتعلم أن إرضاء الزوج يجلب رضاء ربها ، وأنها بإسلامها وقرآنها قد مُيِّـزت عـــلى ســـائر النساء لذلك هي تتميز في فكرها ، وفهمها ، وحكمها على الأشياء ، ونظرها إليها ، وتصورها لها فإذا كان الله ﷻ قال لنساء نبيه ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1] فكذلـــك الخطاب الضمني لنساء المؤمنين أنهن لسن كأحدٍ من نساء الدنيا فلهن منهج يَسِرْنَ عليه ، ونسبٌ ينتسبن إليه.

وهكـــذا ، تركز البحث في الفصل الأول من الباب الثاني حول منهجية القرآن فـــي بـــناء الـــزوجة المسلمة ، فتعرض للآيات القرآنية التي ذكرت الزوجة والزواج وأثره في حياة المسلم والناس ، وفصل أسس اختيار الزوجة من خلال القرآن الكريم من الإيمان والولاء للمؤمنين والمؤمنات ، والاستفادة من القصص القرآني والشروط التي وضعها رسول الله ﷺ في خطبة المسلمة ، ثم انتقل البحث إلى الكلام عن أعظم رســـالة لـــلزوجة فـــي حياتها من كونها سكناً للرجل ومنجبة أطفاله ورفيقة دربه ، ومـــربية أولاده وصاحبة التأثير الأول والأبرز في هؤلاء الأولاد، وساق البحث أمثلة لـــدور النســـاء فـــي حياة أولادهن علماً أو جهاداً أو ثباتاً ثم ختم البحث هذا الفصل بـــالكلام عن قضية مهمة وهي تعدد الزوجات فذكر البحث المرأة بأحوالها لدى الأمم الســـابقة وبالظلم الذي كان واقعاً عليها ، وبالتجاهل الذي كانت تعانيه وترزح تحت أغلاله ، ثم ذكرها بحالها في جزيرة العرب قبل أن يبزغ فجر الإسلام والحالة المزرية الـــتي وصلت إليها والجاهلية العمياء التي عششت في عقول هؤلاء العرب ، ثم خرج بهـــا الـــبحث إلى الـــنور الوضئ نور الإسلام والقرآن حيث الانقلاب الكبير في حياة الـــناس الذي أحلَّ العلم محل الجهل ثم توقف البحث مفصلاً الشبهات التي يرمي بها أعـــداء الإســـلام عـــلى قضية التعدد ورد عليها ، وأوضح أن عز المسلمة وشرفها وقدرهـــا يـــرتفع مع رضاها بأمر الله واتباعها إياه والتسليم له ﷻ في كل ما شرع.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2]

---

(١) الأحزاب ٣٢/٣٣.

(٢) الأحزاب ٣٦/٣٣.

الفصل الثاني

منهج القرآن الكريم في بناء الزوج المسلم

توطئة :

المبحث الأول : شروط قبول الزوج

المبحث الثاني : رسالة الزوج

توطئة

لا يحسبنَّ أحدٌ أن الكلام عن الزوج بعد الزوجة هو تقليل من شأنه، أو غضٌّ من دوره ، أو إغفال لأثره ، كلا ، بل هو قائد السفينة وموجهها وربانها، وحادي مسيرتها ، بما فُضل به على المرأة قوةً وحكمةً وحزماً ورشاداً كما قال المولى ﷻ : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1] ولكن كان البدء بالمرأة فيما سبق لأن دورها أبرزُ في سنيّ الأولاد الأولى (مرحلة الطفولة) ولأن الأولاد غالباً ما يشابهون من حملت وأرضعت وحضنت ووجهت في مرحلة التشكيل والتكوين ، ثم لأن الرجل هو الخاطب -في الغالب- فوُجِّه الحديث إليه عن أسس اختيار الزوجة وشروطه وأثر ذلك في المجتمع حتى يحدوه الكلام للتريث والتوقف طويلاً قبل تحديد البيت الذي يطرقه والعائلة التي يصاهرها، والمرأة التي يختارها. وفي هذا الفصل فالكلام عن الرجل عماد الأسرة، المسؤول عنها أمام الله ثم أمام الناس ، الحامل همومها المعيشية والتربوية ، الذي ينسب الأولاد إليه ويحملون اسمه ، الذي ربما تغرَّب لأجلهم ، وتحمل المصاعب وواجه الأخطار في سبيلهم ، وحرم نفسه ليكفي حاجتهم هذا الرجل ما شروط اختياره، وما ميزان قبوله ، وما منهج القرآن والشرع الحنيف في الإقرار به زوجاً ، والرضى به صهراً ، وما رسالته وما أثره في إكمال دور الأم والإشراف عليه وإنجاحه، والآباء ليسو سواء، فكم بين أبٍ وأب كما بين المشرق والمغرب فكثير هم المنجبون، وقليل هم المربون ، وكثير هم الآباء ، وقليل هم النبهاء المؤثرون في الأبناء ، الممدون لمجتمعهم بالعظماء والحكماء والفطناء.

وفي هذا الفصل -إن شاء الله- تتضح المنهجية الكاملة للقرآن الكريم في إيجاد زوج مسلم متكامل الشخصية متناسق الملكات يمد المجتمع بالصالحين والأسوياء الذين ولدوا في بيئة صحية سليمة، وتربوا في محضن اجتماعي نقي.

---

(١) النساء ٤/٣٤

فحمـــلوا الخيـــر لأنفسهم وجلبوا الخير لمجتمعهم، وكانوا سبباً للخير لوالديهم في حيـــاتهم وبعـــد ممـــاتهم فهـــم ذخرٌ لهما وهم عملٌ صالح موصول، وسعيٌ مبارك مقـــبول، كما قال النبي ﷺ "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(١)

* * * * *

(١) رواه مســـلم ، كـــتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣ ص١٢٥٥، حديث رقم ١٦٣١.

المبحث الأول
شروط قبول الزوج

ليســت الزوجة وحدها هي التي حظيت بذكر القرآن لها وبيان دورها وذكر شروط اختيارها وإنما كذلك زوجها، أو راعى أسرتها وأولادها.

وإذا كــان للزوجة في منهج القرآن شروط ومعايير وموازين لاختيارها في ضــوء منهج رباني معصوم فللزوج أو الرجل المسؤول عن أسرته -عموماً- ذكرٌ في كتاب الله ﷻ جاء ضمنياً في سياق ما يؤمر به أو يُنهى عنه أو يوجه إليه من توجيهــات - ربانيــة تبين أهمية هذا الإنسان، وتبين اهتمام الآيات به لما له من صلاحيات وما عليه من مسؤوليات.

أولاً الضمني من الآيات :

١- **قولــــــه تعـــالى:** ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]

٢- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[٢]

٣- **قوله تعالى:** ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ ﴾[٣]

٤- **قوله تعالى:** ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[٤]

٥- **قولــــه تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ﴾[٥]

---

(١) التوبة ٩/٢٤.

(٢) طه ٢٠/١١٨ ، ١١٩.

(٣) طه ٢٠/١٣٢.

(٤) الشعراء ٢٦/١٦٨ ، ١٦٩ .

(٥) الأحزاب ٣٣/٥٩.

٦- **قوله تعالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١)

وسوى ذلك كثير من آيات خاطبت الرجل ضمنياً كمسؤول عن جماعته الصغيرة وأسرته المسلمة ليقيم فيها شرع الله ﷻ ، ويقودها إلى مرضاته بعد أن انقاد -هو أولاً- إلى ذلك ، فخاطبته الآيات إعلاءً لشأنه ، ورفعاً لقدره، وتذكيراً بدوره ، وإشعاراً له بأمانة حملها منذ أنشأ هذه الأسرة، فالقرآن خاطب المسلمين أفراداً ، وخاطبهم أسراً ، وخاطبهم جماعة واحدة وهذا الخطاب يختلف باختلاف مناسبة الكلام وموضوعه حَسْبَ ما تقتضيه حكمة المنزل ﷻ ، والآيات المذكورة آنفاً يكاد كل رب أسرة ومسؤول يسمع فيها الأوامر أو النواهي موجهةً إليه بصورة مباشرة ، وتلك عظمة القرآن وبلاغته في أسْرِ المستمع وإحكام السيطرة عليه حتى لا يكاد يرى أحداً غيره معنياً بهذا الخطاب ومقصوداً بذلك الكلام.

ثانياً : التصنيف الموضوعي للآيات القرآنية المتضمنة لذكر الأزواج أو الآباء:

المتأمل في آيات القرآن الكريم التي تعرضت لذكر الزوج سيجد أنها تندرج تحت أحد الموضوعات التالية:

١- التحذير من الشرك بالله ﷻ :

قال تعالى - على لسان لقمان ناصحاً ولده : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾(٢) فالأب يعرِّف ولده بربه ، ويدله عليه ، ويأمره بتوحيده، وإفراده بالعبادة، ويحذره من الشرك به أو معه ، ويحرس قضية التوحيد في حياته حراسة مشددة يوصيه به، ويؤكد عليه ويعمق في نفسه معاني الإيمان بالله ومعرفته بأسمائه وصفاته ونعمه وآلائه، ويزرع فيه مراقبته وخشيته وتقواه ، ويذكره أن كل عمل مهما كان إذا لم يصاحبه توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته وأفعاله فهو حابط، فقد قال ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٣).

---

(١) التحريم ٦٦/٦.

(٢) لقمان ٣١/١٣.

(٣) الزمر ٣٩/٦٥.

وهذا مثال لكل أب يشعر بمسؤوليته أمام ربه ، وتجاه أولاده يغضب لله قبل نفسه ، ويحافظ على حق الله قبل حقه ، ويربي ولده على أن يكون صالحاً عارفاً لربه حق المعرفة ، فإذا ما عرف ربه حق المعرفة، انبثق من هذه المعرفة معرفته لحق والديه وحق أقربائه وحق مجتمعه كله.

٢ـ المسئولية عن حراسة حق الله تعالى في العبادة:

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١] فتلك من مسؤوليات الأولياء، المتابعة والمناصحة والمحاسبة، فهو آمرٌ بالصلاة مذكرٌ بها ، مرغب فيها لأهميتها في جلب مرضاة الله ، وفي تطهير النفس وتزكيتها، وفي ربط العبد بربه، وفي الوقت ذاته هذا الأمر والتعليم مصحوب بالرفق واللين والصبر فالرفق ما كان في شئ إلا زانه ، ولا نزع من شئ إلا شانه، ولأن الأب قبل أن يؤمل حقه لدى أولاده من بر وإحسان واحترام وتوقير يجب عليه أن يرعى حق الله ﷻ وأن يباشر أداءه ، والأمر وإن كان لرسول الله ﷺ إلا أنه أمرٌ لأمته من بعده ، وإن كان للأهل فداخل فيهم الولد والذرية بدليل قول لوط عليه السلام ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢] فلو كانت الأهلية فقط للزوجة لما قال ذلك ومعروف أن زوجته عليها السلام كانت مع خصومه من قومه.

٣ـ حراسة العفة والشرف[٣]:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤]

فيأمر الله ﷻ النبي ﷺ بأمر أزواجه وبناته وجميع نساء المؤمنين بالتستر والحجاب حتى يُمَيَّزْن عن سائر النساء، والآية إرشاد لكل زوج أو أب أو مسؤول أن يأمر من عنده بالحجاب قال صاحب أضواء البيان -رحمه الله- "فإشراك نساء

---

(١) طه ٢٠/١٣٢.

(٢) الشعراء ٢٦/١٦٩

(٣) انظر حراسة الفضيلة ، بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار العاصمة ، للنشر والتوزيع ، الرياض ، الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م من ص١٣ وما بعدها.

(٤) الأحزاب ٣٣/٥٩.

المؤمنين مع أزواج النبي ﷺ بإدناء الجلباب يستلزم وجوب ستر الوجه لنساء المؤمنين كافة ، إذ لا نزاع بين المسلمين في وجوب احتجاب أزواج النبي ﷺ وستر وجوههن"[١] ولو قال طائفة من العلماء بكشف الوجه ومعهم من الأدلة الشرعية ما يؤيد ذلك إلا أن ستره أفضل خاصة إذا لم تؤمن الفتنة[٢].

والمسلم عزيز بأوامر ربه ، منصاعٌ لها ، غيورٌ على عِرضه، حارس لأولاده ، لا يكتفي بغذاء أجسامهم وإنما يتمسك بما ينجيهم عند الله ، وبما يطهر أنفسهم ويزكيهم، وبما يجلب لهم احترام المؤمنين ويدفع عنهم لمز الفاسقين، وأعين أهل الشر وإخوان الشياطين، فهو دائم المراقبة والمتابعة ، ودائم المناصحة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- الإشفاق على من يعول من عذاب ربه :

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[٣]

فأمر المسلم أن يفعل كلَّ ما من شأنه أن يقي رعيته من عذاب النار فكل معصية تقربهم من النار يأمرهم بتركها، وكل خير يباعدهم من النار يدعوهم إليه، وكل خُلقٍ يزكي أنفسهم يبنيه فيهم ، وكل صفة تفسد فطرتهم ينهاهم عنها، بل وأمره أن يكون قدوة لأهله ، وأولاده فالعلماء عرفوا النفس في هذه الآية بالأولاد لأنهم قطعة منه، والأهل هم الأزواج ، لأنه إذا أراد أن يطيعوه ويتأثروا بكلامه وينصاعوا له فعليه أن يكون قدوتهم الطيبة وأسوتهم الحسنة وإمامهم في فعل كل خير ، وإمامهم في ترك كل شرٍ، والآية الكريمة تبين ضخامة المسؤولية والتأثير الذي بيد الآباء حتى إنهم يستطيعون صرف النار عن أولادهم وأهلهم ، علماً أن ذلك بيد الله وحده ، ولكن بحُسن توجيههم ، وجميل متابعتهم ، وشدة حرصهم يكون ذلك إن شاء

---

(١) انظر أضواء البيان ، الشنقيطي ، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٥٨٦/٦ و بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة خالد عبدالرحمن العك ، مصدر سابق ، ص٣٤١ ، و رسالة الحجاب ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن للنشر ، السعودية ، الأولى، ١٤١٩هـ ص١٣.

(٢) انظر جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ، محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتبة الإسلامية ، عمّان، الأردن ، الثانية ، ١٤١٣هـ ، ص٢٨.

(٣) التحريم ٦/٦٦.

الله ، وكم من ولد سيتعلق بعنق أبيه يوم القيامة ويسأل ربه أن يأخذ له حقه منه وقد أضاعه في الدنيا فلا بمعروفٍ أمره ، ولا عن منكر نهاه.

٥- الاعتصام بالله ودعائه لجلب خير أو دفع ضر أو طلب توفيق لأهله وبنيه:

فإبراهيم عليه السلام وهو أب يدعو ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[١] ولوط عليه السلام وهو أب يدعو ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] وزكريا عليه السلام يدعو ليكون أبا ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٣] والرجل الصالح يدعو وهو أب ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾[٤]

والمؤمنون كافة يدعون وهم آباء ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[٥]

وهذه سنة لكل أب وزوج وعائل يعلم أن الصلاح بيد ربه، ويعلم أن نواصي العباد بيد خالقهم ، فيفتح باب الدعاء لاهج اللسان، خاشع النفس، كسير القلب، دامع العين سائلاً كل ما يتمناه من بركة وصلاح ونجاة وفضل وعطاء ، يقول البيحاني – رحمه الله- "ويحسن أن يُسمع الوالد ولده الدعاء له ، وبالعكس حتى يزيد نشاطاً في الخير، وزيادة من البر ويزداد بذلك الأب شفقة عليه ورفقاً به، وكان بعض الصالحين كثيراً ما يقول في دعائه: اللهم بارك في أولادي ولا تضرهم، ووفقهم لطاعتك وارزقني برهم، وكان والدي –رحمه الله- يكثر من هذا الدعاء ويسمعنا إياه"[٦] وهذا من وسائل التربية ومقوماتها الرئيسية والتي قد يغفل عنها – للأسف- الكثير.

٦- إخلاص النصح والدعوة حتى النهاية:

وهذا دأب الأب الحاني المشفق على ولده ، المحب له ، الخائف عليه من عذاب الله ، الذي يذوب كمداً عليه وهو يراه يعصي الله فلا ييأس من نصحه، ولا

---

(١) إبراهيم ١٤/٤٠.

(٢) الشعراء ٢٦/١٦٩.

(٣) آل عمران ٣/٣٨.

(٤) الأحقاف ٤٦/١٥.

(٥) الفرقان ٢٥/٧٤.

(٦) إصلاح المجتمع – البيحاني ، مصدر سابق ، ص٣٣٩.

يقنط من دعوته ، ولا يمل من محاولة هدايته قال تعالى على لسان نوح عليه السلام داعياً ولده حتى وهو في آخر المشاهد، والماء يعلو الجبال والموج هادر ، والغرق لا يدع شيئاً ولا أحداً إلا من رحم الله، فإذا بالقلب الحاني للشيخ الكبير نوح عليه السلام يتودد ويتحبب وينساب رقة أبوية كريمة ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] قمة النصح وأبلغه وأرشده إذ دعاه أن ينضم وحذره المصير المظلم وأبرأ ذمته أمام الله عز وجل ، وهذا دأب كل أب تقيٍ ورع يخاف الله دائماً ينادي على ولده : يا بني اصدق ولاتكن مع الكاذبين ، يا بني اتبع ولا تكن مع المبتدعين، يا بني أطع ولا تكن مع الفاسقين ، يا بني وحد ربك لا تكن مع المشركين ، فالأب هو الناصح دائماً والمخلص دائماً والمشفق دائماً.

٧ـ السعي في مصالحهم العاجلة والآجلة:

فهو لا يدخر جهداً في كل ما يريحهم ويسعدهم ويحقق مصالحهم في معاشهم وحياتهم من وسائل الراحة ورغد العيش ويسر الحياة ، فهذا موسى عليه السلام وهو الزوج يسعى في دفع البرد القارس عن أهله فيذهب إلى النار ليأتيهم بما يصطلون به ويضيئون وليتم هناك أمر الله وتنزل الرسالة ، لكنها اللمحة القرآنية الخاطفة الدالة على مروءة موسى عليه السلام وعظمة نفسه وكرم خلقه ، وخفته في خدمة أهله وراحتهم. ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [2]

فالعائل لا يتكاسل ، ولا يقعد ولا يتوانى عن كل ما يوفر لأهله وأولاده بحبوحة العيش ورغده ، فالرجل هو حامل الهم المعيشي ، وهو كاسب الرزق ، وهو الذي يتحمل إذا ألمت بالأسرة ضائقة أو نزلت بها نازلة عليه الكد والسعي والتفكير والعناء لذلك خاطب الله أبانا آدم عليه السلام لافتاً الانتباه إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[3] فالشقاء والعناء والتفكير

---

(١) هود ٤٢/١١.

(٢) النمل ٧/٢٧. وينظر في تفسيرها ، تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ١٨١/٢٤ و في ظلال القرآن، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢٦٢٨/٥ ، ٢٦٢٩.

(٣) طه ١١٧/٢٠.

فـــي اليســـر والبحبوحة على الرجل الذي يتحمل مسؤوليته، وكم من متكاسل مضيع لعملـــه وتجارتـــه ، وكم من معتمدٍ على عمل زوجته وراتبها، أو متكل على ميراثها وعطـــاء أهلها ، وكم من تاركٍ لدوره مهمل لأسرته فالناس في غنى وهو في افتقار، والـــناس فـــي اكـــتفاء وهو في احتياج، والقرآن إنما يبني على علو الهمة وإشعال النشاط والحركة وكأن القرآن يقول لكل أبٍ وزوج وعائل إذا كان هذا الذي ليس بينه وبيـــن الرســـالة سوى بضعِ خطوات وعندها سيخاطبه ربه ويكلمه سعى في مصلحة أهله ولم يقف مكتوف اليدين وإن كان هذا أمر الله ، أو ليس من دونه أجدر بالسعي والحركة وطرق الأبواب وعندها يفتح الكريم الوهاب.

٨ـ مشاورة الأبناء ومنحهم الفرصة لاتخاذ القرار:

لفـــتة تربوية عالية ، فكم هو الفرق الكبير بين أمرٍ يُلقى ويُصدر ، قد تجد الـــنفس مـــنه غضاضـــة وبين إشراك الابن في الأمر وإعطائه فرصة ليقول هو ، ويخـــتار هـــو ، ويقـــرر هـــو ، بدافع من تلقاء نفسه فهذا أدعى للقناعة والحب والتحمس ، وتحمل المسؤولية ، وعدم التبرم بهذا الأمر ، بل وتولِّد المشاورة لديه شعوراً بالرجولة والذاتية ، وحباً للمغامرة ، وحرصاً على النجاح في الاختبار، هذا هـــو موقـــف إبراهيم عليه السلام من ولده إسماعيل عليه السلام فها هو يخبره مشاوراً ومنتظراً قـــراره ورأيـــه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [١]

رغم أن الأمر إلهي ، ولا مجال فيه لاختيار ، إلا أنه المنهج النبوي الأبوي الذي يبقى لفتة لكل أب ليتعلم ويجيد فتح مغاليق النفوس وكسبها، وإطلاق طاقاتها فـــي مســـاراتها الـــنافعة المـــثمرة دون مشاكسة أو تمرد ، وهو من فن التعامل والـــتخاطب الـــودود الحـــاني الذي يأتي بالنتائج الباهرة في الاستجابة والانصياع مســـتغلاً الحدث في التربية به وعليه[٢] أضعاف ما يأتي ب الأمر المباشر المتسلط الذي تأباه النفس البشرية وتضيق به ذرعاً، وتتمنى لو أفلتت منه.

---

(١) الصافات ١٠٢/٣٧.

(٢) انظر منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، مصدر سابق ، ٢٠٧/١.

٩ـ حماية الأبناء من غشم الآباء وجاهليتهم :

فمنهج القرآن أن يحمي أنفس الأبناء مما يتهددهم، ويحفظ حياتهم مما يتربص بهم وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده ، فالآباء قد يصيبهم الجهل الذي معه تقسو القلوب وتعمى البصائر وتموت فيصادمون الفطرة ويوقعون الإضرار بأولادهم بتضييعهم أو التخلص منهم كما كان سائداً في البيئة العربية قبل نزول القرآن، أو كما هو سائر الآن بين أسر تُضيع الأولاد فتهمل أخلاقهم ، ولا تنشئهم التنشئة الصالحة فلا تأديب ولا تهذيب ولا تقويم ولا تعليم فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ (١) وقال ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾(٢)

١٠ - تعهد الأبناء بالوصايا النافعة:

فيعقوب عليه السلام وفي ثنايا سورة يوسف كثيراً ما يأتي كلامه موصياً بحكم عالية لولده يوسف عليه السلام أو لأبنائه ومن ذلك قوله ليوسف عليه السلام : ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٣) وقوله لبنيه ﴿ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾(٤)

وقول لقمان لولده موصياً : ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(٥) فهؤلاء آباء شعروا بمسؤوليتهم تجاه بنيهم فلم يدخروا جهدا في إهداء النصح لهم ، وفي تحميلهم الوصايا الغالية التي ينتفعون بها، ويرجعون إليها وتكون دستوراً لحياتهم عليه يمشون ، وبه يلتزمون ، وهي أمرٌ ارتضاه الله بدليل أنه ﷻ أورده في كتابه قرآناً

---

(١) الإسراء ٣١/١٧.

(٢) الأنعام ١٥١/٦.

(٣) يوسف ٥/١٢.

(٤) يوسف ٦٧/١٢.

(٥) لقمان ١٧/٣١-١٩.

يتـــلى ويتعـــبد بـــه، ويستفاد منه ، ويظل قواعد تربوية يحذو حذوها الآباء تجاه الأبـــناء ويقدمونهـــا فـــي كل مناسبة واثقين -في الوقت ذاته - أن الأمر بيد الله والنافع والضار هو الله والهادي والمضل هو الله ، لذلك قال يعقوب - الأب - عقب توصـــيته لبـــنيه بألا يدخلوا من باب واحد فقال : ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1] وأثـــنى عليه ربـــه ﷻ بقوله : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] قال العلماء العلم الذي علم إياه ربه أنه دائم الذكر لله ﷻ، فـــلا يأمـــر ولا يـــنهى ولا يوصي ولا يسأل ولا يجيب ولا يحذر ولا يبشر إلا ويـــأتي بذكر ربه في ثنايا حديثه، وسورة يوسف تشهد بذلك ، وتلك مناجم تربوية لكل الآباء يستخرجون كنوزها ، ويتحلون بتوجيهاتها.

١١- الاعتدال في حب الأولاد:

فـــلا يلهي عن ذكر الله ، ولا يُعمي عن رؤية الحق ، ولا يطغى على حدود الله ، ولا يكون سبباً في ترك طاعة الله ، ولا يكون سبباً في مجاملة الأولاد فيقرهم أبوهـــم عـــلى الخطأ أو المعصية أو الانحراف ولا يكون سبباً في جلب الحرام لهم وعدم التورع في الكسب الحلال،ولا يكون سبباً في التعدي على خلق الله ، أو منع الحقوق عن أهلها كالميراث وغيره، ولا يكون سبباً في البخل بالمال أو القعود عن الجهـــاد ونصرة الحق والدين، كما أبان رسول الله ﷺ بقوله: "إن الولد مبخلة مجبنة"[3] فليحـــبهم كمـــا شاء بشرط أن يندرج هذا الحب تحت مظلة الدين فالذي أمر بحبهم والعمـــل لمصلحتهم هو الله ، فلا ينبغي أن يُغلِّب هذا الحب على حساب ما أمر الله به وما دعا إليه وما فرضه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ

---

(١) يوسف ٦٧/١٢.

(٢) يوسف ٦٨/١٢.

(٣) رواه أحمـــد في مسنده ، مسند الشاميين ، ج٥ ص١٨٢ ، رقم ١٧١١٢ ، وابن ماجه في سننه ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ، ج٢ ص١٢٠٩ ، رقم ٣٦٦٦.

أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [١] وهـو مـنهج القـرآن في الاعتدال والوسطية فللأولاد الحب والحنان والرعاية ، ولكن -أبدا- لا يكـون ذلـك مقدما على طاعة الله أو مصادماً لحدود الله ، أو شاغلا عن مرضاة الله.

ثالثاً : أسس قبول الزوج وفق منهج القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ [٢]

وقـال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٤]

وقال ﷺ : "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[٥]

وهذه هي الأسس :

١ - الإيمان أولاً :

يبـني القرآن الكريم منهجه الفذ في اختيار الزوج وقبوله والرضى به على قـاعدة الإيمـان بـالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله " فلا يكون الزوج إلا مسلماً حلالاً غير متزوج بأربع أخريات"[٦] فالكافر لا تكون تحته زوجة مسلمة بأي حـال من الأحوال سواء كان ذلك الكافر كتابياً أو مشركاً " بل لو أن كافرة أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى تنقضي عدتها خرجت من عصمته ولا ولاية له عليها"[٧]

---

(١) المنافقون : ٩/٦٣.

(٢) البقرة ٢٢١/٢.

(٣) النور ٣٢/٢٤.

(٤) القصص ٢٦/٢٨.

(٥) رواه الـترمذي فـي سننه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، ج٣ ص٣٨٥ ، رقم ١٠٨٤ ، وابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ج١ ص٦٣٢ رقم ١٩٦٧، واللفظ له.

(٦) أستاذ المرأة ، محمد سالم البيحاني ، مصدر سابق ، ص٢٥٢.

(٧) أستاذ المرأة ، محمد سالم البيحاني ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢.

وهـذا مـن رحمة الله بالمجتمع وبالزوجة المسلمة وبالأسرة المسلمة فالرجل هو صـاحب القوامـة ، والأولاد وإن شـابهوا أمهـم خَـلْقاً فهم يتبعون والدهم ديناً واعـتقاداً، والعـبد ما دام مؤمناً خير من المشرك ولو كان حراً ولو كان المؤمن دميمـاً أو فقيراً ففي إيمانه كفاية ، وفي معتقده غنىً ، والمرأة هي المستفيد الأول والأخيـر والحيـاة الـتي يـريد القرآن بناءها باقية غير منصرمة ، وسامية غير وضـيعة "وهـي ليسـت صفقة تجارية بين شريكين في المعيشة ، و لا ضرورة لإسـكات صـيحات الجسـد والاستراحة من غوايته الشيطانية ولا تسويغ الشهوة بمسـوِّغ الشـريعة ،ولا هـي علاقة عدمها خير من وجودها ، إذا تأتى للرجل أو للمرأة أن يستغنيا عنها"[١]

وإنمـا العلاقـة أسمى وأرفع ، لذلك بناها أولاً في شروط قبول الزوج على الإيمـان لأن الإيمان هو أسمى شئ في الوجود وكل شئ بعيد عن الإيمان فيه من الزيف والخداع بمقدار بعده عن الإيمان، وما كان القرآن ليضحي بهذا الشرط أبداً ولا أن يتنازل عنه ، لأنه الدعامة الأولى والكبرى في تكوين الأسرة، والأسرة هي الدعامـة الرئيسية والكبرى في تكوين المجتمع الأكبر فالإيمان هو المظلة الواقية الـتي تـأوي إليهـا الأسرة ، ثم هو المظلة الكبرى التي ينضوي تحتها المجتمع بأسره.

٢ - الصـلاح :

الصـلاح مـن صـفات المؤمن ، فهو صالح لكونه زوجاً ، وصالح ليكون مـربياً، وصـالح ليكـون أبـاً ، وصالح لتحمل المسؤولية ، وصالح لقيادة سفينة الأسـرة وتوجيههـا الوجهـة الصائبة ، وهو صالح لتكوين أسرة صالحة يتولى شؤونها في مرضاة الله ، وهو صالح لتحمل مسؤوليات وتوابع هذا الميثاق الغليظ، والصـلاح مـن صفات النبيين، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾[٢] والصلاح أيضاً يجعل

---

(١) الفلسـفة القـرآنية ، عـباس محمـود العقاد ، كتاب الهلال ، العدد ٢٢٩، ذو الحجة ١٣٨٩هـ مارس ١٩٧٠م. ، ص ٦٨ ، ٦٩.

(٢) التحريم ٦٦/١٠.

صـــاحبه أهلاً لرحمة الله ﷻ وفضله، قال تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١] ويـــوم تستجيب الأسرة لأوامر الله فلا تزوج إلا صالحاً فلا مكان للفاســد ، وهــذا له أثــره الإيجابي على رفع مستوى المجتمع أخلاقياً إذا حكمته المعايير الإلهية والموازين الربانية.

والصلاح من أهم أسس قيام البيت المسلم فالصالحون سينجبون الصالحين، والكافــرون سينجبون أمثالهم إلا أن يشاء الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [٢] فكــان مــنهج القرآن في هذا البناء واضحاً عظيماً ، والصلاح الذي طالب به ليقوم عليه البيت وليمد المجتمع بمن هم خير من الأبوين.

يقول أبو الأعلى المودودي[٣] -رحمه الله- "فهذه المؤسسة - أي الأسرة- لا تــهيئ الأفراد لبقاء التمدن البشري ونحوه فحسب، بل هي مؤسسة يسود أهلها مــن صــميم قلوبهم وأعماق صدورهم أن يخلفهم من هو خيرٌ منهم وأصلح شأنا وأقــوم ســبيلاً ، ومــن ثم نرى أن أول ما يهتم به الإسلام ويعتني به من وسائل الاجتماع إنما هو أن يقيم مؤسسة البيت ويقرها على أصح الأسس وأقومها"[٤]

٣ - القوة :

قوة الجسد والبنيان فهي من مقومات الحياة لما يتطلبه دور الرجل من الكد

---

(١) الأنبياء ٨٦/٢١.

(٢) نوح ٢٧/٧١.

(٣) هو : أبو الأعلى المودودي الإمام الداعية العلامة ، ولد في مدينة أورنج أباد ، جنوبي الهند عام ١٩٢١م ، وصــار رئيســاً لتحرير جريدة (مسلم) الأسبوعية الصادرة في العاصمة وتولى إصدار مجلة (ترجمان القــرآن الشــهرية) ، كــتب كثيراً ومن ذلك: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، المصطلحات الأربعة وغيــرها كــثير، توفــي -رحمــه الله- ســنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، انظر تكملة معجم المؤلفيــن، محمــد خير رمضان يوسف ، ط دار ابن حزم ، الأولى ، ١٤١٨هــ-١٩٩٧م، ص٨٣-٨٥، وانظــر علماء العرب في شبه القارة الهندية، ص٧٤ ، وعلماء ومفكرون عرفتهم ، ٢/٥-٤٣ ، ومجلة أضواء الشريعة عدد ١١ ص٥١٤، والمجتمع عدد ٤٥٦ في ١٣٩٩/١٢/٣هــ ص١٥-٢١.

(٤) نظــام الحيــاة فــي الإســلام ، أبو الأعلى المودودي ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، الأولى ، ص٤٥ ، ٤٦.

أبويه يكون أقوى جسماً وعاطفة من الأطفال الذين ينشأون في الملاجئ"[١]

فكانت الأمانة أحد أسس منهجية القرآن الكريم في بنائه لشخصية الزوج المرجوة التي يحتاجها المجتمع.

٥ - الدين :

ومعنى هذا الشرط وهذه الصفة "أن يكون الرجل ملتزماً بآداب الدين في أقواله وأعماله ومظهره ومخبره وانتمائه واعتزازه بدينه وولائه لله والرسول والذين آمنوا"[٢]

وما حدث هذا الانحسار والتراجع في مستوى الأسر المسلمة ، وقل فيها الحب ، وضعف فيها الانتماء ، وفشا فيها الحسد والبغضاء إلا بالانحراف عن منهج الله عز وجل ، فالرجل يُزَوِّجُ -الآن- لماله أو لمنصبه ، دون النظر إلى دينه، هل يصلي ، أو لا يصلي ، لا يهم ، هل يعرف بين الناس بالصدق والوفاء والرجولة ، لايهم ، ومن هنا جنى الناس عواقب هذا التجاهل لمنهج الله ، وهذا التغاضي عن أمر النبي ﷺ ، فنشأت أسرٌ ليس لها من معنى الأسرة إلا الاسم ، فهي بعيدة كل البعد عن القيم الرفيعة والعادات الحسنة ولو أن كل ولي أذعن لأمر الله وتعاليم رسوله فلم يزوج إلا صاحب الدين وقدمه على جامع المال، أو مالك العقار ، فسيستقيم المجتمع، وسيساعد ذلك على اهتداء الناس لأن المعوجَّ الفاسق لن يجد له مكاناً يستقبله ولا باباً يفتح له.

وقد قيل لأحد الآباء إذا تقدم رجلان لابنتك فمن تزوج؟! قال : صاحب الدين قيل له لماذا؟! قال : لأن صاحب الدين إذا أحبها أكرمها ، وإذا أبغضها لم يظلمها.

بل صاحب الدين ثروة وذخر وكنز لأنه يأخذ بيد زوجته إلى الجنة ويقود أسرته إلى الرحمة ، ويتفانى في خدمة زوجته وأولاده دون منّ ولا عنت ولا قسوة، "فالأسرة المسلمة لا تعرف الاستبداد بالرأي ولا الظلم في المعاملة ، ولا الطاعة العمياء ، فطاعة الزوجة لزوجها ليست لشخصه بل للأوامر والقواعد والنظم التي بموجبها تم عقد الزواج ، وطاعة الزوج ليست من قبيل المن أو العطف بل من قبيل

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي ، مصر، الأولى ، ١٩٦٥، ص٦٦.

(٢) تربية الناشئ المسلم، د/ علي عبدالحليم محمود ط ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٥٥.

القيام بالواجب"[١]

وهكـــذا ، فكل عملٍ في البيت سيكون بنيَّة ويكون تعبدياً وتقرباً لله ﷻ وهذا هو الفرق بين الزوج صاحب الدين وعكسه ، والبيت المسلم بحق وخلافه.

٦ - الخلق :

المعنى : "أن يكون الرجل قد تحلَّى بالفضائل التي دعى إليها الإسلام وتخلى عن الرذائل التي نهى عنها"[٢]

وهـــذا الخلق خير للزوجة وأهلها من المال والمناصب وعرض الدنيا فالخلق هـــو الذي سيحسم المسائل عند الخلاف ، وهو الذي سيؤدي الحقوق عند المحاسبة، وهـــو الذي سيرافق الزوجة في حلها وترحالها في بيتها وخارجه ، هو الذي ستسعد بـــنعيمه إن كان حسناً ، أو تُكوى بناره إن كان سيئاً، وصاحب الخلق حَسَنُ المعاملة، رقيق المشاعر، طيب القول ، سخيُّ اليد ، لطيف العشرة، ودود رحيم كريم، تلك هي مؤهلات الزوج المسلم ليُقبل زوجاً ، ويُرتضى صهراً ، ليؤسس أسرةً صالحة ويرعى الميـــثاق الغليظ الذي عظم شأنه والذي به تزوج وعليه عاهد، يقول الشيخ شلتوت[٣] -رحمـــه الله- "وإذا كـــان المتتبع لكلمة"ميثاق" ومواضعها التي وردت لا يكاد يجدها تـــأخذ مكانها في التعبير القرآني إلا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده والأخذ بشرائعه وأحكامه ، فإنه يستطيع -وقد جاءت في شأن الزواج- أن يدرك المكانة السامية التي وضـــع الله الـــزواج فيها وجعله في التعبير صنواً للإيمان بالله وشرائعه وأحكامه"[٤] والـــزوج الـــذي فيـــه هذه الصفات -فقط- هو الذي يقدر الميثاق قدره ويرعاه حق رعايته.

* * * * *

---

(١) نظـــام الأســـرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام ، الدكتور عبدالرحمن الصابوني ، ط دار الفكر، بيروت الأولى ، د.ت ص٣٦.

(٢) تربية الناشئ المسلم ، د/ علي عبدالحليم محمود ، مصدر سابق ، ص ٥٥.

(٣) هـــو : محمـــود شلتوت ، فقيه مفسر ، مصري ، ولد في منية بني منصور من أعمال البحيرة، وتخرج بالأزهـــر، عام ١٩١٨، وتنقل في التدريس حتى نُقل إلى القسم العالي بالقاهرة عام ١٩٢٧، وكان داعية إصلاح، نيِّر الفكر ، يقول بفتح باب الاجتهاد . توفى سنة ثلاث وثلاثمائة وألف للهجرة، الأعلام ١٧٣/٧، وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٧/١٩ ، والأزهر في ألف عام ١١٢/٣.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة ، الشيخ محمود شلتوت ط، دار القلم ، القاهرة – الأولى ، د.ت ، ص١٥٩.

المبحث الثاني

رسالة الزوج

الـــزوج هـــو قيـــم الأســـرة وهـــو أميـــرها الـــذي شـــمله قول الله ﷻ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[١] وهذه القوامة التي ميز الله بها الرجل يقابلها تكاليف ، فكل صلاحيات يقابلها مسؤوليات، ولقد أعد الله ﷻ الرجل للقيام بهذا الدور المنوط به خير قيام ، لأن القوامـــة التي ميز الله بها الرجل "هي قيادة يجب أن تتوافر فيها ما يتوافر في كـــل قيـــادة رشـــيدة، فالقائد يكون أفضل من الجماعة التي يقودها ، ويكون أهلاً للمســـؤولية عن قيادتها ، متوفرة فيه شروط ثلاثة هي : أن يبلغ مبلغ الرجال سناً وإدراكـــا، وأن تتوافر له صفة الفضل ، فالفاسد أو المجرم لا قوامة له ، وأن يقوم بواجـــبه فـــي الإنفاق على نسائه"[٢] هذه القوامة لم تكن وساماً على صدر الرجل دون ما ينتظره من تضحيات وعناء ومسؤوليات جسام منذ الانطلاقة الأولى لوضع حجـــر أســـاس أســـرته وحتى يفارق هذه الأرض راحلاً ، فهو في سلسلة متصلة الحـــلقات مـــن المسؤوليات ، يختلف الرجال في مستوى حملهم لها، ووفائهم بها، فمنهم من وفى ، ومنهم من ضيع، منهم من حالفه التوفيق ومنهم من باء بالفشل، مـــنهم مـــن أنشـــأ أسرة قوية على تقوى من الله ورضوان، ومنهم من أوقفها في مهب الريح فعصفت بها العواصف ولم يستقر لها قرار فكانت كشجرة ضعيفة ليس لها جذور ثابتة فاجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، والرجل بقوة شخصيته ، وسمات رجولته ، وتعقله وغلبة تفكيره على عاطفته يقود سفينة الأسرة ، ويحسن توجيههـــا الوجهـــة السديدة بشئ من التوازن والاعتدال القائم على قاعدة" ترتكز على الإحسان من جانب وعدم الافتتان من جانب آخر، وهذا هو الطريق الأمثل إلى الـــتكافؤ والتعادل في صلة الأولاد بالوالدين ، والوالدين بالأولاد وتلك سنة القرآن

---

(١) النساء ٤/٣٤.

(٢) انظـــر حقـــوق المـــرأة فـــي التشـــريع الإســـلامي والدولي والمقارن ، حسني نصار ، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، الثانية ، د.ت ص١١٣.

في كل جوانب الحياة الإنسانية"[١] ولعل هذا من حِكَمِ جعل القوامة للرجل لأن عنده مزيجاً من العقل والعاطفة فهو يحب أولاده ويعطف عليهم لكن هذا العطف والحب لا يمنعان من الحزم معهم ، والشدة عليهم أحياناً ، وهو المحب لزوجته المتيَّم بها، لكنه يأمرها وينهاها ويزجرها ويلزمها بأوامر الله وشرعه، وهو المحب لكل أسرته ، الراغب في خيرها وسعادتها لكنَّ هذه المشاعر لا تدفعه للبخل بحق اليتامى والمساكين من الزكاة والصدقات، لأن حبهم لهم مقنن ومحدود ومتوافق مع حبه لربه، وطاعته له، وانصياعه لأمره، وهذا التوازن فطر الله عليه الرجل وأهَّله له ، وقد يوجد عند من لم يتلقوا نصيباً من التعليم والتثقيف لأنه أمر فطري فطر الله عليه الرجال الذين اكتملت رجولتهم ، ورجحت عقولهم ، وعرفوا دورهم ومسؤوليتهم في الحياة ورسالة الزوج في حياة الأسرة رسالة مقدسة ، شاملة فلا تحدها حدود وقد لا توفيها تقسيمات أو تصنيفات ، ولكن إن كان لا بد من ذكر دعائم هذه الرسالة فلا بأس من ذكر أبرزها وأوثقها صلةً بمسيرة الأسرة، وأكثرها تأثيراً في حياتها وهي : -

التعليم ، والتربية ، والسعي على المعاش لتلبية الحاجات.

أولاً : التعليم :

وبالأخص العقيدة الصحيحة فهي من واجبات الزوج تجاه الزوجة ، والأولاد، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢] هذا في حق إبراهيم يوصي ويعلم ويذكر ويؤكد ويأخذ الميثاق على بنيه ألا يموتوا إلا مسلمين. أما يعقوب عليه السلام فهو الآخر يسائل ويختبر قبل رحيله ليلفت أنظار أولاده إلى أهم قضية في الوجود ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٣] فهما

---

(١) الإسلام في حياة المسلم ، د/محمد البهي ، مصدر سابق ، ص٧١.

(٢) البقرة ١٣٢/٢.

(٣) البقرة ١٣٣/٢.

أبـــوان نـــبيان يســـنان هـــذه السنة لكل أب ليغرس في أولاده توحيد الله ومحبته وإفـــراده، ويذكـــرهم بذلك عبر كل موقف حتى ينمي فيهم مشاعر الخوف من الله ومـــن بطشـــه وعقابـــه ، ومشاعر الأب المدرك لرسالته هو الذي لا يفوت فرصة يستطيع بها التأكيد على هذه المعاني في نفس أولاده إلا استغلها، فهو يربط النعمة الـــتي يجلـــبها لأولاده كـــل يـــوم بالمنعم الذي قسم الأرزاق ، وهو يرجع توفيقهم ونجـــاحهم وجميع أمورهم إلى فضل الله ﷻ وهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة في الكـــون ليعمق فيهم معاني الإيمان بالله وتوحيده والإحساس بقوته وقدرته ، حتى يُحسوا بذلك في عصفة الرياح ، وانهمارة المطر، وإشراقة الشمس وإطلالة القمر وغيـــر ذلـــك، وهذا الحق للأولاد مقدم على الطعام والشراب لأن تعليمهم التوحيد يدفع عنهم حرارة النار ، وإطعامهم الطعام يدفع عنهم حرارة الجوع، والأول أولى ، وبعـــد ذلـــك يأتي تعليم القرآن ومبادئ الدين، ومن ذلك الصلوات حيث قال ﷺ : "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع"[١] .

وإن كـــانت هذه مسؤولية الزوجين معاً، لكن الزوج بقوامته وقوة شخصيته لـــه تأثيـــره في إصدار الأوامر والمباشرة وله هيبته في المتابعة والمحاسبة، وله حكمته في الإدارة والتوجيه.

ثانياً : التربية :

ومعناها التطهير والتنمية ، وذلك بهدف إعداد الإنسان المسلم لحياته الدنيا والآخـــرة ، إعداداً متكاملاً من شتى جوانبه الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية ، والأخلاقية والاجتماعية والإدارية والإبداعية والاقتصادية ، والسياسية في ضوء تعاليم الإسلام ومبادئه الخالدة[٢]

والله ﷻ نادى على المؤمنين ليضعوا نصب أعينهم قضية التربية والارتقاء بـــأخلاق الأولاد وتنميـــتها فـــي اتجـــاه الفضيلة فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

---

(١) رواه أبـــو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ج١ ص١٣١ رقم ٢٩٥، وأحمد في المسند ، ج٢ ص٣٨٧ ، رقم ٦٧١٧ ، مسند المكثرين من الصحابة واللفظ لأبي داود.

(٢) انظر التربية الأخلاقية الإسلامية ، د/ مقداد يالجن ، ط دار عالم الكتب ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص٦٠.

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[١] وهذه الدعوة لحسن التربية والحرص على الصلاح إنما لتحقيق أهداف: -

١- ليكون هؤلاء الأولاد -بحق- زينة الدنيا ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٢]

٢- ليكونوا في مجتمعهم وأمتهم لبنات صالحة تعمِّر ولا تخرب، وتحسن ولا تسئ، وتبني ولا تهدم.

فإن الصالح المستقيم إذا كان المجتمع كله يطعم خيره، فبالعكس في حق الفاسد المجرم فإن المجتمع يقاسي ويلاته ، ويعاني من وجوده وحياته ، وهذا قول الله تعالى في حق العاق المستكبر: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾[٣] فهذا الذي عق والديه ولم يرحم عجزهما وكذب بربه وأنكر البعث ، واعتبر الكلام عنه من أساطير الأولين وبالتالي فسدت طويته ، وانتكست فطرته ، وتبلدت مشاعره، قسا قلبه ، ومات داعي الخير داخله، فلا يحركه وازع، ولا يردعه رادع هل يؤمَّلُ فيه إصلاح أو إحسان أو رشاد وسداد ، كلا ، إنه مفسد في الأرض ، ظالم للخلق ، لقد عق خالقه، وعق أقرب الناس له (والديه) فكيف ببقية المجتمع ، لن يسلم أحد من شره إلا من شاء الله لذلك فالاهتمام بالتربية بهدف إمداد المجتمع بصالحين ، وبهدف كف المفسدين عنه من أسمى الأهداف وأرفعها لأنه دالّ على أن الأب شعر أنه لبنة في مجتمع ، وأنه عضو في كيان أكبر، وأن عليه مسؤولية تجاه هذا الكيان بالحفاظ عليه والذود عنه ضد كل ما يُضعفه أو يزيد عنصر الشر فيه ، أو يلحق أهله من الأذى والبغي، وكما أن البر تتسع دائرته وثماره إلى المجتمع ، فكذلك

---

(١) التحريم ٦٦/٦.

(٢) الكهف ١٨/٤٦.

(٣) الأحقاف ٤٦/١٧ ، ١٨.

العقوق والانحراف يتسع خطه ويكبر حيزه، حتى ينال من المجتمع بأسره، لذا كان الاعتناء بصلاح الأبناء خير ما يقدمه الأب لمجتمعه ويدعم به صرحه ويشد به بناءه.

٣- ليكونوا هم الجيل الصالح الذي يلحق والديه بالدعاء الصالح

"أوولد صالح يدعوله" وتنشئة الأبناء على الصلاح هو استثمار للأب والأم نفسيهما فالولد لن يدعو لأبيه إلا إذا توفرت فيه أمور منها الصلاح، ولن يكون صالحاً إلا إذا اصطفاه الله واجتباه وهداه، وأخذ بناصيته إلى الخير، ثم بُذلت في سبيل ذلك جهود من أجل أن ينشأ في البيئة الصالحة، وكم من ولد لا يتذكر أباه بدعوة بعدما فارق الحياة، لأن هذا الولد -وللأسف- لم يتذكر نفسه ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[١] ، أما الولد الذي يعترف بجميل والده ، ويعرف أثر الدعاء وفائدته، ويقرأ حديث الرسول ﷺ ويصدق به ، ويوقن مدى حاجة أبيه إلى دعائه، فهو الذي يوفق لهذا الأدب، وقد جعل النبي ﷺ دعاء الولد من عمل العبد ، وهذا لا يتنافى مع قوله سبحانه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ ﴾[٢] لأن ولد الإنسان من سعيه، لذلك دعاؤه ينفع والديه[٣]، وهذا الدعاء هو دأب الصالحين، فإبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [٤] ونوح عليه السلام يقول : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[٥] وسليمان عليه السلام يقول : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٦] ومن

---

(١) الحشر ١٩/٥٩.

(٢) النجم ٣٩/٥٣-٤١.

(٣) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ٣٤١٥/٦.

(٤) إبراهيم ٤١/١٤.

(٥) نوح ٢٨/٧١.

(٦) النمل ١٩/٢٧.

الصالحين من غير المرسلين من يقول القرآن عنه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[1] فهو في واسطة العقد فدعا لوالديه ولنفسه ولذريته ، وتعويد الولد على الدعاء والاتجاه إلى السماء إنما يسبقه افتقار وانكسار وانطراح على باب الله ﷻ وبالتالي يدرب الدعاء نفس الأولاد على الطهارة والتعلق بربها والاتجاه إلى بارئها ومسوِّيها بعد أداء ما افترضه واجتناب ما نهى عنه، وتلك من أساليب التربية التي أغرى بها الرسول ﷺ الآباء كي يبذلوا جهدهم ويعملوا وسعهم ليدخل أولادهم في زمرة هؤلاء البارين الداعين لوالديهم.

٤- ليجتمع الشمل في الجنة :

ومَنْ من الآباء لا يحب ذلك ، ولا يرجوه ، بل مَنْ من الآباء يتحمل أن يبتعد أولاده عنه في الدنيا ابتعاداً مؤقتاً لسفرٍ أو أمرٍ عارض ، فكيف بابتعادٍ أبدي، وافتراق نهائي ، يوم يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار؟!

لذلك نزلت آيات القرآن الكريم ، وبمنهجيتها في البناء الاجتماعي تغري الراعي أن يحرص على صلاح أولاده ، وأن يبذل وسعه في ذلك ، وبشرت هذه الآيات باجتماع الشمل بعد أن فرق الموت بينهم، ولا يجتمع إلا الصالحون ، فقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦ ﴾[2] هذا في حتمية التفرق والانفصال والذهاب كل إلى مقامه، أما بالنسبة لاجتماع أهل الإيمان من الآباء والذرية فيقول ﷻ ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[3] إذن

---

(١) الأحقاف ١٥/٤٦.

(٢) الروم ١٤/٣٠-١٦.

(٣) الرعد ٢٣/١٣ ، ٢٤ .

هناك اللقاء ما دام الصلاح موجوداً والاستقامة والإنابة ، وقال ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[١] وهذا وعد الله الرحيم الودود الذي لا يتخلف أبداً ، فهذه الآيات يوم يقرأها المسلم ، ويعيها حق الوعي ، ويقف عند معانيها تتغير حياته من إهمال لأولاده إلى رعاية ، ومن تفريط إلى حرص، ومن إهدار للمسؤولية إلى الحفاظ عليها فيكسب أولاده في الدنيا والآخرة بدلاً من أن يخسرهم في الدنيا والآخرة، إنه منهج قرآني يأسر النفس بإغراقها في أنوار البشارة ، ويربطها بكلمات محدودة بمعانٍ عظيمة ويُغريها بالمجاهدة حتى يصل هذا الراعي بأسرته كاملة العدد إلى كنف الله ورعايته في جنات ونهر، وكيف يتأتى ذلك من غير سهر الأب على أمور أولاده يرقب صلاحهم ويسأل عن صلاتهم، ويعدّل من تصرفاتهم ، ويقوّم اعوجاجهم ويحدوهم لمواصلة السير إلى الله ، ويبشرهم بهذه البشارات التي تأخذ بمجامع عقول الأولاد الذين لا يطيقون الابتعاد عن أهليهم ، فكيف بيوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين إن هذه الآيات قواعد تربوية للوالدين تفجر الطاقات وتُلهب الحماس ، وتضاعف العطاء على منهج المربين المؤملين خيري الدنيا والآخرة.

ثالثاً : السعي على المعاش :

وإذا كان الرجل هو عصب الأسرة، والمال هو عصب الحياة، فالرجل مأمور بتحصيله والسعي في كسبه حتى يفي بحاجات أسرته، ويغنيها عن السؤال والفقر، ويقضي مطالبها ويكسبها قوة في المجتمع المسلم.

ونظرة القرآن للمال نظرة كلها اتزان وتعقل فهو يلفت النظر إلى أهميته وأثره في الحياة ويبيح الاستمتاع بالطيبات من الرزق[٢] ومع ذلك يقيد الحصول عليه بقيود صارمة تنفي عنه الغش أو السرقة أو الحرام بجميع وجوهه ومن أمثلة القرآن في لفت النظر لأهمية المال قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى:

---

(١) الطور ٢١/٥٢.

(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري ، مصدر سابق ، ٤٧٢/٥.

(٣) الكهف ٤٦/١٨.

﴿ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[٢] إلى غير ذلك ، فقدَّم المال على البنين -برغم محبة الآباء لهم- لعراقة المال، وما ارتبط به من الزينة والإمداد وإذا كان المال لحفظ النفس ، والبنون لحفظ النوع فإن صاحب المال قد يسعد به بغير أولاد ، أما صاحب الولد بغير مال فإنه يعاني ذل الحاجة وضيق ذات اليد[٣]

وسنة الحياة تقتضي من كل متزوج أن يبدأ حياته الجديدة المستقلة وأن يخرج الرجل بحثاً عن لقمة العيش لتوفير ضرورات الحياة لعشه الجديد وفي القرآن الكريم آيات بينات تطلق الطاقات وتدعو المسلم إلى مواطن الرزق الحلال المبارك لينشط ويتحرك خالعاً ثوب الكسل والتواني ، رافضاً بإباء أن يكون عالة على أحد ، راغباً أن يجدد مسيرة آبائه وأجداده، بل آملاً أن يفوقهم في السعي والتحصيل ، ناظراً لمستقبل بنيه حتى لو كانوا لم يصلوا بعد فيؤمل ويخطط ، ويفكر في الغد المأمول ، وهذه بعض آيات على طريق العمل والسعي والعطاء تُهيب بالمسلم أن ينزل الميدان آخذاً بالأسباب معتمداً على العزيز الوهاب:

١- الترغيب في العمل عموماً : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٤]

٢- الإغراء بالحركة والانتقال : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [٥]

٣- فتح عين المسلم على طلب الرزق ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[٦]

---

(١) الإسراء ٦/١٧.

(٢) نوح ١٢/٧١.

(٣) انظر تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، مطبعة صُبيح، الأولى ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، ٢٥٣/٣.

(٤) التوبة ١٠٥/٩.

(٥) النساء ١٠٠/٤.

(٦) تبارك ١٥/٦٧.

٤- الدعـوة لأكـل الطيب الحلال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[١]

٥- الأمـر بالانتشار في الأرض وابتغاء فضل الله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]

إنهـا آيـات تقدم وقود الحركة الدائبة للحياة حتى لا تتوقف ، سعي تتخلله الصـلاة وطـلب للحلال الطيب، وانتقال من أرض لأرض، فلا خنوع ولا خضوع ، ولا ذلـة ولا اسـتكانة ، كل ذلك في توازن يتسم به المنهج الإسلامي، توازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب[٣] فالآية الأولى ترفع قدر العمـل والعاملين والثانية تغري بالهجرة من أرض لأرض طلباً لسعة الرزق ورغد العيش وعزة النفس، والثالثة تؤصل مبدأ الأخذ بالأسباب وتهدئ من تكالب الإنسان فـتأمره بالمشي الهادئ وطلب الرزق الحلال ، والرابعة تحدد له نوع الكسب الذي يطلـبه ، ونـوع الرزق الذي يأكله فليست القضية إشباع النفس البشرية بأي شئ ولـو كان حراماً ، إنما التحري في هذا الطلب والامتثال للأمر الإلهي ، والخامسة تحـذر أن ينهى طلب الرزق عن الصلاة ، أو يشغل سعي الإنسان على رزقه عن الفـرائض فـلا خيـر في ذلك ، إنما صلاة وانتشار ، واستجابة في جميع الأمور لتعاليم الله ﷻ.

ومـن عجيـب مـنهج القـرآن الكـريم أنه كتاب دنيا وآخرة ، كتاب عمل وحساب، كتاب جسد وروح ، فلم يترك الإنسان متخبطاً في نوع العمل الذي يعمله، أو حائـراً فـي أي شئ ينجزه، فلفت أنظاره بجمال باهر إلى مهنٍ وحرفٍ وقدمها إليه ليدفعه إلى العمل ويصل به إلى النشاط والحركة ومن ذلك : -

أ- في مهـنة الزراعة : قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ

---

(١) البقرة ١٧٢/٢.

(٢) الجمعة ١٠/٦٢.

(٣) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٥٧٠/٦.

يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[١] فلفت النظر للزراعة والنماء والنضوج والحصاد والتخزين وأمر بـزكاة الزرع ، حتى يقبل المسلم على ذلك راضياً مرضياً ، مؤمناً بموعود ربه ، مـنفذاً لأمـره ، مستحضـراً أنه بذلك عابد لله ، وكلما بذل وتعب وعرق، وأخرج زكاته فهو في طاعة مولاه فقير إليه مستغنٍ عمن سواه.

ب - في مهـنة الصـناعة : قـال تعـالى: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[٣] فـلفت الأنظـار إلى الصهر والتشكيل والتصنيع والإعداد والطرق والسحب..إلخ

جـ - في الـتجارة: قـال تعـالى: ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾[٤] فهنا رحلتان ، إحداهما صيفية، والأخرى شتوية ، بيع وشراء ، أخذ وعطاء ، مقايضة واستبدال، كسب وربح ، غنىً وثراء ، نعمٌ عظمى ، منن من الله كـبرى، كم بهذه التجارة اغتنت أقوام ، وعفت أسرٌ عن السؤال، وأصبحوا يكْفُلُون غيرهم بدلاً من أن يكونوا على كفالة غيرهم.

د- مهـنة الصـيد : قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٥] وقـال تعـالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٦] وهنا يلفت النظر إلى البحر ، فربما كانت قرية ساحلية لا تمارس الزراعة -مثلاً- فعـندها الـبحر وأمامها هذا المورد للصيد واستخراج الأسماك، واستخراج اللؤلؤ والمرجان وما يقوم عليها من صناعات ومشروعات تعرف بها دول مخصوصة في

---

(١) الأنعام ١٤١/٦.

(٢) الأنبياء ٨٠/٢١.

(٣) سبأ ١٠/٣٤.

(٤) قريش ١/١٠٦ ، ٢.

(٥) النحل ١٤/١٦.

(٦) الرحمن ٢٢/٥٥.

هذا الوقت إنها دعوة مُلحة لهذا الإنسان تفتح أمامه آفاقاً وتعطيه الضوء الأخضر ليخترق هذا المجال بشرط أن يشكر من سخره له ، ويطيع من أخضعه له ، ويوحد من دلَّه عليه ، وساقه إليه.

هـ- مهنة النجارة ، قال تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[١] وقال ﷻ : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[٢] وهنا يعلم عبده الالتفات إلى الأخشاب والمسامير والعدد ، ويلفت نظره إلى صناعة السفن وأحكامها ، حتى قامت صناعات عملاقة، وغدت السفن في هذا العصر مدناً عائمة ، مدنا بها أسواق وشوارع وميادين وإذاعات ومصاعد وأعدادها بالآلاف ، أي أعداد من يركبون الواحدة منها ، سبحان الله ، فبأي وجهٍ يلقى اللهَ هذا الإنسانُ إذا جحد نعمه ولم يشكرها لمن سخر وهدى وأنعم وأعطى ، ولو حاولنا تتبع كل عمل ومهنة يعمل بها الإنسان -الآن- لوجدنا أصلها في القرآن الكريم إشارة لها ، أو دعوة إليها ، أو ذكراً لمن عمل بها من الأنبياء أو تعريضاً بها في ثنايا الكلام هذا "وإن كان كتاب الله سبحانه ليس مرجعاً صناعياً أو تجارياً أو زراعياً ، إنما هي آيات يسوقها المولى ﷻ ليلفت بها الأنظار إلى مظاهر قدرته وإبداعه"[٣] وأيضاً ليلفت بها الأنظار إلى كونه الفسيح الشاسع إلى البر والبحر والجو ، إلى سطح الأرض وبطن الأرض إلى جميع الموارد التي أودعها الله ﷻ في كونه وأراد بهذه الآيات أن يدل الإنسان عليها وكأن هذه الآيات أسهُمٌ تشير إلى البحر تارة ، وإلى التربة الزراعية ومجاري الأنهار تارة ، وإلى قوافل التجارة أخرى وهكذا ليكسب الإنسان عيشه ويغني نفسه ويقابل هذه النعم بالشكر ليزداد.

ومع آيات القرآن الداعية إلى العمل أثنى رسول الله ﷺ على الساعين على أهليهم المغنين لهم ، المنفقين عليهم، إذا ابتغوا وجه الله ﷻ فقال ﷺ " وإنك لن تنفق نفقة تبغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في في امرأتك"[٤]

---

(١) هود ١١/٣٧.

(٢) القمر ٥٤/١٣.

(٣) منهج القرآن الكريم في تربية المجتمع ، د/ عبدالفتاح عاشور ، مصدر سابق ، ص٤١٤.

(٤) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الإيمان ، باب أن الأعمال بالنية والحسبة ، ج١ ص١٦٣ رقم ٥٦.

وحـــذر بالمقـــابل -كل كسول- مضيع لا تشتغل نفسه نشاطاً ، وإنما قعد وتـــوانى فضـــيع أولاده ، وأحوجهـــم إلى الناس ، وعرضهم للعسر والضياع ، أو الســـرقة والاخـــتلاس أو الـــبؤس والحرمان فقال ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"[١] وبيـــن آيات الله ﷻ ، وكلمات رسوله ﷺ - يأخذ المسلم في السعي الدؤوب واثقاً بـــرزق ربه محسناً التوكل عليه ، ضارباً في أرضه ليقيم أسرة قوية ، تقوي لبنة المجـــتمع، أســـرة تزكي بدلاً من أن تأخذ الزكوات ، وتتصدق بدلاً من أن تستقبل الصـــدقات، وتعيـــن غيـــرها بدلاً من أن تستحق الإعانات ، وتلبي حاجات نفسها وحاجـــات غيـــرها ، إذا لزمت الضرورة والمسلمون هم أولى من غيرهم من أهل الأرض بالأخذ بأسباب التقدم العلمي فعندهم هذا الرصيد من الآيات وهذا الزخم من الأحاديث ، تنير طريقهم وتدفعهم قدماً ، والغرب لما أخذ بالأسباب صعد الفضاء ، واســـتخرج مـــا فـــي باطن الأرض ، حتى اتجهت أنظاره إلى أرض غيره من بلاد المسلمين.

بيـــنما المســـلمون لمـــا أهملوا الأخذ بالأسباب صُنفت دولهم ضمن الدول الفقيـــرة النامية ، المستهلكة غير المنتجة ، ولا يلام الإسلام ولا القرآن وإنما يلام أهلـــه يوم أهملوا العمل بتعاليمه والانطلاق بروحه الحية. والمطالع للأرقام ليدرك مقـــدار هذه المأساة ومن ذلك "قدر عدد سكان الوطن العربي بنهاية عام ٢٠٠٠م بحوالـــي ٢٨٠ مليون نسمة ، يوجد فيه الآن - ما بين ٩٠- ١٠٠ مليون فقير ، منهم ٧٣ مليون نسمة تحت خط الفقر "[٢] ولاشك أن لذلك عوامل أخرى ، لكن لو عـــاد الإنسان لمعاني القرآن وانطلق بها فهو الغني المنتج ، وهو المستفيد الأول بخيرات الكون ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] .

---

(١) رواه أحمد في مسند المكثرين ، ج٣/٣٤٣، رقم ٦٤٥٩ عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) مرصد الأرقام - ملحق البيان محرم ١٤٢٢هـ ، رصدها حسن قطامش ، ص٨.

(٣) الجاثية ١٢/٤٥ ، ١٣.

ممـــا سبق ، ومن خلال رحلة البحث في الفصل الثاني من الباب الثاني تتضح منهجية القرآن الكريم في التأكيد على الرجل المسؤول عن أسرته والذي تولت الآيات بيـــان دوره فـــي الحيـــاة المنوط به ، وتفصيل مسؤولياته التي يضطلع بها ، وجملة الـــتكاليف الـــتي يتحمـــلها قِبَلَ أهله وبنيه ، وبالتالي مجتمعه لأجل ألا يؤتى المجتمع المســـلم مـــن قـــبله، ولأجل أن يكون هو أحد الروافد التي تمد المجتمع بنسل صالح وجيـــل ربـــاني ، واتضـــحت -أيضاً- منهجية القرآن الكريم في بيان شروط الرضى بالرجل زوجاً والقبول به صهراً من حيث إيمانه وصلاحه وقوته وأمانته ودينه وخلقه ، فتـــلك ركائز الشخصية الاجتماعية المتكاملة ، وهذه شروط لو اجتمعت في شخص فهـــو مـــبارك سيغنم المجتمع من ورائه كثيراً من الخير لأنه شخص مرشح لإنشاء أســـرة ثابـــتة الأركـــان قوية البنيان فيها القوة وفيها الاستقرار وفيها السعادة التي ينشـــدها الناس بزواجهم، وفيها المناخ الملائم لتربية أطفال أسوياء بعيداً عن عوامل الضياع ودوافع الانحراف ، ثم أوضحت الدراسة حسب منهجية القرآن الكريم -رسالة الـــزوج المقدســـة فتابعـــته معـــلماً لأولاده ملقناً لهم مبادئ الدين وأسسه ، ومبادئ الأخـــلاق الإســـلامية وأركانها، وتابعته مربياً ، باذلاً جهده الممكن ليقيم أولاده على جـــادة الطريق بعيداً عن مضلات الفتن ونزعات الهوى، محسناً إلى المجتمع إذ جنبه أولاداً مـــنحرفين مدمرين لأنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ، آملاً أن يرافقوه عند الله يوم القيامـــة في دار كرامته ، وتابعته الآيات الكريمة ساعياً على عيشه ضارباً في أرض ربـــه ، آخـــذاً بالأســـباب ، وطارقاً للأبواب جالباً لأولاده الحلال الطيب ، مجنباً إياهم الحرام الخبيث، ولقد اتضح بجلاء كيف أن القرآن أولى هذا الجانب اهتمامه الكبير ، وأنـــه إذا كان قد قيد السعي بالضوابط الشرعية فإنه فتح أمام المسلم الآفاق الواسعة وأزاح الســـتار عن مكنونات الأرض، ومستودعات البحر وأطلق العنان للإنسان ليبذل الجهـــد ويضاعف السعي غير عاجز ولا هياب ، مدفوعاً بأمر ربه، مباركاً بكلماته ، موعوداً بعطاءاته وبركاته. ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1]

---

(١) الرعد ١٣/٤.

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم في بناء الذرية الصالحة

تـوطئة :

المبحث الأول : التربية وهمومها

المبحث الثاني : الطلاق كظاهرة اجتماعية ، أسباب وآثار

المبحث الثالث : أبناء وآباء في القرآن الكريم

توطئـــة

لا يمكـــن لحـــلقة الحديث أن تكتمل دون إبراز الدراسة لمنهجية القرآن في الاهـــتمام بالأبـــناء فهم ثمرة لقاء الرجل والمرأة ،وهم حصاد الأسر المتجدد، وهم فجـــر الأمة الواعد وهم المرآة التي عليها تنعكس حالة المجتمعات ، وقوة الأسر، وســـلامة بـــنيان الـــبيوت وعموماً عناصر قوة أي مجتمع دائماً تظهر في أبنائه، وعناصـــر ضـــعفه أخلاقياً وانهياره حضارياً -أيضاً- تبدو في أبنائه ، فبهم يُحكم عـــلى المجـــتمع إن كـــان جـــاداً أو هازلاً وبهم يُشهد للمجتمع إن كان محافظاً أو متســـيباً، ومن خلالهم يُتوقع للمجتمع في غده القريب تقدم أو تأخر ، وازدهار أو تـــراجع وانحسار ، فهم للأمة "مرآتها الصادقة التي تعكس تقدمها ، ودليل حيوي عـــلى التنبؤ بمستقبلها ، وإعداد الشباب القوي الصالح هو مشروع الحياة المقبلة للأمة"(١)

ومنهجية القرآن الكريم التي مرت في دعائم اختيار الزوجة والزوج لم تكن بهـــذا الوضـــوح ولم تُولَ هذه الأهمية إلا لأجل هؤلاء القادمين في مستقبل الأيام ليوطئ لهم القرآن المكان الصالح والعش الهادئ الذي فيه ينشأ ومنه ينهل ، وبه يتأثر ليخرج قوياً ولتستمر مسيرة الحياة هكذا جيلاً يلد جيلاً ويمده بقوته وخبراته، ويحوطـــه بعنايـــته واهـــتماماته، ويظل دَيْناً يؤدَّى وضريبةً تُوفَّى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي هذا الفصل ثلاثة مباحث ، أولها عن أبرز العوامل المؤثرة فـــي التربية والمشاركة في تشكيل شخصيات الأبناء سواء في مراحل طفولتهم، أو شبابهم ومراهقتهم، وثانيا عن أبرزَ الظواهر الاجتماعية تأثيراً في حياة الأبناء ألا وهـــي الطـــلاق من حيث أسبابه، والآثار المترتبة عليه وخاصة ما يتصل بالأبناء وواجب الأبوين والمجتمع بأسره تجاه هذه الظاهرة ، وأيضاً واجب وسائل الإعلام ودور الـــثقافة في ذلك ، وثالثها عن نماذج من نجباء الأبناء الذين شغلوا البشرية

---

(١) الشـــباب قضـــية ورعاية ودور ، خليل الفاعوري ، مطبعة التاج ، عمان الأولى ، ١٤٠٥هـــ ، ص٢٣، وانظـــر تربية المراهق في رحاب الإسلام – محمد حامد الناصر وخوله درويش، دار المعالي ، الأردن ، الثانية ، ١٤١٩هـــ – ١٩٩٨م، ص١٣.

بتميزهم ، وكان لهم أثر بارز في مسيرة حياتها ولو قصُر عمرهم من حيث سنوات بقائهم في الحياة ، ولكنه أثْرَوها بصنيعهم الباقي، وإنجازاتهم الخالدة ، والتي يتربى عليها غيرهم من الأجيال فيقرءون أخبارهم آياتٍ تتلى، وأحاديث تُروى، ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾[1]

* * * * *

(١) مريم ١٩/١٢-١٥.

المبحث الأول

التربية وهمومها

إن الإنسان يولد صفحة بيضاء وعجينة لينة لا يعرف شيئاً ، وإنما يدخل الحياة ورصيده منها صفر، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

إذن فهذه حال الأبناء حين يولدون ، ولاشك أن صلاح المجتمع كله يتوقف على صلاح الأسر وصلاح الأسر يتوقف على صلاح أبنائها، وصلاح أبنائها يتوقف على مجموعة من العوامل تلتقي ، وجملةٍ من المؤثرات كلها تشكل إيجاباً وسلباً شخصية الأولاد ومستوى تفكيرهم، والنهج الذي ينهجونه ، والطريق الذي يسلكونه وهذه العوامل يزيد نصيب كل منها أو ينقص من بيئة إلى بيئة، ومن فترة إلى فترة حسب المراحل التي يمر بها المجتمع ، وحسب قوة وضعف المؤثرات في هذه التربية.

ولذلك فنحن نجد المستوى التربوي في الأسر يتمايز من مجتمع لآخر ويتمايز في المجتمع نفسه من وقت لآخر، فالمجتمع في عصور تأخره ، وضعف التعليم والمستوى الصحي ، وتراجع المستوى الثقافي فيه، وأيضاً أمية الوالدين وانخفاض مستوى المعيشة الاقتصادي، كل هذه الأوضاع تُلقي بظلالها على مستوى الأسرة ومستوى تربيتها لأولادها ، وعندما ينهض المجتمع ويرتفع مستوى الوالدين الثقافي ، وتتقدم الرعاية الصحية ، وكذلك يزداد الوعي بين أفراده ، من هنا ينعكس على الأسرة تقدماً وازدهاراً.

والعوامل المؤثرة في تربية الأولاد كثيرة ، ولكن البحث سيستعرض ما يخص الوالدين ووسائل الإعلام ونمط التعليم والصحبة وإلا فهناك عوامل أخرى كالوراثة والمستوى المعيشي وغير ذلك ، ولكن العوامل المذكورة والتي ستناقش هنا تعتبر أبرز العوامل وأشدها تأثيراً على الأبناء إيجاباً أو سلباً بصورة ربما

---

(١) النحل ٧٨/١٦.

تـــتفاوت مـــن أسرة لأخرى وتختلف من شخص لآخر، فقد يتساوى المؤثر ولكن نتائجه تختلف لاختلاف المتلقي فهماً وعقلاً وشخصية.

العامل الأول : الوالدان :

مـــن مـــنهج القرآن الكريم أنه أوصى الوالدين بالأولاد ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾[١] ووضـــح رســـول الله ﷺ دورهما في مسيرة الأولاد الحياتية بعد أن وُلدوا على الفطرة فقال : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٢] والقرآن حيـــنما نـــادى ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾[٣] ثم قرر بقوله: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ﴾[٤] فهـــو يطمـــئن الـــناس أن الطيـــب لا يخـــرج إلا طيباً ، وأن الصالح يرجى أن يثمر صالحاً ، وأن الأرض المباركة لا يؤمل منها إلا الثمار اليانعة، وفي الوقت نفسه هو يلفت الأنظار إلى أهميـــة تولي النشء بالرعاية وتعهده بالعناية لأنه يتأثر ببيئته التي فيها نشأ تأثراً لا يكاد يفارقه حتى لو كبر.

وإذا مـــا أدرك الوالـــدان هـــذه الحقيقة وأيقنا أن الزواج ليس صفقة ، كلا "ولكنه أساس لتكوين أسرة وترجمة عملية لرغبة نفسية صادقة تكونت بعد امتحان دقيق لتقدير كل منهما للآخر على أنه إنسان مهذب"[٥]

وأبـــرز مـــا يلزم الوالدين أن يتصفا به عند إنشاء هذه الأسرة ، وأفضل ما يفتح عليه الأبناء أعينهم هو ما يسمى بالضمير الديني ، هو أن يكون الدين منهما عـــلى بـــال ، وأن تكون حركة حياتهما في كل اتجاه مرتبطة بالسماء ، ومشدودة بحـــبل مـــتين إلى الله ﷻ وثمـــرة هذا الشعور أنه "سيوجه الأبناء نحو الله ، نحو

---

(١) النساء ١١/٤.

(٢) رواه الـــبخاري ، انظر الفتح ، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٣ ص٢٩٠ رقم ١٣٨٥، ومسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ج، ص٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨.

(٣) النور ٢٦/٢٤.

(٤) الأعراف ٥٨/٧.

(٥) الإسلام في حياة المسلم ، د./ محمد البهي ، مصدر سابق ، ص٢٤٢.

الموجـد الكامل في قدرته ، ملكِ السموات والأرض، مدبر الأمر كله ، وسيوجههم إلى رسالة المصطفى ﷺ وما فيها من هديه الذي يصور الطريق المستقيم للإنسان في حياته[١]

والأولاد عـندما يوجهـون إلى الله ﷻ سيتسـع أفقهـم ، وترقى نظرتهم ويحسـون أن الحيـاة ليسـت مجـرد شئٍ محصور في حوائج أولية، أو عواطف صـغيرة، أو مطـالب قريبة ، أو نفعية دنيئة، وإنما الأمر أكبر من ذلك ، وأسلوب الوالديـن هـو الـذي يشـكل حيز الفكر لدى بنيهم ، فلقمان -مثلاً- حينما قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[٢] فغرس في نفس ولده محبة الله والأنس به ، وخشيته والخوف مـنه، والإنابـة إليه وكذلك الدعوة إلى سبيله والتذكير به والتخويف من عصيانه إنمـا بفعله هذا نمَّى حيِّز الفكر لدى ولده وعلَّمه التواصل مع المجتمع الذي يعيش فيـه حينما دعاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، فهو لن يدعو ولن يـنهى إلا غيـره ، ولا يصـبر إلا على غيره فوالده -هنا- يمحو من نفسه الهمَّ الصـغير ، والـنفع الشخصي، ويرقى به إلى الهم الأكبر ، والنفع الجماعي الذي يعود خيره على الجميع.

والـتربية الـتي يقـوم بها الوالدان عملٌ متكامل وجهدٌ متواصل ومنظومة متناغمة متوازنة وليست عملاً مبتوراً أو جهداً منقوصاً أو كياناً مختلاً، ولذلك لها جوانب عديدة من أهمها :

أ- التربية الجسدية:-

وهي المحافظة على جسد الطفل سليما معافىً من الأمراض ، مبرءاً من العلل، قويـاً ليـس هـزيلاً فـالعقل السليم في الجسم السليم ، وذلك بتوفير الطعام الصحي المـتكامل بقدر المستطاع ، وذلك لتحسين وضع المسلمين ووضع أبنائهم في الأقطار الإسـلامية الـتي يصنفونها ضمن الدول الفقيرة حيث ورد في برنامج الأمم المتحدة للبيـئة "أن المواطن الواحد في بلد صناعي متقدم يستهلك في ستة أشهر من الطاقة

---

(١) الإسلام في حياة المسلم ، د./ محمد البهي ، مصدر سابق ، ص٢٢٩.

(٢) لقمان ١٧/٣١.

والمـــواد الخام ما يكفي المواطن في بلدٍ نامٍ طوال حياته كلها وأن "قطة" المواطن في الدول المتقدمة تأكل من الطعام أكثر مما يحتاج إليه إنسان بالغ في الدول الفقيرة، أما "كلـــبه" فيـــأكل ما يكفي إنسانين ، وأن أطعمة الحيوانات الأليفة في الولايات المتحدة تكفي لإطعام ١٢٠ مليون إنسان في اليوم"[١] !

وأمـــام هـــذه الإحصاءات المزعجة فالمسلم مطالب بالعمل والجد وأخذ مكانه الـــذي خـــلقه الله له من ريادة الدنيا وعمارة الأرض وتحقيق نصيب أوفر من كسب الطعام وتوفير العيش الكريم له ولأولاده.

وأعداء الملة يتربصون بالمسلمين الدوائر ويحتكرون لقمة العيش ويحاولون تـــنفيذ مخططاتهم عبر استغلال لقمة العيش كنقطة ضعف يحاربون بها أبناء الإسلام" ففـــي تقريـــر عراقي أن نحو نصف مليون طفل لاقوا حتفهم بسبب الحظر المفروض عـــلى العـــراق منذ عام تسعين وتسعمائة وألف[٢] وهاهم الأطفال يدفعون ضريبة هذا الصراع، والطفل الذي يعده والداه لمستقبل الأيام ليكون هو العالم أو الفقيه أو القائد أو الـــباحث الـــنافع لأسرته وأمته يحتاج إلى إمداده بالطعام الكافي والمناسب ليشب متكامل الأعضاء قويَّ البنيان.

ومـــن هذه التربية الجسدية – أيضاً- تعويد ذلك الطفل سنن الفطرة التي فطر الله الـــناس عـــليها حـــتى تـــنعكس آثار النظافة على جسده ونفسه وروحه بل على شخصـــيته عـــلى وجه العموم، قال ﷺ : "خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب"[٣] وهـــذه الـــتربية من الأهمية بمكان لأن لها تأثيراً على الجوانب الأخرى الحسية والمعنوية في حياة المسلم[٤] .

وهذه التربية الجسدية لها ارتباط وثيق بمستوى معيشة الأسرة، ومعدل دخلها ونـــوع نشـــاط الأب ، ومســـؤوليته أن يوسع دائرة دخله وأن يجتهد لتوفير حاجات

---

(١) مرصد الأرقام ، ملحق مجلة البيان محرم ١٤٢٢هـ، مصدر سابق ، ص٢.

(٢) مرصد الأرقام ، ملحق مجلة البيان محرم ١٤٢٢هـ ص١٤ نقلاً عن صحيفة الحياة العدد ٣٥٤٧.

(٣) رواه البخاري ، انظر الفتح ، كتاب اللباس ، باب : قص الشارب، ج١٠ ص٣٤٧، رقم الحديث ٥٨٨٩ ، ومسلم ، كتاب الطهارة، باب السواك ، ج١ ص ٢٣١ ، حديث رقم ٢٥٧.

(٤) فـــي المـــبحث الأول من الفصل الثاني من الباب الأول سبق الكلام عن البناء الصحي للفرد المسلم وفيه تفصيل ذلك ومنهجية القرآن فيه.

أسرته وتلبية متطلبات أطفاله ليعيشوا في مستوى كريم.

ب - التربية النفسية :-

وهي تلبية حاجات الطفل من الحنان والأمان والسعادة والغبطة، وإغراقه بالحب ، وإشباعه بدفء العاطفة حتى ينشأ مرتوياً بهذه العاطفة، مغموراً بتلك القيم فيستطيع -حينئذٍ- أن يقدمها لغيره ، ويستطيع -حينئذٍ- أن يفيض حناناً على الآخرين مثلما أشبع هو حناناً، وغالباً فالأطفال الذين يتسمون بعصبية المزاج، وحدة الطبع، وخشونة المعاملة، وقلق النفس، والتمرد على الأوضاع والإساءة للآخرين غالباً ما يكون ذلك نتاجاً لانعدام الحنان، وافتقاد الدفء العائلي الذي لا يملك أحد أن يمد به الطفل سوى والديه، وبهذه الصفات امتدح رسول الله ﷺ نساء قريش فقال : " خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده"(١) وقال ﷺ "من لا يرحم لا يرحم"(٢) .

ففي نفوس الأطفال حاجة ملحة للرفق والحنان والحب والعطف لا يشبعها طعام ولا شراب ولا ملبس وإنما تشبعها الأحضان الحانية للأمهات والآباء ، ويشبعها عش دافئ يفيض حباً وحناناً ، وتشبعها شفقة فُطر عليها الآباء والأمهات، ولو فتش العقلاء في حياة الشباب الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم، فوقعوا في الجرائم كالسرقات والقتل والسطو وغيرها، لوجدوا -حتما- أن هؤلاء بسبب أو آخر قد حُرموا هذه المشاعر إما بموت الوالدين أو أحدهما ، أو افتراقهما، أو وجودهما مع افتقادهما لينبوع الحب الرقراق الذي يشيع الأمن والطمأنينة والاستقرار في حياة الأبناء(٣).

---

(١) رواه البخاري ، انظر الفتح، كتاب النكاح ، باب إلى من ينكح وأي النساء خير ج٩ ص٢٧ رقم الحديث ٥٠٨٢ ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل نساء قريش ، ج٤ ، ص١٩٥٨، حديث رقم ٢٥٢٧، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري ، انظر الفتح ، كتاب الأدب ، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبّلها أو مازحها، ج١٠ ص٤٤٠، رقم الحديث ٥٩٩٧، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج٤ ص١٨٠٩، حديث رقم ٢٣١٨.

(٣) انظر النمو الإنساني ، الطفولة والمراهقة ، د/ محمود عطا حسين عقل ، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض ، الخامسة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص٢٥٢.

جـ التربية العقلية :

تـــنمية العقـــل لـــدى الأبناء ، تعويدهم على التفكير السليم، وعلى المقارنة الصحيحة وعلى اتخاذ القرار في الوقت المناسب ، تعويدهم على الاستقلال العقلي والفكـــري حتى لا يكونوا إمَّعات، تنمية الخيال لديهم ، عملاً بمنهج القرآن الكريم الـــذي نمَّى العقل بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] فالطفل مـــنذ مهـــده ومنذ بداية إدراكه ، يجد الوالدان المجال فسيحاً ورحباً لمخاطبة عقله وتنميته بأسلوب المناقشة لا أسلوب الأوامر ، وإعطائه الحق في التعبير عن رأيه فـــي شؤون الحياة ليتعلم استخدام عقله ، وليتعلم تحليل القضايا والخروج بالنتائج ولينمو عقله مع نمو جسده ، وليتعود إبداء رأيه بشجاعة مع ما يلزم ذلك من أدب فـــي العرض، واحترام لآراء الآخرين ، وليتعلم -أيضاً- ألا يكون مقلداً لغيره وألا ينســـاق وراء آراء هـــذا الغيـــر، وإنما له تفكيره وله وجهة نظره وله رأيه الذي يعضـــده بالحجـــة ، ويعززه بالأدلة . والقادة المبدعون الذين برزوا في حياة الأمة وأثـــروا فـــي مسارها بقراراتهم البناءة من المؤكد أن لهم رصيداً من أسرٍ ربتهم على حُسن التفكير وحرية الرأي وإعمال العقل.

ويـــوم تُبـــنى الأسرة على الأوامر والتعليمات فقط فهي الطامة الكبرى التي ينتج عنها أبناء ليسو في العير ولا في النفير، لا يتجرأ أحدهم على إبداء رأيه في شـــئ، بـــل دائماً يسمع لغيره، وينتظر قرار سواه ، ومثل هؤلاء فيهم من الضعف الاجـــتماعي مـــا الله به عليم. وهم الإمعَّات الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله : "لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"[2] والابن إذا تربى عل هذه المبادئ نتج عن ذلك ، إدراك الذاتية ومعـــناها "أن يشعر بوجوده ومركزه في الحياة ويجرد من نفسه شخصاً يؤنبه إذا أخطـــأ ويمدحه إذا أصاب ، وهذه الذاتية هي التي تصدر منها أفعاله وترجع إليها

---

(١) محمد ٤٧/٢٤.

(٢) رواه الـــترمذي فـــي ســـننه، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، ج٤ ص٣٦٤، رقم الحديث ٢٠٠٧.

نتائجها سارة أم مؤلمة وفيها تتجمع جذور الغرائز، والأخلاق تحت سيطرة العقل"[١] فتربية عقول الأبناء مهمة الأمهات والآباء ليكونوا أسوياء نبهاء فطناء سعداء.

د. التربية الخلقية :

وهي تربية الأبناء على مكارم الأخلاق ، لماذا لأن أسوتهم رسول الله ﷺ الذي قال الله عنه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢] إذن فالقرآن الكريم ربط كل المسلمين بالأسوة العامة والقدوة الكبرى، ثم قال القرآن في هذه الأسوة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣] فإذا كان الرسول قد حاز كل هذه المآثر الخلقية، وهو في الحال ذاته الأسوة لذلك لابد من تخلق المتأسين به بأخلاقه واكتسابهم لصفاته ، وترسمهم لخطاه.

ولن يربي الوالدان أولادهما على مكارم الأخلاق مع الناس إلا إذا ربياهم أولاً على مكارم الأخلاق مع الله ، من أداء الصلاة والتزام أوامر الله ﷻ والصدق مع الله ، ومع النفس ، ومع الناس ، وعموماً أن يسلكوا الحياة بخلقٍ رفيع على أربعة جوانب وهي كل ما يُتصور في دائرة الإنسان كفرد[٤].

الجانب الأول : في كلامهم وتعبيرهم ومنطقهم، لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٥] وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[٦] فالقول والمنطق والرد والتعبير واللفظ والكلمة لو كانت حسنة طيبة ، فإنها كفيلة بأن يكسب الأبناء مَنْ حولَهم، وأن يتجنبوا العداوات الاجتماعية، وأن يكون لهم رصيد حب عالٍ في أنفس الآخرين وهذه مسؤولية الوالدين وهما اللذان يَسْمعان من ولدهما أول كلامه عندما تكلم ، وهما اللذان

---

(١) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، مصدر سابق، ٣/٣٣٥.

(٢) الأحزاب ٣٣/٢١.

(٣) القلم ٦٨/٤.

(٤) انظر الإسلام في حياة المسلم ، د./ محمد البهي ، مصدر سابق ، ص ٥٤ ، ٥٥.

(٥) الإسراء ١٧/٥٣.

(٦) الأنعام ٦/١٥٢.

يُسْمعانه أول ما سمع فعليهما الحراسة المشددة لنطقه وقوله ليصبح القول الحسن له طبيعة لا يتخلى عنها وسمة لا يحيا بدونها ، ولا يتصور نفسه -أبداً- دون هذا الخلق.

"خرج عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- مع سليمان[١] يريد الصَّائفة، فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان ، فشكوا ذلك إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضرب غلمانك غلماني ، قال : ما علمت فقال سليمان : كذبت، قال عمر : ما كذبت منذ شددت علي إزاري وعلمت أن الكذب يضرُّ أهله"[٢] هكذا أصبحت السجية ، وهكذا الخلق بلا كلفة أو تصنع ، إنما هي آثار التربية الطويلة والتوجيه الدائب.

الجانب الثاني : في سلوكهم:

كطريقة التعامل ، وأدب المجالس ، وطريقة المشي ، وأسلوب الكلام وغير ذلك لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ [٣] وقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[٤] وقوله ﷻ ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٥] وهذه الممارسات مدرستها الأولى هي المنزل ، ومعلموها الأوائل هم الوالدان ومسرحها الأول هو البيت فللوالدين أن يشعرا بأهمية ذلك ولا يهملاه في الصغيرة والكبيرة ، في الجليلة والخطيرة، في أي شئ حتى يتم التشكيل الأخلاقي للأبناء بصورة أصيلة ليس فيها زيف أو تخليط.

---

(١) سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي، بويع بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين، خلافته سنتان وتسعة أشهر، وعشرون يوماً، ووفاته -رحمه الله- سنة تسع وتسعين للهجرة، سير أعلام النبلاء ، الذهبي، سابق ، ج٥ ص١١١ ، ١١٢.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز ، أبو محمد عبدالله بن الحكم ، سابق ، ص٢٣ ، ٢٤.

(٣) البقرة ٢/٢٨٣.

(٤) البقرة ٢/٢٣٧.

(٥) الشورى ٤٢/٤٣.

الجانب الثالث : في قلوبهم ونفوسهم ودواخلهم:

فيشـبوا مطمئـنة قـلوبهم بذكـر الله ، مستأنسـة أنفسهم بطاعته، راكنةً مشـاعرهم إليه كلما طاف بهم طائف تذكروا ذلك الركن الشديد الذين يأوون إليه ، ويعتزون به ويجعلون كلَّ توكلهم عليه في جميع أمورهم التي بينهم وبين أنفسهم أو بيـنهم وبيـن المخـلوقين. ويدخلون ضمن من قال الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (١) .

الجانب الرابع : في علاقتهم بأمتهم:

يتجردون من علاقات النفعية البغيضة التي لا يرى صاحبها إلا صالحه فقط ولا يجـري إلا خـلف منفعته فحسب، أمَّا مجتمعه فليس له على بال كمن قال الله فيه: ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢) وأصـحاب هـذا الموقف ليسو ممن يلبون نداء جماعـتهم إذا احتاجـتهم في لحظة شدة يتوقف عليها نصرٌ أو هزيمة ، ظهور أو انكسار، والأبناء عندما يُرَبَّون على تلبية نداء أمتهم عندما يسمعون داعيها، وعلى نسـيان مصـالحهم أمـام مصـلحة الأمة، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصـة، بل والتضحية -حتى بالحياة - في سبيل الله دفاعاً عن الأمة، هؤلاء هم الذين كملت أخلاقهم وهم الذين ارتقوا في سلم الأخلاق حتى بلغوا ذروته، واعتلوا صـرح العـلا حتى وصلوا قمته، فاستحقوا كرامة الله، ومعية المرسلين فبشرهم ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٣) .

فالـبيت هـو معمـل الإعـداد ومصنع التشكيل الذي يعد الأشخاص بنسبٍ مـتفاوتة ومزيج يختلف من أسرة إلى أسرة ومن وسط لوسط لذلك -وبسبب هذه الفروق- اختلف الأبناء في أخلاقهم وإن تشابهوا في أعمارهم وملامحهم.

---

(١) الرعد ١٣/٢٨.

(٢) النساء ٤/٧٣.

(٣) النساء ٤/٦٩.

هـ التربية الجنسية[١]:

قضية الجنس في حياة الأبناء تشكل منعطفاً خطراً ، وعقبةً كئوداً ، بل هي من أخطر المراحل التي يسقط فيها الأبناء وتزل أقدامهم، ويجرفهم تيارها بلا رادع أو وازع ومن عظمة الإسلام أنه لا ينكر الطاقة الجنسية ولا يتعامل معها باستحياء، ولا يتهرب من الكلام فيها، ومن جميل منهجه أنه لا يتنكر لها، ولا يهدف لقتلها ولا يسعى لإلغائها، ولا يعطيها ظهره، ولا يرفض مناقشتها بل يواجهها بإرادة تقنينها وتنظيمها وحُسْنِ تصريفها، يقول الأستاذ محمد قطب" ليس للجنس مشكلة في الإسلام، فقد خلقه الله ككل طاقة حيوية لتعمل لا لتكبت، إنه يقره كما يقر الدوافع كلها، ثم يقيم أمامها حواجز لا لتغلق مجراها ، ولكن ترفعها وتضبط مجراها ، هي أشبه بالقناطر أمام التيار، والجاهلية تعترف بضرورة التنظيم والضبط لكل دوافع الفطرة إلا الجنس!!"[٢].

ولـلقرآن منهجه العظيم في ضبط وتقنين الطاقة الجنسية فهو يحرم الزنا فيقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣] وهو يحرم مقدماته كإطلاق النظر بقوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٤] وأيضاً للفتيات والنسوة ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [٥] وهو يقيِّد السماع الذي أحياناً ما يكون سبباً في تهييج الغرائز وإثارة العواطف فيقول﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٦] وفي الوقت ذاته يبيح تصريف هذه الطاقة في قناتها الشرعية

---

(١) انظر النمو الإنساني ، الطفولة والمراهقة ، د/ محمود عطا حسين عقل ، مصدر سابق ، ص٤٥٩.

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، مصدر سابق، ١٩٦/٢.

(٣) الإسراء ٣٢/١٧.

(٤) النور ٣٠/٢٤.

(٥) النور ٣١/٢٤.

(٦) الإسراء ٣٦/١٧.

ومجراها المباح فيقول: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [١] ويقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[٢].

وهكذا فنظرة القرآن والإسلام إلى الجنس نظرة الاعتدال وهو لا يخجل من مناقشته بل فيه الإجابات الشافية والوافية في قضايا الجنس بما لا يدع مجالاً لتردد أو اختلاف حول كونه المنهج الرباني السليم الذي يتماشى مع الفطرة ولا يصادمها، فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت : جاءت أم سليم[٣] إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت، قال النبي ﷺ إذا رأت الماء، فغطت أم سلمة -تعني وجهها- وقالت يا رسول الله: وتحتلم المرأة ؟ قال: نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها"[٤] فيا ترى ، هذه المصارحة بهذه الواقعية وهذا البيان الكافي والجرئ خيرٌ للناس أم ما ادعته النصرانية على لسان رجال دينها -كذباً- تساميهم عن الجنس وأن العلاقات الجنسية مستقذرة عندهم، وابتدعوا رهبانية ما كتبها الله عليهم - وليتهم رعوها حق رعايتها- ولكن عجت أديرتهم وكنائسهم بالفضائح الجنسية بين الرهبان والراهبات، وتحولت مجتمعاتهم إلى قطعان هائمة استباحت الجنس بلا ضابط ولا قيود[٥] .

أم فوضى الجنس التي من ورائها اليهود في العالم حيث أطلقوا أيدي أشرارهم وعملائهم لإفساد البشرية وإغراقها في بحار الجنس الآسنة وليشغلوها عن كشف مخططاتهم فأفسدوا أوربا أولاً ، ثم أفسدوا به أمريكا ، ثم اتجهوا إلى سائر الدنيا وهم يعملون ليل نهار لتحقيق ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون

---

(١) البقرة ١٨٧/٢.

(٢) البقرة ٢٢٣/٢.

(٣) هي : أم سليم بنت ملحان أخت أم حرام الأنصارية لها صحبة، اسمها سهلة ، ويقال ، أنيفة، ويقال مليكة، والدة أنس بن مالك وزوجة أبي طلحة الأنصاري ، مناقبها كثيرة شهيرة، تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، سابق ٦٩٧/٤ ، ٦٩٨ .

(٤) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم، ج١ ص٢٧٦ رقم ١٣٠ ، ومسلم كتاب الحيض ، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ج١ ص٢٥١ رقم ٣١٣.

(٥) انظر فضائح الكنائس ، جمع وإعداد مصطفى فوزي غزال، مكتبة دار الوفاء للنشر بجدة، الأولى ، د.ت

(وليسو بحكماء بل هم حمقى وسفهاء). حيث جاء فيها: "يجب أن نعمل لتذبح الأخلاق في كل مكان وتسهل سيطرتنا "[١] وهم يواصلون تنفيذ مخططاتهم ليعيش شباب الأمة المسلمة لاهث الأنفاس سائل اللعاب أمام عروضهم الفاجرة ومشاهدهم الداعرة.

لقد أراد فرويد[٢] "تحطيم الأخلاق بأسلوب يزعم أنه علمي يعتمد على علم النفس"[٣] وسرت نظرياته في الغرب ووسط اليهود -قومه- سريان النار في الهشيم ومن كلامه "إن الطفل يولد بطاقة جنسية فتسيطر عليه من لحظة مولده ، ينمو الصبي فيحس تلقاء أمه بشهوة جنسية ، ولكنه يجد أباه حائلاً بينه وبين الاستيلاء على الأم التي يشعر نحوها بتلك الشهوة الجنسية ، فيكره أباه الذي يحبه في ذات الوقت " فأي معول أشد تحطيماً للأخلاق من دعوة هذا العالم الكبير!! للأولاد والبنات أن ينطلقوا بلا قيود ولا حواجز؟![٤].

إن العالم يمر بفترة نكدة تلك التي شهدت هذه القفزة هائلة في الفضائيات التي تشكل أطباقها آذاناً للكون تتسمع وأعيناً تلتقط وتبث، ووأسفاه على شباب الأمة إذا كان هذا مصيره خاصة الذين يمرون بمرحلة المراهقة وهم أمام هذا العُرْيِ الفاضح فماذا يبقىٰ فيه ومنه ، وماذا سيرجى منه بعد ذلك ، إن الأمر خطير وكان من نتائج ذلك:-

١- عم الزواج العرفي كرد فعل لاشتعال الطاقة الجنسية مع ما يزامن ذلك من قيود الزواج المعلن، وغلاء المهور والعقبات المفتعلة، حتى "أعلنت وزيرة الشؤون الاجتماعية بإحدى الدول الإسلامية أن الزيجات العرفية بين طالبات

---

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون ، نقلاً عن تربية المراهق في رحاب الإسلام، محمد الناصر وخولة درويش ، مصدر سابق، ص١٠٤.

(٢) سيجموند فرويد ، ولد سنة ١٨٥٦م ، في تشيكوسلوفاكيا، من أصل نمساوي، يهودي الديانة، هاجر مع أسرته إلى النمسا في الرابعة من عمره، واستقرّ في انجلترا حتى وفاته، درس الطب في فينا ، وبدأ اهتمامه بالعلاج النفسي سنة ١٨٨٠م، وتوفى سنة ١٩٣٩ م، وقد اشتهر في علم النفس وسخر نظرياته لإفساد البشرية.

(٣) تربية المراهق ، محمد الناصر ، وخولة درويش ، مصدر سابق ، ص١٠٥.

(٤) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب ، ط دار الشروق ، بيروت الأولى ، ١٤٠٣هـ ١٠٨ ، ١٠٩.

الجامعـــات فقط وصلت إلى ١٧% ، وإذا فرض أن عدد الطالبات في الجامعات مليون طالبة فمعناه أن هناك مائة وسبعون ألف طالبة تزوجن من وراء ظهر أهليهم"[١].

٢- انصراف الشباب عن قضايا أمته المهمة واشتغاله بتوافه الأمور وانخراطه في ســطحية الــتفكير وضحالة الاهتمامات فلم يعد يعرف عدوه من صديقه بل قد يرى أعداء الملة أصدقاء فاختلت عنده الموازين.

٣- إقبال الشباب المتزايد على تقليد من يراهم في عاداتهم وأفعالهم كالتدخين مثلاً والــذي يهــدد بخطره الآلاف المؤلفة ، فقد "أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الــتدخين يــتوقع أن يؤدي إلى وفاة عشرة ملايين شخص سنوياً بحلول عام ٢٠٣٠ميــلادي ، من بينهم سبعة ملايين من الدول النامية وذلك بسبب إقبال الشباب المتزايد على التدخين"[٢].

٤- الــبطالة والتكاسل والانقطاع عن العمل أو التخلف عن الدراسة بسبب السهر على الفضائيات التي لا يتوقف ضجيجها ساعة من ليل أو نهار.

٥- تفشي العقوق والتحلل الأسري والتفكك العائلي وقطيعة الرحم وضعف الروابط الاجــتماعية والــتي هــي -أصلاً -من أبرز صفات المسلمين وأوضح سمات مجتمعاتهم .

٦- هــذا خــلاف الفســاد الأخلاقي وانتشار العادة السرية ، وازدياد حالات الزنا واللواط وتعاطي المسكرات وإهدار الصحة والطاقات.

وحــلاً لهذه المشكلات، وتجاوزاً لتلك العقبات فعلى الأسرة دور كبير وعلى المجتمع دور خطير إذا قاما به كان الشباب في أمان بإذن الله :

على الأسرة :

١- مناقشة الأب لولده والأم لابنتها فيما يطرأ على كل منهما من حيث البلوغ وما يستجد عليهما بشيء من الوضوح مع الأدب والاحتياط.

٢- تربية الأبناء على العفة والاستئذان وغض البصر ومخافة الله.

---

(١) مرصد الأرقام ، ملحق مجلة البيان ، محرم ١٤٢٢هـ ، مصدر سابق ، ص١٢.

(٢) مرصد الأرقام ، ملحق مجلة البيان ، محرم ١٤٢٢هـ ، مصدر سابق ، ص٧.

٣- شـــغل الأبـــناء بالـــنافع والحافظ كحفظ القرآن الكريم والاشتراك في النوادي الرياضية لممارسة بعض الأنشطة.

٤- تشجيع الزواج المبكر فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج.

٥- غرس حاسة التمييز في الأبناء حتى يقرروا ماذا يشاهدون وماذا لا يشاهدون ومـــاذا يســـمعون وماذا لا يسمعون مع مراعاة أن يكون الضابط في كل ذلك مرضاة الله وما شرعه.

٦- شـــغل الوقـــت بـــالعمل المـــثمر أو الدراسة المفيدة ، أو الواجبات الإسلامية كالتزاور وصلة الأرحام وعيادة المرضى وممارسة الأعمال الخيرية.

وعلى المجتمع :-

١- تيسير أمر الزواج أمام الشباب وتذليل العقبات كالمهور والمسكن وغيرها.

٢- فـــتح المجـــال أمام الشباب -خاصة بالصيف- للأعمال التطوعية ، والأنشطة الشيقة المفيدة ، والمكتبات العامة النافعة ، والمعسكرات الهادفة.

٣- اســـتحداث قـــنوات فضـــائية إسلامية هادفة تجتمع فيها الإفادة مع التشويق والجدية مع الترفيه ، فتبني ولا تهدم، وتنفع ولا تضر.

٤- محاولة التخلص مما يثير الغرائز ويدغدغ المشاعر بمنع استقباله، أو التعتيم عليه ، بوسيلة أو أخرى وإلى متى تبقى المجتمعات الإسلامية ميداناً تلقى فيه نفايات الغرب؟!

وصـــدق الله القائل ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] فـــرحم الله مربياً ربى فأحسن ، وعمل فأتقن ، وبدأ فتمم ، لتبقى الأمة خير الأمم نسلاً كما هي خير الأمم رسالة ومنهجاً.

---

(١) النور ٢٤/٣٣.

العامل الثاني : وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام بأنواعها المقروء والمرئي والمسموع تأثير لا ينكر على الجمهور، وهذا التأثير يختلف إيجاباً وسلباً حسب نوع المادة المقدمة ، وقد لوحظ أن الملايين التي تتلقى ثقافاتها وتقضي ساعات يومها بين يدي وسائل الإعلام تتفاعل معها وتستجيب لمؤثراتها وتتشكل عقولها تبعاً للمبثوث فيها، فما بناه البيت تهدمه برامج ساقطة ، وما زرعه الوالدان تقتلعه فقرات هابطة، فالاختلاط والسفور والإباحية والهبوط الأخلاقي والميوعة والتفاهة هي أبرز سمات الغالبية من هذه الفقرات التي لا تعدو دس السم في العسل أريد بها القضاء على الأجيال الشابة التي ينتظر منها العمل والجد والاجتهاد والإبداع فإذا هي فريسة وضحية السهر والفشل والانحراف والضياع ، إن مخططاً للإفساد والإتلاف والتدمير لأكبر ثروة تملكها الأمة يجري تنفيذه ، بل " إن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية هي محاولة تصوير الإضحاك والرقص وفنون العُرى والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها فن رفيع ، وصار يخرج الممثلون من جامعات متخصصة، وظل هذا الفساد والتهريج يرتفع ليصبح فناً عالمياً على أيدي دعاته من الماسونيين والصهاينة والإباحيين فيما وراء البحر الذي يتلقفون أبناءنا ويصهرونهم في هذه البوتقة"(١).

وأمام هذا الغثاء المتواصل ، وعلى وقع هذه البرامج الهابطة يخفت صوت الدين في قلوب الشباب ويتراجع منسوب القيم والأخلاق، وتمحى ثقافات أصيلة لتتشكل ثقافات زائفة تبعاً للمبثوث من هذه البرامج التي ينبني كثير منها على الغش والكذب والنفاق والخدعة أو يدور على الجريمة كالسرقة والسطو والابتزاز، أو يقوم على الحب الزائف والخيانة الزوجية والعلاقات المحرمة ، أو يتمحور حول أمور خيالية لا يقرها منطق ولا يقبلها عقل، أو يعظم الصليب والكنيسة والوثنية ، أو يسيء الأدب مع الذات الإلهية أو يركز على قضايا مفزعة من مضمونها تنعكس تفاهتها على المتلقي الذي سلم لها عقله ونفسه وأعطاها فكره واهتمامه،

---

(١) إعادة النظر في كتاب العصرانيين في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام - القاهرة الأولى ١٩٨٥ ص٦٣ ، ٦٤.

وجلس لها بطواعية كأن على رأسه الطير فلا يفوت فرصة ، ولا يضيع سانحة ولا شاردة ولا واردة إلا أحصاها وتلقَّاها عن هذا الإعلام ، خاصة مع المبتكر من أسلوب التقديم وطريقة الإعلان والزخم الهائل المصاحب لهذه البرامج بأسلوب يلفت الانتباه وليت الأمر عند ذلك فحسب، وإنما الأخطر من ذلك "أن الآلاف بل الملايين من الصور العارية والأغاني العارية والنكت العارية التي تملأ الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون وآلاف بل ملايين الأجساد العارية في كل مكان ، فضلاً عن التفاهة التي تشيعها السينما والإذاعة والتلفاز في نفوس مشاهديها ، التفاهة التي تجعل النفوس لا تتجه لشيء جاد ، فضلاً عن أن تتجه لله واليوم الآخر أو للجهاد في سبيل الله"(١).

والآن زاد الطين بلة هذه الفضائيات ، وأيضاً شبكات الإنترنت، والتي لا يشك أحد في فائدتها وإمكانية تسخيرها لخير البشرية، ومن ذلك الشراء السهل واستعراض السلع وسهولة البحث والتجارة وانخفاض أسعار المكالمات وسهولة الاتصال بمراكز الأبحاث العلمية وإرسال البريد الخاطف في ثوان معدودة ومراقبة المجلات والبيوت من بعد كبير وسماع الراديو والإذاعات والدعوة إلى الله...إلخ(٢) ولكن الواقع - أيضاً- يشهد بالوجه الآخر لها من عرضها للجنس ومن ارتفاع نسبة الشباب المتردد على ما يسمى بمقاهي الإنترنت للدخول على هذه المواقع، "والذين قفز عددهم حتى بلغ مائة وثمانين مليون مستخدم عن طريق ثلاثين مليون جهاز حاسب آلي في العالم"(٣) وعيون هؤلاء ساهرة بينما هذه الشبكات لا تكف عبثها ولا تُوقف عرضها ، تتبارى في عرض الجنس والغرام فتهدم لدى الشباب قيماً وتدمر أخلاقاً ، وتذبح الفضائل ، وتدع الشباب في حيرةٍ وتخبط "لأن ما يُعرض عادة لا يعدو أن يكون صوراً لا تشبع نهماً ولا تروي صادياً ، بل

---

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط مؤسسة المدينة - جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ص٢٩٥.

(٢) من محاضرة بعنوان الإنترنت بين الدعوة والمقاهي ، الشيخ محمد المنجد ، الشريط الأول ، من على شبكة الإنترنت.

(٣) من محاضرة بعنوان الإنترنت بين الدعوة والمقاهي ، الشيخ محمد المنجد ، الشريط الأول ، من على شبكة الإنترنت.

تـــزيد من غلواء الجنس وتضرم ناره ، وأقل ما يُصاب به الشباب هو ذلك الصراع بين الفضيلة والرذيلة والقلق والكبت والأرق والألم والحسرة ، وهل يحتمل الشباب هذه الأثقال المرهقة، أو هل يُضمن لديهم التوازن العاطفي"[١].

وفـــي ضـــوء هـــذا الواقع فالأمر ينذر بخطر ، ويهيب بأصحاب الشأن أن يـــنفروا لـــدرء هـــذا الفساد ولحماية مقدرات الأمة وتراثها ورصيدها المتمثل في شـــبابها الذين هم عنوان قوتها وسبب بقائها وأسُّ حضارتها حفاظاً على عقله من المســـخ ، وقلـــبه مـــن المـــرض أو القسوة أو الموت أحياناً ووقته من الإهدار ، ومستقبله من الضياع، ولا يكون ذلك إلا بالآتي :

١- اهـــتمام أكـــبر مـــن الأسرة بالتربية والمتابعة فتبعاتها الآن أكبر من ذي قبل وواجـــبها تحصـــين أبـــنائها قـــدر الإمكان بالأخلاق والفضيلة والقيم حتى لا يحـــتويهم إغراء ولا يقعوا في شَرَكِ الماكرين ، ومخطط المتربصين، أسوتهم فـــي ذلك يوسف عليه السلام إذ تناديه جميع وسائل الإغراء بحقائقها وليس بصورها وهـــو في موقف العبد المأمور أمام سيدته الآمرة، ومع ذلك يستمسك بعفته ، ويذود عن طهارته ، ويعتصم بربه، ويأوي إلى ركنه، وينجح في أقسى اختبار عرفته البشرية في عالم الجنس كل ذلك بعصمة الله له ، وبرصيد القيم والدين والخـــوف مـــن ربه في نفسه ، فلما علا صوت الدين في نفسه لم يستطع أيُّ صـــوت آخـــر أن يشوش عليه ، أو يُسْكته، ولو تصور الوالدان أن أحداً من الـــناس يُغير على المنزل ليخطف ولدهما منهما ماذا سيفعلان وماذا سيبذلان فـــي ســـبيل مـــنع ذلـــك والحفاظ على ولدهما ، فلهما -الآن- أن يتصورا أن ولدهمـــا يخطـــف مـــنهما، وليس الخاطف واحداً بل هو جيش متكامل يقوده إبليس، وجنوده الكفار ، وأسلحته ناعمة الملمس ولكنها الفاتكة المدمرة، التي تجرد الإنسان من كل شئ، وتفقده كل شئ وهو مستسلم لا يحرك ساكناً ، فلو شعر الوالدان بذلك على هذا المستوى لسارعا إلى بذل الجهد وإعادة النظر في

---

(١) الأســـرة المســـلمة أمام الفيديو والتليفزيون ، أ/ مروان كجك ، ط دار الكلمة الطيبة ، القاهرة ، الثالثة ، ١٤١٠هـــ، ص١٤١.

أسلوب التربية وشغلا ولدهما بما يملأ حياته ولا يُبقى له وقتاً كثيراً ليقع فريسة هذه الوسائل.

٢- التخلية بين الدعاة وهؤلاء الشباب ليقتربوا منهم ويوجهوهم ، ويأخذوا بأيديهم فعندهم الدواء، وبأيديهم الحل بإذن الله من خلال ما يحملونه من منهج الإسلام القويم المتمثل في القرآن العظيم وسنة النبي الكريم.

٣- فهم الدعاة لطبيعة المرحلة وخطورتها وتقديم الإسلام في ثوب جديد والدعوة إلى الله بأساليب مغرية جذابة تحبب الشباب في الهداية ، وتستنقذهم من الضلال والغواية.

٤- شغل الشباب بقضايا جادة ، فالنفس إذا تعلقت وفكرت في الجاد من الأمور لم يبق لديها قبول ولا إقبال على شاغلٍ آخر مهما كان ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1] ولا يُنكر ما يبذله المخلصون من جهود ، لإيجاد إعلام إسلامي قوي منافس ، ولا ينكر أحد دور بعض المحطات الهادفة كإذاعات القرآن الكريم من بعض الدول الإسلامية وكم لها من أثر على الأسر وخاصة ربات البيوت في نشر العلم الشرعي والفقه والثقافة الإسلامية وكذلك لا ينكر أحد وجود بعض القنوات الهادفة التي تحاول أن تقدم الإسلام ومُثُله العليا ، ومحاسنه إلى الناس بأسلوب مناسب ، وفي قالب مقبول كقناة "اقرأ" وإن كان على ذلك ملاحظات ، لكنها خطوات على الطريق ، وجهد مشكور ومبارك وبداية تتبعها محاولات أكثر نجاحاً وأعمق أسلوباً ، وأكبر إيجابية-إن شاء الله-

العامل الثالث : نمط التعليم :

إن الله ﷻ خلق الذكر والأنثى وجعل لكل منهما صفات ، وخصائص تميز كلاً منهما، وجعل الخير كله في ابتعاد الرجال عن النساء وابتعاد النساء عن الرجال ، ولما صادم الناس فطرة الله ﷻ وأباحوا الاختلاط بين الجنسين وقعت المشكلات ، وعمَّ البلاء، حيث ارتفع الحياء، وشاع الانحلال ، واستهين بالفاحشة،

---

(١) الأحزاب ٣٣/٤.

وما يشاهد في المواطن التي فيها اختلاط لا يحتاج دليلاً على ذلك"[١].

لقد شاع الاختلاط في مراحل التعليم في بعض بلاد الإسلام، وأصبح الفتى يتعلم مع الفتاة فيجلس بجوارها فيراها وتراه، ويتأملها وينظر قسماتها ، ويتفرس في محاسنها ، وكم لهذا من آثار مدمرة على فطرة وعقلية هؤلاء، والله ﷻ ما شرع للناس إلا خيرا، وما أمر إلا بخير ، والاختلاط ما جلب إلا شرا، وما خلّف إلا وبالا، من قصص غرامية، وعلاقات عاطفية وزيجات عرفية، وخلوات غير شرعية، وجرأة على محارم وحدود الله ﷻ ما كانت لتقع لو لزمت الفتاة مكانها والفتى مكانه ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[٢].

فإذا ما أريد للشباب صلاح وللفتيات هداية فلْيُلتزم في تعليمهما شرع الله ﷻ من العزل بينهما والفصل الكامل في دور التعليم وقاعات الدراسة ففيه خير كثير، وفيه محافظة على جهود الأسرة التربوية من الضياع أو الإهدار . وفيه مطابقة لمنهج القرآن الكريم الذي أشار لذلك وأمر به والتزمته الأمة التزاماً كاملاً منذ تنزل القرآن فنشأ المجتمع على الطهارة والعفة، وأعفى مما تشتكيه مجتمعات اليوم من آثار هذا الاختلاط المذموم ، وليس معنى ذلك أن القرآن يقف في طريق تعلم المرأة أو عملها ، كلا ، فلتتعلم ولتعمل ، ولتشارك إذا دعت الحاجة لذلك ، لكن في مكانها محاطة بالضوابط الشرعية لتسلم هي ، ويسلم منها غيرها، حتى يتنسم الناس عبير المنهج الرباني طاهراً كما جاء ، مباركاً كما نزل. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣].

لقد عز أسلاف الأمة عندما تخلقوا بالغيرة على أعراضهم ، وتوفرت لديهم المروءة والإباء والشهامة والعفة "روى الخطيب البغدادي[٤] في ترجمة القاضي

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٧.

(٢) البقرة ١٣٨/٢.

(٣) البقرة ٢٠٩/٢.

(٤) هو : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر ، المعروف بالخطيب ، أحد الحفاظ المؤرخين، مولده في غزية بصيغة التصغير، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ونشأته ووفاته في بغداد، له : تاريخ بغداد، والبخلاء ، الأعلام ، الزركلي ، سابق ، ج١ ص١٧٢ ، وانظر معجم الأدباء ٢٤٨/١ ، وطبقات الشافعية ١٢/٣، والنجوم الزاهرة ٨٧ ، وتاريخ ابن عساكر، ٣٩٨/١.

أبـــي بكـــر موســـى بن إسحاق الخطمي[١]، قال : تقدمت امرأة فادعى وليها على زوجهـــا خمســـمائة ديـــنار مهراً ، فأنكر الزوج ، فقال القاضي : شهودك قال قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود لينظر إلى المرأة ويشير إليها في شهادته، فقام الشـــاهد فقـــالوا لـــلمرأة قومي ، فقال الزوج : تفعل ماذا؟ قال الوكيل : ينظر إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها ، فقال الزوج : فإني أشهد القاضي أن لهـــا عندي المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها ، فرُدَّت المرأة ، وأُخبرت بما كـــان مـــن زوجها، فقالت المرأة ، فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي يكتب هذا في مكارم الأخلاق"[٢] فهذه الغيـــرة يحبها الله ورسوله، ويدعو إليها القرآن والسنة، وهي من سمات المجتمع الإسلامي والبيت المسلم.

العامل الرابع : الصحبة

تأثيـــر الصـــاحب عـــلى الصاحب يفوق التصور ويعدو الخيال حيث صفات تقتبس ، وعادات تكتسب، وخصال تُنقل، حيث تتمازج الشخصيتان وتنصهران في بوتقـــة واحـــدة فـــإذا بالصـــاحبين أصـــلٌ وصورة، أو صوت وصدى، في الطباع والأسلوب وطريقة التعامل والتفكير والتفاعل مع قضايا المجتمع.

وقـــد وضع القرآن الكريم منهجاً غير مسبوق في عالم الصحبة، يعتمد هذا المنهج على إبراز ما يأتي: -

١ - الندم على الصحبة السيئة يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ

---

(١) هـــو : موسى بن إسحاق بن موسى بن عبدالله بن موسى بن الصحابي عبدالله بن يزيد الأنصاري الإمام العلامـــة القدوة المقرئ القاضي، أبو بكر ، الفقيه الشافعي ، قاضي نيسابور وقاضي الأهوار ، ضرب به المـــثل في الورع، توفى سنة سبع وتسعين ومائتين بالأهوار ، سير أعلام النبلاء، الذهبي، سابق ج١٣ ص٥٧٩-٥٨١.

(٢) تـــاريخ بغـــداد ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق ، ٥٣/١٣، وانظر صلاح الأمة ، سيد العفاني ، مصدر سابق ، ٣٣٧/٥

سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1] لهذه الدرجة يندم على رفيق السوء الذي أضله وانحرف به وصده عن الهدى بعد إذ جاءه ولن ينفعه هذا الندم ، لأن الندم نفْعه في الدنيا قبل الموت لكي يفضي إلى توبة، أما ندم القيامة فهو الحسرات التي تتقطع نفوس أصحابها على ما ضيعوه من فرصة النجاة والفلاح وكل عاقل يقرأ هذه الآيات يجب عليه مباشرة أن يتفرس وجوه أصحابه، ويتفقد أصدقاءه فيُبقي على الصالح، ويستبعد الفاسد حتى لا تنتقل إليه عدواه ، وبالذات من يمرون بمرحلة المراهقة هم أحوج إلى التفتيش عن صحبتهم والاطمئنان على صداقاتهم وقد يكون البيت من أسباب إقبال الأبناء -خصوصاً المراهق منهم- على صحبة السوء عندما لا يجد دفء العائلة وحضن الأسرة الآمن الذي يتعامل معه برفق واحتراس، وهنا "يلاحظ أن الصحبة السيئة قد تجتذب إليها المراهقين إما لوجود المراهق في جو منزلي غير عطوف ، وغير آمن أو جو طارد وإما لإخفاق الفتى في التوحد مع أبيه أو الفتاة في التوحد القوي مع أمها فيبدأ البحث عن نماذج بديلة للتوحد في الصحبة"[2] فالوالدان يقرءان القرآن ، ويسمعانه لولدهما، ويفتشان في صداقاته، ويتسللان برفق إلى حياته ويملآنها بالمشاعر والتقارب والود والحنان والثقة حتى لا يبحث له عن صديق يماشيه على هواه أو يجد عنده ما لم يجده عند والديه وأقرب الناس إليه.

٢- العداوة اللدودة مكان الصحبة السيئة:-

قال تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] فما بُني على التقوى يبقى وما كان أساسه الشهوات والنزوات والمعاصي والفسق والفجور فهو عداوة وتخاصم وتبرؤ واتهام، وهذا المنهج يُغري كل مصاحبٍ لاختيار صاحبه ويدعو كل من يرافق بمراجعة نفسه في أسباب هذه الرفقة، هل هي لله لتبقى أم

---

(١) الفرقان ٢٥/٢٧-٢٩.

(٢) علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، د/ حامد عبدالسلام زهران ، ط الشركة الدولية للطباعة ، مصر، الخامسة ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١ ص٣٥٩.

(٣) الزخرف ٤٣/٦٧.

هي لمنافع عاجلة، وأسباب عارضة، ووشائج سوف تتقطع وتفضح أصحابها وهذا منهج متكامل يحبب التقوى إلى الناس، ويحبب المتقين إلى قرنائهم من المتقين حتى يكون أساس الصداقة متيناً، وإذا ما نشأ الأبناء على آداب القرآن، وقرءوه وتدبروه وفهموه وعرفوا منهجه في اختيار الصاحب يَسلم هؤلاء الأبناء من قرناء السوء الذين يسيئون ولا يُحسنون ، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون.

٣ـ حُسنُ العاقبة لمن خالف قرين السوء:

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝ ﴾[1] وكم تكون غبطة هذا الذي استقر به المقام في الجنة متسائلاً عن صديقه أو قرينه الذي كان يكذِّب بالبعث والنشور فمنَّ الله عليه بمخالفته فنجا وسلم بينما الآخر قد اطلع عليه وهو في وسط الجحيم.

وهذا منهج عظيم وعجيب ذاك الذي كشف عن مشهد من مشاهد الحساب ليكون رادعاً لكل مسلم عند اختيار صداقاته، وانتقاء الصالحين منهم، المؤمنين بالله واليوم الآخر الذين يأخذون بأيدي محبيهم إلى رضوان الله ورضاه، وزاجراً شديداً قوياً للبعد عن أهل الشك والنفاق والكفر والشقاق الذين يُغوون جلساءهم ورفقاءهم بمعتقداتهم، ويفسدونهم بفسقهم وفجورهم ، ويُرْدُونهم في الهاوية بأفكارهم الهدامة وإلحادهم الذي تنتقل عدواه إلى من يصاحبون ويجالسون.

٤ـ افتقاد الصاحب الصالح عند كل شدة:

قال تعالى في تصوير حال أهل النار : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[2] ولا أشد مما هم فيه من حسرةِ الخسران المبين ، وخزي القيامة ، وتطاول لهب جهنم الذي يشوي الوجوه -عياذاً بالله- فيتمنون لو كان لهم من يشفع، أو صديق يواسي أو يشارك ، أو يعين، فالصديق هو الذي ينفع صاحبه في الدنيا عند

---

(١) الصافات ٣٧/٥٠-٥٧.

(٢) الشعراء ٢٦/١٠٠ ، ١٠١.

كـــل شدة ، فهو الناصح وهو المشير، وهو الصدوق ، وهو المتألم وهو الزاجر عن الـــباطل وهو الداعم للخير، المشجع على البر، المساند في القربات الناشر للحسنات، الساتر للسيئات، الأمين في كلمته والذي لا يريد المجاملة ، ولكن يريد أن يؤدي حق المخالـــلة فمثله نادر، والتمسك به حتمي لأنه صاحب في الدنيا ، وصاحب في الجنة، فنعم الصاحب هو.

لكـــل ذلك وجب على الأسرة مصاحبة الأبناء خاصة إذا كبروا حتى لا يبحثوا لهـــم عـــن أصحاب قد يكونون سيئين ، ولتراع الأسرة "فترة المراهقة، فهي مرحلة فطام من السلطان الفردي للأب والمدرسي إلى سلطان الجماعة"(١)

فهذا هو القرآن قد أوضح المنهج، وفصَّله ، وبيَّن أسسه وأركانه وما على الأبـــناء إلا التخير تحت رعاية من الأسرة، مسترشدة بقول النبي ﷺ "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"(٢).

ولـــو فـــتش الإنسان في حياة منحرف أو ضال ضالعٍ في الضلال أو سارقٍ محـــترف فـــي السرقة أو مزوِّر صاحب سجلٍ طويل في التزوير، أو عاقٍ مسيء لوالديـــه، أو مفسد ممعنٍ في الفساد ، ففي الغالب سيجد وراءه صديقاً أو زميلاً أو جليساً أو خليلاً زيَّن بفعله، أو بقوله هذا الإجرام، فإما فعله الأول ، فقلده الثاني ، وإمَّـــا أشـــار به واقترحه عليه، فالمرء دون انتباه يتأثر ويقلد ، كذا وجب اعتناء الأســـرة بذلـــك ومساعدة الأبناء على تخيُّر الجلساء، وانتقاء الأصدقاء حتى تكون هـــذه الأسرة على بينةٍ بهذه العلاقات فلا يغرر بها ، ولا تفاجأ بمصيبة تنزل على رأســـها وتندم ، لكنْ بعد فوات الأوان، وكفى أن الله ﷻ قد ذكر الصديق الحق في زمـــرة الأرحـــام والأقـــارب إعلاء لشأن الصداقة النقية المبنية على أسس الأخوة الإيمانية، فقال : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ

---

(١) أصـــول عـــلم النفس ، د/ أحمد عزت راجح ، ط المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، مصر ، التاسعة، ١٩٧٣م، ص٤٣٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد، باب حدثنا محمد بن بشار ، ج٤ ص٥٨٩ رقم ٢٣٧٨ ، وأبو داود فـــي سننه ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس ، ج٤ ص٢٦١ رقم ٤٨٣٣، وأحمد في مسنده، ج٢ ص٥٨٦ رقم ٧٩٦٨، باقي مسند المكثرين ، واللفظ للترمذي.

حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[1].

وبقـــراءة القرآن الكريم وفهمه وتدبره وإدراك مقاصده ، والإحاطة بمنهجه فـــي التربية والمعاملة تكون عند الفرد المسلم النظرة الواعية في اختيار صديقه، وانـــتقاء صحبته، فيبتعد عن السيئ حتى لا يندم يوم القيامة ، وسيجتهد أن تكون صـــحبته وخلـــته قائمة على أسس التقوى بعدما رأى جميع العلاقات تنقطع، وكل مودة تنقلب عداوة مالم تكن منطلقة من تقوى الله ﷻ وعبادته وخوفه، ولن يتردد فـــي عصيان صاحب السوء من شياطين الإنس الذين يخادعون ويصورون الباطل حقـــاً والشر خيرا بعدما رأى حُسن عاقبة من خالف، وسوء مآل من وافق وأطاع، وهـــو -أيضاً- سيفتش عن صاحب ينفعه عند شدته، وينصحه عند حاجته، ويشد بناءه ، ويقوي شوكته ويكون له - بعد الله عوناً وسنداً وظهيرا..

ولـــو تصور العاقل تخلي الناس عن قرين السوء ، وبحثهم عن الصالحين فقـــط فســـيعرف كـــم من فوائد يحصّلها المجتمع في قوته اجتماعياً ، وفي متانة نسيجه وبنائه على أسس فيها عناصر الثبات والبقاء.

ومميـــزات وعيوب الصحبة يشترك في إبرازها كثير من الجهات. فالوالدان بإرشـــادهما ونصحهما ووسائل الإعلام بما تبثه وتعرضه لخدمة هذا الغرض ولفت نظر الناشئة إليه وتربيتهم عليه، والمناهج الدراسية وما تتناوله من أبواب دراسية وموضوعات اجتماعية ، وقصص أدبية حينما تجند لهذا ، وتوجه له خير توجيه ، وســـائر المؤسســـات الاجتماعية في المجتمع وما تستطيع أن تلعبه من دور فعال إيجـــابي يعمق معاني هذا الأمر في نفوس الشباب ذكوراً وإناثاً ، فيأخذ بأيديهم - برفق- إلى شاطئ الصحبة الطيبة الصالحة ، حيث تسكن النفس ويهدأ القلب ويجد الفرد في حياته من يعينه على أمر دينه ودنياه.

* * * * *

---

(١) النور ٢٤/٦١.

المبحث الثاني

الطلاق كظاهرة اجتماعية أسباب وآثار[١]

الأصل أن يتم بالزواج بناء أسرةٍ قويةٍ راسخة الأساس، ثابتة الكيان تجتمع لهـا عناصـر البقاء والاستمرار جذورها راسخة ، وفروعها باسقة وثمارها يانعة وظـلها وارف تستعصي على الرياح العاتية والعواصف الجامحة، ليس فيها خصام ولا انفصـام ، ولا عراك ولا صدام، الحب يجمع بين أفرادها ، والإيمان يؤلف بين قـلوبهم ، فيهـا التفاهم والتناغم الذي يزداد يوماً بعد يوم فيحيل الصعب سهلاً ، والعسـير يسيراً بالتعاون المثمر، والتضامن البناء، يكون فيها الزوج قائد سفينتها وملـبي حاجـتها فهو الشفيق الرفيق، وهو القوي الحازم، وهو المشير الناصح، وهـو النشيط الدؤوب ينقاد إلى الله ويقودهم، ويستجيب لداعيه ويدعوهم، ويحذر مـن عصيانه ويحذرهم، وفيها الزوجة الساهرة على راحة الجميع التي تُظل الكل بحنانها ، وتشملهم بدفئها، وتضمهم تحت جناحها ، فينسى الجميع عندها متاعبه، ويضـع في ساحتها أثقاله وأحماله وشواغله ، وهي جناح الأسرة الثاني وزوجها جـناحها الأول ، فـبهما تطير الأسرة وتحلق، لها قوة التأثير لكن بالرفق والحب والحـنان، ولهـا قـوة الدفع لكن بما فطرها الله عليه من مقومات المرأة الفاعلة المؤثـرة. وفيها - أي في الأسرة- أبناء صالحون أسوياء أتقياء بررة، أجسامهم تكـبر على طعام حلال ورزق طيب وغذاء صالح ، وعقولهم تتفتح على فهم أصيل ووعـي كـبير وإدراك كـامل ، وقـلوبهم فـي بحـر وادع من السكينة والأنس والطمأنيـنة، وألسـنتهم تتحرك بكلمة طيبة ولفظة آسرة وحكمة غالية ، وأنفسهم تحدثهـم بنصـرة حق ، وتحصيل علم وحيازة مجدٍ ، وكم من أسرة بهذا الوصف توجد ، وفق الله بين أشخاصها ورزقها الوئام والسلام.

وكـثيرة هي الأسر التي لابد من وجود اختلاف في وجهات النظر بين الزوج والـزوجة ولكـن يتغلب عليه عقلية الزوجين الكبيرة، وشعورهما بالمسؤولية الأكبر

---

(١) انظر في ذلك كتاب الإسلام في حياة المسلم ، د/ محمد البهي.

والهدف الأسمى فيتقابلان في منتصف الطريق ، ويتنازلان بعض الشئ، ويحاولان أن يوسعا رقعة التوافق ويضيقا رقعة الخلاف ما استطاعا إلى ذلك سبيلا، لا من أجلهما ولكن من أجل أبرياء لم يقترفوا ذنباً ، وإنما من حقهم أن يجدوا البيت الهادئ والأسرة السعيدة والحياة الراضية قبل أن يجدوا اللقمة الهنيئة والفراش الوثير.

وكثيرة هي الأسر التي يزداد فيها الشقاق وينعدم الوفاق ويستشري في كيانها الشقاق لأسباب تختلف من أسرة لأخرى، وتتفاوت من بيئة لأخرى.

ولحرص القرآن الكريم على سلامة هذا البناء الأسري وضع خطوات للإصلاح ومراحل للعلاج لها ترتيب وأسلوب ، بحيث لا تسبق مرحلةٌ ، وإنما لكلٍ وقتها وأسلوبُها وهدفُها وكل هذا بمثابة إبعاد للزوجين عن طريق الطلاق والافتراق ، ودفع من القرآن لهما إلى طريق الود والصفاء والصلح والهناء ، بعيداً عن شبح الطلاق الذي يكون نهاية المطاف، والعلاج الأخير لكل اختلاف.

المرحلة الأولى : الوضوح والمصارحة والمواجهة والمعاتبة

قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾(١)

دعوة ودودة للزوجين بالمواجهة والمكاشفة ، دون تدخل من أحد، يذكران بعضهما بالعهد الذي مضى ، ويسترجعان سوياً ذكريات أيام خلت، ويذكر كل واحد فيهما للآخر مواقفه الطيبة ويعتب كل واحد على الآخر فيما أخذه عليه ، وينتبهان على خطر محدق بهما وبأولادهما إذا لم يرجعا ، ويُفيقان على هدف أسمى وأمل أكبر من خلافاتهما وهو مستقبل أولاد من حقهم أن يسعدوا بوالديهم ، وألا يصدموا فيهما، هذه الجلسات تعيد للنهر مياهه بعد جفاف ، وللحياة وفاقها بعد خلاف ، فتندمل الجراح وتحس القلوب بالانشراح وتتزود النفوس من هذه المحطة بالوقود الدافع ، والقوة الجديدة لمواصلة مشوار الحياة فالصلح خير لهما بدلاً من تفاقم المشكلات وازدياد نقاط الاختلاف، وهو خير للأبناء حمايةً لأنفسهم من التكدير ولخواطرهم من الانكسار ومستقبلهم من الضياع ، وهو خير للمجتمع من

---

(١) النساء ١٢٨/٤.

زيـــادة أعداد الأسر المشردة، والأبناء الضائعين، والبيوت المهدمة ومنهج القرآن فـــي دعـــوة الـــزوجين للتواجه والتصالح احترامٌ لما بينهما، وحرص على سرية وخصوصية العلاقة، فلا يطلع عليها حتى أقرب الأقربين ، ولو اتبعت كل أسرة هذه المـــنهجية لانتهت كثير من المشكلات، وماتت في مهدها ، ولقُضي على كثير من الخلافات قبل تصعيدها ، ولتصحح المسار عند أول انحرافٍ عنه قبل التوغل كثيراً وقبل الابتعاد كثيراً عن نقطة الالتقاء وبالتالي تصعب العودة وتسوء النوايا، وتغلب إساءة الظن على هذه العلاقة.

ومـــا طلب القرآن الكريم ودعا إلى هذه المواجهة دون تدخل أحد إلا "رغبة فـــي أن تكون أولى مراحل الحلول هي مكاشفة أحدهما للآخر، ومحاولة كل منهما أن ينقي جو ما يبدو من خلاف بينهما في عزلةٍ عن غيرهما" [١] وأيضاً لأن النفس عـــند المواجهـــة مـــع الانفراد تكون أقرب لقول الحق ورؤيته، بينما في المجالس العامة أحياناً ما تكون المغالبة بالباطل والحياد عن الحق.

المرحلة الثانية : مرحلة التحكيم :

قـــال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [٢]

وهـــذه مرحـــلة أخطـــر من سابقتها، فالخلافات كثرت، والمشكلات صبَّحت الأســـرة ومسَّتها حتى فشا أمرها ، وذاع سرها ، وخرجت أخبارها، واتسعت هوة الشـــقاق بين الزوج والزوجة، وهنا يبرز القرآن مرة أخرى بمنهجه المتفرد غير المســـبوق ومعـــه حلٌ آخر لمرحلة أخرى، يتناسب مع مستوى الخلاف الطارئ ، ويـــتكافأ مع خطورة الموقف لإنقاذ صرح يوشك على الانهيار، وحماية كيان يهدده الـــتمزق، (فابعثوا) فلا يستدعى الزوجان، وإنما الأمر أخطر من ذلك، وأسرع منه، فكأنـــه مكان حريق ولابد من انتقال سريع لقوات الإطفاء الطارئة للقضاء عليه في مهده، وإخماده قبل أن يستفحل خطره ويتعدَّى ضرره.

---

(١) الإسلام في حياة المسلم – د/ محمد البهي ، مصدر سابق، ص٣١٦.

(٢) النساء ٤/٣٥

ومنهج القرآن -هنا- ورغم خطورة الموقف حريص على السرية ، فالحكم من أهله وأهلها ممن يهمهم أمر الزوجين، وممن يحرصون على استمرار حياتهما، وممن يتكتمون على أسرارهما فهذه مرحلة قد اتسعت فيها الدائرة شيئاً ما، فالأولى دائرة الزوجين، والثانية دائرة الحكمين، والحكمان بدورهما يذكّران بالمحاسن ، ويخوفان من الله، ويبصران بالعواقب، ويلطّفان الجو الملتهب ، وكم من مشاكل حُلت بدخول هؤلاء العقلاء وأسرٍ كانت قاب قوسين أو أدنى من الطلاق فاستقام أمرها، وحَسُنت مسيرتها.

ويُظهر هذا المنهج حرص القرآن على الوفاق حتى ولو بدخول الأقرباء فالغاية العظمى والهدف الأسمى يهون كل ذلك حماية للأسرة، وصيانة لبقائها ورحمةً بأفرادها، وبالمجتمع كله من حالات الشتات والتفرق.

المرحلة الثالثة : الطلاق :

جاء ذكره في كتاب الله ﷻ صريحاً وضمنياً ، لما له من حكمة تترتب عليها مصالح العباد رغم مرارته ولأنه أحياناً ما يكون رحمة إلهية إذا جاء في مكانه واستُعمل حسب الحاجة إليه - كما سيتضح فيما بعد.

أولاً : الصريح من الآيات

١- قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

٢- قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (٢).

٣- قوله تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾(٣).

٤- قوله تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾(٤).

٥- قوله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

---

(١) البقرة ٢/٢٢٧.

(٢) البقرة ٢/٢٢٨.

(٣) البقرة ٢/٢٢٩.

(٤) البقرة ٢/٢٣٠.

سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[١].

٦- **قولـــه تعـــالى** ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾[٢].

٧- **قولـــه تعالى** ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٣] .

٨- **قوله تعالى** ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٤] **وغير ذلك من آيات**[٥].

هـذا الحشـد مـن الآيات التي تتكلم عن الطلاق إنما هو دليل على اعتناء القرآن الكريم بهذه الحالة التي قد تكون إحدى المحطات الإجبارية التي يتوقف فيها قطار الأسرة دون مواصلة رحلته لذلك كان كل هذا الاهتمام الملحوظ.

وموضوعية هذه الآيات تدول حول : -

١ ـ إقـرار مـبدأ الطـلاق : إذ يكـون حلاً أخيراً ومخرجاً ختامياً من الضرر الواقع على أحد الزوجين أو هما معاً ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[٦] "أي بعـد المـرة الأولى، فالثانية يكون الأمر: إما إمساك في إنسانية وتهذيب، وإما مفارقة وتسريح في إنسانية وتهذيب كذلك"[٧].

وهـذا التشـريع مفصـل على حالة الأسر التي تتنكب الطريق، وتتعثر في مسـيرتها، فيكـون لها مرتان، منفصلتان، كمحطتين للمحاسبة والمراجعة والنظر والتروي، وبعدها يقرر الزوج رأيه على بصيرة وبينة فإن كان مستمراً فبالمعروف والمـودة والإكـرام، وإن كـان مُسَرِّحاً فبالإحسان الذي هو من شيم المؤمنين إذا

---

(١) البقرة ٢/٢٣١.

(٢) البقرة ٢/٢٣٢.

(٣) البقرة ٢/٢٣٦.

(٤) البقرة ٢/٢٣٧.

(٥) انظر البقرة ٢/٢٤١ ، الأحزاب ٣٣/٤٩ ، الطلاق ٦٥/١ ، التحريم ٦٦/٥.

(٦) البقرة ٢/٢٢٩.

(٧) منهج القرآن في تطوير المجتمع ، د./ محمد البهي، مصدر سابق، ص٤٠.

تـــزوجوا أو طـــلقوا، وهاتان المرتان إنما هما رحمة من المشرع ﷻ بعباده ، فلا أبدية في عقد الزواج ، ولا -أيضاً- تشنج وتلاعب بقدسية هذا الميثاق الغليظ، فله كل احترامه وسائر وسائل الحماية، مع إعطاء فرصة الإنهاء إذا لزم الأمر.

وواضح في منهج القرآن في ذلك أنه وإن أباح الطلاق إلا أنه لم يبح سوء الأخـــلاق أو تصفية الحساب ، أو الانسياق وراء الهوى في العداء أو الإضرار أو الإذلال لـــلزوجة إن أمسكها ، أو المنّ عليها لهدر كرامتها، وطعن إنسانيتها، وإنما الأمـــر محفوف بأخلاق المؤمنين الذي يعاملون بالحسنى ، ويعاشرون بالمعروف ، ولا يجحدون العشرة الطيبة والمنطق الرفيع في سائر الأحوال.

٢ـ بيـان عـدة المطلقة : - قـــال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[١] .

ثلاث حيضات بثلاثة أشهر ، للتأكد أولاً من براءة الرحم من الحمل، وثانياً : لإعطـــاء فرصـــة واســـعة لـــلمراجعة والتفكير المتأني ، وهذا من عظمة المنهج القرآني، إذ لم يطلب من الزوج أن يتخذ قراره ويتحمل مسؤوليته في لحظة وإنما أمهلـــه هـــذه المـــدة، فالنفوس تهدأ والجراح تندمل ، والأكدار تزول ، والمصالح تـــرجح والأيـــام كفيـــلة بالعلاج، والمرء يحتاج إلى ساعات أو أيام لتبرد أعصابه ويهدأ جنانه، فكيف وهذه أشهر ثلاثة يكاد ينسى الإنسان فيها الإساءة ويفكر بتعقل دون ندمٍ يتبع قراره الذي سيأخذه ، فإذا ما راجع زوجته قبل انقضاء العدة فلا منة له عليها، ولا جميل له قِبلها، لأن الذي أعطاها هذا الحق هو الله في كتابه ، وكما تزوجها بتشريعه ، طلقها بتشريعه، وراجعها بتشريعه، وهذا يزيد المسلمة تمسكاً بكـــتاب ربها، ويزيدها حفاظاً على حق زوجها عليها ، كما ألزم الزوج -قبل ذلك- بالمعروف إذا أمسك وراجع فالكل مستظلٌ بمظلة القرآن وآوٍ إلى حصنه الحصين.

٣ - كـرم الخـلق في اسـتخدام الطـلاق: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

---

(١) البقرة ٢/٢٢٨.

ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[١] فـليس معـنى أن الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة أن يتعـنت قاصداً الإضرار برفيقة حياته، كمن يطلق ثم إذا قاربت العدة على الانتهاء أمسـكها لا حـباً لها ولا رغبة في معاشرتها، ولا احتياجاً إليها ولكن ليحول بينها وبين زواجها بغيره كبعض الجهلاء الذي يحسبونها معركة ويريدون أن يفوزا بها وأن يخـرجوا مـنها بأقل الخسائر وأكبر الغنائم، فالأمر إنساني صرف، كلما كان الأزواج على مستوى عالٍ فيه عكس ذلك حال المجتمع قوةً وإنسانيةً ونقاء، وكلما كثرت حالات النزاع والشقاق واتسعت جبهات الصراع العائلي بين الزوج وزوجته وأهلـه وأهـلها وعائلـته وعائلـتها كـلما سرت في المجتمع القطيعة والبغضاء والضـغينة كما تسري النار في الهشيم ، ويا بؤس أولاد هذا حال أبويهم فهم بين أبويـن متباغضـين، وأعمـامٍ وأخوالٍ تأججت نار الخصومة في قلوبهم ، وفرقت بينهم وجعلتهم شيعاً فكان من منهجية القرآن في البناء الاجتماعي ، ومن حرصه على سلامة هذا البناء تحذيره الشديد بأن من يفعل ذلك فهو ظالم لنفسه مهلك لها، مخرجها من رضا الله ورحمته وإذا ما خاف الزوج ربه ، وأحسن لزوجه في جميع الأحوال ممسكاً أو مسرِّحاً فمن أين ستأتي العداوات التي تفرق بين العائلات وتبقى سنوات حتى بعد انقضاء الأمر وذهاب كلٍ إلى سبيله؟!

٤ - **الحاجـز الصـعب أمام الزوج** : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾[٢] فـلو سـهل عـلى الزوج تطليق زوجته مرتين وراجعها . لصـعب عـليه -جداً- تطليقها الثالثة وهو يعلم -في ضوء القرآن الكريم- أنها لا تعـود إليه، وإذا أراد فلا يحقق ذلك إلا إذا تزوجت بغيره، وعليه حينها أن ينتظر وفـاة الزوج الجديد ، أو يؤمل طلاقها منه بعيداً عن الحيل التي حذر منها رسول الله ﷺ بقوله : "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلِّل، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له"[٣]

---

(١) البقرة ٢/٢٣١.

(٢) البقرة ٢/٢٣٠.

(٣) رواه ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب المحلِّل والمحلَّل له ، ج١ ، ص٦٢٣ رقم ١٩٣٦، وأبو داود، كتاب النكاح ، باب في التحليل ، ج٢ ص ٢٣٤ ، رقم ٢٠٧٦، واللفظ عند ابن ماجه.

وفـــي ذلك من المشقة النفسية ما يفوق الاحتمال على راغب في زوجته محب لها. وفيـــه ســـد مـــنيع وحاجز يصعب اجتيازه على الكثير ، لذلك سيفكر الأزواج قبله طويلاً ، وهناك أزواج طلقوا مرة أو مرتين ثم سارت حياتهم على ما يرام لإدراكهم لعاقـــبة الـــتمادي في طريق الطلاق ومعرفتهم بما يترتب عليه بعد ذلك وهذه نعمة حملها القرآن إلى أهل الأرض ، ورحمة ساقها إلى بيوت كثيرة بحزمٍ وقوة وزجرٍ لكـــل مســـتخفٍ بالحياة الزوجية ، لاعبٍ بحقوقها، وهي -أيضاً- رحمة بالمجتمع حيث أعفاه من كثير من حالات الطلاق والبؤس المترتب عليها لو كان الأمر سهلاً هيناً.

٥ - **حقـوق المطلقة** : لها حقوق مشروعة سواء مدخول بها أو لم يدخل بها وهنا حماية لهذه المرأة المنكوبة والتي وقع عليها ضرر اجتماعي معين لذلك كفل القـــرآن حقوقها وفصَّل ما لها ، ودعا الأزواج للوفاء والتعامل بالفضل وهو فوق العـــدل فقـــال بعد آيات الطلاق ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١].

فهنا -والسياق في مجال الفصل في حقوق والقضاء في نزاع- جاءت هذه الكلمات الأخيـــرة في تلك الآية "مَعْبَرَةً ذهبيةً وُضعت في وقت الحاجة إليها بعد أن استطال الحديـــث فـــي تفصـــيل الحقـــوق والواجبات المنزلية ، معبرةً جئ بها لتنقلنا من ضوضـــاء المحاســـبة والمخاصمة إلى سكون المسامحة والمكارمة فكانت معراجاً وســـطاً صـــعد بنا إلى أفق أعلى تمهيداً للعروج إلى الأفق الأعلى"[٢] أي إلى حالة الســـكينة والطمأنيـــنة فـــي الصلاة حال الوقوف بين يدي الله ﷻ خروجاً من هذه الشـــؤون الصـــغرى الأرضـــية إلى شـــؤون أكبر حيث قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٣] فقـــد كـــفى من حديث عن الأهل

---

(١) البقرة ٢/٢٣٧.

(٢) النبأ العظيم ، د./ محمد عبدالله دراز ، مصدر سابق، ص٢٥١.

(٣) البقرة ٢/٣٨.

والولد والزوج وافتحوا أذهانكم لقضايا أكبر وأرحب وأهم ، صلاة وجهاد[١]

٦ - الطلاق ليس معرة اجتماعية:

رغم كل الاحتياطات الموضوعة لتحول دونه ، ورغم ما يسبقه من وسائل إصلاح بين الزوجين سوياً ، أو بإرسال حكمين إليهما، ورغم كل الوصايا والتعليمات القرآنية والنبوية بالمعروف والإحسان وعدم الإضرار ، رغم كل ذلك فلو وقع وحصل فليس معرةً اجتماعية، وليس سوءة يستحي منها صاحبها ، كما أنه ليس منقصة في حق الزوجة المطلقة فلها الإكرام والاحترام ، ولها حق الزواج وبدء حياة أسرية جديدة وقد تكون موفقة.

فالرسول ﷺ وهو تاج رأس البشرية جمعاء، وغرة جبينها الوضاء، خوطب بقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾[٢] ونساؤه وهن الأعلى مقاماً والأطهر فروجاً، والأشرف سيرة، والأتقى سريرة خوطبن بقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[٣] والرسول ﷺ طلق ، وتزوج مطلقات، فلا حرج ، وهذا من جوانب العظمة في منهج القرآن ، الذي يقف حارساً أميناً لبيت الزوجية، ويوصي كلاً من الزوج والزوجة بالإحسان وأداء الحقوق، ويميل بهما إلى التريث والمثابرة حتى في حالة الكراهية[٤] ويأتي بكل سبب يؤدي إلى استمرار هذه الحياة ،ويشرع الطلاق بأسلوب يمنح النفس فرصة الاستدراك قبل فوات الوقت ، ومع كل ذلك يتعامل مع الطلاق كظاهرة اجتماعية لابد من وقوعها ، فيكرم أصحابها ، ويرفع الحرج عنهم ، ويفتح باب الأمل الباسم أمام من لم يوفق مع امرأة معينة وأمام من لم توفق مع رجل معين فليس معنى عدم التوفيق في تجربة أن العالم قد انتهى، وأن الدنيا قد أظلمت، ولهذا الأداء القرآني في سلامة المجتمع نتائج باهرة تجنبه العقد النفسية، والأمراض الاجتماعية التي قد تخلفها تجربة زواج فاشلة، أو

---

(١) انظر النبأ العظيم ، د/ محمد عبدالله دراز ، مصدر سابق، ص٢٥١ ، ٢٥٢.

(٢) الطلاق ٦٥/١.

(٣) التحريم ٦٦/٥.

(٤) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٥٩٧/٦.

حالة اقتران غير موفقة.

٧ - **سياج التقوى** : تخلل الكلام عن الطلاق وأحكامه والوصايا الذهبية ، والبشارات الربانية والإغراءات القوية بتقوى الله ﷻ ولا عجب، فالنفوس في حالة الزواج مقبلة ولكنها في حالة الطلاق مدبرة، وهي في حالة الزواج راغبة ولكنها وفي وقت الطلاق زاهدة وهي في ظل الزواج تموج صفاء ولكنها في حالات الطلاق تصفي الحساب، فهي أحوج إلى التأكيد على التقوى والفضل والإحسان ، وهي في حاجة إلى إغراء يعلو صوته على صوت الهوى والثأر والانتقام فجاء هذا الصوت هكذا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ وهكذا ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ وهكذا ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾[1] .

تقف هذه الآيات بمنهجية مدهشة أمام الأزواج وهم يطلقون ، فإن أراد الزوج ظلماً أو بغياً ، أو إساءة أو تجريحاً أو إفشاء سرٍ أو أكل حقٍ أو بخس شئ ردعته، وأرهبته ، وأيضاً بشرته بعظيم الأجر وجميل الذكر، وواسع الرزق والنماء من الله سبحانه.

القرآن حريص كل الحرص على أن ينسحب كل من الزوجين من حياة الآخر بسلام وداعة كما التقيا بحبٍ وشغف، لتبقى الصدور نظيفة، والقلوب طاهرة ، والإيمان بقضاء الله وقدره هو الفيصل في الأمر فما قدره الله كان ، وما أراده وقع فاللقاء بمشيئته والافتراق بمشيئته وحكمته ، فلا داعي -إذن- لتحول الوداد عداء، والإحسان جفاء.

ثانياً : الضمني من الآيات :-

والقرآن الكريم إذا صرح بآيات الطلاق التي سبق الكلام حولها أشار في غيرها إلى حالات الانفصال بمغزىً تربوي يربي عليه المؤمنين لترتاح نفوسهم ،

---

(١) الطلاق ٦٥/ ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

وتستكين قلوبهم معتصمة بالله راضية بأمره ، وأيضاً ملتزمة بحدوده راهبةً من مخالفته ومن ذلك-

١ - قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾[1] أمر بكف النفس عن الطمع في حق هذه المطلقة، وتخويف من أكل حقها ، وتذكير بالميثاق الغليظ ، ودندنة حول مروءة الرجال وطبائع الكرام.

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾[2] طمأنة لخاطر الطرفين بأن الله قادر على إغناء كلٍ عن الآخر، وأن باب الأمل مفتوح لم يُوصد، ففي الرجال من تجد حظها معه، وفي النساء من يسعد بعشرتها، وهذا الوعد الذي يتهادى تهاديَ الماء الرقراق ينقل الأنفس من أجواء السخط والضيق إلى آفاق الثقة واليقين في القادم من الأيام ، ويشجعها على أن تتأدب بأدب الله وتلتزم بالأخلاق الكريمة التي أشير إليها فيما سبق ، ويخجلها أمام ربها من كل نزوة فكرت فيها بالإساءة إلى الطرف الآخر ، وطمأنة لهما أن الله لن يتخلى عنهما ولن يخذلهما في مستقبل أيامهما ما داما قد لزما حدوده وانصاعا لأمره برضىً وتسليم وطاعة وإذعان ، ويرشد الجميع ألا يجبروا الزوجين على الاستمرار إذا استحالت الحياة فالطلاق في صالح الجميع ، الزوج والزوجة والمجتمع.

ثالثاً : أسباب تفشي ظاهرة الطلاق:

أسبابه كثيرة ، ومتنوعة ، تنوع المكان والزمان، قد تكون منطقية أحياناً ، وغير منطقية أحياناً أخرى ، قد تكون كافية في حالة ، وتافهة في حالات كثيرة، قد يكون دواءً لعلةٍ لابد منه أحياناً ، وقد يسرف البعض في تعاطيه بلا أسباب تبرر ذلك ومن أبرز أسبابه ما يلي : -

---

(١) النساء ٤/٢٠ ، ٢١.

(٢) النساء ٤/١٣٠.

١ - **اختلاف الطبائع** : فالناس طبائع شتى ، منها ما يتآلف ويتناغم وينسجم مع الغير ، ومنها ما يتنافر ويتصادم ويتواجه ، والرسول ﷺ قال : "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[١] ولكن الإيمان يجمع بين الحد الأدنى من التوافق وينميه ويكبره ، فتكبر الإيجابيات ، وتتضاءل السلبيات وفي غياب ذلك الحس الإيماني ينفر الطبع من الطبع، وسبحان من جبل القلوب على المحبة والكره، وعلى القبول والبغض ، وأحياناً ما تكون هذه المشاعر دون أسباب ملموسة تذكر ، لكنها أشياء في النفس يحسها صاحبها تجاه شخص ما ذكراً كان أم أنثى ، والعقلاء يغلِّبون المصالح على المفاسد ، وينظرون في العواقب ، فيفكرون في هدم بيت وتشريد طفل ، ويحاولون دفع عجلة حياتهم بتعقل للأمام بشئ من التنازل والتغاضي ، بعدما فهموا أن التوافق الكامل التام شئ مستحيل فلا مفر من التقارب بعد التنازل.

وإذا كان ولا بد من الطلاق بعد محاولات التكيف والحياة فسيكون في أضيق الحدود وسيكون بنسب غير مزعجة ومقلقة بسبب ما يترتب عليه ، ولربما كان للثقافة واستنارة العقل دور في تقليص هذه النسبة ، إذ بالفهم يرتقي الإنسان وتتغير نظرته للحياة ويستطيع أن يدرك حقائقها وجوهرها بدلاً من الضحالة والسطحية التي تستغرق صاحبها في التركيز على المظاهر فقط.

٢ - **مخالفة الشرع عند الاختيار** : فلم يختر صاحبة الدين التي تعرف حق الزوج ، والتي تدرك رسالتها الهامة في طاعة الرجل وتربية الأولاد وصيانة المنزل وحفظ الحرمات ، ولكن هذا الزوج اتبع الهوى ، فلما فتح عينيه على الحقيقة المرة زهد فيها ، ودب النزاع والخصام ، وخصوصاً عندما تكون الزوجة غير مستعدة للسماع والتعليم والتغير للأحسن لذلك تقل حالات الطلاق والشجار وسط من ابتغوا الشرع في الاختيار والزواج ، فحياتهم تمر آمنة وادعة في غالب الأحيان لأن أساسها التقوى وأنعم به من أساس.

---

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة، ج٤ ص٢٠٣١ رقم ٢٦٣٨.

٣ - **عدم الإنجاب** : سواء من الرجل أو المرأة ، فأحياناً ما يكون ذلك سبباً في الطلاق ولو كان من الزوجة فللزوج أن يتزوج بأخرى ، ولكن غالباً ما ترفض الزوجة ذلك لجهلها وضيق أفقها ، أو لعدم ثقتها بدين الرجل وعدله ، وإذا كان السبب عند الرجل فأحياناً ما تطلب المرأة طلاقها لتجد فرصة الإنجاب من زوج آخر ولتكون أماً ، وربما كانت هذه الحالات من أهدأ حالات الطلاق لأنها -غالباً- تتم بلا مشكلات أو شقاق فالذي عنده السبب يعلم أنه من حق الآخر أن يبحث له عن فرصة في الإنجاب وابتغاء فضل الله تعالى.

٤ - **الوسط الاجتماعي وضغوطه** : - كأهل الزوج وأهل الزوجة ، وخطورة تدخلهم في شؤون الزوجين ، وكم من أسرة سكن عائلها مع أهل زوجته - فضغطوا عليه ، وتدخلوا في شأنه ، وأفسدوا عليه امرأته ، وتسببوا في قيام المشكلات بينهما وانحازوا هم لابنتهم فطلقها زوجها بعد فاصل طويلٍ من المشكلات التي ربما بلغت المحاكم وسمع بها البعيدون ، ويكون الطلاق إفرازاً لأوضاعٍ اجتماعية خاطئة ويكون الزوجان هما الضحايا لهذه الأوضاع.

٥ - **البعد عن التصور الإسلامي** : فإدراك قدر الميثاق الغليظ، وإدراك قدسية عقد الزواج ، وتصور الرسالة الأسرية المنوطة بهذه الأسرة ، وتحمل مسؤولية إنجاب أبناء وإحاطة الزوج بدوره ومسؤوليته عن رعيته ، وخطورة مكانه في الأسرة وإدراك الزوجة لحق زوجها عليها ومساءلة الله ﷻ لها عن هذه الواجبات وفصلها بين حقوق والديها وحق زوجها ، وفهمها لمخططات أعداء الإسلام لتدمير الأسر بإشاعة حالات الطلاق ، وإفساد ذات البين، وتشريد الأولاد ، وزيادة أعداد المطلقات في المجتمع ، هذا الفهم إذا افتقده الزوجان يعم الجهل والسطحية والحمق والسفه، فإذا التقليد والإمعية، واتباع الهوى والأنانية والنظر للآخرين والغفلة عن مغبة الطلاق وعن الأضرار البالغة التي تلحق بالأولاد نفسياً ومادياً ، فتتصعد المشكلات في هذه الأجواء وتزداد ضراوة يوماً بعد يوم وتظل العلاقات تتوتر وتزداد سوءاً حتى تصل إلى طريق مسدود وعندها يكون الطلاق الذي يجب ألا "يتعاطاه المجتمع إلا بالصورة التي أرشد إليها رب العزة سبحانه"[١]

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع - د./ عبدالفتاح عاشور ، مصدر سابق ، ص٣٣٠

أي فـــي أضيق الحدود ، وبعد استنفاد وسائل الإصلاح الشرعية اللازمة ، واليأس من استمرار الحياة ، وأيضاً مصحوباً بمكارم الأخلاق المنصوص عليها.

٦ - **الـزوجة الـثانية** : فالأصل التعدد -كما سبق بيانه- لكن انحراف الزوج عـــن منهج الله ، ومحاولته الاستفادة بتشريع التعدد بينما لا يُلزم نفسه بالعدل الذي هـــو واجب فإذا به يتحيز للزوجة الجديدة، فينفق عليها ، ويفضلها ويكرم أبناءها ، ويهمـــل الأولى ويضـــيعها وأبـــناءها ، فيدفـــع هذا الظلم الفاحش هذه الزوجة لطلب الطـــلاق، أو قـــد تكون الزوجة الأولى بجهلها وضيق أفقها لا تتحمل أن يعدد زوجها فـــإذا أراد الـــزواج هددته بطلب الطلاق، وقد تكون معذورة لكثرة ما رأت من حالات الـــزواج الثاني الذي ترتب عليه تضييع الزوجة الأولى والإضرار بها، وهنا يأتي دور الـــزوج المســـلم الـــذي يهيئ زوجته الأولى وينمي عندها الحس الإسلامي والإدراك الفقهي لأبعاد التعدد، وأيضاً يشعرها بالاطمئنان على حقوقها ، ويؤكد لها أن القادمة لـــم تـــأت لتقتسم معها حقوقها ، كلا ، وإنما حقوقها محفوظة ، حفظها لها من أباح الـــتعدد، وحفظهـــا لها الكتاب الذي تُتلى فيه آيات التعدد وحفظها لها الزوج المسلم الـــذي يرجو لقاء ربه ويخشى عاقبة الظلم، وحفظها لها المجتمع الذي ينظر لقضية التعدد نظرة شرعية معتدلة ، ويقوم بتقديم المحاضرات والخطب والبرامج والشرائط الإســـلامية ، والـــلقاءات الفكرية حول هذه القضية بحث تتكون لدى المسلمة القابلية لهـــذا الأمـــر، والألفة له ، فلا يكون مستغرباً إذا حدث أو تم وأيضاً يأتي دور الحاكم المســـلم الذي يلزم الزوج المعضل الظالم الذي أهان الأولى أو أهدر حقوقها فيضرب عـــلى يـــده وبالـــتالي يطمـــئن الناس أنهم في مجتمع يرعى أسرَه ويصون الحقوق لأصحابها، ويقف في وجه الذي يحيف أو يظلم، كل هذا وسواه سيخفف من حدة هذه المشـــاعر ، وســـيعيد الناس شيئاً فشيئاً إلى مشاعر المجتمع الأول في صدر الإسلام عـــندما كـــان يـــنزل أفـــراده على أحكام ربهم ، ويُسلِّمون لأوامر القرآن ، فيعددون ويعدلـــون، ويعـــددون ولا تعـــترض أزواجهـــم، ويُطَلِّقون ولا يظلمون وإذا أمسكوا فـــبمعروف ، وإذا سرحوا فبإحسان، كل ذلك من أخلاق القرآن والناس في حاجة إلى العودة إليها عملاً لا قولاً ، كما أبانها القرآن ودعا إليها ورغب فيها لتدب العافية في حياة المجتمعات الإسلامية كما أراد لها الله.

رابعاً آثار الطلاق الاجتماعية:

١- إضـــعاف البـــناء الاجـــتماعي في المجتمع المسلم لتكرار هذه الحالات ونشأة خلافات بين بيوتٍ وعائلات، قد تمتد حتى بعد الطلاق والانفصال.

٢- الصدمات الحادة على أنفس الأبناء حيث يحارون مع من يكونون مع أب أو أم وخاصة إذا ابتلوا بأبوين أنانيين كل منهما يبحث عن صالحه ومصلحته.

٣- سوء المستوى التربوي للأبناء فبعضهم يكون مستعداً للانحراف والإجرام في غياب حضن البيت الذي يضمهم، والعش الذي يأويهم، وأيضاً في غياب أسرةٍ بمعناها المعلوم حسياً ومعنوياً.

٤- ارتفـــاع عدد المطلقات من النساء ، والمطلقين من الرجال وبقاؤهم بلا زواج لخوفهم من إعادة التجربة كرد فعل للزواج الأول الفاشل.

٥- ســـوء النظرة الخاطئة إلى المرأة المطلقة ، وهذا قصور اجتماعي ، فكثير من الشـــباب مستعد أن يتزوج بفتاة بكر، أو بأرملة مات زوجها ولكنه يفكر كثيراً قـــبل أن يقبل بالزواج من مطلقة، وقد سبق القول في ذلك ، أن الطلاق ليس دليـــل سوء في الزوجة أو الزوج على الإطلاق ، فقد يكون عدم التوافق ، أو تدخـــل الأهـــل...إلـــخ. لذلـــك فالمجـــتمع يحتاج توعية عبر برامج ولقاءات ومحاضرات وغيرها ليغير نظرته إلى هذه الشريحة من المجتمع.

٦- تتســـبب حالات الطلاق في المجتمع إلى عزوف الكثير عن الزواج من الرجال أو النســـاء خوفاً من خوض التجربة ورهبة من المصير نفسه وهذا دليل تأثر المجتمع كله بما يحدث فيه.

٧- ازدحـــام المحاكم في البلاد الإسلامية بملفات الطلاق أو الخلافات الزوجية ولو اتـــبع الـــناس شـــرع ربهم في الطلاق لاستراح المجتمع من هذا العناء وتلك الآفات.

٨- تســـببت حـــالات الطـــلاق الكثيرة في تعنت الأولياء في تزويج بناتهم بإغلاء المهور واشتراط المؤخرات الخيالية كل ذلك لعدم ثقتهم بالأزواج تأثراً بحالات فشل الزواج التي استشرت في المجتمع.

* * * * *

المبحث الثالث

أبناء وآباء في القرآن

إن جميع ما يبسطه القرآن الكريم هادف ، وكل ما يعرضه بين دفتيه مقصود لتعليم أو تأديب أو تربية أو تشريع فهو كلام الله ﷻ وكل آية بل كل كلمة بل كل حرف منه له مدلوله ومقصده الذي نزل لأجله.

وإذا كان البحث معنياً بالكلام عن الأسرة ، والأبناء وتربيتهم، فمناسبٌ أن يتوقف الإنسان متأملاً ما دار بين الأبناء وآبائهم في القرآن الكريم التماساً لفائدة ، وطلباً لعبرة، وتتبعاً لحكمة أريدت من وراء هذا السياق في القرآن بين هؤلاء الأبناء وهؤلاء الآباء فهي أسر، وهذه العلاقة التي ظهرت بين الأبناء وآبائهم في القرآن إنما هي جانب من الجوانب الأسرية ، وحريٌّ بمن يتتبع منهج القرآن في البناء أن يتوقف عند هذه المعاني.

أولاً : إبراهيم عليه السلام وأبوه :

السياق القرآني : قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾[1] وفي هذه الآيات الكريمة كنوز في البناء الاجتماعي مهداه لجميع الأسر، وخصوصاً الأبناء فهذا موقف ابنٍ من والده الكافر، وكل من يقرأ السياق لن يجد صعوبة كبيرة في أن يلمح هذا السموّ الأخلاقي في حوار الابن مع أبيه، ومخاطبته له وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن

---

(١) مريم ١٩/٤١-٤٧

إشـــارة[١] والقرآن إذا يعرض ذلك يقدم نموذجاً حياً للأبناء حتى لا تكون التعليمات القـــرآنية مجـــرد أوامـــر ولكن ها هو ذا ينقل لهم مشهداً حياً يترجم ما أراد ومن ذلك:-

١ - ثـــناء الله ﷻ على إبراهيم عليه السلام قبل أن ينقل لنا ما دار بينه وبين أبيه دليل على رضاه ﷻ بما قام به وبالأسلوب الأمثل الذي نهجه والطريقة التي اتبعها مع هذا الأب الكافر ، وليت الأبناء يلتفتون لذلك ويتعلمون من إبراهيم عليه السلام

٢ - تفصـــيل الله ﷻ لنا لكل ما دار بينه وبين أبيه سؤالاً وردًّا ، دليل على أن في ذلك حِكَماً وعبراً يجب ألا تغيب عن الأبناء مع آبائهم، أو الدعاة مع عامة الناس حيث يشهدون أدب الحق أمام سَفَه الباطل ، وقوة الحق أمام انتفاش الباطل وقبل ذلك يشهدون قلب الابن يذوب على أبيه خوفاً وحرصاً ، ولسانه يتفانى دعوة ونصحاً ، وأسلوبه يفيض عذوبة ولِيناً ، وبنوته تتفجر براً وإحساناً .

٣ - لفظـــة (يَـٰٓأَبَتِ) بكـــل ما تحويه من معاني الاستعطاف والتقرب والبر والاحترام مع أبٍ كافر ومن باب أولى فأي أبٍ عاصٍ أو مقصرٍ ، أو مضيعٍ لبعض أمـــور ديـــنه هـــو أولى بهذا الحنان الدافق من ولده ، وهذا الأسلوب الوقور في خطابـــه، وأيضـــاً هذا الحرص العجيب على هدايته والأخذ بيده دون إشعاره بفضل ولـــده عـــليه، أو تميزه عنه بل لا يزال ولده الذي يقول (يَـٰٓأَبَتِ) ولا يزال هو أباه محل الاحترام والتبجيل.

وهنا يبني القرآن في أنفس متبعيه وقارئيه والمؤمنين به والمتأدبين بآدابه مـــلكة تخيُّـــر اللفظ الحَسَن،كما علم رسول الله ﷺ الأمة ذلك بقوله : "لايقولن أحدكم خَبُثَتْ نفسي ولكن ليقل لقست نفسي"[٢] عـــلماً أن لقست وخبثت بمعنى واحد، وإنما كره معنى الخبث لبشاعة الاسم وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها ، وهجران

---

(١) انظر قصص الأنبياء ، ابن كثير ، تحقيق د/ مصطفى عبدالواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة ، الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١٥٨/١

(٢) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الأدب ، باب لا يقل "خبثت نفسي" ، ج١٠ ، ص٥٧٩ ، رقم ٦١٧٩، ومسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة قول الإنسان "خبثت نفسي" ، ج٤ ، ص١٧٦٥، رقم ٢٢٥١.

خبيثها، وخبثت أي ضاقت[١] .

وهـذه الـتربية ترتقي بالأجيال وتنمي لديهم ملكة الإمساك بمفتاح القلوب، وملكة مكارم الأخلاق والمحاولة الهادئة لإنقاذ النفوس الحائرة والقلوب الضالة إلى الـنهج القويـم، وفـي أحيان كثيرة قد يصعب على الآباء تقبل نصح الأبناء لذلك فالأمر يحتاج مزيد لطف وكثير أدب ليتسنى توصيل النصيحة في مكانها، أو البلوغ بها إلى ذروة تألقها كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[٢]

٤ - (لِمَ تَعْبُدُ) ، بهـذا التـلطف الشديد، والتأدب العجيب، والعتاب الرقيق دون اتهـام لهذه المعبودات بشئ إلا بوصفها بصفاتها المشهودة والمعروفة ودون اتهام لهذا الأب بسفه أو ضلال أو زيغٍ ، ودونما إشعار لهذا الأب بإجرامه يوم كفر بالله، وعبد غيره، ودونما تحقير له أو انتقاصٍ منه أو سبٍ أو شتم أو مخاصمة.

والقرآن -هنا- يبني الأبناء على مواجهة الأخطاء ، والإيجابية في الحياة ، ومعالجـة القضـايا والـتدخل في شؤون الأهل بما يصلحهم وينفعهم مع الهدوء والأدب الـذي يضمن استماع الآباء لهم ، ولا يقطع خط الاتصال بينهم ، وكم من قضـية بيـن الابـن وأبيه تُفْتَحُ وتُغلق ويُنهى النقاش فيها قبل تمامها، بل وفي بدايـتها، لا لشـئ إلا لِلَفظٍ جارح، أو تعبيرٍ خادش ، أو مدخلٍ ساخن، أو استهلالٍ مُـنفِّر، وأحْـرى بالأسـر المسلمة أن تقتفي هذا الأثر، وتتعلم هذا الأدب ، كلٌ مع الآخـر، بل أحْرى بأفراد المجتمع المسلم كله أن يكتسبوا هذا الخُلُق ، فلا خصومة بيـن الأفراد ، إنما الخصومة بين الحق والباطل ، وفي الحق من جمال العرض ، وأسـلوب الطـرح ، ما يفرض على الباطل حُسن الاستماع، وهذا -إن تم- يكون الانتصـار في أولى الجولات، ولن ينتصر الحق فيما يلي إلا إذا انتصر في الجولة الأولى، جولة الاستهلال والعرض للقضية بهدوء قوي أو بقوة هادئة.

---

(١) هامش صحيح مسلم ج٤ ، ص١٧٦٥.

(٢) الإسراء ٢٣/١٧.

٥ - (مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا) فـليس الكـلام فضفاضاً إنشـائياً، وإنما حُجج ، وأدلة ، وبراهين، فالأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تغني ، ما ينكر أحد ذلك، وما ردَّ أبوه مكذباً إياه في ذلك، وما أجملَ هذا التعبير (وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا) إذن هـي البنوة الحانية ، وهو البر الغامر ، فإبراهيم عليه السلام يفتش عن صـالح أبيه، ويُبيِّنه له، وهو يريد ما يغني عنه شيئاً ، وما يدفع عنه ضراً ، وما يجـلب له نفعاً ، إذن هو في صف أبيه ، وليس ضده، وحيث إن الأصنام لا تغني شـيئاً فهـو لا يريدها لأبيه لأنه يحب أباه ويبحث عن مصلحته وإفادته وما يعود عليه بالخير والرشاد.

وهـنا -يبـني القـرآن - حياة المسلمين على هذا المبدأ ، ويبني أعضاء الأسـرة مـن الأبناء على بيان المنافع والمضار، ومعرفة الإيجابيات والسلبيات ، وتحليل القضايا واستنباط النتائج ، وإشعار الآباء بالحب الكبير ، واستخدام الحوار الراقي معهم بطرح القضايا وسَوْقِ الأدلة ، وتفنيد الحجج ، وبيان المساوئ ، هذه هـي موضـوعات الحوار لكن قوالبها التي تُساق فيها أدب في اللفظ ، وحياء في الأسـلوب ، واستجداء في صبرٍ، ونُصحٌ في إقناع ، ونصاعة في البيان، وسلاسة في العَرض، بما لا يملك أمامه الأب سوى الاستماع والتلقي دون مقاطعة.

٦ - (يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى) مرة أخرى يستهل بالكلمة الحانية التي معناها عظيـم وكأنـه يـريد أن يقول له : أنت أبي ، ولو خَدَعتُ الناس جميعاً فليس لي خداعك أنت لأنك أبي، ثم يخبره أن هذا علم أتاه ووحي جاءه، لأنه توقع أن أباه - الآن- يسـائل نفسه من أين كل هذا الكلام، من أين جاء به ، فقاله في ثقةٍ يطمئنه عـلى المصـدر الـذي يمـده بالعلم، ويطمئنه على صدق ما يحمله حتى يطمئن ويصـدق، ويـثق فيما يسمعه وهنا، يبني القرآن ويؤصل في الأبناء -مع ما سبق بيانـه- أموراً أخرى مع آبائهم وهم يدعونهم أو يناصحونهم ببيان أدلتهم وسوق حججهـم، ومـن ذلـك أمر دقيق قد يغفل عنه كثير من الأبناء ، وهو أن الابن قد يفـوق أباه علماً وفقهاً ودراية، وقد يصعب كثيراً على الآباء تَقَبُّلُ نصائح أبنائهم، فهـم مستعدون تقبلها من أي أحد إلا أولادهم ، لذلك فهذه الحساسية تحتاج مزيد

تقـــارب مـــن الابن لأبيه، ومزيد احترام وتوقير، ، وحكمة في الأسلوب تَرْفع عن الأب حرج جهله أمام ولده، والأبناء الصلحاء هم الذين يلتفتون لذلك ويتنبهون له ويستطيعون أن يُوقعوا آباءهم تحت تأثير كلامهم دون إشعار الأب بهذا الخجل.

٧ – (يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ) ولا يـــزال ﷺ ممســـكاً بالمفـــتاح الودود ويأبى أن يـــتركه ثـــم يقـــول لا تعبد، في الأولى قال (لم تعبد) ما كان ينبغي أن تعبد ، وفي الأخـــرى قـــال لا تعبد ، وإنها لعبارة تشف عن خوف وإشفاق وإعذار وتحذير مع وضوح وحسم.

–وهـــنا – يبني القرآن الأبناء على جرأة الكلمة ، وقوة النصيحة، فلا يمنع أن ينهى الولد أباه أو أمه، ما دام الأمر بيناً وثابتاً ، ما دام ملتزماً بآداب المخاطبة وأخـــلاق المحاورة ، فلا القرآن يريد الولد ساكتاً صامتاً سلبياً لا يتكلم ولا يتدخل ، ولا يغضب لله، ولا ينصح ، ولا يريده –في الوقت نفسه– فظاً غليظاً سليطاً محقراً مـــتعدياً حدوده، إنما يريد ما بينهما، يريده آمراً بمعروف ناهياً عن منكر ولو مع أبيـــه وأمـــه ، موجهاً لهما ، مفيداً لهما بما تعلمه واستفاده وعرفه، لكن بكل أدب وبرٍ واحترام، وهذا ما يبني القرآن الأبناء عليه تجاه والديهم.

٨ – (يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ) ، أي إن تمـــاديتَ في فعلك ، وعكفتَ على كفرك، وواصـــلت إعراضَك فأخاف عليك عذاب ربي، لقد نصح أباه أعظم نصيحة وأوضح لـــه بأفصح أسلوب إنه خوف الولد على أبيه، وكيف لا؟، وهو أبوه، وإشفاق الابن على من كان سبب وجوده في هذه الحياة،ويكاد المرء يشعر أن لفظة (أَخَاف) كأن العذاب سيمس إبراهيم ﷺ إذا مس أباه ، فيسأله ألاّ يعرضه لهذا العذاب، ولا زال ينـــبوع البـــنوة الحـــاني يترقرق في ساحة هذا الأب الجافي، ولا زال الابن يتقطع خوفاً وإشفاقاً على والده لأنه عارف لقدر نعمة الهداية فيريد أن يَسْعد بها أبوه.

وهـــنا يد القرآن البناءة تضع حُب الخير في الأبناء لذويهم بالخوف عليهم والإشـــفاق مـــن عذاب الله، بالحنو الدافئ، بالود غير المتصنع ولا المتكلَّف، بحمل الهم الدائم لهذين الأبوين، بالتفكير في شأنهما وعدم اليأس من صلاحهما.

٩ – وجاء رد الأب الجافي لا يتسق أبداً مع هذا الينبوع الرقراق من ولده،

لكـــنها حكمـــة الله البالغة، ومشيئته النافذة، أن يصد الأب عن كل هذا الكلام، وألا يؤخـــذ بمعانيه، إنَّ من يقرأه يتأثر به لكونه قرآنا، -وأيضاً- لقمة الأدب واللطف والصبر والإشفاق، لكن أبا إبراهيم هو الوحيد الذي سمعه كأبٍ من ولده فكان أولى بـــه أن يستجيب لكن ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1] وما أعرض الأب أو رفض فقط، بل هدد وتوعد وخاصم.

وهـــنا ليتعـــلم الأبناء أن الهداية بيد مالكها، وألا يَمنُّوا بنصيحة قالوها، أو حســـنةٍ فعـــلوها مع آبائهم وأمهاتهم، وألا يقنطوا من إعراض قابلوه ، أو صدودٍ واجهوه، أو سُوءِ ردٍ سمعوه، فمن أفصح من إبراهيم عليه السلام فيما قال؟ ومع ذلك كان هذا هو الرد عليه ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ وبعد هذا كله كان الإعراض.

١٠ - (قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ)، لـــم يغضـــب، ولم يقلب لأبيه ظهـــر المجن ولماذا يغضب، هل الدعوة دعوته؟ ؟ أم هل الهداية هدايته؟ ، أم هل الأمـــر بيـــده؟، كـــلا، إذن هي مكارم الأخلاق في البدء، ومكارمها في الختام، هي مكـــارم الأخـــلاق فـــي المصالحة ومكارمها في الخصام ، هي مكارم الأخلاق في القـــبول، ومكارمهـــا في الإعراض والإحجام، واستغفر لأبيه إلى أن نُهى عن ذلك ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[2] .

وهنا يعلِّم القرآن أبناء الإسلام هذا الخلق الرفيع من الصبر الجميل والصفح الجميـــل، والدعاء والاستغفار للوالدين ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[3] .

ثانياً : إسماعيل وأبوه - عليهما السلام[4]:

السياق القرآني : ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ

---

(١) الأحزاب ٣٣/٣٨.

(٢) التوبة ٩/١١٤.

(٣) الإسراء ١٧/٢٤.

(٤) انظر مدارج السالكين ، ابن القيم ، مصدر سابق ، ٣/٣٠ ، ٣١.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[1] .

وهذه حالة أخرى تجمع الأب وولده في أمر عظيم ليس بالهين، أمرٍ سماوي فيه اختبار شاق للإيمان عند الوالد وولده، اختبار تطيش له العقول، وتزيغ من هوله الأبصار إذ سأل الخليل عليه السلام ربه ولداً صالحاً، فبشره بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام حيث رُزِقه وقد بلغ عمره ستاً وثمانين سنة وهذا ما لا خلاف عليه بين أهل الملل [2] حتى إذا اشتد عوده واستوى و (بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ) بمعنى "شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه"[3] رأى في نومه أنه يذبح ولده، ورؤيا الأنبياء وحي وحق ، فعرض الأمر الجسيم على الولد الحليم، وفي قلبه من الخوف عليه ما الله به عليم، لكنها طاعة أولي العزم التي لا تقف أمامها عواطف ، أو تُعيقها مشاعر فعرض على ولده الأمر عرضاً لطيفاً رغم أنه أمرٌ إلهي لكنها حكمة الآباء وروعة الأنبياء ، فقال: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾[4] وهذا العرض الرقيق إنما "ليكون أطيب لقلبه ، وأهون عليه من أن يأخذه قَسْراً ويذبحه قهراً"[5] ومن ملامح البناء الاجتماعي في هذا الموقف العجيب ما يلي : -

١ - (فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ) وجوب تخفيف مرارة الحق بجمال العرض، ورقة اللفظ، أو تغليف الحقائق بغلاف اللين، في حُسن الطلب ونداوة الكلام، وإشعار الطرف الآخر أنه شريك في القرار ، وأن الأمر ليس قهراً أو قسراً فهذا مما تنتشي له النفس فتكتسب حماساً للقضية وشغفاً بالأمر ولو كان صعباً.

---

(١) الصافات ٣٧/٩٩-١٠٢.

(٢) انظر قصص الأنبياء - ابن كثير ، مصدر سابق، ١/١٩٠.

(٣) قصص الأنبياء - ابن كثير ، مصدر سابق، ١/١٩٠.

(٤) الصافات ٣٧/١٠٢.

(٥) قصص الأنبياء ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ١/١٩١.

وفـــي حيـــاة الآباء والأبناء والأسر عموماً ، كم من القضايا فيها من الحق والصـــدق مـــا يكفيها ، ولكن فقط تفتقر لهذا الأسلوب المشار إليه وهو الذكاء في عرضـــها، واللـــباقة فـــي طـــرحها ومســـاعدة المقابل على تقبل هذه القضية، بل ومســـاعدته على استحسانها والرضى عنها، بعد أن أصبح شريكاً فيها ولم يعد – فقـــط– مجـــرد الضحية المتلقي للأوامر ، المنتظر للتعليمات الذي إما يتقبل الأمر مُكرهاً أو يحاول التملص منه والتمرد عليه[١].

٢ – (قَالَ يَـٰٓأَبَتِ) ، أدب الخطاب مرة أخرى، وكأن ما فعله الخليل مع أبيه، يفعـــل ولـــده معـــه ، فكما تدين تدان، وهو ملمح تربوي، وقانون إلهي ، يجب أن يُلتفت إليه فالجزاء من جنس العمل ، وكما عامل إبراهيم أباه، عامله ولده، والأمر المطروح ليس بالهين ، إنه الذبح[٢]!!

والقـــرآن –هـــنا– يعمق في الأبناء احترام الآباء ، ويعلمهم حُسن الخطاب، ويمـــرنهم عـــلى هـــذا الـــنداء الحبيب الذي يتألف قلب الوالد ، ويحفظ له مقامه وســـلطانه، أي مـــا دمـــت أبـــي فـــلا تنتظر اعتراضاً ، ولا تتوقع عصياناً ، فمن مقتضـــيات أبوتـــك لي ، وبنوتي لك أن أكون المطيع الممتثل والسامع المنفذ، وكم يسئ الأبناء إذا تنكبوا الطريق الصواب ولم يُحسنوا أسلوب التخاطب مع والديهم ، وكـــم يشعرون أنهم حينما كبروا وصاروا يافعين أنهم كبروا على والديهم فيبخلون بهذه الكلمة الحانية التي لها من الآثار الإيجابية ما لا يُحسه سوى الوالدين.

والقـــرآن –أيضـــاً– هنا يفصل ما دار ليس للإنباء والإخبار فحسب ، وإنما لتـــبقى هـــذه دروساً ومعالم تربوية يأوي إليها الأبناء فيتعلموا منها ويتذكروا بها المطلوب منهم والمفروض عليهم.

٣ – (ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) طمأنـــه أنه قابلٌ للأمر ، راضٍ بالمطلوب، وقال له بدقة (مَا تُؤْمَرُ) أي أعرف أنه ليس أمرك أنت، وما كنتَ بالذي يفكر في ذبحي والخلاص مـــني، فهذا ما لا يُتصور من الوالد لولده، وإنما أنت مأمور ، وكلانا مأمور وكلانا

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢٩٩٥/٥.

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ٢٩٩٥/٥.

مطيـــع، أنت مطيع فيما أُمرت به ، ولن أكون أقل منك طاعة، فأنا -أيضاً- مطيع فيمـــا أبلغتني وهنا ، يبني القرآن الكريم في أنفس الأبناء خلق الطاعة والامتثال ، خـــلق الانصـــياع للأمر وهو أمر فادح ، لكن السهولة في قبوله، والمسارعة دون كـــثير كلام، دون تفكير أو تردد، ما دام الأمر إلهياً ، وما دام الأمر ليس بمعصية، فـــإن الغـــالي ليـــرخص، وإن النفس لتهون ، والله سبحانه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1] ويقـــول : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2] فأمـــر الله مقدم ، وأمـــر رســـوله مطاع، وعندما ينشأ أبناء الأسر المسلمة على هذه القيم فهي أسر مؤمـــنة ، وهي بناء متماسك ، وهي إضافة للمجتمع، أما إذا تمرد أبناؤها وخلعوا لباس الطاعة والامتثال فقد تقوض البناء إلا أن يدركه الله برحمته.

٤ - (سَتَجِدُنِيٓ) وَعَـــدَهُ وطمأنـــه بأنه عند حُسْن ظنه به ، وأنه لن يُخيِّبه، ولن يخذله فهو على قدر الحدث ، وعلى مستوى المسؤولية، فلن يفكر في الهرب، أو الفـــرار، أو الرجوع في القرار، أو الخوف والتراجع، فنِعْم الابن كان إسماعيل لأبيـــه، ونعم العون في الشدائد، وهنا يبني القرآن قيمة هذا التواجد من الأبناء في حياة الآباء ، فالأب يجب أن يجد ولده عند كبره، وعند مرضه، وعند فقره، وعند شـــدته، وعـــند وحدتـــه، يجده الناصح ، والمعين ، والخادم ، والمشير، والناصر والظهير ، كما قال القائل على لسان هذا الأب المؤمِّل

ولـــدي يـــا نبضـــةً في خـــافقي ... ولـــدي يـــا فـــلذةً مـــن كـــبدي
ولـــدي، يـــا كوكـــباً أرقـــبه ... كـــيْ أرى فيـــه ضـــياءَ الفـــرقدِ
كـــلما جفـــت يـــنابيع الصـــفا ... بـــك يصـــفو سلســـبيلا مَـــوْردي
ورياضـــي إن ذوت أزهارهـــا ... أنـــت فيهـــا الطَـــلُّ والزهرُ النَّدي

---

(١) الأنفال ٨/٢٤.

(٢) التوبة ٩/٢٤.

وإذا مـــزق صـــدري زفـــرةٌ كـــنت أنـــت الطبُّ يشفي جسدي
إن تخـــلى الكـــل عـــن موعـــده أنـــت مـــن يَصْـــدقُني في الموعد[1]

فـــإذا غـــاب كـــل الناس عن الوالدين، أو جفاهما الأهل والأقربون ، فالولد مكانـــه عندهما، ووجوده معهما، وحضوره في حياتهما، الحضور بمعناه الشامل ، وليس الحضور الشكلي، أي يملأ حياتهما بوجوده ، وعونه ، ومؤازرته، ويغرقهما بحـــبه كما أغرقاه ، ويرد لهما الجميل كما ربياه ، والأبناء بعد زواجهم وانفصالهم في بيوت مستقلة لربما شغلتهم حياتهم وأولادهم عن هذا التواجد الحقيقي المثمر، ولربما غابوا ولو كانوا حاضرين، وابتعدوا ولو كانوا قريبين في الوقت الذي يكون الوالـــدان أو أحدهمـــا في أشد حاجة إلى هذا التواجد ، وهذه الظواهر من أسباب إضـــعاف البـــناء الاجتماعي للأسرة وبالتالي للمجتمع، ولو تعلم الأبناء من موقف إســـماعيل وإبـــراهيم -عليهما السلام- هذا التواجد ، واهتموا به ، وأبدعوا فيه ، لكـــان لهـــذا مردوده على شكل الأسر المسلمة ولقوي بناؤها، وتوثقت روابطها ، ولتلاشـــت مآســـي الوالدين أو أحدهما تلك التي بلغت حداً لا يُتصور، فأحدهما أو كلاهما قد يلجأ إلى دار المسنين، أو المؤسسات التي تؤوي العجزة والطاعنين في الســـن، مع وجود الأبناء في حياتهم، ولربما لم يكن الوالدان أو أحدهما في حاجة ماديـــة ، لكن الذي غاب عنه تواجد أولاده في حياته ، فإذا به في طي النسيان، أو فـــي خبر كان، وبالعودة إلى أنوار القرآن وآدابه تعود القيم في حياة الناس عرفاناً لـــلجميل، وخوفاً من الله الجليل ، وعندها تعود للأسرة قوتها ومكانتها العظيمة في المجتمع.

٥ - (إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ) ، إيمـــان راسخ ، وعقيدة ثابتة، وتجردٌ من الحـــول والقـــوة والقـــدرة، وتجرد من ملكية الزمان والمكان، فالذي يقدر ويحكم ويملك الزمان والمكان هو الله ﷻ لذلك قدم المشيئة، قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَـاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2] وقال-سبحانه-: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ

---

(١) انظر ففيهما فجاهد ، عبدالملك القاسم، ط دار القاسم، الرياض ، الثانية ١٤١٦هـ ، ص٨٥

(٢) الكهف ٢٣/١٨ ، ٢٤ .

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[١] فليس الأمر بطولة فقط، أو رجولة فحسب، إنما هو توفيق الله ﷻ ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٢] ثم هو الإحساس بالعجز الكامل، أمام الخطب الهائل ومعه اليقين المطلق أن الله إذا أراد تيسيره يسَّره وجعل فيه الرحمة والفرج والنعم الجزيلة[٣]. وهنا ، القرآن كما أمر بالاستجابة والعون والسمع والطاعة للوالدين ، كذلك يلفت النظر إلى قضية الاستعانة على أمور الحياة وشدائدها بالله ﷻ وإلى قضية تقديم المشيئة الإلهية فلن يتم أمر إلا بإذنه ، ولا يقع شئ خارج ملكه ، ولن يَحصل توفيق إلا بفضله ثم يعلِّم الأبناء التذرع بالصبر والاعتصام به، فالصبر طوق نجاة عند كل شديدة، وطريق محمود العاقبة، وإسماعيل عليه السلام قال : (مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) فهو يعرف أن من عباد الله غيره من وصفهم الله بالصبر، وهو يستعين بالله ليكون منهم وفي زمرتهم.

والأبناء في حاجة إلى التخلق بخلق الصبر مع الوالدين خصوصاً عند كبرهما، فأحياناً ما تضيق أخلاقهما ، وتزداد عصبيتهما، وتكثر مطالبهما، ويتغير مزاجهما، فيغضبان لأتفه الأشياء ، ويحزنان لأقل الأشياء ، ويفرحان لأبسط الأشياء، وربما لا يشكران الجميل، ولا يعينان ولدهما على الإحسان، والأبناء في هذه الأحوال أشد ما يكونون حاجةً إلى الصبر الجميل، وإلى التخلق بأخلاق إسماعيل ، وإلى تقديم التبسم على التجهم والتصبر على التذمر، ثم إدراك أن عاقبة الصبر خير وانفراج ، وسرور وابتهاج، كما حدث لإسماعيل عليه السلام الذي افتداه ربه ، وكان غنياً عن دمه، لكنه أراد أن يتفرغ قلب إبراهيم من كل شئ حتى ولو كان حب ولده ، له ﷻ ، وقد كان ، فليست العبرة بإراقة الدماء وإنما العبرة بخلوص القلوب لربها[٤]. إنها الدروس القرآنية التي تمثل أسساً في البناء الاجتماعي وتعرض أموراً حية في حياة الأسر ليستفيد الأبناء منها الدروس والعبر، ولتبقى نبعاً يفيض بالطهر والنقاء في حياة

---

(١) التكوير ٢٩/٨١.

(٢) هود ٨٨/١١.

(٣) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ٢٩٩٥.

(٤) انظر مدارج السالكين ، ابن القيم ، مصدر سابق ، ٣١/٣ ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق، ٢٩٩٦/٥.

الأسر الإسلامية والمجتمعات القرآنية ، ترشفه، وتتداوى به من أسقامها الاجتماعية.

وهكـذا اسـتعرض الفصـل الثالث من الباب الثاني منهج القرآن في إصلاح الأبـناء حيث تكلم في المبحث الأول عن الوالدين وأثرهما الفعال في مسيرة أبنائهما، ودورهمـا الخطيـر فـي التأثير على الأبناء صلاحاً واستقامة، أو فساداً وانحرافاً ، وأبـانت الدراسـة دورهمـا في التربية الجسدية والنفسية والعقلية والخلقية وكذلك الجنسية حتى يتحصن أبناؤهما بحصن الدين والعقل والعلم فيبتعدوا -بإذن الله- عن دواعي الانحراف والضياع والضلال.

وأوضـحت الدراسة دور وسائل الإعلام كرافدٍ هام من روافد التثقيف والترفيه والـتأثير وأشـارت إلى نمـط التعليم والآثار المدمرة للاختلاط في مؤسسات التعليم المختـلفة، ثـم أوضـحت دور الأسـرة والمجـتمع بمؤسساته والدعاة على وجه الخصـوص في انتشال الشباب من وهدة الضياع، كل ذلك تحت مظلة القرآن ، ووفق منهجه، واستفاضت الدراسة في أثر الصحبة على الصاحب، وفي الدور الخطير الذي يقوم به صديق السوء ، وفي آثار ذلك في الدنيا والآخرة.

وتناولت الدراسة في المبحث الثاني الطلاق كظاهرة اجتماعية وأبانت أسبابها، وأوضـحت آثارها الاجتماعية، وما تفرزه في المجتمع من جيلٍ ضائع متخبط، مستعدٍ للانحراف ومتقبل للجريمة، وكان من المناسب بعد ذلك أن تتناول الدراسة وهي تتكلم عـن الأبناء ومنهج القرآن في الحفاظ عليهم وإصلاحهم، نماذج من أبناء مع آبائهم جاء ذكرهم في القرآن الكريم -وذلك في المبحث الثالث - حيث إن فيهم الأسوة وفي موقفهم العبرة، فتناولت نموذجين ، أحدهما دعوة الابن لأبيه، وأدب العرض ، وجمال الأسـلوب ولطـف القول من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه ، وثانيهما استجابة الابن لأبيـه وهـو يدعوه إلى أمر من أوامر الله، ومسارعة الولد للطاعة والموافقة رغم فداحـة الأمـر وجلال المطلوب من خلال أمر إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام بالذبح بـناءً عـلى مـا رآه في منامه، ومن هذين الموقفين يتبين كيف كان إبراهيم صالحاً ونموذجـاً كـريماً وهو يدعو أباه ، وكيف كان إسماعيل -أيضاً- صالحاً ، ونموذجاً عظيمـاً وهـو يطيع أباه، وكيف استحق الموقفان أن يذكرا في كتاب الله ليقدما إلى الأمـة أمثلة طاعةٍ واستقامة وصلاح، ونماذج حبٍ وبرٍ وإحسان لتفيد منهما دروساً وعبراً ما دامت الحياة.

الباب الثالث

منهج القرآن الكريم في بناء المجتمع

* الفصل الأول : منهج القرآن الكريم في نظام الحكم

توطئة

المبحث الأول : الحاكم

المبحث الثاني : الأمة

المبحث الثالث : المنهج

* الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في مواجهة قضايا المجتمع

توطئة

المبحث الأول : قضية الفقر

المبحث الثاني : قضية العنف والتعصب

المبحث الثالث : قضية الشرك

المبحث الرابع : قضية العلمانية

* الفصل الثالث : القرآن الكريم وسُنّة التمكين

توطئة

المبحث الأول : أسباب التمكين

المبحث الثاني : أنواع التمكين وصور الانتصار

المبحث الثالث : أهداف التمكين

الفصل الأول

منهج القرآن الكريم في نظام الحكم

تـوطئة

المبحث الأول : الحاكم

المبحث الثاني : الأمة

المبحث الثالث : المنهج

توطئة

إن القرآن الكريم الذي اتضحت منهجيته في بناء الفرد كلبنةٍ مستقلة معنوياً وحسياً ، واتضحت في بناء الأسرة المسلمة كمجتمع مصغر يضم أفراداً ويؤلف منهم نسيجاً خاصاً ويربطهم برباط متين وكأنهم مجموعة من الكواكب التي يدور بعضها حول بعض وينشدُّ أحدها للآخر مع استقلالية كل كوكب بخصائص من حيث الحجم والسرعة والسمات، فكذلك أفراد الأسرة ، ثم يؤلف القرآن الكريم من هذه الأسر مجتمعاً كبيراً متكاملاً ، كما أن المجموعات الشمسية تؤلف الفضاء الكوني كله ، وكما أن طوبة البناء لها خصائص إذا ما انضمت لأخواتها ليشكل البنَّاءُ منها بناءً هندسياً جميلاً بمواصفات معينة وشكل محدود ، ثم إذا انضم البناء إلى بناء آخر وآخر إذا بمستعمرة سكنية قد قامت بموقع معين ونظام مخصوص ، كذلك الفرد هو في نفسه لبنة اجتماعية ، وفي أسرته لبنة في بناء مصغر، وفي مجتمعه المسلم لبنة في البناء الضخم، وهو يؤدي وظيفة وحده، ثم هو يؤدي وظيفة في أسرته، ثم هو يلعب دوراً ما في مجتمعه في منظومة تضم الجميع وتحدد دوره بانسجام مع بقية المجتمع ، وفي هذا الفصل سيتناول البحث الكلام عن الحاكم وصفاته وأوصافه وواجبه قِبَل الرعية، وكذلك الرعية وواجبها تجاه حاكمها المسلم وكذلك المنهج ونظام الحكم ، فالقرآن في الأصل يسعى لإقامة مجتمع مسلم متكامل البنيان قوي الأواصر ذي هيبة بين الأمم يؤدي دوره المنوط به في الحياة يحكم بشرع الله ، ويعبِّد الناس له ، ليسعد الجميع في كنف المنهج الرباني كما سعد الناس بهذا المنهج في دولة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين بما رأوه من عدلٍ ومساواةٍ ورحمةٍ وإصلاح شملت الجميع صغيراً وكبيراً وغنياً وفقيراً بلا استثناء فالمنهج للجميع ، والبشارة للجميع.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١)

---

(١) الأعراف ١٥٨/٧.

المبحث الأول

الحاكـم

إن الحـاكم المسـلم أول دعامـات المجتمع الإسلامي فهو مفتاح خير كثير ومغـلاق شـر كثير كما قال الإمام أحمد -رحمه الله- "الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس" (١).

وفي القرآن الكريم آيات صريحة تكلف الحاكم بواجباته، أو توضح صفاته، أو تدعو إلى طاعته ...إلخ ومنها الضمني كما يتضح فيما يأتي:-

أولاً : الصريح من الآيات :-

١- **قـال تعـالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (٢)

٢- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾(٣)

٣- **قال تعالى:** ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٤)

٤- **قال تعالى:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(٥)

٥- **قال تعالى:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(٦)

٦- **قال تعالى:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٧)

٧- **قال تعالى:** ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا

---

(١) الأحكام السلطانية ، أبو يعلى الفراء، ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، د.ت ، ص١٩.

(٢) النساء ٥٨/٤

(٣) النساء ١٠٥/٤

(٤) المائدة ٤٢/٥

(٥) المائدة ٤٤/٥

(٦) المائدة ٤٥/٥

(٧) المائدة ٤٧/٥

تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١]

ثانياً : الضمني من الآيات :

١- **قال تعالى:** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [٢]

٢- **قال تعالى:** ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣]

٣- **قال تعالى:** ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [٤]

٤- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [٥]

٥- **قال تعالى:** ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [٦]

٦- **قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٧]

وآيات سوى ذلك كثيرة يحتمل معناها وسياقها أن تُوجه لكل من يلي من أمر الناس شيئاً أو يتقلد منصباً ، أو يتولى إمارة، أو يصير مسؤولاً فهي تمسه من قريب أو بعيد بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأن القرآن تنزيل من حكيم حميد خبير يعلم أن الناس رئيس ومرؤوس وحاكم ومحكوم ، وراع ورعية، ولا غنى لهم بحالٍ عن ذلك، لذلك جاء خطابه لكل الفئات وحديثه لجميع الشرائح، وتوجيهه لشتى الطبقات ، وما كان ليهتم بفئةٍ على حساب فئة، ولا يفضل طبقة

---

(١) ص ٢٦/٣٨ وانظر آيات أخرى حول المعنى ، النساء ٣٥/٤ ، المائدة ٤٨/٥، ٤٩ ، يوسف ٢٢/١٢ ، الأنبياء ٧٨/٢١ ، ٧٩ ، الشعراء ٢١/٢٦ ، ٨٣ ، القصص ١٤/٢٨

(٢) آل عمران ١٥٩/٣.

(٣) النساء ٨٤/٤.

(٤) هود ٨٨/١١.

(٥) النحل ٩٠/١٦.

(٦) الشورى ١٥/٤٢.

(٧) الحجرات ١٣/٤٩.

على طبقة، فليس هذا منهجه، ولا ذلك دأبه.

ثالثاً صفات الحاكم في ضوء المنهج القرآني:

وبتأمل الآيات القرآنية ستبرز فيها عدة قواعد يبني عليها الحاكم حكمه وسياسته وهي التصنيف الموضوعي لهذه الآيات:-

١ - الحكم بالعدل : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ ن□□□ تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[١] فالعدل أساس الملك، ولا يستقر حكم أو يثبت بدونه، والعدل من صفات الله سبحانه دعا عباده إليه، ورغبهم فيه، والحاكم المسلم هو أسوة الرعية، العيون عليه معقودة والأبصار إليه شاخصة فإن ظلم تأسى به الناس، وإن عدل كان هو البرهان الساطع وتبعه الناس كما قال أحدهم : "الحاكم في نفسه إمام متبوع، وفي سيرته دين مشروع، فإن ظلم لم يعدل أحد في حكمه، وإن عدل لم يجسر أحد على ظلم"[٢]

وعدل الحاكم يردع الظالم، وينصر المظلوم، ويجبر المهضوم، ويرد الحقوق، ويشيع الأمن والأمان، لقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم فإذا اجتمعوا قال : "يا أيها الناس إني لم أبعث عمالي ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، وإنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعل به غير ذلك ليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط، قال : فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين: إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال : أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ قال : فدعنا فلنرضه، قال دونكم فارضوه، فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين"[٣]

وواضح أن صاحب المظلمة لو لم يرض لمكّنه عمر ﷺ من القصاص، ومَنْ أفضل من رسول الله ﷺ الذي عدل في حكمه، ومكّن من نفسه ، حيث "خرج يوماً

---

(١) النساء ٥٨/٤.

(٢) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، مصدر سابق ، ٧٨/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، مصدر سابق ، ٢٩٣/٣ ، ٢٩٤.

عاصباً رأسه بعصابة حمراء، متكئاً -أو قال معتمداً- على الفضل بن العباس، فقال: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر وقال: أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد دنا مني حقوق من بين أظهرهم، فمن شتمت له عرضاً، فهذا عرضي فيستقدَ منه، ومن ضربت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدَ منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقولن أحدكم: إني أتخوف من الشحناء من رسول الله ﷺ ألا وإنها ليست من طبيعتي ولا من خلقي، وإن أحبكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له، أو حللني، فلقيت ربي وأنا طيب النفس، فقام رجل فقال: أنا أسألك ثلاثة دراهم؟ فقال: من أين؟ قال: أسلفتكم يوم كذا وكذا، فأمر الفضل بن العباس أن يقضيها إياه"[1]

فلم يجامل أحداً ولم يحاب أحداً، ولم يتحيز لأحد، ولم يضيع حق أحد، ولم يكن هذا فقط من تلقاء نفسه، بل إنه الأمر الإلهي إليه بالعدل بين الأمة في كافة شؤونها العامة والخاصة حيث أمره الله ﷻ أن يخبر الناس بقوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[2] يقول المودودي -رحمه الله- معقباً على هذه الآية: "أي ليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق في جانبه، وخصيم من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائناً من كان، وليس لأقاربي حقوق والغرباء عني حقوق أخرى، ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها الأصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع والذنب والجرم ذنب الجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل، والفرض فرض على الكل حتى أنا نفسي لست مستثنى من سلطة القانون الإلهي"[3]

فهذا هو رسول الله ﷺ -المأمور- بإقامة حكمه على العدل بين الناس، ومنهجه يشهد بذلك، في يوم بدر روي أنه ﷺ "عدل صفوف أصحابه وفي يده قداح[4] يعدل به

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب العقول، باب قود النبي ﷺ، من نفسه، ج٩ ص ٤٦٩، رقم ١٨٠٤٣

(٢) الشورى ١٥/٤٢.

(٣) النظام السياسي في الإسلام، د/ محمد أبو فارس ط، دار الفرقان، عمان، الأردن، الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. ص٥٢.

(٤) القِدْح بكسر القاف وسكون الدال: السهم، لسان العرب ٥٥٦/٢.

القوم، فمر بسواد بن غزية[1] وهو مستقل من الصف، فطعنه في بطنه بالقداح وقال: استوِ يا سواد، فقال: يارسول الله أوجعتني، قد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال استقد، فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير"[2].

فهل رأت الدنيا مثل هذا، الحاكم الأول يكشف بطنه لأحد رعيته ليقتص منه؟ ولا يقولن أحد إن رسول الله كان يعرف أن سواداً لن يضربه بل كان سيحتضنه، فهذا هراء، ورسول الله لا يعلم الغيب، وإنما كشف بطنه حقاً ليمكن منه صاحب الحق، ولذلك لما فعل سواد ذلك فاجأ رسول الله ﷺ بفعلته، فسأله: ما حملك على هذا يا سواد.

وللعدل آثار عظيمة تجنيها الأمة والرعية وكذا الحاكم ومن ذلك:

١ - مرضاة الله ﷻ وبإرضائه يبارك ويوفق ويرزق ويوسع ويهب الخير الوفير.

٢ - يجرِّئ الناس الضعفاء على رفع مظالمهم والبوح بأمورهم، والإفصاح عن شكاواهم وعدم التهيب من ملاقاة السلطان، فهو يرتقي بمستوى الأمة وينهض بها ويربي فيها الشجاعة والجسارة والإباء ورفض الضيم، كما حدث في عهد الراشد عمر بن العزيز -رحمه الله- عندما جعل العدل مظلة يأوي تحتها كل مظلوم ومطلباً ينادي به كل إنسان عندما "أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين مظلمة دخلت عليّ، قال عمر ومن بك فما استطاع أن يقول فلان لبعض أهل بيته مرتين أو ثلاثا، ثم قال: فلان ابن فلان عمد إلي مالي بكذا وكذا فأخذه، فقال يا غلام، ائتني بدواة

---

(١) هو: سواد بن غزيَّة الأنصاري، من بني عدي بن النجار، وقيل هو حليف لهم، من بني بليّ ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة، شهد بدراً والمشاهد بعدها، وهو الذي أسر خالد بن هشام المخزومي يوم بدر، وهو عامل رسول الله ﷺ على خيبر، أسد الغابة، ابن الأثير، سابق، ٢/٢٣٢، وانظر الإصابة، ابن حجر، سابق، ٢/١٣٣.

(٢) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، ط دار إحيار التراث العربي، بيروت، لبنان، الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ٢/٦٢٧

وقرطاس فكتب إلى عامله ، إن فلانا ذكر لي كذا وكذا، فإن كان الذي ذكر لي على مـــا ذكر فلا تراجعني فيه واردده عليه، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾[١]

فهـــذا المظـــلوم تَهيَّـــب أول الأمر النطق باسم الظالم الذي كان من أهل بيت الخـــليفة، ولكـــنّ حرص عمر -رحمه الله - وصبره عليه وأيضاً إلحاحه على معرفة الظـــالم جـــرَّأ هـــذا الـــرجل وربى فيه الشجاعة ليفصح ويُبين، وهو من ثمار العدل وبركاته.

٣ - عـــدل الحاكم يؤيِّس كل طامع من قريب أو بعيد ، أو حسيب أو صديق أو عشـــير، فالـــباب مغلق فلا مجال لمجاملة ولا محسوبية، ولا محاباة لقرابة أو علاقـــة فـــالعدل فـــوق الجميع والكل تحته "دخلت عمة عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- عـــليه فـــإذا بيـــن يديه أقراص من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمـــنين أتيـــت لحاجـــة ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي، قال: وما ذاك يا عمة؟ قـــالت: لـــو اتخذت طعاماً ألين من هذا ، قال : ليس عندي يا عمة ولو كان عندي لفعـــلت، قـــالت: يا أمير المؤمنين كان عمك عبدالملك يُجري عليَّ كذا وكذا ثم كان أخـــوك الوليد فزادني ثم وليت أنت فقطعته عني ، قال: يا عمة إن عمي عبدالملك وأخـــي الوليد وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك المال لي فأعطيكـــه ولكـــني أعطيك مالي إن شيءت ، قالت وما ذاك يا أمير المؤمنين قال عطـــائي مائتا دينار فهو لك، قالت وما يبلغ مني عطاؤك ، قال فليس أملك غيره يا عمة، فانصرفت عنه"[٢]

فـــلا تـــأخذ الحاكمَ في الله لومةُ لائم من قريب أو بعيد لأن هدفه الأوحد هو إقامـــة العـــدل بيـــن الناس، وترسّم خطو النبي ﷺ وخطا أصحابه الراشدين الذين ألـــزموا أنفسهم بما طالبوا به غيرهم، والذين ضربوا أروع الأمثلة على العدل مع المسلم والكافر ، مع الشريف والوضيع، لذلك استقام لهم الحكم ودانت لهم القلوب

---

(١) الصـــافات ١٠٦/٣٧ ، والمصدر سيرة عمر بن عبدالعزيز ، عبدالله بن عبدالحكم نسخ وتصحيح وتعليق أحمد عُبيد، الناشر مكتبة وهبة – مصر ، الثانية ، ص٥٣، ٥٤، بتصرف يسير.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز ، عبدالله بن عبدالحكم ، مصدر سابق ، ص٥٤.

واكتسبوا محبة المؤمنين في كل مكان لأنهم علموا أن العدل ليس منَّة من الحاكم على الرعية، أو منحةً يمنحهم إياها ، كلا، إنما هو حق الناس عليه، وهو المقصد الأساسي والوظيفة الرئيسة من تولي الحكم والتصدي للولاية.

٤ – عدل الحاكم سيحول بينه وبين تمييز نفسه على رعيته في شيء أو أمر عطاء أو غيره فهو لم يحاب غيره فقط، وإنما أيضاً لم يحاب نفسه ولم يرفعها فوق الناس دون رقيب من الرعية إلا رقابة ربه، بل هناك من الحكام من أشير عليه أن يوسع على نفسه بشيء هو في حاجة إليه فرأى ذلك خيانة وتميُّزاً وأباه ولربما جاع واحتاج ولم يسمح لنفسه بزيادة عطاء وسعة.

"قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله -تعالى- فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء (أي الرعية)، كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منهم مالا وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عليهم بأموالهم"[١]

إذن فالترفع عن التوسع في النفقات من قبل الحاكم ليس مجرد قانون موضوع يمنعه ويزجره ويُطَبق عليه، وإنما هو قناعته الشخصية وفهمه العميق وإحساسه الذي به يتحرك وعليه يسير.

٥ – عدل الحاكم سيجعله رافضاً لكل شفاعة في حد من حدود الله ، لأن من العدالة أن تطبق على الجميع ، وأن تسري على الكل فلا يُستثنى منها أحد ، ولا هي تتعطل أمام أحد بعينه ، وإنما الكل أمامها سواء ، ولقد ضرب الحاكم الأول للأمة -رسول الله- ﷺ أصدق الأمثلة وأروع الحالات بمصداقية وعظمة ستظل الأمة تتناقلها مدى الأجيال وعبر الدهور حينما أقر هذا المبدأ وضرب بيد من حديد على كل يدٍ تحاول أن تتلاعب بحدود الله أو تفصِّلها على قدر الأشخاص أو تجعل منها حالات استثناء فتطبق أحياناً وتُعطل أخرى، فقد صح "أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد -حبّ رسول

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان، دمشق ، الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص٤٠.

الله ﷺ- فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب ثم قال إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"(١)

ويُلتفت هنا إلى مقام الشافع أي أسامة حيث إن مكانته عند رسول الله رفيعة، وهو حِبُّه المقرب، وابنُ حِبِّه الأثير، ولقد ظن أهل المرأة باختيارهم أسامة أنهم سيصلون إلى مطلوبهم، وسيحققون هدفهم، وأن رسول الله لن يرد أسامة وأن حُبَّه له سيغلب، فجاء الأمر خلاف ما ظنوا، وجاءت الحسابات على عكس ما حَسبوا، بل واستفادت الأمة بأسرها والحكام جميعاً في كل زمان ومكان من هذه الواقعة موقفاً من العدل لا يتزعزع يفيد بأن كل شفاعة مرفوضة، وإلا فأي حاكم كرسول الله؟ وأي شافع كأسامة؟ فمن دونهما أولى بتحري العدل والانتصار له. والعجيب أن الرسول ﷺ يضرب مثالاً بأحب بناته، بريحانة قلبه، بأم الحسنيْن ويقول لو أنها سرقت -وحاشاها- حتى يفهم الناس جلال القضية وخطر المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- "ففي هذه القصة عبرة، فإن أشرف بيت كان في قريش بطنان من مخزوم وبنو عبد مناف ، فلما وجب على هذه القطع بسرقتها التي هي جحود العارية على قول بعض العلماء، أو سرقة أخرى غير هذه على قول آخرين، وكانت من أكبر القبائل وأشرف البيوت، وشفع فيها حِبُّ رسول الله ﷺ أسامة، غضب رسول الله وأنكر عليه دخوله فيما حرم الله، وهو الشفاعة في الحدود ، ثم ضرب المثل بسيدة نساء العالمين والتي هي من بني عبد مناف -وقد برأها الله من ذلك - فقال : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"(٢)

فهذه ابنة الحاكم أمام حدود الله كباقي الناس فبقية القوم من باب أولى أمام حكم الله ﷻ والحاكم إذا ضرب المثل بنفسه هكذا وأهل بيته أغلق على الناس سبل

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان، ج٦ ص٥٩٣ رقم ٣٤٧٥، ومسلم كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج٣ ص ١٣١٥ رقم الحديث ١٦٨٨.

(٢) السياسة الشرعية ، ابن تيمية ، مصدر سابق، ص٧٤.

التفكير في الهروب من الأحكام أو التملص من المسؤولية أو التفكير في ذلك.

٦ – إقامة العدل على المسلم والذمي والكافر دعوة إلى الله، وإشعار بسماحة الإسلام، ونشرٌ لقيمه ومبادئه السامية، وعامل من عوامل استقرار المجتمع وقوته، فالحق هو المطلب ، قد يُحكم به لكافرٍ على مسلم، أخرج الإمام مالك بن أنس[١] من طريق سعيد بن المسيب[٢] : "أن عمر بن الخطاب ﷺ اختصم إليه مسلم ويهودي ، فرأى عمر أن الحق لليهودي، فقضى له، فقال اليهودي: والله لقد قضيتَ بالحق فضربه عمر بن الخطاب بالدرة، ثم قال : وما يدريك؟ فقال له اليهودي: إنا نجد أنه ليس قاضٍ يقضي بالحق، إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق، مادام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه"[٣]

وهذا العدل المطلق على الجميع كان سبباً مباشراً في دخول الناس في الإسلام ومسارعتهم إليه وهم يرون أنهم بصدد دين يعطي كل واحدٍ حقه حتى لو كان هذا الطرف يهودياً أو نصرانياً فالعدل رحمة من الله بعباده ومنحة إلهية تعم الجميع والقاضي أو الحاكم منفذ لأمر الله مطبق لحدوده يفصل في القضايا ويحقق في المنازعات ويحكم بالعدل دون اعتبار لمسمى الأشخاص أو صفاتهم أو ديانتهم.

٢- الشورى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[٤] ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [٥] إن تداول الآراء وبسط القضايا للمشاورة، وتقليب الأمور بين أهل الرأي ليس جديداً

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، ولد سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ ونشأ في صون ورفاهية وتجمُّل، أصبح إمام دار الهجرة النبوية، مات رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة، سير أعلام النبلاء ، الذهبي، سابق ، ج٨ ص٤٨-١٣٠.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العلم أبو محمد القرشي المخزومي ، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه ، مات رحمه الله سنة أربع وتسعين للهجرة ، سير أعلام النبلاء، الذهبي ، سابق ، ٢١٧/٤ – ٢٤٤.

(٣) الموطأ ، كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق ، ج٢ ص٥٥٣ رقم٢، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة ، الأولى ، د.ت.

(٤) آل عمران ١٥٩/٣.

(٥) الشورى ٣٨/٤٢ .

وليس قرين الإسلام فقط، إنما هو أمر قديم قِدم البشرية، عرفه العقلاء من الناس وأدركوا الخير فيه، وعاينوا مصالح الأمة في ذلك فاستشار الحكام أقوامهم، أمام كل أمر يحدث، أو قضية تجد ، أو خطرٍ يُحدق، وها هي ملكة سبأ التي يحكي عنها القرآن في آيات بينات عندما تلقت رسالة سليمان عليه السلام وقرأتها وعرفت فحواها، لا تنفرد بقرار ، ولا تستبد برأي، ولا تخفي الخبر عن قومها وإنما تلتقي بهم في مجلس شورى وتذيع : ﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾ (١).

فالشورى واجبة على الحاكم المسلم كما ذهب إلى ذلك كثير من العلماء ، وليست مِنَّة يمن بها الحاكم على الناس ، وإنما هي حقهم الظاهر في قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾(٢) فإذا ما سلب أحد هذا الحق من الأمة لها أن تعارض وتقف في وجهه حماية لحقها وحراسةً له أيضاً.

يقول النووي -رحمه الله- "واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله ﷺ أم كانت سنة في حقه كما في حقنا، والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار ، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾(٣) والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ، ومحققو الأصول أن الأمر على الوجوب"(٤) والحاكم الذي ينفذ العدالة في الناس حتى على أقرب الناس إليه هو أيضاً يستشيرهم ويأخذ رأيهم ويشركهم في متعلقات بلادهم ولا يستأثر برأي دونهم وإلا فقد أخل بشروط حكمه، قال ابن عطية(٥) -رحمه الله- : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين

---

(١) النمل ٢٧/٢٩-٣٢.

(٢) آل عمران ٣/١٥٩.

(٣) آل عمران ٣/١٥٩.

(٤) مسلم ، شرح النووي ، مصدر سابق ، ٤/٧٦

(٥) عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي ، الغرناطي، أبو محمد، مفسر وفقيه أندلسي، من أهل غرناطة، له : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عشر مجلدات، قيل توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وقيل ست وأربعين وخمسمائة، الأعلام ، الزركلي، سابق ، ٣/٢٨٢، وانظر نفح الطيب ٣/٥٩٣، قضاة الأندلس وبغية الملتمس ص٣٧٦

فعزله واجب"[١]

إن الشـــورى هـــي أمـــر الله ﷻ الذي يربي عباده عليها فأمر رسوله بها، وسمَّى سورةً باسمها وقرنها مع الشعائر العظيمة، قال الجصاص[٢] وهو يتكلم عن تفسير سورة الشورى عند قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[٣] : "وهذا يدل عـــلى جلالـــة موقـــع الشـــورى لذكرها مع الإيمان وإقامة الصلاة ويدل على أننا مأمورون بها"[٤]

وأي حاكم لا غنى له عن الشورى فهي عضده الذي به يقوى، وهي مرجعه الـــذي إليه يسارع كلما جد أمر، قال ابن تيمية -رحمه الله- : " لا غنى لولي أمر عن المشاورة فإن الله -تعالى- أمر بها نبيه، فقال ﷻ : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٥]

وحراسة الشورى من مهام الأمة الناضجة التي تصون حقوقها وتبحث عن مكانها وتريد أن تستمتع بما حباها الله ﷻ من إكرام وإعزاز، قال الإمام البنا[٦] - رحمـــه الله- "ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم وأن تشير عليه بما ترى فيـــه الخير ، وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها وأن يأخذ بالصالح من آرائها وقـــد أمـــر الله الحـــاكمين بذلـــك ، فقـــال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[٧] وأثنى على

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مصدر سابق ، ٣٩٧/٣.

(٢) أحمـــد بـــن علي الرازي ، أبو بكر الجصاص ، فاضل من أهل الرِّي، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاســـة الحـــنفية، وطُـــلب إليه تولي القضاء فامتنع ، ألَّف كتاب أحكام القرآن ، وكتاباً في أصول الفقه، الأعلام ، الزركلي ، سابق، ١٦٥/١ ، وانظر الجواهر المضية ٨٤/١

(٣) الشورى ٣٨/٤٢.

(٤) أحكـــام القـــرآن ، الجصاص ، تحقيق محمد صادق قمحاوي ، دار الصحف ، القاهرة – مصر ، الأولى ، د.ت ، ٣٨٦/٣

(٥) آل عمران ٥٩/٣ ، السياسة الشرعية ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ص١٧٢.

(٦) حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا، مؤسس جماعة "الإخوان المسلمون" بمصر ، ولد في المحمودية من أعمـــال الـــبحيرة ، وتخرج في دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم ، حمل هم الدعوة المباركة، وجاب الـــبلاد طـــولاً وعرضـــاً ، واجتمعت عليه قلوب إخوانه من حوله، استشهد رحمه الله سنة تسع وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد، الأعلام ، الزركلي ، سابق ، ١٨٣/٢ ، ١٨٤.

(٧) آل عمران ١٥٩/٣.

المؤمنين خيراً فقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [١] ونصب على ذلك سنة رسول الله ﷺ"[٢]

وساعة يدرك الحاكم المسلم أنه أجيرٌ عند الله فإن اتقى الله في هذه الرعية وقام بأمورها خير قام وفَّاه الله أجره، وإن بخسها شيئاً ولم يقم بأمر الله فيها عرض نفسه لمؤاخذة ربه وعقوبته، ولأن الشورى من أمر الله فليس للحاكم تركها، وليس للأمة التنازل عنها لأنها أمر رباني وتوجيه إلهي ، لماذا؟ " لأن وكالة رئيس الدولة عن الأمة وكالة مقيدة، ومن قيودها أن يشاور الأمة لأن المشاورة ورد بها النص الشرعي ، فلا تملك الأمة التنازل عنها لأن سلطاتها محدودة بحدود الشرع فلا تستطيع أن تفوض وكيلها -رئيس الدولة- استعمال سلطاتها إلا بهذا القيد، قيد الشورى ، سواء صرَّحت بهذا عند انتخابه أو لم تصرح"[٣]

ثمرات الشورى :

وللشورى ثمرات يانعة يجنيها الحاكم والمحكوم ويسعد بها الراعي والرعية ومن ذلك:

١- إقامةٌ لشرع الله والتزام لأمره وفي ذلك من الخير ما لا يخفى فالله أعلم بصالح عباده.

٢- اتباعٌ لرسول الله ﷺ في نهجه وهو الذي شاور أصحابه كثيراً ونزل على آرائهم برغم أنه أرجح الناس عقلاً وأوفرهم حكمةً وبرغم عصمته من الله تعالى.

٣- عدمُ حرمان الأمة من بركاتها ففيها الخير كله وفيها السداد والرشاد والصواب.

---

(١) الشورى ٣٨/٤٢.

(٢) مجموعة رسائل الأستاذ البنا ، ط دار الدعوة ، الإسكندرية ، مصر ، الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص ٣٦١.

(٣) الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، د./ عبدالكريم زيدان ، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، ص ٣٦ ، ٣٧.

٤- إعفاءٌ للحاكم من المؤاخذة عندما تأتي النتائج عكس المراد لأنه لم يكن صاحب القرار منفرداً وإنما أشرك غيره معه.

٥- شحذٌ للعقول وإطلاق للمواهب والأفكار في مسارها الصحيح بما يعود بالخير على الأمة، ويجلب لها أسباب السعادة والرقي والتقدم والازدهار.

٦- إشعار للمواطن أنه شريك في الأمر مما يقوي صلته بمجتمعه ويساعد على وجود مجتمع مسلم متماسك قوي البناء ليس مبتور الصلات أو ضعيف النسيج والبنيان .

٧- حماية للحاكم من روح الاستبدادية والدكتاتورية والانفراد بالرأي والاستئثار بالقرار.

٨- وصول لأفضل الآراء وأحكم القرارات لأن المشاورة تلقيح للعقول، وارتقاءٌ بالآراء.

٩- تشجيع وحفزٌ لأصحاب الرأي والاختصاص أن يتقدموا ويدلوا بدلوهم وهم على ثقةٍ أن آراءهم مقدرة، ووجهات نظرهم محترمة ومعتبرة.

١٠- ارتقاء بمستوى المجتمع الفكري وإشعارٌ له بإنسانيته وآدميته فهو ليس قطيعاً يساق وإنما له قراره واعتباره.

١١- تمييزٌ للمجتمع المسلم الذي يحكم كتاب الله عن غيره من المجتمعات الكافرة التي تديرها شهوات الأفراد.

والقرآن إذا كان قد أمر بالشورى ، والرسول ﷺ إذا كان قد طبق نظام الشورى إلا أنه لم يفرض نظاماً معيناً أو شكلاً محدداً لهذه الشورى، وتلك من عظمة الإسلام ومرونة القرآن ، فهذه متروكة لكل أمةٍ حسب مقتضيات الزمان والمكان المهم أن يكون الأمر شورى، أما الكيفية فقد تركها القرآن ليصوغها المجتمع بالهيئة المناسبة كيفية وطريقة وأسلوباً ، وإلا لو حُدد شكل معين لكان هذا من العنت، ولصعب تحقيقه ، وحيث أن الإسلام دعوة عالمية، وأن الرسالة رحمة للعالمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فكان من المناسب أن يُترك للناس ممارسة أسلوب الحكم والشورى حسب ما يرونه ويُجمعون عليه أمرهم وربما نقلوا تجربةً مناسبةً ، أو قلدوا طريقة معقولة، أو استحدثوا نظاماً يُمكنهم

مـــن إدارة دفة الحكم بأسلوب تتجمع فيه مزايا ويخلو من عيوب ، المهم أن يتنسم المجـــتمع نسائم الحكم بما أنزل الله، وأن يتفيأ الجميع ظلال الشورى بعد أن تفيئوا ظلال العدل في ظل القرآن.

٣ - المساواة : قـــال تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١] المساواة من مبادئ الإسلام الخالدة التي جاء بها القرآن الكريم في منهجه الفذ في إرســـاء قواعد الحياة الكريمة للبشر، والتي نادى بها الرسول ﷺ قائلاً : "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"[٢]

فالـــناس جميعـــاً لآدم وآدم مـــن تراب ولقد أرسى الحاكم الأول ﷺ دعائم المساواة وأعلى صرحها حتى أحسَّها الداني والقاصي ، وحتى إنها كانت سبباً في مسارعة الناس إلى الإسلام دين المساواة.

والمساواة المعنية أي في الحقوق والواجبات والعبادات والقضاء والحدود ، -كما سبق الكلام في العدل - فالجميع يصلي لله ﷻ والكل يصوم له، ويأتي الناس فـــي فريضة الحج من شتى البقاع فيُسوَّى بينهم في صعيد واحدٍ وبزيٍ واحد حيث تـــذوب الفـــوارق وتتلاشى المميزات أما التسوية بين الناس في ملكاتهم وقدراتهم ومواهـــبهم فهـــذا مـــالا يمكن بل إن هذا الاختلاف من مقاصد الخلق[٣] قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[٤]

إنما المساواة في معاملة الناس ، ومنحهم حقوقهم ، وتكافؤ الفرص أمامهم ورد اعتبارهم، وهذا الخلُق من أخلاق الحاكم الموفق الذي يرجو الله والدار الآخرة

---

(١) الحجرات ١٣/٤٩

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٦ ص٥٧٠، رقم ٢٢٩٧٨، باقي مسند الأنصار.

(٣) انظـــر فلسفة التربية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٩هـــ ص١٧٩.

(٤) الإسراء ٢١/١٧.

والـــذي يســـير عـــلى النهج الأقوم كأبي بكر ﷺ عندما تولى الخلافة إذا به يُعلنها وضـــاءة الجبين براقة الثنايا توضح منهجه وتكشف عن اختياره وإصراره فيقول "أيهـــا الـــناس ، ولُيـــت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقومونـــي، القـــوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق"(١)

وأي مســـاواة بعـــد ذلـــك؟!، فلا اعتبار لقويٍ مادام الحق عليه، ولا ضياع لضـــعيف إلى أن يبلغ حقه، فالقوي مأخوذ منه الحق أنى ذهب ، والضعيف مردود له حقه عزيزاً منتصراً ، وهذا هو الحاكم الرباني الذي أفصح عن سياسته، وطمأن رعيـــته، وســـلك الطـــريق من أوله ووصل آخره فضلاً وعدلاً ومساواةً، فلما أراد الخير أعين عليه ولما قصد العدل والمساواة وفق لهما.

وللمساواة جوانب ومن ذلك:

أ - في الأموال :

فكـــلٌ يـــأخذ حقـــه المشروع ولا يميز أحد إلا مقابل جهده وعرقه وعطائه، فالحاكم المسلم عالمٌ بأنه مسؤول عن هذه الأموال ليس فقط فيما يأخذه هو ، ولكن أيضـــاً فيمـــا يصـــل إلى الناس فأي فساد أو إسراف أو إهدار للمال العام هو عنه مسؤول لذلك يأخذه من مكانه ويضعه في مكانه وللجميع فيه حق، دون تمييز أحد لقرابـــته أو صـــلته أو مكانه والحاكم المسلم عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- قد ســـاوى بين أشراف بني أمية وهم قومه وبين الناس، والشيء العجيب أنهم كانوا قد تعودوا ممن كانوا قبله على الأعطيات الكبيرة والإقطاعات الواسعة فإذا بالرجل يحيـــل كل ذلك إلى بيت المال ويقف بالمرصاد حارساً على هذا المال وقد فرَّغ منه أيديهـــم وأنضـــب مـــنه جيوبهـــم وقال "لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال - مال المسلمين- فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد"(٢)

رحم الله عمر بن عبدالعزيز ، لقد أغلق السبل جميعها على ذوي قرابته فما عـــادوا يؤملون شيئاً بعد هذه القوة في قوله ، قوة الحق، وسلطان المساواة، فما

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٥/٢٤٨.

(٢) تاريخ الخلفاء السيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، د.ت ، ص٢٣٦ ، ٢٣٧.

على بني أمية إلا أن يعيشوا كباقي الناس ينالهم ما ينال الناس بلا تميُّز عليهم أو اختلاف عنهم، وكم في بلاد الإسلام من أفراد يُؤْتون من الفرص ما لا يؤتى غيرهم، ويُمنحون من الامتيازات مالا يمنح لسواهم ، ويستأثرون بعطاءات دون الآخرين ، وما هذا إلا دليل غياب مبدأ المساواة في المال العام.

ب - في القضاء :

فالكل أمامه سواء حاكم ومحكوم ، غني وفقير، أمير وحقير لأن القضاء يمثل حكم الله والجميع أمام حكم الله سواء ، فلا يُجامَل فلان لمنصبه ، ولا يُحابى فلان لحصانته ولا يضيع حق فلان لضعفه " أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فقال له : يا أمير المؤمنين : إن عبد العزيز -يقصد والده- أخذ أرضي ظلماً، قال : وأين أرضك يا عبدالله؟ قال : بحلوان. قال عمر : أعرفها ولي شركاء ، -أي شركاء في حلوان- وهذا الحاكم بيننا (أي القاضي) فمشى عمر إلى الحاكم فقضى عليه، فقال عمر : قد أنفقنا عليها، قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلتها فقد نلتم مثل نفقتكم، فقال عمر : لو حكمت بغير هذا ما وُليت لي أمراً أبداً وأمر بردها"(١)

جـ - المساواة في التقويم:

فلا أحد مبرأ من الخطأ، ولا أحد فوق النقد ، ولا أحد فوق القانون، ولا أحد يفعل ما يريد ويعمل ما يشاء ثم لا يجد من يقومه أو يصححه أو يوجهه حتى لو كان الحاكم نفسه.

لما تولى عمر بن الخطاب ﷺ خطب : "أيها الناس من رأى فيَّ اعوجاجاً فليقومه ، فيقف رجل من وسط الناس ليقول: يا عمر والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا ، فيقول عمر ، الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بحد سيفه"(٢)

الحاكم هو الذي يطلبها ويلح بها ويحرص عليها، والأمة على مستوىً من

---

(١) عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ماجدة زكريا ، ط مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ، الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ص٢١٠.

(٢) نظام الحكم في الإسلام، د/ عارف خليل أبوعيد ط، دار النفائس، عمّان، الأردن الأولى، ١٤١٦ ص٢٧١.

الفهـــم تعلم أن هذا حقها وأنها له مدركة وبه مستمسكة وعنه غير متنازلة ، فما أسعد الحاكم بأمة هكذا وما أسعد أمة بحاكم كعمر ﷺ وأرضاه.

د - المساواة في كل شيء - حتى في الدعاء! :

فالتواضع من عظمة النفوس ، والبساطة من أسباب تألقها، ومعرفة الفضل لأهلـــه والالتزام بالهدي القرآني والنهج النبوي إنما هو من أسباب الحياة السعيدة لـــلجميع والقوة والهيبة للمجتمع الإسلامي، والمجتمع بخير وعافية ما دام حاكمه بعيـــداً عـــن التعاظم والتعالي والتميز على الآخرين، وما دام متخلقاً بأخلاق حكام المسلمين السابقين الذين ازدادوا تواضعاً فازدادوا عظمة.

كـــتب عمـــر بن عبدالعزيز إلى أمير الجزيرة يقول: "وقد بلغني أن ناساً من القصـــاص قد أحدثوا صلاة على أمرائهم عِدْل ما يصلون على النبي ﷺ فإذا جاءك كـــتابي هـــذا فمـــر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبي خاصة، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمؤمنات عامة وليدعوا ما سوى ذلك"(١)

ولا شـــك أن عمر -كأمير للمؤمنين- حينئذ كان صاحب النصيب الأوفر في هـــذا الدعاء لكنه حتى هذه لا يريد أن يتميز بها وإنما ليأخذ حظه وسط المؤمنين جميعاً بالدعاء لهم مساواةً لنفسه بهم وعدم تمييزها عليهم -رحمه الله- كيف لا؟ وهـــو يرى أنه أكثرهم مسؤولية، وأثقلهم حملاً ، وأشدهم هماً ، وأيضاً يرى نفسه أولى الناس بالشكر لله والتواضع له والخشية منه بما فضله وأعلاه.

من ثمار المساواة :

عـــندما تســـود المســـاواة المجتمع الإسلامي وعندما يرفع الحاكم شعارها وينهجها كما سبق بيانه سيجني المجتمع كله ثمراتها اليانعة ويتفيأ ظلالها الوارفة ومن ذلك : -

١- مرضـــاة الله عـــز وجل بالتزام ما يحبه وما يترتب على ذلك من توسيعه على عباده وإنزاله البركات وفتح أبواب الخير والفضل﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ

---

(١) ســـيرة عمر بن عبدالعزيز ، ابن الجوزي ، تحقيق نعيم زرزور ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ١٤٠٤هـــ ، ص٩٩.

وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]

٢- إسقاط الاعتبارات الطبقية فلا اعتبار للون ولا لجنس ، ولا عنصرية وإنما يقاس الناس باعتبار واحد ألا وهو التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٢]

٣- ترغيب غير المسلمين في الدخول في الإسلام لما يرونه واقعاً من المساواة ولما يعايشونه من أخلاق الإسلام التي تدعوهم لهذا الدين.

٤- نزع فتيل الضغائن والأحقاد من المجتمع تلك التي يؤجج نارها التفرقة بين الناس وتفضيل بعضهم على بعض وعدم تكافؤ الفرص المتاحة.

٥- تقديم أهل الفضل والبر لتقواهم وسبقهم وصلاحهم وورعهم ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ "يقف ببابه رجال من المسلمين بينهم أبو سفيان بن حرب وهو أعرق قريش نسباً وأشدهم تعاظماً وأحماهم أنفاً ، وبلال الحبشي وكان عبداً لأبي بكر وأعتقه لإسلامه، وصهيب الرومي وهو رجل رومي دخل في الإسلام وتقدم فيه ، وسلمان الفارسي وهو أعجمي دان بالإسلام وله فيه مآثر، واستأذنوا على عمر ، فخرج الإذن لبلال، ثم لصهيب، ثم لسليمان، وأبو سفيان واقف، ثم أذن عمر لغيرهم ثم لأبي سفيان فدخل غاضباً من تقدمهم عليه في الإذن فنهره عمر وقال : تقدموك في الإسلام فلا جرم أن يتقدموك في الإذن"[٣] وهذا النهج انتصاراً للمبادئ والقيم سيشجع الناس على التمسك بالفضيلة واحترام أهلها ورفع ذويها وليس عكس ما يحصل أحياناً من تقديم أهل الفسق والفجور وتأخير أهل الفضل والإحسان.

٦- المحافظة على المال العام من الإهدار والإسراف وما لذلك من أثر في تقدم المجتمع وإنعاشه اقتصادياً ورفع مستوى المعيشة فيه وازدياد دخل الفرد وبالتالي تخفيف العناء عن الناس فيعيشوا سعداء في سعة من الرزق ورغد من العيش.

---

(١) الأعراف ٩٦/٧.

(٢) الحجرات ١٣/٤٩.

(٣) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى، مصدر سابق ، ٧٥/٣.

٧- مـــنح المجتمع أسباب الاستقرار وعناصر القوة والإفادة من أصحاب الملكات والمواهـــب الذيـــن لن يتأخروا عن مطالب أمتهم عندما يتمتعون بمبدأ تكافؤ الفرص والاعتراف بإبداع المبدعين وإنجاز المتميزين.

٨- حمايـــة المستضـــعفين من البسطاء والفقراء والمرضى والعجزة من الضياع والبخس والهضم فكرامتهم مصونة ، وحقوقهم محفوظة، وفرصهم متاحة.

رابعاً : شروط الحاكم المسلم :-

فـــي ضـــوء المنهج القرآني العظيم هناك شروط للحاكم المسلم ترشحه أن يتولى الحكم وهذه الشروط وضحتها الآيات الكريمة ، وفصلها العلماء رحمهم الله ليميزوا بها ذلك الرجل الذي يمسك بدفة الحكم ويتولى شيءون الناس ويحمل على عاتقـــه هـــذه المســـؤولية، ويكون أهلاً لإدارة البلاد بالأسلوب الأمثل الذي يرقى بالمجتمع الإسلامي ويسعد به ومعه الناس جميعاً ومن ذلك: -

١ ـ الإســـلام :

قـــــال تعـــــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١] أي "ذوي أمـــركم ومـــن ولّوه من المسلمين"[٢] ، وقال النووي : "أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل"[٣]

فهذا أول شروط الحاكم أن يكون مسلماً وذلك ليكون أدرى بأمور الإسلام ، وليقيم في الناس شرائعه وليكون في نفسه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فيطيعه الناس ويقلدوه.

٢ـ العدالـــة:

مـــن حيـــث التحـــلي بمكـــارم الأخلاق من صدقٍ ومروءة وورع واستقامة بالابـــتعاد عـــن الـــرذائل وما يخرم المروءة وبترك المعاصي الظاهرة وهذه تثبت بالمعاينة والمعاشرة والشهرة[٤]

---

(١) النساء ٥٩/٤.

(٢) تفسير الطبري ، مصدر سابق ، ٥٠٣/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١٢.

(٤) انظر الأحكام السلطانية ، مصدر سابق ، ص٤.

٣ - الذكـــورة :

حيـــث أجمـــع العلماء أن المرأة لا تكون إماماً[١] ، فالمرأة صاحبة عواطف وفيها من الضعف ما يمنعها من ممارسة مهام الحكم، وهي أقل تحمُّلاً من الرجل ، وأضـــعف عقـــلاً ، وإرادة وعزيمة وكفى قول النبي ﷺ عندما بلغه أن ابنة كسرى ملكـــتهم : "لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[٢] وإن تولت بلقيس حكم مملكتها -سبأ- لكنَّ هذه كـــانت قـــبل الإسلام، ثم كان عندها من الشورى والاستعانة بآراء القوم ما عوض نقصها، وسد خللها.

ثـــم إن الواجـــبات المـــلقاة على الحاكم المسلم من الجهاد في سبيل الله ، وإمامة الناس ، ومتابعة قضايا الدولة من أمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، والتفتيش عن كروبهم والفصل في قضاياهم، وتقسيم الغنائم ومتابعة الولاة ما يفوق أي نظام آخـــر بمـــا لا يـــتفق مع طبيعة المرأة وبناء عليه " فلا يجوز أن تسند إلى المرأة الولايـــة العامة، فلا يجوز أن تتولى الإمامة العظمى والخلافة أو الرياسة ، وعلى ذلك أجمع الأئمة والفقهاء والعلماء من السلف والخلف"[٣]

٤ - القدرة الجسمية :

قـــال تعـــالى في وصف طالوت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[٤] قال الشنقيطي[٥] -رحمه الله- : "أي يكون سليم الأعضاء غير زَمِنٍ ولا أعمى ونحو ذلك"[٦] المهم سلامة الأعضاء التي يؤثر غيابها أو فقدها أو

---

(١) انظر مراتب الإجماع ، ابن حزم ، ط دار الآفاق ، بيروت، الأولى ، ١٩٧٨م، ص١٢٥.

(٢) رواه الـــبخاري ، وانظر الفتح ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٧، ص٧٣٢ رقم ٤٤٢٥.

(٣) ولايـــة المـــرأة فـــي الفقه الإسلامي ، حافظ محمد أنور ، دار بلنسية للنشر والتوزيع- الرياض الأولى ، ١٤٢٠هـــ، ص٦٧٧.

(٤) البقرة ٢/٢٤٧.

(٥) هـــو محمـــد الأمين محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المخـــتار، ولـــد فـــي شـــنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية، له كتب منها : أضواء البيان، ودفع إيهام الاضـــطراب عـــن آي الكتاب، توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، انظر مقدمة أضواء البيان ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، الأولى ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م.

(٦) أضواء البيان - الشنقيطي ، مصدر سابق ، ١/٥٧.

اعتلالها في أداء مهمته، لكن إذا كان كلامه مفهوماً مع تمتمة ، أو كان هو يسمع مع ثقل ويستعين بآلة السماع فلا يؤثر[١]

٥ - العقـــل :

فـــلا تجـــوز إمامة المعتوه ، أو المخبول ، أو المجنون ، بل المفترض أن يكـــون من أحكم الناس وأرجحهم عقلاً وأكثرهم اتزاناً وأصوبهم رأياً "لأن الإمامة تدبيـــر والعقـــل آلـــة التدبير ، فإن ذهب العقل ذهب التدبير"[٢] واصطفاء الله ﷻ لطـــالوت ، لا شك لتميزه في العلم والجسم ، والعلم وعاؤه العقل الذي يفهم ويعي ويُحسن التصرف في الأمور كلها.

٦ - القوة والأمانة:

قـــوة الجسد وقوة الإرادة وقوة الموقف وقوة القلب واتخاذ القرار والأمانة عـــلى الأموال ومقدَّرات الشعوب، والأمانة على أمور الدين بإقامتها والأمانة على أســـرار الدولـــة والأمانـــة على كل ما يجلب الخير للناس ويدفع الضر عنهم قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [٣]

بالإضـــافة إلى شروط أخرى مثل أن يكون قرشياً في نسبه إن تيسر ذلك وذا علم بالشرع وذا ثقافة عالية يستطيع أن يستوعب القضايا ويناقش الأمور وذا رحمة برعيته وشفقة عليهم، ونصح لهم ، وذا دراية بفنون الحرب ومعاهدات السلام وقبل ذلـــك أن يكون حراً بالغاً تجمع عليه الآراء ويثق به الناس ليلي أمرهم ويسهر على راحـــتهم ويُعيـــنهم عـــلى طاعة ربهم كأجير يرعى ما استرعاه ربه ، يريد مرضاته، ويطمـــع فـــي أجـــره ، ويـــتفانى في الوفاء بالأمانة دخل أبو مسلم الخولاني[٤] على

---

(١) انظر ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، حافظ محمد أنور ، مصدر سابق ، ص٦٧٧

(٢) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبدالعزيز مصطفى كامل، ط دار طيبة، الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، /٤٩٤.

(٣) القصص ٢٦/٢٨.

(٤) هـــو : عـــبدالله بن ثُوب (بضم ففتح) الخولاني، تابعي ، فقيه ، عابد، زاهد، نعته الذهبي بريحانة الشام، أصله من اليمـــن ، أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ، ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة، الأعلام ، الزركلي ، سابق ، ٧٥/٤ ، وانظر تذكرة الحفاظ ٤٦/١ ، والحلية، ١٢٢/٢، وفوات الوفيات ٢٠٩/١.

معاوية بن أبي سفيان[١] ، فقال : السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل السلام عليك أيهـــا الأمير، فقال السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل يا أيها الأمير، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا قل يا أيها الأمير فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بمـــا يقول : فقال إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جـــرباها ، وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها، وفاك سيدك أجرك، وإن أنـــت لـــم تهنأ جرباها ، ولم تداو مرضاها ، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك ســـيدها[٢] فالـــراعي مسؤول فإن وفَّى فأجره عظيم ، وإن خان وقصر فعقابه أليم ومرتعه وخيم.

* * * * *

(١) معاويـــة بـــن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قصي بن كلاب، أمير المؤمـــنين، ملك الإسلام، أبو عبدالرحمن القرشي الأموي المكي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، قيل أنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، وخاف اللحاق بالنبي ﷺ وما أظهـــر إســـلامه إلا يوم الفتح ، قيل مات ﷺ في رجب سنة ستين للهجرة وقيل في نصفه، وقيل لثمان بقين منه، سير أعلام النبلاء ، الذهبي، سابق ، ١١٩/٣ - ١٦٢.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ص ١٧ ، ١٨.

المبحث الثاني

الأمـــة

الحـــاكم المسلم الذي سبق الكلام عن قواعد حكمه وشروطه إنما لكي يكون مؤهلاً أن يقود أمة ويحكم رعية، هذه الأمة أمة ميزها الله ﷻ بالقرآن فقال فيها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١] كمـــا قـــال ابن كثير -رحمه الله- : "هم خير الناس وأنفعهم للناس"[٢] هم خيـــر لنســـبهم بالقرآن وتوحيدهم للرحمن، واتباعهم لهدي خير الأنام ، وهم أنفع الـــناس للناس لما يحملونه من الحق والخير الذي يسَعُ الناس جميعاً والذي يصلح لكـــل زمان ومكان، ولما كُلِّفوا به من الدعوة إلى الله ونشر هذا الخير وتبليغ هذا الدين حتى يدخل الناس فيه أفواجاً ، وحتى يخلَّى بين الناس ودين ربهم فيؤمن من يؤمـــن عن بينة، ويكفر من يكفر عن بينة ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[٣].

ولقـــد حـــوت آيات كثيرة من القرآن الكريم لفظ الأمة ومشتقاتها ويُكتفى - هـــنا- بذكـــر الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ مراداً به أمة الإسلام خطاباً وإخباراً وأمراً وتعليماً

أولاً: الصريح من الآيات :-

١- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[٥]

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) آل عمران ١١٠/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٣٦٩/١.

(٣) الأنفال ٤٢/٨.

(٤) البقرة ١٢٨/٢.

(٥) البقرة ١٤٣/٢.

عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[١].

٤- **قولـــه تعالى:** ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٢].

٥- **قولـــه تعـــالى:** ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّـةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٣].

٦- **قولـــه تعالى:** ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّـةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٤].

٧- **قوله تعالى:** ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّـةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٥].

٨- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٦].

٩- **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٧].

ثانياً : الضمني من الآيات:

كـل خطـاب استُهل بـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ إنما هو خطاب للمؤمنين كأمـة واحـدة تسـتقبل أوامر الله وتعليماته ، وتتلقى نواهيه وزواجره ، وتَحمل وصاياه الكريمة في كتابه الكريم ومن ذلك:

١- **قولـه تعـالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٨].

---

(١) آل عمران ١٠٤/٣.
(٢) آل عمران ١١٠/٣.
(٣) المائدة ٤٨/٥.
(٤) الرعد ٣٠/١٣.
(٥) النحل ٩٣/١٦
(٦) الأنبياء ٩٢/٢١.
(٧) المؤمنون ٥٢/٢٣.
(٨) آل عمران ١٠٢/٣.

٢- قولـــــه تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَاٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾(١).

٣- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢).

ثالثاً: التصنيف الموضوعي : للآيات الصريحة التي ورد بها لفظ الأمة حَسْب ما تحمله من وصايا وما تحويه من تعليمات : -

أ- هوية الأمة : - ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(٣).

فالأمـــة مســـلمة بمعنى الكلمة ، أسلمت أمرها لله، ورضيت به رباً، وبدينه ديـــنا، وأســـلمت وجهها لله ، فلا تتجه إلا إليه ، ليست وجهتها شرقية ولا غربية ولكـــن ربانيـــة ليست متعلقة بتكتلات، أو مرتبطة بمعسكرات ولكنها متعلقة بربها معـــتزةٌ بالـــنعمة التي أسبغها عليها(٤) ، لها منهجها الذي يميزها عن سائر الأمم، ولها خصائصها التي ترفعها فوق كل الأمم، ولها -أيضاً- أهدافها التي تختلف عن ســـائر أهداف الأمم غيرها، في تصورها، في سياستها في تعاملاتها في نهجها في اقتصـــادها ، في حربها في سِلمها في علاقتها في سائر أمورها، هي أمة مسلمة، دينها الإسلام، وصبغتها الإسلام ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ ﴾(٥)

ب- حمـــل هـــمّ الدعـــوة وتبـــليغ الديـــن : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾(٦) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾(٧).

فعنوان خيرية الأمة المسلمة الأمر بالمعروف والتبصير به والتذكير بشُعبه، والنهي عن المنكر والتحذير منه، والتذكير بمخاطره، وهنا قد قدم الأمر بالمعروف

---

(١) النساء ٤/٥٩.

(٢) الصف ٦١/٢.

(٣) البقرة ٢/١٢٨.

(٤) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، سابق ، ١/١١٥.

(٥) البقرة ٢/١٣٨.

(٦) آل عمران ٣/١٠٤.

(٧) آل عمران ٣/١١٠.

والـــنهي عـــن المنكر على الإيمان لأن الإيمان يبقى ويزيد ويحفظ مادام هناك أمرٌ بمعـــروف ونهـــي عن منكر ويضيع الإيمان ما ضيع الأمر بالمعروف والنهي عن المـــنكر، وهو مما يُميِّز الأمة عن غيرها ، قال عمر ﷺ : "من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها"[١] وإلا فلا خير إذا ضُيِّع هذا الواجب وأهمل.

والدعوة إنما تكون بشروطها من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هـــي أحسن حتى يرغب الناس في الدين ويحبوا الخير وأهله ، ولا يبقى الأسلوب الفظ حائلاً بين الناس والدين يقول سيد -رحمه الله- : "إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله ، لا لشخص الداعية ولا لقومه، والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظـــروفهم والقـــدر الـــذي يبيـــنه لهم في كل مرة ، حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالـــتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطـــريقة حســـب مقتضياتها ، فلا تستبَّد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمـــة في هذا كله وفي سواه"[٢] وهذه وظيفة هذه الأمة وتلك الصفات الحكيمة من مقومات هذه الوظيفة ودعائم نجاحها.

جـــ الوحـــدة : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣] ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٤] فـــلا مبرر للتفرق ما دامت الأمـــة واحـــدة، والناس لآدم وآدم من تراب ، ومادام المعبود ﷻ واحداً وبالتالي فالمـــنهج واحـــد، وبناءً عليه فالهدف والرسالة واحدة، وأمور الدين والدنيا لا يتم إنجازهـــا عـــلى الوجه الأمثل والأكمل إلا في ظل ترابط وتآلف واتحاد، ولقد آخى الرســـول ﷺ بيـــن المهاجرين والأنصار دعماً لهذه الوحدة، ودفعاً لهذه القوة في مسارها الصحيح ليكون بأسهم على أعدائهم وليس على بعضهم، ولتجتمع همومهم وعزائمهم وجهودهم إلى ما ينفعهم ويعود عليهم بالخير العاجل والآجل -والله ﷻ - مـــا شـــرع الدين لكل فرد على حدةٍ ، ليحيىا وحده ويموت وحده، وإنما شرعه

---

(١) تفسير الطبري ، مصدر سابق، ١٠٢/٥.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢١٩٨/٤.

(٣) الأنبياء ٩٢/٢١.

(٤) المؤمنون ٥٢/٢٣.

لأمةٍ لها حاكم ولها نظام للحكم ولها مؤسسات تقتضيها حياتها ، تضمن لها أسباب القـوة والمـنعة، ولقد كان من حكم انتقال الرسول ﷺ وصحبه من مكة إلى يثرب الانضـمام إلى هـؤلاء المؤمنين وإكساب الصف المسلم مزيد قوةٍ ودعم ومساندة وضـم جهود الأنصار إلى جهود المهاجرين ، والوقوف صفاً واحداً في وجه الكفر والإلحاد ومن هناك قامت الدولة الإسلامية راسخة الأساس قوية الجانب.

د - الوسطية والشهادة على الناس : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1].

وتلك تميز الأمة عمن سواها وكأن الناس جميعاً فيما عداها قسمٌ وهي قسمٌ آخـر أو كـأن البشرية كلها في موكبها العريض فريق وهي فريق متفرد ، وعلى قدر هذا التشريف على قدر التكليف والأعباء الملقاة على عاتق هذه الأمة بما بين يديهـا مـن منهج فيه علاج جميع قضايا الحياة المعاصرة وإلى قيام الساعة دون الحاجـة إلى شـيء سواه فهو يكفل السعادة في الدنيا والآخرة ، وهو يحمل العز والمـنعة والنصر والتمكين لأهله إذا كانوا على مستوى المسؤولية وأدركوا خطر الرسالة وعظم الدور المنتظر منهم.

هـ - الأخوة الإسلامية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2]

والأخـوة درجة أعلى من الوحدة ، فكم من الغرب ينادى باتحاد بين أقاليم أوربا الحديثة ، أو قيام ما يسمى بالولايات المتحدة ، ولكن الأخوة منة من الله ﷻ عـلى المؤمـنين ومنحة من منحه الكريمة ، تلك التي جعلتها ناسفاً لجميع حواجز الجنس واللون والمادة ، ومن العجيب أن هذه الأخوة في قوتها وضعفها ترتبط بها حالـة المسـلمين - أيضـاً- قوة وضعفاً فيوم تتألق أخوتهم وتصهرهم في بوتقة واحـدة هـي بوتقـة الإيمان إذا بهم قوة لا تنازع، وجيش لا يغلب ، وحضارة لا تذوب، وحاكم لا يداهن ورعية لا تنخدع بمخططات الأعداء وكيدهم.

ومهمـا كـان أفراد المجتمع على درجة من قوة البناء الاجتماعي الحسي

---

(١) البقرة ١٤٣/٢ .

(٢) الحجرات ١٠/٤٩.

والمعنوي في أنفسهم مالم ينتظموا جميعاً في عقد الأخوة فهم غثاء بلا قيمة ، وهم كلام بلا معنى، ولقد كان للتآخي الذي أبدعته عبقرية المربي الأول ﷺ بين أهل مكة وأهل يثرب من الأسباب الرئيسة والدعائم الأساسية لقيام الدولة الإسلامية وتثبيت أقدام المهاجرين في يثرب بعد أن وجدوا من يُؤويهم ويشاطرهم اللقمة والفكرة ويُفسح لهم في قلبه وداره وماله وعقاره ، وينزلهم منزلاً كريماً ، ثم ينطلقون جميعاً إلى ميدان الجهاد حيث تختلط دماؤهم الزكية بعد أن تمازجت مشاعرهم القلبية كل هذا الإخاء كان ولا زال من صفات الأمة يزيد قوتها، ويقوي شوكتها ويُرهب أعداءها أينما كانوا في الداخل أو في الخارج.

والحاكم المسلم ما دام قد أدى لرعيته حقوقها التي سبق الكلام عنها، فاتقى الله فيها وعدل بينها ، وساوى بينه وبين كل فردٍ فيها، وساوى بين أفرادها في الحقوق والواجبات والفرص ، وقرّب أهل الفضل وأبعد أهل الزيغ والهوى ، وسلك برعيته مسلك الصالحين ونصح لهم حق النصح ، وحمل همومهم ورحم ضعيفهم وأشفق على مريضهم وفقيرهم وأرملتهم ويتيمهم، وبذل كل سبب يؤدي إلى وحدتهم وألفتهم ، وأمرهم بما ألزم به نفسه أولاً، ونهاهم عما انتهى هو عنه أولاً، وكان همه الأكبر والأضخم المحافظة على دين الرعية من عقيدة صافية ، وعبادات مقامة ، وأخلاق مرعية ، ولم يغلق بابه دون رعيته ، وإنما استمع شكاواهم وانتصر لمظلومهم، وضرب على يد ظالمهم واتقى الله في أموالهم فلم يأخذ منها إلا كرجل منهم وأمِنه الناس على دمائهم وأموالهم وأشركهم في أمره فلم يقطع أمراً دونهم ولم يتتبع عوراتهم ولم يتجسس عليهم ولم يبطش بأحد منهم ، وإنما الكل سواء أمام شرع الله ﷻ وعرف المقصد من هذه الولاية بل المقصد من الحياة ككل وهو عبادة الله وإقامة شرعه، ودلالة الناس عليه فإذا ما استوفت الرعية هذه الحقوق فعليها واجبات لحاكمها يجب أن تؤديها وترعاها وتقوم بها كاملة لأن الناس حاكم ومحكوم ولكل حق قِبَل الآخر فإذا ما أدى الطرفان ما عليه وحصل على ما له من حق تكون الأمة بخير وسلام وعافية ، وهذه الحقوق هي:

أولاً : الطاعة :

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ

مِنكُمْ﴾[١] هــذه آية إلزام المؤمنين (الرعية) بطاعة أولي الأمر الذين يطيعون الله ورســوله، وعــلى طريقة القرآن في منهجيته العظيمة فإنه يبني الرعية على هذا الخــلق تجــاه حكــامهم المؤمنين الحاكمين بنهج الله المطيعين الله ورسوله، قال القرطبي -رحمه الله- : " لما تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة (يعني هذه الآية) وبــدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل تقدم في هذه الآية فأمر الرعية بطاعته جل وعلا أولاً وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانياً فيما أمر به ونهى عنه ، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً"[٢]

إذن فالقرآن الكريم كما يبني الحاكم على الصفات الربانية والأخلاق القرآنية هو هنا يبني الرعية على طاعة حاكمهم ، وإلا فلا قيمة ولا أثر لحاكم يطيع الله في رعيــته وهي تعصي الله فيه فلا بد أن يؤسس القرآن له صلاحيات ويعطيه حقوقاً عــلى رعيته ليستطيع أن يسيِّر دفة الأمر على النحو الأرشد للجميع ، فتطيعه إذا دعاهــا لجهاد أو صلح أو حرب ، وتطيعه إذا أمر بشيء من أمور العبادات كصلاة الخســوف أو الكســوف أو الاستســقاء ، وتطيعه في أمور العبادات عموماً كإقام الصــلاة وإيــتاء الــزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وتطيعه في الالتزام بمكارم الأخلاق من صدق ووفاء وحُسن جوارٍ وأداء للأمانة وإتقان للعمل ومساعدة الناس وقضــاء حوائجهم وإنجاز مصالحهم وإنهاء متعلقاتهم ، وتيسير مهامهم ، وتطيعه فــي الابتعاد عن الذنوب والمعاصي ونزغات الهوى ومداخل الشيطان وتطيعه في تــرك الغش والاحتكار والنصب والاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل ، وتطيعه في حُسن تربية أبنائها والاعتناء بهم وتعليمهم القرآن وأمور الدين وما يلزم من علوم الدنيا حسب الحاجة ، وتطيعه في كل ما يأمر به من معروف وخير وبر يرضي الله ﷻ ولا تعصــيه إلا إذا أمــر بمعصــية ، لقولــــه ﷺ " لاطاعةفيالمعصيةوإنما الطاعةفي المعروف"[٣]

---

(١) النساء ٤/٥٩.

(٢) تفسير القرطبي ، مصدر سابق، ٥/٢٥٩.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ، حديث رقم ج ٨ ص١٣٥ ، رقم ٧١٤٥

والإمـــام الصـــالح إذا لم تطعه رعيته وتمردت عليه ، وخالفت أمره تفرقت الأمـــة، وسقطت هيبتها بعد أن سقطت هيبة إمامها والله ﷻ يقول : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (١) والقـــرآن بمنهجه حريصٌ على إيجاد حاكم قوي ورعية متماسكة قوية مرهوبة الجانب.

ثانياً : النصح :

قـــال تعـــالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (٢) وقال ﷺ "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٣)

والنصـــيحة مـــن الحقـــوق المهمة للحاكم على رعيته خاصة من أهل الحل والعقد وأرباب العلم منهم فيجب أن تكون الرعية مدركة أن هذا حق الحاكم عليها، والنصـــيحة مـــن ثمارهـــا أنها تساعد على تجنب الزلل ، والابتعاد عن الخطأ قبل الوقـــوع فيـــه، أو اســـتدراكه قبل التمادي فيه، أو أخذ الحيطة والحذر قبل الإقدام عـــليه، فـــإذا مـــا أقدم الحاكم على أمرٍ من أمور الرعية يتعلق بجانبٍ عسكريٍ أو سياســـيٍ مـــن صلح أو معاهدة ، أو اقتصادي كاتفاقيات أو غيرها فيجب على أهل الاختصـــاص والدرايـــة أن يبيـــنوا أخطار ذلك ، وعيوبه بلا لبسٍ أو غموض، مع الالـــتزام بـــآداب النصـــيحة المشروعة، ويجب أن يوطن الحاكم نفسه على سماع النصـــائح، بفتح بابها وتشجيع أصحابها، وقبولها والسعادة بها، بل وطلبها وليكن لـــلرعية اعتبار وتعلم من موقف خولة -رضي الله عنها- بعد أن كبر سنها وتقدم عمرها، وهي تقابل عمر بن الخطاب ﷺ فتستوقفه ومعه الجارود العبدي وتقول : قـــف أكـــلمك، ثم تقول : عهدي بك وأنت غلام ترعى الغنم تُدعى عميْراً ثم كبْرت ودُعيت عمر، ثم دُعيت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، فإنه من خاف الموت خشـــي الفوت، ومن خاف الوعيد قرُب عليه البعيد، فقال لها الجارود العبدي: لقد

---

(١) الأنفال ٨/٤٦.

(٢) التوبة ٩/٩١.

(٣) سبق تخريجه ص ١٩٩.

أثقـلت على أمير المؤمنين، فزجره عمر قائلاً إنها خولة التي سمع الله كلامها من فوق سبع سموات ، فعمر أحرى أن يسمع لها ولو أوقفتني ما تركتها إلا لصلاةٍ ثم أعود إليها[١] فهذه امرأة من الرعية ترى أن نصح الحاكم من حقه عليها وترى - أيضـاً- أن مـن حقها أن يسمعها ويقف لها ويستقبل نُصحها وتوجيهها، والأمة بخيـر مـا نصـحت حكامها، وما استمع حكامها نصحها،وإذا تَهيَّب الناس نصح حكامهم، ورفض الحكام النصيحة فلا خير يرجى منها ، فشرها كثير وخيرها قليل، وخطأها جسيم، والشر الذي ينتظرها شرٌ مستطير.

ثالثاً : الإكرام والتوقير:

فمـنهج القـرآن إكـرام صـاحب الدين لدينه، وتوقير صاحب العلم لعلمه، والحـاكم المسلم الحق يفترض أن يكون فيه من الخصائص والصفات ما ذكر قبل ذلـك يمـا يجعله أهلاً لكل احترام وإكرام ، وإكرامه إكرامٌ لصفته أكثر من شخصه فهـو حـاكمٌ بشرع الله، مطبق لحدوده ، راعٍ لحقه ، مقيم لشرائعه فإكرامه إكرامٌ لهذا الشرع، وتوقيره توقير لدينه ، وإكرامه -أيضاً- طاعة للرسول ﷺ الذي قال: "إن من إجلال الله -تعالى- : إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"[٢]

وفرقٌ بين إكرام الشخص وإعطائه حقه من الاحترام والإجلال وبين تقديس الأشـخاص أو مدحهم بما ليس فيهم، أو الثناء على أخطائهم، أو وصفهم بالحكمة وهم منها متجردون أو التملق إليهم ومنافقتهم نفاقاً تدفع الرعية ثمنه، إنما الإكرام المقـنن بضوابط الشرع والمبني على الطاعة لله ورسوله، والهادف إلى حث هذا الحـاكم عـلى بذل المزيد لرعيةٍ تحبه وتكرمه وتجله وتوقره، وهذا رسول الله ﷺ وصـفه الواصف بقوله: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً، إنهم أحـبوه ومـا نـافقوه وأطاعوه وما خادعوه ، ووقروه وما ألّهوه ، وأكرموه وما رفعوه فوق مقامه البشري الذي وضعه الله فيه، وهكذا الحاكم المسلم على رعيته

---

(١) انظر أسد الغابة، ابن الأثير ، سابق ، ٦/٩٣ ، والإصابة ، ابن حجر ، سابق ، ٤/٢٩٠ ، ٢٩١.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب ، باب تنزيل الناس منازلهم ج٤ ص٢٦٣ رقم ٤٨٤٣.

أن توقره وتكرمه بالدعاء له، وعدم اغتيابه، والذب عن عِرضه، فهو إمامها الذي يرفع راية دينها ويجتهد لإعلاء كلمة ربها ، وهو القيّم على مقدساتها والحامي لها من أعدائها وإذا تعود الناس على إهانته ولمزه وغمزه ضاعت مكانته، أو سقطت هيبته ، وطمع في الأمة أعداؤها ، فلا يُرجى خيرها ولا يُرهب جانبها، وخير إكرامٍ للحاكم إعانته على مهمته بالتزام أمر الله ﷻ ، فالأمة إذا هجرت المعاصي وكثرت فيها الطاعات وعم فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتواصت بالحق والصبر وعرفت حقها لدى حاكمها وعرفت حق حاكمها عندها كانت أمة واعية مستنيرة وكانت مكرمة لحاكمها بأن استجلبت له توفيق الله بدعاء الصالحين منها، ثم لطاعتهم لله بترك معاصيه والتزام أوامره فيصب هذا الإكرام في مصلحة الأمة والمجتمع ألفةً وتماسكاً وقوةً في بنائه الاجتماعي.

رابعاً : المراقبة :

قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(١)

مراقبة الرعية للحاكم مراقبة تقويم لا لتصيد الأخطاء ، ومراقبة استدراك لا للتشهير، مراقبة فيها من الإخلاص لله ﷻ والطاعة لرسوله والتأسي بالسلف الصالح، مراقبة فيها العين المتجردة المحايدة المؤمنة التي ترى الصواب والخطأ معاً ، لا الخطأ فقط، وتلحظ الحسن والسيئ معاً لا السيئ وحده، مراقبة الحارس الأمين الذي يتمنى للحاكم التوفيق والسداد ، ويدعو له بالتثبيت والابتعاد عن الزلل، مراقبة لا يكرهها الحاكم ولا يضيق بها بل يحبها ويطلبها ما دام يريد الصالح العام، فهذا أبو بكر ﷺ بعد اختياره خليفة يقف خطيباً قائلاً : " يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفتَ فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت -أو قال : شاعت- الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ،

---

(١) المائدة ٥/٢.

فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"[١]

إذن رحـــم الله أبـــا بكـــر لقد ألزم نفسه بما لم يخطر على بال الرعية، ولو اجتمعت الرعية وأعملت فكرها فيما تطلبه من خليفتها لما وصلت لما قاله هو ﷺ، وهـــذا الشأن دأب الحاكم الرباني الذي يرى الحكم تكليفا ، ويراه أمانة فيفرح بكل مَـــنْ ومـــا يعيـــنه على أداء هذه الأمانة حتى لو كان فيه انتقاده فالحق يفوق كل الرغبات ، وينتصر على سائر الشهوات والخليفة عمر ﷺ يضعها أمانة في أعناق الناس جميعاً ، قائلاً : "لا خير فيكم ما لم تقولوا ، ولا خير فيَّ ما لم أسمع"[٢] إذن فهو يلح بها ، ويخوف من تركها ، ويحذر من كتمانها ، وأيضاً يُطَمْئِن الجميع من الـــرعية أنه سيسمع إذا قالوا ، وسيرضى إذا انتقدوا، ولن يغضب إذا قوّموا فهو شـــاعر أن المسؤولية مسؤولية الجميع فلابد من الإيجابية وقيام كلٍ بدوره، هؤلاء -رحمهـــم الله – تدبروا القرآن، وأدركوا معانيه، وعرفوا معنى التعاون على البر والـــتقوى، وأبعـــاده ومحيطـــه الواسع ، وعرفوا -أيضاً- آثار هذه المراقبة وهذا التقويم على تعديل مسيرة الحاكم بما فيه صلاح البلاد والعباد.

خامساً : الاتحاد :

قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[٣] وقال سبحانه : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٤]

فالاتحـــاد قـــوة ، والتفرق ضعف، ومن حق الحاكم المسلم أن يرى رعيته خلفه صفاً واحداً والكل على قلب رجل واحد ألفةً ومحبةً وتكاتفاً، فإذا أدرك الحاكم ذلـــك قـــوي ظهره واطمأنت نفسه، واستطاع أن يتخذ القرارات الجريئة التي فيها

---

(١) أخـــرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب العلم ، باب لا طاعة في معصية، ج١١ ص٣٣٦ ، رقم ٢٠٧٠٢، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيئ والغنيمة، باب ما يكون للوالي الأعظم ووالي الإقليم من مال الله، وما جاء في رزق القضاة وأجر سائر الولاة ، ج١٠ ص٣٧ رقم ١٣٢٨٥.

(٢) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، مصدر سابق، ٥٣/٣.

(٣) آل عمران ١٠٣/٣.

(٤) الروم ٣١/٣٠ ، ٣٢.

صـــالح الأمـــة وهو على يقين من تأييد شعبه، والقرآن الكريم وهو يبني المجتمع المســـلم القـــوي يحرص كل الحرص على التفاف الرعية حول حاكمها ليزداد هذا المجتمع قوة وثباتاً لذلك قال رسول الله ﷺ : "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد منكم يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"(١)

وكـــم يتربص الأعداء الماكرون بالدول الإسلامية يريدون تمزيقها وتفريقها بوضع الدسائس بين أبنائها حتى يختلفوا ويتناحروا وبالتالي تضعف قوتهم وتذهب ريحهـــم ، والرعية الواعية هي التي تُفوِّت على الأعداء مخططاتهم وتعتصم بحبل ربهـــا وتلـــتف حول حاكمها المسلم ، ولا تنساق وراء شائعات مغرضة من هنا أو هناك القصد منها زعزعة الأمن وشق الصف وإضعاف القوة.

والحاكم إذا أحس بعدم اتحاد أمته ورأى تفرقها عليه ، واختلال نظامها من حوله وانقسامها خلفه فتَّ ذلك في عضده، وأوهن قوته، وهز ثقته، وأفقده توازنه فـــإذا به يتخبط في مسيرته ، ويتعثر في طريقه ، ولربما أتى أموراً تكون سبباً في جـــر الـــبلاء على أمته ولو بغير قصد ، أما إذا اتحد الناس خلفه وتركوا أهواءهم وأخلصـــوا لحاكمهم "حُفظت الحقوق ، وعُصمت الحريات ، واطمأنت قلوب الناس عـــلى أنفســـهم وأموالهـــم وانصرفت هممهم إلى ما يُجدي من علم يفيدونه، وفن يحذقونـــه، وأمـــوال يحصـــلونها وصـــناعات يبرعون فيها، وغير ذلك من أسباب سعادتهم ورفاهيتهم ومن وراء ذلك كله قوة الوطن وعظمته"(٢)

ومـــا تعرضت دول للأهواء والفتن والتفرق إلا تعثرت مسيرتها، وتراجعت في اقتصادها وعانت الفقر والحاجة بعد أن عانت الذل والمهانة.

* * * * *

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين ج ٣ ص١٤٨٠ ، رقم ١٨٥٢.

(٢) الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، مصدر سابق ، ٤٨/٣.

المبحث الثالث

المنهـــج

إن المجـــتمع المســـلم الـــذي تولى القرآن بناءه ورفع رايته بعد أن أسس قواعده عبر الفرد المسلم والأسرة المسلمة ، ما كان ليذره دون أن يضع له منهج حكمـــه ومصدر تشريعه حتى تكتمل الدائرة فحاكمٌ مسلم ورعية مسلمة بحاجة إلى منهج على المستوى نفسه من حيث القوة في مضمونه ، والانسجام في جزيئاته ، والصـــلاحية لعموم الزمان والمكان والأفراد بحيث لا يظهر خلله، ولا يُفاجأ الناس بقصـــوره ولا يقف عاجزاً أو مكتوفاً أمام قضية من قضايا الحياة تجد ، أو مشكلة تطـــرأ ، قـــال تعـــالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾[١] وقـــال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]

وإذا كـــانت البشـــرية قد أعملت عقولها وشحذت ذكاءها حتى تشرع للبشر قوانين تسير عليها وتضبط حياتها وتنظم معاملاتها ، فتضع عقوبة لكل مخالفة، أو تشـــرع جـــزاءً لكل جريمة وتؤلف موادَ للقانون الذي يحكم حياتها ، ثم يظهر خلل هذه التشريعات لأسباب:

١ - عـــدم عصمة المنهج الأرضي من القصور إذ هو لا يتناسب مع طبيعة البشـــر بينما المنهج الإلهي الذي أنزله الله موافقاً لطبيعة الإنسان الذي خلقه الله، متماشـــياً مـــع فطـــرته مراعياً لأحواله ، ليس فيه ظلم لهذا الإنسان بل فيه كفالة وحياة آمنة مستقرة لأن المشرع ﷻ عالم بحال عباده وما يصلحهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣]

---

(١) المائدة ٤٨/٥.

(٢) الجاثية ١٨/٤٥.

(٣) تبارك ١٤/٦٧.

٢ – عـــدم توافق التشريعات البشرية لما يَجِدُّ في حياة الناس وذلك لقصور العـــلم البشـــري والإدراك الإنساني ، بينما منهج الله ﷻ وضعه من لا تخفى عليه خافيـــة من أمر مخلوقه حالياً، أو بعد ذلك ، وكل ما يجد في حياة الناس سيجدون القـــرآن قـــد سبق بالإخبار ، أو الإشارة ، أو أن آياته قد حملت من هذه القضايا العـــلمية ما لم يستطع الإنسان فهمه إلا بعد اكتشافه والتوصل إليه، ولذلك يضطر المســـتمدون أنظمـــة حكمهـــم مـــن التشريعات البشرية إلى استحداث مواد جديدة لـــلقانون أو تعديلات أو ترقيعات حسب ما تواجه من مشكلات، بينما في منهج الله كـــل ما تحتاجه البشرية في مسيرة حياتها مهما قفزت من قفزات هائلة في علمها ومعيشتها .

٣ – اعتماد التشريعات البشرية على التخويف والردع دون أن تتولى تربية الـــناس عـــلى الأخلاق الفاضلة والمثل العليا ، بينما المنهج الإلهي يربي المجتمع عـــلى الفضيلة وطهارة النفس ، وعفة الفرج ، وكرم الخلق ، وعظيم السجايا، ثم يضع العقوبات لمن سولت له نفسه بالخروج على الحدود بعد أن أقام عليه الحجة وأزاح من أمامه كل المبررات لارتكاب هذا الخطأ أو اقتراف هذه الجريمة.

٤ – التشـــريعات البشرية في المجتمعات الإلحادية يتولى تطبيقها أشخاص غرقوا في مستنقع الجريمة الآسن، فلا يمثلون قدوات لمجتمعاتهم ، ولا مثلاً أعلى لـــرعاياهم بينما التشريع الإلهي في يد حاكم مسلم يقيم حكم الله ويلتزم به، ويدعو إلى تقـــواه ويتقيه، ويُخوِّف من بطشه ويخافه، ويُرَغِّب في مرضاته ويحرص هو عـــليها، وينشـــر المساواة ويضع نفسه وسط الناس، وينصب ميزان العدل ويزن نفســـه به ، ويستشير أمته وينزل على رأيها ويبحث عن الحق أنى كان وجوده ، فالـــناس يـــرون عـــليه التطبيق قبل أن يروه على أنفسهم أو أحد آخر وكأنه هو المـــرآةُ التي تعكس هذا المنهج فعلاً لا قولاً، وواقعاً لا افتراضات نظرية، وكم من المسلمين دخلوا الإسلام واعتنقوه قبل أن يعرفوا نظام حكم أو قبل أن يقرءوا عنه، أو يشـــاهدوا ســـير المجتمع تحت لوائه، ولكن –فقط– برؤياهم للحاكم ومعايشتهم لأحد المواقف التي شدتهم بقوة الفطرة إلى هذا الدين .

٥ - تَـلَقِّي الـناس من أعلى يشدهم إلى العلو والسمو ، والتحرر من أسر المـادة وأغلال الأرض وتغلب الجانب الروحي على ظلام المادة في أنفسهم ، بينما تـلقى الناس من أسفل يشدهم إلى التسافل والدناءة والانحدار إلى مهاوي الرذائل وهـوة الانحـراف ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[1] أريدت لـه الـرفعة فأباها وعافها ، فتُرك يهوي مع هواه حتى التصق بالطين، فكان طيناً على طين، وما أراد أن يكون نوراً محلقاً حيث تشف الروح وتخف.

٦ - المـنهج الإلهـي أقام دولة وأنشأ مجتمعاً شهدته الدنيا كلها فيه القوة العسـكرية ، وفيه العدل الذي شهد به الأعداء ، وفيه الغنى والثراء الذي لم يشغل أصحابه عن رسالتهم السُّميا وغايتهم العظمى، وفيه الهدى والخير والنور ، وفيه أخطاء أملَتْها الطبيعة البشرية لكن الفرق أن ذلك المخطئ كان بنفسه يجيء باحثاً عن إقامة الحد عليه، يريد أن يتطهر في الدنيا ليرجو رحمة الآخرة، أما في الغرب حيث القوانين الوضعية، فمجتمعات تطفح بالحقد والبغضاء وتعج بالجريمة والتفنن فـي إخفائهـا والهروب منها ، والتعاسة نصيب أهلها ، يشهد بذلك تسجيل أعلى نسـبٍ للانتحار لشبابها الذين ضاقوا بالحياة بعد أن ضاقت بهم الحياة - أيضاً- لم تسـتطع قوانين الأرض أن تلبي رغباتهم أو تشبع حاجاتهم برغم إعجاب كثير من المخدوعيـن من المسلمين بحياتهم وانبهارهم ببريق السراب الخدَّاع الذي يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

٧ - القوانيـن الوضـعية نصـوص ونظريات قد يكون رصيدها في الواقع صـفراً، ففرق بين مادة القانون والممارسات الواقعية، فالكلام ظاهره طيب ولكنه منزوع البركة ليس مسدَّداً ، أما النهج الإلهي فكل نصوصه طبقت، وكل محتوياته يسـتطيع الإنسـان أن يراها واقعاً معاشاً فيستطيع -إن شاء - أن يقرأ النص من خلال الفعل والواقع والممارسة فلا انفصام بين دين ودولة كما قال الإيطالي نلينو:

---

(١) الأعراف ٧/١٧٥ ، ١٧٦.

"لقد أسس محمد في وقت واحد ديناً ودولة كانت حدودها متطابقة طوال حياته"[١] فالدين في المحراب وفي الميدان وفي السوق وفي المنزل وفي سائر قضايا المجتمع وعلى طول حدوده.

٨ - عاب القرآن الكريم على أولئك الحمقى السفهاء الذي يُعْرضون عن حكم الله بما فيه من العدل والرحمة والإحاطة ، والمراعاة لجميع الظروف والدقة والشمولية وكذلك التطهير والتزكية إلى حكم الجاهلية الأولى الذي تجتهد فيه عقول بشرية لتشقى بها البشرية، فقال سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٢] والخطاب إن كان لليهود إذ هو "تعيير لهم بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي"[٣] فحكم الجاهلية لا رضيَ به الإله ولا سَعِد في ظله البشر، ولا جنى الناس بسببه إلا الشقاء والعناء، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[٤] وضنك النفوس وإقفار المشاعر باد للأعين ولو كان أصحابه في سَكرة الإشباع المادي، والإملاء الإلهي

أولاً : نظام الحكم الإسلامي :

قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٥] يقول سيد - رحمه الله-: " وإن الطاغوت لا يقوم إلا في غيبة الدين القيم والعقيدة الصالحة عن قلوب الناس فما يمكن أن يقوم وقد استقر في اعتقاد الناس فعلاً أن الحكم لله وحده ، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده والخضوع للحكم عبادة بل هو أصل مدلول العبادة"[٦]

---

(١) انظر نظام الحكم في الإسلام ، د/ محمد يوسف موسى، ط دار المعرفة ، مصر الثانية ، ١٩٦٤م، ص١١ ، ومنهج القرآن في تربية المجتمع د/ عبدالفتاح عاشور ، مصدر سابق ، ص٥١٤.

(٢) المائدة ٥/٥٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٤/٢١٩.

(٤) طه ٢٠/١٢٤.

(٥) يوسف ١٢/٤٠.

(٦) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق، ٤/١٩٩١.

والمتأمل في سمات الدين الإسلامي يجد نظام الحكم مرتبطاً به، ومنبثقاً منه، فليس الدين فقط شعائر ويكون هو في وادٍ والحكم ونظامه في وادٍ آخر، كلاَّ إنما الحكم والدستور والمنهج والمرجعية لله ﷻ الذي قال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] وثنى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] وثلث بقوله سبحانه ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] فمن أقصى شريعة الله عن الحكم فقد هدم الدين وقد وقع في الكفر والظلم والفسوق.. وما ينشأ الطاغوت إلا في غيبة الدين عن منصة الحكم ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾[4].

والحاكم المسلم ليس مشرِّعاً وإنما هو منفذٌ لحدود الله وشرعه، مطبق لأمره ، قاضٍ بحكمه ﷻ ولتسمع الدنيا كلها عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- في خطبة من خطبه قائلاً: "يا أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي،وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرَّم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا إني لست بقاضٍ وإنما أنا منفذ، ولست بمبتدع ولكن متبع ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله ﷻ ، لست بخيركم وإنما أنا رجل منكم ألا وإني أثقلكم حملاً ، يا أيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم"[5] رحم الله عمر ، ورحم كل من ينسج على منواله في هذه الأسس التي

---

(١) المائدة ٥/٤٤.

(٢) المائدة ٥/٤٥.

(٣) المائدة ٥/٤٧.

(٤) النساء ٤/٦٠ ، ٦١.

(٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ابن الحكم ، مصدر سابق ، ص٣٥ ، ٣٦.

يضعها للناس والمعالم التي يُرسيها في هذه الكلمات الموجزة وهو على منصة الحكم ومن ذلك :

١- لا تشريع بعد كتاب الله فليس بعده كتاب ، ولا بعد سنة رسوله فليس بعده رسول.

٢- لا حلال إلا ما أتى به الكتاب والسنة ولا حرام إلا ما حرم الكتاب والسنة.

٣- إن الحاكم ليس مشرعاً وإنما مجرد منفذٍ لأحكام الله ﷻ وهو -هنا- عارف قدره ملتزم حدوده.

٤- وهو سائرٌ على درب من سبقوه ولا يحيد وليس له ذلك وإلا ابتدع.

٥- وهو يُعفي الناس من طاعته إن أمرهم بمعصية فالطاعة -فقط- في طاعة الله.

٦- وهو معلنٌ لمبدأ المساواة والتواضع فالحكم ليس ميزةً له ولا يرفعه فوق رعيته.

٧- وهو يدعوهم إلى أداء فرائض الله والاجتهاد فيها والمحافظة عليها.

٨- وهو يحذرهم من محارمه وزواجره ونواهيه ومما يسخطه ويجلب غضبه وانتقامه.

٩- وهو -أخيراً- يستغفر الله لنفسه ولهم فهو ذو ذنوب مثلهم وذو تقصير كتقصيرهم ، وفقير إلى عفو ربه كفقرهم.

وعظمة عمر -هنا- أنه نفى عن نفسه كل صفة قد تخدع الناس فيه وبه وربطهم في كل أمرٍ بربهم فالحكم حكمه ، والشرع شرعه، والدين دينه، وما هو إلا منفذ لأوامر ونصوص هذا الدين ، بل يؤصّل في أنفسهم أنهم محكومون بشرع ربهم مُساسون بدينه ﷻ وما تنكبت بلاد الإسلام الطريق إلا يوم جعلت الحاكمية لغير الله، واستوردت قوانين تقوم بها بترقيع حياتها، بينما مصادر التشريع الإسلامي لم تترك شيئاً في حياة الناس يحتاج لهذا الترقيع، لقد قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] فالعبادة غاية من إنزال الكتاب العزيز الذي يبين أصولها وهيئاتها

---

(١) الزمر ٢/٣٩.

وتوقيتها والحكمة منها. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[1] فالحاكمية غاية من إنزال الكتاب كما يتضح من الآية ، وهاتان الآيتان تدلان على أن امتثال أمر الله ﷻ في الحكم والتحاكم كامتثال أمره تماماً في الأمور التعبدية الأخرى كالصلاة والحج والصيام والزكاة ، بل إن التحاكم إلى الكتاب هو من الأمور التعبدية التي لا يجب تركها أو هجرها ، وهذه مهمة الحاكم أن يحكم الناس بشرع الله وأن يقضي بينهم راجعاً إلى القانون السماوي ، فلا يُحل ما حرم ، ولا يحرم ما أحل ولا يُجيز ما حذر منه ولا يمنع ما أباحه ، ولا يعطل حكماً إلهياً ، ويحل محله قانوناً عرفياً ولا يحسبن أن الأمر على الاختيار ، كلاَّ إنما هو فرض من الله ﷻ.

ثانياً : مصادر الدستور الإسلامي:

١ - القرآن الكريم:

هو المصدر الأول للتحاكم لجميع الأمة الإسلامية، فكل ما جاء في الآيات الكريمة يُنْزَلُ عليه ويُتَحاكم إليه ويُرضى به ويعول عليه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[2] قال ابن تيمية -رحمه الله- : "وعلى كل من ولي أمراً من أمور الناس أو حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل ، فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله وهذا هو الشرع المنزَّل من عند الله"[3]

ولأن الأمة أمة القرآن، وقد تكفّل الله بحفظه فلم تمتد إليه يد بتحريف أو زيادة أو نقصان، بل هو هو منذ أُنزل على النبي ﷺ كاملٌ لم ينقص ، وسليم لم يُحرَّف ولم يبدَّل ، كما حدث في الكتب السماوية الأخرى، لأن الله ﷻ هو الذي تكفل بحفظه ولم يكل ذلك للمسلمين وإلا ضيعوه.

---

(١) النساء ١٠٦/٤.

(٢) الحديد ٢٥/٥٧.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ابن القيم ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق، الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص٨٢.

ومـــن عجـــائب ما يُروى في ذلك المعنى ، ما ذكره القرطبي -رحمه الله- بإسناده إلى يحيى بن أكثم[١] قال : "كان للمأمون[٢] مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حَسَنُ الثوب ، حَسَن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعـــبارة، فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال : نعم. قـــال : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده. فقال ديني ودين آبائي وانصرف. فلما كـــان بعـــد سنة جاءنا مسلماً فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعـــاه المـــأمون وقـــال : ألست صاحبنا بالأمس؟ قال : بلى . قال : فما كان سبب إســـلامك؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا مع ما تـــراني حَسَـــن الخـــط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلـــتها الكنيسة، فاشتُريت مني، وعمدت إلى الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة [بيت عبادة النصارى] فاشتُريت مني، وعمدت إلى القـــرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ، ونقصت ، وأدخلتها الوراقين [مكان بيع وشـــراء الكتب] فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رَمَوا بها فلم يشـــتروها، فعـــلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي"[٣] فالله ﷻ لما اســـتحفظ أهـــل التوراة والإنجيل عليهما ضيعوهما ولكنه تكفل بحفظ هذا المصدر الأول للـــتحاكم والتعبد فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٤] وكثير من الأحكام جاءت واضحة محكمةً في القرآن الكريم، وما على المسلمين إلا تطبيقها في حياتهم وإنزالها إلى واقعهم، ومن ذلك :

---

(١) هـــو : يحيى بن أكثم بن محمد بن قسطل ، قاضي القضاة ، الفقيه العلامة، أبو محمد التميمي المروزي ثم الـــبغدادي، ولـــد فـــي خلافة المهدي ، وكان من أئمة الاجتهاد ، وله تصانيف منها كتاب "التنبيه" ،مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة، سير أعلام النبلاء، الذهبي، سابق ، ١٢/٥ - ١٥.

(٢) أبـــو العـــباس عبدالله بن هارون الرشيد ، ولد سنة سبعين ومئة وقرأ العلم والأدب والأخبار وعلوم الأوائل، ودعـــا إلى القـــول بخـــلق القرآن وبالغ في ذلك، وكان كثير الغزو ، توفي سنة ثمان عشرة ومائتين. نزهة الفضلاء بتهذيب سير أعلام النبلاء، إعداد محمد بن حسين بن عقيل موسى ، ط دار الأندلس الخضراء، جدة، الـــثانية ، ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ج٢/٧٦٤-٧٦٦، وانظـــر ســـير أعـــلام النـــبلاء، الإمـــام الذهـــبي ، سابق، ١٠/٢٩٠-٣٠٦.

(٣) تفسير القرطبي، مصدر سابق، ١٠/٥ ، وانظر النبأ العظيم ، د/ محمد عبدالله دراز، مصدر سابق،ص٨.

(٤) الحجر ١٥/٩.

قولـــه تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[٣] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٤]

والمســـلم الذي آمن بالله رباً ورضي به مشرعاً ، وصدّق بآياته المنزلة هو الـــذي يـــنزل على حكم الكتاب ويرضى به ويسلم له ففي القرآن الكريم علاج كل عـــلة، ودواء كل معضلة ، وحل كل مشكلة، فالذي خلق الإنسان وسخر له الكون كله أنزل القرآن يهديه ويرشده وينهاه ويأمره، وأيضاً يعده ويبشره ، وأيضاً يحمل أحكامـــاً عـــلى مـــن خالف أو زلت قدمه في جرائم تهدد أمن أوطهارة أو اقتصاد المجتمع، فسافك الدماء يهدد أمن الناس ، فلابد أن تصدر في حقه العقوبة الرادعة الـــتي تكفل الأمن لسكان المجتمع لتستقر الأوضاع ويطمئن الناس على أرواحهم ، والـــذي يعـــتدي عـــلى الأعراض آثم يلوث طهارة المجتمع ، ويشيع فيه الرذيلة ، ويـــبغي الســـوء للأبرياء والمطهرين فلابد أن يُردع ليبقى المجتمع طاهر الأردان نظيـــف الأعراض محاطاً بسورٍ عالٍ من الفضيلة، والآداب والأخلاق، والذي يسرق أو يـــنهب أو يفســـد يهدد اقتصاد المجتمع ، وفي ظل هذه الأوبئة لن يأمن الناس عـــلى أموالهـــم ، ولـــن ينشـــطوا فـــي أعمـــالهم ، ولـــن يتوسعوا في تجاراتهم ومشـــروعاتهم ولـــن يظهـــروا كل ما يمتلكونه خوفاً عليه من الأيدي الآثمة التي تـــتطاول عـــلى حقوق الغير بل ربما أخفوا أموالهم ، أو هربوها بعيداً ولم يُفيدوا

---

(١) البقرة ١٧٩/٢.

(٢) النور ٢/٢٤.

(٣) المائدة ٣٣/٥.

(٤) المائدة ٣٨/٥.

المجـتمع بها ومنها إذا لم يشعروا أن عين الدولة ساهرة تحرس أموالهم ، وترد اعتـبارهم وتُعيد إليهم حقهم وتضرب بيدٍ من حديد قويةٍ على السارق أو المتطاول أو المتلاعب أو المرتشي أو المختلس أو المزور أو العابث بأموال غيره سطواً أو ابتزازاً ، وذلك كله برهان على أن الحكم بكتاب الله هو في صالح المجتمع كله أولاً وأخيراً ، لأنه تشريع الله الذي يريد لعباده خير الدنيا والآخرة إذا هم أطاعوا أمره ولزموا حكمه، ورضوا بشرعه يحكمهم ويفصل بينهم ويُطبَّق عليهم.

٢ـ السُّنّة النبوية المطهرة:

وإذا كـان القـرآن الكريم هو المصدر الأول للدستور الإسلامي، فإن السنة النبوية هي مصدره الثاني، لأنها - أي السنة النبوية - هي الوحي الثاني ، وذلك لأن الوحي نوعان أحدهما وحي متلوٌ وهو القرآن المنزل على محمد رسول الله ﷺ ، بـلفظه ومعناه وهو المتعبد بتلاوته، والثاني : وحي غير متلوٍ وهو المروي عن النبي ﷺ المبيِّن عن الله ﷻ[١]

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[٢] وقال سبحانه ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] وقـال ﷻ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۙ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٤] وقـال سـبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[٥] وقـال الشـافعي -رحمه الله - بعد ذكره للآيات الآمرة باتباع الكتاب والحكمة وامتنانه بهما على الأمة أي في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/٨٧-٩٣ ، وحجية السنة د/ عبدالغني محمد عبدالخالق ص ٣٣٤ - ٣٤١ نقلاً عن مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، د/ عثمان جمعة ضميرية مكتبة السوادي ، جدة ، الثالثة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص١٦٤.

(٢) النساء ٤/٦٤.

(٣) النحل ١٦/٤٤.

(٤) النحل ١٦/٦٤.

(٥) الحشر ٥٩/٧.

وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] "ذكر الله تعالى- الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم ، لأن القرآن ذكر وأُتبعته الحكمة، فلم يجز ، والله أعلم ، أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله ﷺ ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول : فرض، إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله ، لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به ، وسنة رسوله مبينة عن الله معنى ما أراد.."[٢]

ولدى الأمة الإسلامية هذا الرصيد الهائل من أحكام النبي ﷺ، وأقضيته لأنه مارس الحكم سنوات، وأدار المجتمع الإسلامي واقعاً حياً، وحكم في قضايا الدولة في جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وقضاؤه مدون في بطون دواوين السنة الصحيحة وعلى الأمة أن تنزل على أحكامه فرضاً لا اختياراً ليتحقق الإيمان في حياتها ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [٣]

٣ - الإجماع :

إن أصحاب الرسول ﷺ هم خير الناس بعده، وهم الأرجح عقولاً، والأوسع فهماً والأعمق إدراكاً والأغزر علماً، هم الذين رأوا النبي ﷺ وخالطوه وعاشروه، وشهدوا حكمه، واستمعوا لقضائه، ونقلوا ما أشار به تجاه القضايا المختلفة، وهم المؤمنون الذين وجب اتباع سبيلهم في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ

---

(١) آل عمران ١٦٤/٣.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص٧٨ ، ٧٩ ، وانظر أحكام القرآن للشافعي ، جمعة البيهقي ، ٣٨/١ ، ٣٩ نقلاً عن مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، د/ عثمان جمعة ضميرية ، مصدر سابق ، ص١٦٥.

(٣) النور ٥١/٢٤ ، ٥٢.

مَصِيرًا ﴾[١] اتخذهم رسول الله أعواناً ، واختار منهم الأئمة وعيَّن منهم القضاة الذي يقضون بين الناس ويفصلون في أمورهم ، لذلك كله كان إجماع الصحابة على أمر من الأمور من المصادر الرئيسة للتشريع التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار ويُرجع إليها في الحكم بين الناس، وخاصة الأربعة الراشدين خلفاء الرسول ﷺ ، وقد قال فيهم "... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢]

٤ - الاجتهاد والقياس :

فإذا لم يوجد في المسألة نص في كتاب أو سنة أو فعل السلف اجتهد العلماء المشهود لهم بالصلاح فيما يستجد من قضايا الأمة ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣]

والعلماء بقواعد الشريعة وأمور الدين هم دليل الحائرين في ظلمات الفتن كلما جدت للأمة قضية، أو مسألة انبروا لها حتى يخرجوا بحكم يزيل الالتباس ويأخذ به الناس فهما وقياساً واستنباطاً وهذا من عظمة الدين الإسلامي الذي فتح الباب للاجتهاد والرأي فلم يحجر على عقول الأمة وإنما أفسح لها الطريق وأعطاها الإشارة لتسير قدماً للوصول إلى المناسب لظروف العصر ومستجدات الحياة، والأمة بخير ما عرفت لعلمائها قدرهم والتفت حولهم والحاكم بخير ما عرف طريق العلماء وما قرَّب المشهود لهم بالفضل والعلم والصلاح ومن اجتمعت

---

(١) النساء ٤/١١٥.

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة، ج٤ ص٢٠٠ رقم ٤٦٠٧ والترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ، واجتناب البدع ج٥ ص٤٤ رقم ٢٦٧٦، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ج١ ص١٥ رقم ٤٢، وأحمد في مسنده، ج٥ رقم ١٦٦٩٢، مسند الشاميين، واللفظ له.

(٣) النساء ٤/٨٣.

عـليهم قـلوب الرعية ثقة ومحبة، وكل هذا يصب في تماسك المجتمع الإسلامي وسلامته من الفتن وإرشاده إلى سواء الصراط.

ومما سبق عرضه في الفصل الأول من الباب الثالث نخلص بالآتي :

١- أن القـرآن وهـو يبـني المجـتمع المسلم قد اهتم بثلاثة جوانب اهتماماً كبيراً وأولاها عنايته ألا وهي الحاكم والأمة ودستور الحكم.

٢- أنـه اشترط للحاكم أن يكون من صفوة القوم أمانة وتقىً وخشيةً لله ﷻ وعلماً بأمره لأنه إمام للناس والناس له متبعون وبه يأتمون.

٣- أن الإسلام يلزم الحاكم أن يلزم العدل في حكمه والشورى في قراراته والمساواة بينه وبين رعيته ، وبين أفراد الرعية بعضهم بعضاً.

٤- أن الحاكم مكلف أن يسهر على أمور رعيته ، وأن ينتصر للضعيف ، وأن يسعى في جلب الخير لهم وإبعاد الشر عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

٥- أن عـلى الرعية من الواجبات تجاه حكامها كما أن لها حقوقاً قِبَلهم وعليها أن تؤدي هذه المسؤوليات طاعة ونصحاً واحتراماً وتوقيراً، ومراقبة وتقويماً.

٦- أن مـنهج الحكم في المجتمع الإسلامي منبثق من الشريعة الإسلامية وليس هذا المجـتمع في حاجة إلى استيراد أحكام من خارج حدوده ، فالحكم لله وما الحاكم إلا منفذ لهذه الأحكام.

٧- أن مصـادر الدسـتور هـي كـتاب الله ، وسنة رسوله، وإجماع الأمة واجتهاد العلماء.

لقـد حَسِـبَ كـثير من الناس -جهلاً- أن القرآن مجرد آيات يُترنم بها ، أو يُصلى بها عبادة وخشوعاً ، ولكن يتأكد من خلال هذا العرض أن القرآن يبني مجتمعاً بأسره حاكماً ومحكومين ومنهجاً ، وينظم حياة الناس تنظيماً دقيقاً، فلم يترك شيئاً إلا أولاه الاهتمام المطلوب، ولم يدع أمراً فيه تدعيم لحياة الناس وتأمين لمعاشهم ودرء للمشاكل عنهم إلا دعا إليه ومهَّد له ، لأنه كما يريدهم متميزين بتلاوته في مساجدهم وبيوتهـم، يـريدهم -أيضاً- متميزين به في جميع شؤون حياتهم العامة والخاصة ، وكمـا بـنى الفرد ، ثم الأسرة ، يبني الحاكم والرعية، فما الحاكم إلا فرد من هؤلاء، ومـا الـرعية إلا مجموع هؤلاء، وتلك عبقرية القرآن البناءة ، وخزينته المعطاءة، والتي تزخر بالكنوز لمن عرف قدرها وأحسن الانتفاع بها.

الفصل الثاني

منهج القرآن الكريم في مواجهة قضايا المجتمع

تـوطئة :

المبحث الأول : قضية الفقر

المبحث الثاني : قضية العنف والتعصب.

المبحث الثالث : قضية الشرك

المبحث الرابع : قضية العلمانية

توطئـــة

المجـــتمع الإســـلامي مـــزيج من مستويات وثقافات، وهو متصل بغيره من المجـــتمعات ، عبر كثير من الروابط والعلاقات ، متأثر بما حوله في العالم ، وتلك سنة الله في خلقه ، حيت تتمازج الثقافات وتتدافع الحضارات، ولذلك نشأت في هذا المجـــتمع مجموعـــة مـــن القضايا أو المشكلات ، كلها نتجت كآثار لضعف الوعي الإسلامي ، والابتعاد عن المنهج التطبيقي ، وهذه القضايا التي تعيشها المجتمعات مـــنها مـــا هو عقدي كقضية الشرك والانحراف عن عقيدة التوحيد انحرافاً تختلف صـــوره وتتـــباين حدتـــه من مجتمع لآخر، ومن مكان لآخر ، ومنها ما هو فكري ثقـــافي كقضية العلمانية هذه الوافدة على ديار الإسلام والتي وجدت من يستقبلها ويُكـــرم مثواها من بني الإسلام، ومن هذه المشكلات ما هو سلوكي نفسي كقضية العـــنف والتعصـــب تلك التي فتَّت في عضد البناء الاجتماعي للدولة وجرَّت أسباب الفـــرقة والـــتمزق، ومن هذه المشكلات ماهو اقتصادي كقضية الفقر الذي تعيش تحت خطه نسبٌ كبيرة من المسلمين.

والقـــرآن الكريم كما يبني الفرد في نفسه ، والأسرة في تكوينها، والمجتمع بفـــئاته ، قد قدم الحلول لهذه القضايا والمخرج من هذه المشكلات، وإن كان غير مسؤول عنها ، ومع ذلك فقد تكفل منهجه بحماية الإنسان لئلا تقوم هذه المشكلات أصـــلاً ، فهـــو يبني مجتمعاً سليم العقيدة بعيداً عن الشرك، سليم الفكر والتصور يستعصي على الأفكار الواردة ، سليم الطريقة والأسلوب خالياً من الصدام والعنف والتعصب بين أهله ، سليم الاقتصاد ، قوي البنية عاملاً منتجاً مكتفياً وغنياً.

هـــذه القضايا ، الفقر ، العنف والتعصب، الشرك، العلمانية هي موضوعات المباحث الأربعة في هذا الفصل ، يُسمَعُ فيها صوت القرآن وتُرى فيها نظرته لهذه القضايا ويُلتمس فيها منهجه في القضاء عليها وحماية المجتمع من شرها.

* * * * *

المبحث الأول

قضية الفقر

يعــدُّ الفقر في المجتمع الإسلامي صورة من صور الظلم الاجتماعي، وسمة مــن سمات المعاناة التي ترزح تحت وطأتها كثير من المجتمعات الإسلامية ، وهي حقيقــة تنطق بها نظرة سريعة أولية لحال هذه المجتمعات، ففئات قليلة من الناس يعيشــون عيشة المترفين ، يتقلبون في صنوف النعيم ويكنزون الأموال ، وينفقون بــبذخ على أفراحهم وشتى مناسباتهم الاجتماعية، ويبالغون في الحصول على مُتعِ الحيــاة بمختــلف أشــكالها، ويجمعــون المال من حله وغير حلِّه، ولربما تاجروا بــأقوات الــناس ومقدرات حياتهم بإجرام ليس له نظير من أطعمة قاتلة، وأدوية فاسدة وفي المقابل هناك فئات عريضة من المسلمين لا تجد ما تقتاته، ولا تحصل عــلى ما يسد جوعتها أو يواري سوءتها أو يداوي علتها، والمجتمع المسلم الذي تســوده هــذه الأوضــاع مجــتمع يغص بالأمراض، أمراض الكبر والأثرة والأنا والاستعلاء وحب الذات، والركون للشهوات لدى الأغنياء ، وأمراض الحقد والحسد والكراهية والدونية والبغض لدى هؤلاء الفقراء الذين يرون هؤلاء الأغنياء وهم يتقلــبون في أصناف النعم ، وهم المحرومون البائسون فيشعرون بلسع الظلم على قلوبهم ووطأة الطبقية تجثم على صدورهم فهذا حال مجتمع ضعيف متهالك مفكك، يفــتقد عناصــر القوة والترابط بسبب هذه المشكلة العويصة التي يتصدى القرآن لعلاجها علاجاً ربانياً كاملاً.

والمجتمع المسلم إذا سيطر عليه المترفون ، وتحكم في مصائره المنعمون، وتغلغلوا في حياة مجتمعهم وأثروا في سياسته واقتصاده ونظمه، فإن هذا المجتمع تجري عليه سنة الله ﷻ التي لا تتخلف ولا تحابي أحداً ، هذه السنة يقول الله ﷻ عــنها : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1]

---

(١) الإسراء ١٦/١٧.

ودائماً المترفون في كل زمان ومكان هم أعداء الإصلاح ، ومناوئو العدالة، ومحاربو الدعوات ومكذبو الرسل ورافضو كل دعوةٍ تهدف لإصلاح الأمور وتعديل الأوضاع ، وتغيير الواقع لأنهم يريدون الحفاظ على أوضاعهم ، وبقاء الأمور على مـــا هـــي عـــليه ليزدادوا غنى وثراءً ويزداد غيرهم فقراً وعناءً[١] ، ولذلك سجل القـــرآن مواقفهم مع المرسلين عبر موكب الرسالة والأنبياء فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] وقـــال عنهم نبي الله صالح عليه السلام -مخاطباً قومه- ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[٣] وقال الله عن عاقبتهم ومآلهم في الآخرة ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٤].

وأول من وقف في وجه الرسول ﷺ حينما دعا الناس إلى ربهم، وتلا عليهم القرآن هم الملأ الأغنياء المترفون، والسادة المنعمون لحرصهم على ما في أيديهم مـــن مـــال ، وما لَهُم في المجتمع من حظوة، فهم السادة وسواهم العبيد الأرقاء ، وهم الأشراف وغيرهم المطحونون الفقراء، وهم أصحاب الكلمة والرأي والتقرير، وسواهم القطيع الذي يؤمر فيطيع ويُساق فينساق.

وهـــناك حقيقـــة لابد من تقريرها والتأكيد عليها وهي أن الله ﷻ جعل في عـــباده الغني والفقير، والموسر والمعْسر، حيث قال : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[٥] وقـــال -ســـبحانه- : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٤٥٨/٢، وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ١٨٧٢/٤.

(٢) الزخرف ٢٣/٤٣.

(٣) الشعراء ١٥٠/٢٦ - ١٥٢.

(٤) الواقعة ٤١/٥٦-٤٥.

(٥) النحل ٧١/١٦.

وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [١] وقال -سبحانه-: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] .

لكن الحقيقة الأخرى التي تتلو الحقيقة السابقة هي أن الله ﷻ وسَّع على بعض عباده وضيَّق على البعض الآخر ليبلوهم فيما آتاهم ، فيبتلي الفقير لينظر أيرضى، ويقنع، ويسعى، ويصبر ، ويبتلي الغني أيسخو، ويجود ، ويتصدق، ويشكر.

ثم الحقيقة الثالثة أن الفقر المذموم هنا هو الناتج عن الظلم الاجتماعي والاحتكار والمراباة والأثرة ، وأكل عرق المنتجين والمبدعين ، والثراء المذموم هو ثراء اللصوصية والغش والتزوير ، والتحكم في أقوات الكادحين ، وتكبيد المجتمع الخسائر الفادحة في اقتصاده وموارده من أجل ثراء غير مشروع ، ولأجل أن تنعم طبقة بالمال على حساب طبقات مظلومة.

ثم الحقيقة الرابعة هي أن القرآن لديه منهج متكامل لعلاج مشكلة الفقر ومواجهة قضيته بوسائل عديدة ، هذه الوسائل تحاصر الفقر وتحاربه، وتخفف منه بل من الممكن أن تقضي عليه قضاء تاماً، وهذه الوسائل هي : -

١ - دفع الزكاة :

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣]

ولو أن كل مسلم في المجتمع الإسلامي دفع زكاته كاملة كما أرادها الله ، وبحث عن مستحقيها الذين فصلتهم الآية ، وأوصلها إليهم، لما بقي على الأرض فقير يشكو ، أو مسكين يتألم، أو جائع يتضور، أو سائل يتكفف، ولعمَّ نفعها الناس، ولوصل خيرها إلى كل مكان ، ولنعم بهذا الخير الغني بالبركة والنماء

---

(١) الإسراء ٢١/١٧.

(٢) الروم ٣٧/٣٠.

(٣) التوبة ٦٠/٩.

والـــزيادة ، والفقير بسد حاجته وانقضاء مسألته، ولقد أخرج الناس زكاة أموالهم فـــي عهـــد الراشدين ومنهم عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله - فكفتهم وزادت عن حاجـــتهم حتى إنهم ما كانوا يجدون من يأخذ الزكاة وعم الخير ، واغتنى الناس ، وفـــي يوم "خرج ابن عبدالعزيز في ولايته الخلافة فركب هو ومزاحم، وكان كثيراً مـــا يـــركب فيـــلقى الركبان فيتحسس الأخبار عن القرى ، فلقيهما راكب من أهل المديـــنة ، وسألاه عن الناس وراءه فقال: إن شئتما جمعْتُ لكم خبري، وإن شئتما بعَّضـــته تبعيضـــا ، فقالا: بل اجمعه فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظـــلوم بها منصور ، والغني موفور ، والعائل مجبور فسُرَّ بذلك عمر ، وقال : والله لأن تكـــون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس"[١] فالغـــني موفـــور فلم يفتقر ولم يذهب غناؤه،والعائل وهو المحتاج مجبور فقد سُد عـــوزُه، وجُـــبر كسرُه ، وأُغنيَ فقرُه، وهذه هي حال المجتمع المزكي الذي سادته الشـــعيرة الإســـلامية كما أراد الله ، وكما جاءت في القرآن، وهذه هي حال الحاكم وهو مغتبط بما يسمع ، وبما آل إليه حال الناس من التكافل والتضامن الإسلامي.

٢ - الصدقات التطوعية :

فالقـــرآن يغـــرس في نفس المسلم حب الغير والإحساس به والشفقة عليه، فيدعـــوه إلى الصـــدقات ويرغـــبه في إعطاء السائل والمحروم، وإطعام المسكين، والإحساس بإخوانه من أهل المجتمع الإسلامي فيفيض عليهم مما أعطاه الله تعالى ومن هذه الآيات: -

قـــال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [٢] وقال -ســـــــبحانه- : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾[٣] ، بـــل ولفت الانتباه إلى

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ابن عبدالحكم ، مصدر سابق، ص١١١.

(٢) الرعد ١٣/٢٢.

(٣) الإنسان ٧٦/ ٨ ، ٩.

اعـــتراف أهـــل الـــنار وهم يعددون سبب ورودهم لها قولهم : ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾[١] وحشد هائل من الآيات إما تدعو إلى الإنفاق والإطعام وتعدُ بالأجر ، وإمـــا تشـــرح حـــال المـــتقين في الآخرة موضحةً أن من أسباب نجاتهم إنفاقهم وإطعامهم ، وإما تأتي بلقطات ومشاهد للمفرطين والأشحاء والبخلاء وهم يعالجون ســـكرات المـــوت وإذا بهم يتمنون الرجعة ويطلبون العودة ليجدوا فرصة للتصدق والعطاء، ولو أن هذه الآيات قُوبلت بالطاعة من عامة المسلمين فأنفقوا وتصدقوا، وأطعمـــوا ، وطـــابت أنفسهم ، عملاً بكتابهم، واتباعاً لرسولهم ﷺ الذي قال عنه أنس ﷺ: "لم يكن يسأل شيئاً إلا أعطاه ، وقال فأتاه رجل فسأله فأمر له بشياه كثيرة بين جبلين من شياه الصدقة، فرجع إلى قومه ، فقال يا قوم: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر"[٢] ، فالأعرابي انقلب داعية لقومه بسبب هذا العطاء ، فكم يسعد الناس في ظل تعاليم القرآن إذا أنزلوها في حياتهم منزل التطبيق الكامل وأخذوا معاني آياته بقوة الأخذ وقوة التمسك وقوة التطـــبيق، ولو أن كل قرية أو مدينة تعَهَّد أغنياؤها فقراءها، وموسروها معسريها بالعطـــاء والمـــتابعة والصدقات لما بقي فيها محتاج ، ولعولجت مشكلة الفقر على هذا المستوى.

٣ - حظر جميع مصادر الكسب الخبيث:

كالغش والسرقات والتزوير والرشاوي والمخدرات والربا والاحتكار "فهما - أي الربا والاحتكار الساقان اللتان تقوم عليهما الرأسمالية الجشعة"[٣]

فهـــذه مـــن الأســـباب الرئيســـة والمباشرة لغنى فئات من المجتمع وهذه المصـــادر إضافة لما تجره على المجتمع من إفسادٍ لقيمه ، ونسفٍ لأخلاق أهله ، فـــإن أصـــحابها وقد فعلوا المحرم وحاربوا الله ورسوله يفتقدون لمشاعر الرحمة والإحســـاس بالغير ، وكم يكسب هؤلاء بهذه الطرق المحرمة من ملايين بل بلايين

---

(١) المدثر ٧٤/٤٤.

(٢) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ج٤ ص١٨٠٤ ، رقم٢٣١٢

(٣) الصـــحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ، د.يوسف القرضاوي ، ط دار الشروق ، بيروت ، السابعة ، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، ص١١٥.

فـــي ساعات قصيرة، والمجتمع المسلم الذي يريد نصرة دين الله وشرعه ، ويريد أن تســود العدالـــة أرجاءه ، ويريد ألا يزداد الثريُّ ثراءً والفقير فقراً ، هو الذي يغــلق كــل منافذ الكسب غير المشروع ولا يسمح بها حفاظاً على نفسه من سخط ربـــه ، وفســـاد أحواله ، وإنقاذاً لبنائه من الضعف والانهيار، ونجاةً من حرب الله ورســـوله التي لا يقف في طريقها شيء إلا أتت عليه، حيث قال سبحانه:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1].

٤ - تطبيق قانون : من أين لك هذا :

فكـــل ثـــراء مفاجئ ، وكل كسب غير مشروع ، وكل غنىً يأتي طفرةً يجب على المجتمع محاسبة صاحبه ومساءلته ، لأن المجتمع شريك في ذلك، ويتأثر به ســـلباً وإيجاباً ، وليس معنى ذلك تقييد حريات الأشخاص إنما هي الرقابة الشرعية الـــتي تجعـــل كـــل شخص يفكر كثيراً في مصادر جمعه للمال قبل أن يجمعه، وفي مصـــادر دخلـــه قبل أن يقدم عليها، وهذا القانون وتلك المساءلة هي اتباع لسنة النـــبي ﷺ الذي حاسب وأنذر وتوعد كل من يجمع من غير الوجه المشروع ومن ذلك موقفه ﷺ الوارد في الصحيحين حيث "استعمل رجلاً من الأزد يقال له ابن اللُّتبيَّة على الصدقة ، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي ، قال: فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيُهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاةً تيعر ، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه اللهم هل بلغتُ، اللهم هل بلغتُ ثلاثاً"[2] .

رقابـــة صـــارمة على الأموال ، ومساءلة دقيقة عن الكسب للعمال ، وتحرٍ شـــاملٍ بـــل وضـــوابط قوية وتخويف وتهديد ، وجاء من بعده خلفاؤه الراشدون فحاســـبوا ولاتهـــم ، ولـــم يكونـــوا فوق القانون أو فوق المساءلة، وأول مستفيد

---

(١) البقرة ٢/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) رواه الـــبخاري ، وانظـــر الفتح ، كتاب الهبة ، باب من لم يقبل الهدية لعلة ، ج٥ ص٢٦٠ رقم ٢٥٩٧، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ج٣ ، ص١٤٦٣ ، رقم ١٨٣٢، واللفظ للبخاري.

بتطـبيق هذا القانون هو الشخص نفسه فكفى نجاته أمام الله ﷻ ثم المجتمع الذي يشـجع الكسـب الحلال المشروع، ويقف بالمرصاد لكل كسبٍ حرام أو فيه شبهة فيحاسب ويعاقب العقاب الرادع الزاجر.

٥ - حظر احتكار السلع الضرورية :

كـالغذاء والـدواء والمـاء، فـلا يُسمح لأحد أن يتحكم في أقوات الناس، ومقدراتهم ، أو يحتكر سلعهم التي هي عصب حياتهم، فتلك السلع، وبسبب حاجة الـناس المـلحة إليهـا تكـون سبباً في ثراء المتحكمين فيها ، لأنهم مهما رفعوا أسعارها فلا غنى للناس عنها.

٦ - الضرب على أيدي المسرفين :

وهم الذين يبالغون في الإسراف ويمعنون في التبذير في حفلاتهم وزواجهم وشتى أمورهم والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾[1] فكـل من يبدد اقتصاد المجتمع من حاكم أو محكوم يجب الأخذ على يده، لأن هـذا الإسـراف يضـر بالأمة كلها، ويوهن قوتها، ويضعف قدرتها، والمسلم مـأمور بالاعتدال في الإنفاق حتى من ماله الخاص ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [2] وصـون المال أمانة يُسأل عنه الجميع لأنه عصب الحياة في المجتمع المسلم الذي يجب أن يحافظ عليه ويصونه ويُحسن وسائل استثماره وتنميته.

٧ - إقامة المشروعات العملاقة لتنمية الثروة القومية:

سـواء كانت هذه المشروعات زراعية أو صناعية أو تجارية أو سياحية أو تعديـنية ، لكن بشرط أن تكون مشروعات لا تتنافى في أحد جوانبها مع موروثات المجتمع المسلم من الأخلاق والقيم، ولا تهدم شيئاً من مُثله ومبادئه، ولا تتعارض مـع شـيء من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا تدعو في شيء منها إلى رذيلة كأندية القمار وغيرها، حتى ولو كانت بحالتها هذه ستدر دخلاً كبيرا، فالاقتصاد الإسلامي أخلاقي، وليس معنى الحرص على المال إهدار الأخلاق، فإن الإسلام أهدر المنافع

---

(١) النساء ٤/٥.

(٢) الأعراف ٧/٣١.

الاقتصادية الناجمة عن تصنيع الخمر ولعب الميسر لما وراءها من هدم للعقل والوقت والمروءة والأخلاق، بل وأمر المسلمين بمنع المشركين من الطواف بالبيت الحرام عرايا ولو ضاعت على المسلمين مكاسب مادية ولذلك طمأنهم أنهم إن فعلوا ذلك وخسروا هذه المكاسب فالمغني هو الله ذو الفضل العظيم[١] فقال -سبحانه- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

٨ - مكانة العمل في القرآن :-

ومن وسائل محاربة الإسلام للفقر أنه أمر بالعمل وحث عليه ورغب فيه ودعا إليه فبالعمل ينتج الإنسان ، ويكسب ويحسن دخله، ويكفي نفسه، ويتحول من الفقر إلى الغنى، ومن الحاجة إلى الاكتفاء ، ومن الاعتماد على غيره إلى الاعتماد على نفسه، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج ، ومن زيادة عدد المحتاجين في المجتمع إلى تقليل عددهم ، وتقليص نسبتهم ومن الآيات التي نبهت على أهمية السعي والعمل في القرآن ، قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣] فالعمل مرئي ومقدَّر ، ويجزى صاحبه عليه في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٤] بل ويقسم النبي ﷺ قائلاً "والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه"[٥] وعلى الدولة إعطاء وتهيئة فرصة العمل لكل قادر، وإعطاؤه

---

(١) انظر الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ، د. القرضاوي ، سابق، ص١١٥ ، ١١٦.

(٢) التوبة ٢٨/٩.

(٣) التوبة ١٠٥/٩.

(٤) تبارك ١٥/٦٧.

(٥) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ج٣ ص٣٩٢ ، رقم ١٤٧٠، وأحمد في باقي مسند المكثرين ، ج٢ ص٤٨٢، رقم ٧٢٧٥، والنسائي ، كتاب الزكاة ، باب المسألة ، ج٢ ، ص١٢٣ ، ١٢٤ ، رقم ١٦٤١.

ما يناسب جهده من الأجر وإذا لم يحصل على ما يكفيه أعين على أموره.

ويجب أن ينظر المسلمون إلى العمل نظرةً أكثر تقديراً واحتراماً، ويحرصوا عليه ويقدروا أصحابه أياً كان هذا العمل ولو كان حقيراً، فصاحبه أفضل من الجالس بدون عمل وهو قادر .

٩ - القرآن يربي أهله على القناعة والتعفف:

فبالتسليم أن الله فضل بعض الناس على بعضهم في الرزق ، وأنه سبحانه بسط الرزق لعبدٍ وقَدَرَه على آخر، وما سبق ذكره من الوسائل إنما ستعالج مشكلة الفقر في المجتمع ولكن طبيعة الأقدار الإلهية قد اقتضت اختلاف حظوظ الناس في الأرزاق ، وإنما تلك الوسائل حتى لا يزداد الغني غنىً والفقير فقراً كما قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[١] ولذلك سلح القرآن أهله بالرضى بأرزاقهم والقناعة بما أوتوا وعدم النظر إلى ما في أيدي الآخرين ، وعدم السخط على حظ النفس إذا كانت أقل من المحيطين مالاً ، فقال الله سبحانه ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٢]

وهكذا فالتعفف عما في أيدي الآخرين ، والسعي في الأرض ، ومحاولة التأسي بهم في السعي لا أخذ سعيهم، أو اختطاف ما في أيديهم، أو تقطع النفس حسداً لهم وضيقاً بهم، هذه هي منهجية القرآن الفذة لمن لزمها ليجد حلاً لجميع قضاياه.

* * * * *

(١) الحشر ٥٩/٧.

(٢) طه ٢٠/١٣١.

المبحث الثاني

قضية العنف والتعصّب[١]

إن الإسلام دين الحوار والحجة والإقناع وليس دين العنف والتعصب والتطرف. لا يُفرض على الناس فرضاً ، ولا يُجبرون عليه قسراً ، ولا يساقون إليه سوقاً وإنما يُعرض عليهم عرضاً ، ويقدم إليهم منحةً إلهيةً فيها الرشاد والفلاح في الدنيا والآخرة والمقصود بالعنف الذي يتبرأ منه الإسلام الشدة في النقد ، والحدة في التوجيه، والخشونة في الدعوة.

ولقد ظهرت في المجتمعات الإسلامية في الآونة الأخيرة هذه المصطلحات ، وجعل الناس يصفون فئات من الناس بها ، ويلصقونها بالإسلام، والإسلام منها بريء وهذه نصوص القرآن تثبت ذلك .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (٢) .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٣) ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٤) ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(٥) ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٦) .

هذا هو منزل القرآن ﷻ يذيع على الناس هذه القواعد ، وينشر فيهم هذه اللوائح ، فالله المعبود ﷻ لا يريد الناس إلا طواعية مختارين دينه بمحض إرادتهم، ومؤثرين عبادته على كل معبودٍ سواه بقناعةٍ كاملة لا إكراه فيها ولا إجبار ، فالناس أحرار في معتقداتهم وأحرار في اختيار دينهم ، ثم بعد ذلك يوفيهم حسابهم.

---

(١) انظر أدب الطلب ومنتهى الأرب ، محمد بن علي الشوكاني، ط دار ابن حزم ، الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨ من ٨١-٢٢٨، والأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني ، مصدر سابق ، ١/٧٠٩وما بعدها.

(٢) البقرة ٢/٢٥٦.

(٣) يونس ١٠/٩٩.

(٤) الكهف ١٨/٢٩.

(٥) الغاشية ٨٨/٢٢.

(٦) الكافرون ١٠٩/٦.

وحقيقة العنف والتعصب أنهما مقترنان ، فالعنف في التصرف والتعصب[١] في الرأي **ومن أسباب ظاهرة العنف عند بعض الشباب ما يلي** : -

١ - القصور في فهم روح الدين الإسلامي وإدراك جوهره السامي ، وسمة التسامح المميزة له عن سائر الأديان والغفلة عن مقاصده وأخلاقه، وهذا - حقيقةً- يسيء إلى الدين نفسه ، ويجلب إليه تهما هو منها بريء، لأن الدين فيه من السمو والامتيازات وفيه من المحاسن والفضائل ما يجعل الإنسان حرياً بالبحث عنه والانتساب إليه والتشرف به ، لا بفرضه عليه ومعاداة الناس بسببه وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[٢] فإذا كان القرآن يأمر بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى، والحجة والإقناع والأدب، والرفق والهدوء واللين فأولى بهذا من كان مسلماً يدعى لأمرٍ من أمور الدين، أو كان مفرطاً يُذكر بشيء من شعائر الله، أو كان فاسقاً واقعاً في محرَّم من المحرَّمات، أو غافلاً عن شيء من الطاعات، والله ﷻ يأمر موسى وأخاه بالرفق لمن ادعى الألوهية والربوبية فقال لهما : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[٣]

هذا النص حجة على كل داعية ، أو مبلغ يسائله أين هو من القول اللين الذي يتسلل إلى قلوب الناس ويأسر نفوسهم.

٢ - غياب الدور الفاعل للمشائخ والعلماء والمصلحين الذين يوجهون الشباب توجيهاً معتدلاً يحمل روح هذا الدين وطبيعته، ويكون لديهم فكراً متوازناً يحبب ولا ينفر ، ويرغب ولا يُبغض ، ويُيسر ولا يعسر، والشباب كم يتأثر بما يسمعه في خطبةٍ أو درسٍ أو محاضرة ، وبما يقرأه في كتاب ، أو رسالة أو حتى في منهج دراسي ، فإذا كان الطرح متشنجاً ، ومثيراً غير هادئ ولا متوازن ولا

---

(١) وهو من العصبية ، وتَعَصَّب : أي شد العصابة (الصحاح) الجوهري، ٥٢٧/٢ وفي الاصطلاح : أن تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي ويُروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد (أدب الطلب ومنتهى الأرب ، الشوكاني ، سابق ، ص٧.

(٢) العنكبوت ٤٦/٢٩.

(٣) طه ٤٣/٢٠، ٤٤.

مـــتكامل أشـــربته العقـــول، وتأثرت به الأفكار فانعكست على الجوارح قولاً شديداً وسلوكاً عنيفا.

٣ – افـــتقاد الأســـوات والقدوات في بعض المجتمعات يلتف حولها الشباب يتعـــلمون بـــالقول والعمـــل الإســـلام الصحيح عقيدة وسلوكاً ، ومعاملة وأخلاقاً ، وعـــبادة وخشـــوعاً ، فيكونـــوا أســـوياء الفهم ، أسوياء الفكر ، أسوياء التعامل والتخاطب والتعاون مع مجتمعاتهم ، بدلاً من أن يُسيئوا من حيث أرادوا الإحسان، وينفِّرُوا من حيث أرادوا الدعوة والبيان.

٤ – ردة الفعل للنظرة التي يلقاها المتدينون في بعض المجتمعات إذا رُموا بالتخـــلف والـــرجعية والتزمت لا لشيء إلا لأنهم صالحون فيكون لذلك من الفعل العكســـي ما هو معلوم من عنفٍ في الطريقة وحدَّة في الأسلوب لا يعرفها الإسلام ولا يقرها.

٥ – الاشـــتغال بالقضـــايا الفـــرعية والأمـــور الخلافية عن الأصول العامة للشريعة والقواعد الكلية للإسلام التي يجتمع عليها معظم الناس ولا يختفلون فيها، وهي كافية للالتقاء عليها والاجتماع حولها ، دون فرقة وانقسام.

أمـــا التعصـــب فإنه سبب للتفرق واتباع الأهواء ، وإضرام نار الشقاق بين المســـلمين تلك التي تأتي على بنيان المجتمع من القواعد ، وتذره قاعاً صفصفاً ، وهذا التعصب لا يخدم دعوة ولا إصلاحاً ولا أفراداً ولا مجتمعات ، ولا يجمع صفاً، ولا يوحـــد كـــلمة ، ولا يخدم إلا أعداء الإسلام بمساعدتهم على إنفاذ مخططاتهم ، كما قال الشوكاني –رحمه الله– عن التعصب : "وبهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتيـــة بقـــي المشـــرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المعروف منكراً، والمنكر معـــروفا وتـــبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية وغيرها، وألفوا ذلك ، ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم وأنسوا إليه ، حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحمـــلهم عـــلى المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلـــك ولـــم تقبلها طباعهم، ونالوا ذلك المرشد بمكروه، ومزقوا عرضه بكل لسان

وهذا كثيرٌ موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة"[١]

ولقد ذم القرآن الكريم التعصب الأعمى للرأي دون إعمال النظر وتحكيم العقل ، والتحرر من أسْر العادات والموروثات والاستقلال الفكري عن أفعال الآباء والأجداد والتعامل مع القضايا بفكر مستقلٍ محايد ، ومن ذلك ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢] و ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٣] .

والإسلام دينُ الاعتدال والوسطية ليس فيه إرهاب ولا تطرف ولا عنف ولا تعصب بل هو دين السماحة العظمى والأخلاق الفضلى الذي يحمل الخير للناس جميعاً، حتى لمن لم يعتنقوه، يحمل لهم العدالة التي لا يُظلمون معها، ويحمل لهم المساواة التي لا يُبخسون في ظلها، ويحمل لهم الرحمة التي لا يهضمون في أكنافها، ويحمل لهم السلام الذي لا يُرَوَّعون معه.

والبناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي يتأثر إذا وجدت فيه ظواهر العنف والتعصب بالضعف الفكري والجمود العقلي ، والاشتغال بالمعارك الجانبية بين أفراده ، وإهدار الجهود وتشتيت الطاقات ، وإعطاء فكرة سيئة عن الإسلام وأهله.

علاج العنف والتعصب في ضوء القرآن :

١- تشجيع الأجيال على العكوف على القرآن الكريم قراءة وتعلماً وفهماً صحيحاً فهو الحل لكل مشكلة وهو الدواء لكلّ معضلة ومنهجه في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة واضح للعيان ومشهود به عبر الأزمان.

٢- تقديم مناهج دراسية أكثر عمقاً ، وأرحب فكراً تكوِّن لدى الشباب التصور الصحيح عن الإسلام وطبيعته ، والدعوة وأصولها ، والتديُّن وآدابه ومعاملة

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني ، تخريج أبي عبدالله الحلبي ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، السعودية ، الأولى ١٤١٤هـ ص٩٤ ، ٩٥ ، وانظر فقه التمكين في القرآن الكريم د/ محمد محمد الصلابي ، ط دار البيارق ، عمَّان ، الأولى ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ص٢٨٠.

(٢) البقرة ٢/١٧٠.

(٣) المائدة ٥/١٠٤.

المخالف في الرأي وقواعدها.

٣- فتح آفاق الحوار الهادئ بين الشباب والعلماء ، ومنحهم الفرص الكافية للتعبير عن آرائهم وتصحيح هذه الآراء وتوجيهها في مسارها الصحيح وطريقها الإيجابي البناء.

٤- ملء فراغ الشباب بالنافع من الأمور كالقراءة الهادفة والمشروعات المثمرة ، والمشاركات الفعالة بما يعود بالنفع عليهم وعلى أمتهم جمعاء ، فكم للفراغ من آثار مدمرة .

٥- تربية الناس على احترام الرأي والرأي الآخر ، وأن الخلاف لا يفسد للود قضية، بدلاً من أن يعملوا بقاعدة :إذا لم تكن معي فأنت ضدي.

٦- نشر الدعوة والعلوم الشرعية ، فالتطرف والإرهاب والتعصب للرأي كل هذا لا ينمو إلا في بيئة الجهل والظلام العقلي.

* * * * *

المبحث الثالث

قضية الشرك

إن المجتمع المسلم بخير ما سلم أفراده من الشرك كبيره وصغيره، وإذا ما توجهوا بكليتهم إلى الله ﷻ في جميع شؤونهم، وإذا ما انطبق عليهم قول ربهم ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[1]

أ ـ أقسام الشرك :

وللشرك قسمان أكبر وأصغر :

أولاً : الشرك الأكبر ومنه : ـ

١ ـ شرك الدعاء :

إن الدعاء هو سلاح المؤمن، وهو دليل افتقاره إلى ربه ، ودليل انكساره بين يديه، ودليل علمه بقوة ربه ، وعزته وغناه ، وقدرته على قضاء الحوائج ودفع الشدائد وتفريج الكروب ، وهو مطلب الله ﷻ من عباده حيث قال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] وهو ما يرضاه الله من عباده ، ويحبه لهم ، حيث أمر رسوله ﷺ بإخبار عباده بطريقه ودلالتهم عليه فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[3] وهو أمر الله لعباده ليعكفوا عليه في شتى أحوالهم ، وسائر أمورهم، فقال: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[4] فمن يدعون الأموات فقد وقعوا في الشرك ، حتى لو نطقوا بالشهادتين وصلوا وصاموا ، فلا يستجيب الدعاء إلا الله

---

(١) الأنعام ١٦٢/٦ ، ١٦٣.

(٢) غافر ٦٠/٤٠.

(٣) البقرة ١٨٦/٢.

(٤) الأعراف ٥٥/٧.

وحـــده، ولا يقـــدر على كشف الضر إلا هو ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[1] لأن الإنســـان وإن أشـــرك في وقت يسره فإنه في وقت شدته وكربـــته تؤوب إليه فطرته النقية فيعلم أنه لا يكشف عنه إلا ربه ومولاه فيدعوه، قـــال تعـــالى مصوراً هذه الحالة ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[2] وهـــناك في بعض المجتمعات الإسلامية مـــن وقعوا في هذا النوع ، فدعوا الأضرحة والقبور ، وسألوا أصحابها العطايا ، وأهدوهـــا الهدايـــا ، وشكوا حالهم وطرحوا عندها مسألتهم فوقعوا في هذا الخطر العظيـــم، وهم واهمون أو جاهلون أو غافلون فكان الضلال والغواية ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[3]

٢ - شرك العبادة والتقرب :-

قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[4]

وهو ما كان يفعله أهل الأصنام والأوثان في الجاهلية من ذبح ونذر وطواف حـــول أصنامهم معتقدين فيها الواسطة بينهم وبين ربهم القريب منهم المحيط بهم القـــائم على كل نفس بما كسبت يقول سيد -رحمه الله- "فهؤلاء كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض، ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة فـــي إفـــراد الخـــالق بالعبادة ، وفي إخلاص الدين كله لله بلا شريك، وإنما كانوا يبـــتدعون أســـطورة بـــنوة الملائكـــة لله -سبحانه- ثم يصوغون للملائكة تماثيل يعـــبدونها، ثـــم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة وهي التي دعوها آلهة أمثال

---

(١) الإسراء ٦٧/١٧.

(٢) العنكبوت ٦٥/٢٩.

(٣) الأحقاف ٥/٤٦ ، ٦

(٤) الزمر ٣/٣٩

اللات والعزى ومناة ليست عبادة لها في ذاتها ، إنما هي زلفى وقربى لله ، كي تشفع لهم عنده في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، وهو انحراف عن الفطرة واستقامتها إلى هذا التعقيد والتخريف فلا الملائكة بنات الله ، ولا الأصنام تماثيل الملائكة، ولا الله يرضى بهذا الانحراف ، ولا هم يقبل فيهم شفاعة، ولا هو يقربهم إلى هذا الطريق"[١] والذين يقدسون الأشخاص ويهابونهم ولا يهابون الله ، ويخشونهم ولا يخشون الله ، ويراقبونهم ولا يراقبون الله إنما يخشى عليهم هذا الخطر ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٢]

٣ - شرك الشفاعة :-

قال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[٣] والشفاعة من الحي للحي في أمور دنيوية لا شيء فيها ، بل دعي المسلمون إليها حيث قال : ﷺ : "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه، ﷺ ما شاء"[٤]

أما أمور الآخرة فإن الشفاعة بإذنه سبحانه ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[٥] ولمن شاء من عباده ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾[٦]

فكل من دعا ميتاً أو قبراً ليشفع له صاحبه في شيء ، أو ييسر له أمراً أو يُمضي له غرضاً أو يجري له مصلحة أو يفتح له بابا فقد أشرك شركاً عظيماً،

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق، ٥ / ٣٠٣٧.

(٢) التوبة ١٣/٩.

(٣) يونس ١٨/١٠.

(٤) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ج٣ ص٣٥١ رقم ١٤٣٢ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، ج٤ ص ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٧.

(٥) البقرة ٢٥٥/٢.

(٦) النبأ ٣٨/٧٨.

والله لعباده أقرب ، وعلى قضاء حوائجهم أقدر، وبحالهم أرحم.

٤ - شرك الطاعة :

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١] وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٢]

والمسلم مأمور أن ينزل في جميع أموره وقضاياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والتشريعية على حكم الله تعالى[٣] فتصطبغ حياة المجتمع المسلم كلها بصبغة الإسلام، وتؤول في مرجعيتها كلها إلى الله ورسوله في الوزارة والنادي في الشارع والسوق، في الإعلام والاقتصاد في السياسة والسياحة ، في المعتقدات والتصورات، في الفن والأدب في كل شؤون الحياة.

وكم تقوم أرباب غير محسوسة في حياة الناس وهي من أنواع الشرك ، فالذين يرفعون لواء القوميات ، ويجعلونها مظلة يقوم لها وطن لا تحكمه شريعة الله قد اتخذوا القومية ربا، والذين قدسوا الإنتاج والعمل ، حتى رأوا أن الصيام يُضعف الإنتاج أو يعطله ويتسبب في خسائر اقتصادية فنادوا بالإفطار في نهار رمضان بهذه الحجج قد اتخذوا الاقتصاد رباً، والذين نادوا ودعوا لخروج النساء سافرات متبرجات بدعوى المدنية والتحرر قد اتخذوا المدنية والتحرر رباً ، والذين ضاقت صدورهم بأحكام الشريعة ومقاصدها في صيانة أخلاق الناس وأعراضهم ليجاروا الغرب في تحضره ، -كما زعموا- قد اتخذوا الغرب وتقاليده وأنظمته رباً، والذين رأوا أن الإبداع في الأدب لا يكون إلا بالمجون والفجور والخروج على قيم المجتمع وموروثاته الأخلاقية وثوابته الحضارية قد اتخذوا هذا الفكر وذلك

---

(١) النساء ٤/٦٥.

(٢) الأحزاب ٣٣/٣٦.

(٣) وقد سبق الكلام عن الحاكمية في مبحث المنهج ، فليرجع إليه.

الاعتقاد رباً وهكذا[١]

ومن صالح المجتمع المسلم أن يتلقى كل شيء عن الله فكما تلقى صلاته وصومه وحجه وزكاته يتلقى معاملته وسياسته وسياحته وأنظمته وثقافته وفكره وتصوراته ، فيكون الفرد مسلماً في نفسه، ومسلماً في أسرته ومسلماً في مجتمعه، وهو معنى العبودية الحقة لله، ومعنى الاستسلام المطلق له سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[٢]

٥ـ شرك الولاء :

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [٣] فأمر بمحبته ﷻ ، وموالاته ، ونهى عن موالاة أعدائه، من الكافرين فقال : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]

والمسلمون بينهم وشيجة الإيمان بالله ورسوله يتحابون بها ويتناصرون بها ويتناصحون بها ، ويتظاهرون بها ، لا يصرفون شيئاً من ذلك إلى كافر أو مشرك فهذا "نقض للميثاق ولكلمة التوحيد، وخروج على مقتضيات الإيمان"[٥]

والناظر في حال المسلمين -اليوم- لا ينكر أنهم قد تعددت ولاءاتهم بين الشرق والغرب لا على أساس القواعد الشرعية، ولكن على أسس المصالح الدنيوية ، وهذا يناقض الأخوة الإيمانية وفيه محادَّة لله ومعاداة له باتخاذ أعدائه

---

(١) انظر ركائز الإيمان ، محمد قطب ، ط مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، الرياض ، الأولى ، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، من ص ١٣٠-١٣٤

(٢) البقرة ٢/٢٠٨ ، ٢٠٩.

(٣) البقرة ٢/١٦٥.

(٤) المائدة ٥/٥١.

(٥) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، د/ عثمان جمعة ، مصدر سابق ، ص٣٣١.

وأعـداء المؤمـنين أوليـاء وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1]

ثانياً : الشرك الأصغر :

وهـو "مراعاة غير الله تعالى في بعض الأمور"[2] وهذا الشرك "يتنافى مع كمال التوحيد ، فلا يخرج صاحبه من الإيمان ولكنه معصية من أكبر المعاصي لما فيـه مـن تسـوية غير الله ﷻ بالله في هيئة العمل"[3] وأمثلته الرياء في العمل ، والحلف بغير الله ، وشرك الألفاظ ، ومراعاة الناس في أي أمر من الأمور ، أعاذنا الله من ذلك .

ب- آثار الشرك على المجتمع :-

للشـرك آثار سلبية على المجتمع المسلم إذا انتشر فيه ، أو وقع أفراد منه في أحد أو بعض أنواعه ومن هذه الآثار :

١ - إضعاف قوة التعلق بالله ﷻ :

فالشـرك تعـلق بغيـر الله ، أو كمـا قال السعدي -رحمه الله- "أن يُعبد المخـلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله ، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية"[4] وإذا تعلق أفراد المجتمع بغير الله، ضعفت قوة هذا المجتمع الـذي يسـتمد قوتـه وغلبـته من الله ﷻ ، فالمجتمع قويٌّ بربه مدعوم بمدده ، منصور بتأييده ، غالبٌ بمعيته، فإذا سادته مظاهر الشرك وأشكاله تخلى الله عنه ، ووكلـه إلى نفسـه ، وخذله فلا تقوم له قائمة ، ولا تبقى منه باقية وطالما سلمت عقيـدة المجتمع وكان موحداً توحيداً كاملاً بمعناه ومقتضاه فلن تضعف قوته، ولن تُكسـر شـوكته، وسـوف تهابـه الأمم، وتحسب حسابه المجتمعات، ولقد انتصر

---

(١) الممتحنة ١/٦٠.

(٢) المفردات ، الراغب الأصفهاني ، مصدر سابق ، ص٢٦٠.

(٣) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية د/ عثمان جمعة ، مصدر سابق ، ٣٣١.

(٤) الشـيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبدالرازق العباد ، ط مكتبة الرشد، الرياض ، الأولى ، ١٤٢١هـ -١٩٩٠م، ص١١٧.

المسلمون الأوائل -رحمهم الله- واندحرت أمامهم جيوش كسرى وقيصر عندما تمسكوا بعقيدتهم، وعندما دانوا لله ﷻ في شتى أمورهم ، وعندما استسلموا قلباً وقالباً لربهم وعندما أسلمت أنفسهم وأجسادهم وأفكارهم وتصوراتهم، وبيوتهم وأنظمتهم لله رب العالمين، لقد كانوا يحاربون من هم أكثر منهم عدداً وأشد منهم قوة ولكنهم فاقوهم بقوة العقيدة وركيزة الإيمان وإخلاصهم لله في سرهم وعلانيتهم وحربهم وسلمهم وجميع أوضاعهم نصروا الله بطاعته فنصرهم بتأييده، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]

ومن أسباب ضعف المسلمين الرئيسة -اليوم- ضعف العقيدة وتفشي المظاهر الشركية، ويوم يوحِّدون توحيد أسلافهم، فالنصر حليفهم والقوة والغلبة نصيبهم.

٢ - الفرقة :-

فمن مظاهر الشرك موالاة غير المسلمين وحبهم وتقديمهم على المؤمنين - إخوة الإيمان- وهذا من شأنه أن يعدد الولاءات ويفرق الجماعات ، ويشتت القوة، لكن إذا والى المسلمون المسلمين مهما كانت ألوانهم وجنسياتهم ، وعادوا الكافرين مهما كانوا فهم يد واحدة وقوة واحدة كما قال الله ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [2] وتوحيد الله هو الذي جمع سلمان فارس ببلال الحبشة بصهيب الروم، فذابت في هذه العقيدة كل الحواجز والتقى المسلمون على بساط التوحيد ، فإذا ما وقع الناس في الشرك ، فقدوا هذه الميزة وأصبحوا شيعاً لا تهابها الأعداء ، ولا يؤمل نُصرتها الأصدقاء.

ولقد ضم الرسول ﷺ الشرك إلى ظاهرتين اجتماعيتين عندما قال : "ألاأنبئكم بأكبر الكبائر "ثلاثاً" الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور" وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[3] وغير خاف أن عقوق الوالدين وشهادة الزور ظاهرتان

---

(١) محمد ٧/٤٧.

(٢) آل عمران ١٠٣/٣.

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر ، ج١ ص٩١ ، حديث رقم ١٤٣.

إذا تفشـــتا فـــي المجتمع أضعفتاه، وقوضتا بناءه، وانعكستا على الحياة فيه سوءاً وكـــرباً وقطيعة ، وذكر الإشراك معهما ، لعله دليل على أثر الشرك على المجتمع وتمزيق أهله وجعل الشقاق والفرقة تغلب عليهم.

٣ - ضيق الأرزاق ومحق البركات:

فإذا كان الشرك أو أحد مظاهره معصيةً ، فمعلوم أن الطاعة تأتي بالخيرات بيـــنما تمحقهـــا المعاصـــي والمخالفات ، والمجتمع الذي يحذر المعصية وتسوده الطاعـــات والقربات تتدفق عليه الأرزاق وفقاً للسنة الإلهية . قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1] وقـــال تعـــالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [2] وهـــذه المعاصي يعمُّ شؤمها المجتمع كله حيث ينقص الإنـــتاج ، وتـــزداد الأزمات ، وتعاني البلاد الكساد في اقتصادها ، والانخفاض في مســـتوى معيشـــتها، والفشل في مشروعاتها ، أو صفقاتها التجارية فتهتز مكانة المجـــتمع ، وينعكس هذا الضعف على أسلوب الخدمات ومستوى الأداء ، وتتحول حيـــاة الناس فيه إلى صراع على لقمة العيش في ليلهم ونهارهم، وقد يضطر هذا المجـــتمع تبعاً لذلك للاحتياج إلى قروض من الدول المتقدمة التي تفرض شروطها الربوية، والعسكرية والسياسية على الدول الفقيرة وتربطها معها بمعاهدات أبدية ، أو طويلة الأجل قلما تستطيع هذه الدول التحرر منها أو الخروج عليها أو إنهاءها. وقـــد يكـــون فـــي هذه المعاهدات استفادة الدول الغنية بخيرات هذه البلاد فتسلبها مواردها وقد تسلبها حريتها تبعاً لذلك.

٤ - افتقاد الأمن :

إذ يســـتحيل أن يجـــد الإنسان أمنه النفسي ، وسلامه الداخلي ، وطمأنينته القلبية ، وأنسه الذاتي ، وصفاءه الروحي دون توحيد ربه وطاعته ، وإسلام القلب والـــنفس إليه والتفويض في جميع الأمور له، والاعتماد في سائر الأحوال عليه ،

---

(١) الأعراف ٩٦/٧.

(٢) الجن ١٦/٧٢.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[١] والظلم هو الشرك[٢] فإذا ما تنازعته الأهواء وقسَّم ولاءاته بين الله والناس، أو بين الله وبين آلهةٍ أخرى من الهوى والحزبيات والقوميات والمعتقدات الأخرى كان قلقاً وإن بدا مطمئناً ، وشقياً وإن ظهر سعيداً ، ومضطرباً وإن ادعى الهدوء والسكينة ، إذا دخل المسجد -مثلاً - صلى لله ، وإن ذهب إلى السوق ، فتاجر وباع واشترى بالربا فلإله الربا الذي أحل له الغش والمخادعة ، وإذا مارس علاقات غير مشروعة فباسم إله التحرر الذي يبيح له ما يحظره الإسلام والقرآن ، فأنى له الهدوء وأنى له الأمن النفسي [٣] قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤] .

٥ - الذلة والصغار :

لأن الله ﷻ قد جعل العزة مع الإيمان، والذل مع نقيضه فقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] وعلى قدر المعاصي -وأعظمها الشرك- على قدر نصيب المجتمع من الذل والهوان والضياع ، فلا عزة ولا كرامة ولا شمم ولا إباء ، لأنه عصى ربه، فبدا شؤم المعصية عليه، ولاحت آثارها في كل جنباته، ولقد عز السلف الصالح بإيمانهم رغم فقرهم وضيق ذات أيديهم، وذل غيرهم بكفرهم رغم ما في أيديهم من مقومات الحياة المادية ، كانوا حفاةً وعراة، ولكن كساهم الإيمان أبهى الحلل فكانوا الأعز ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[٦]

---

(١) الأنعام ٦ /٨٢.

(٢) انظر زاد المسير ، ابن الجوزي ، سابق ، ٣/٧٧ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، الحافظ السيوطي، سابق ، ٣/٤٩.

(٣) انظر ركائز الإيمان ، م/ محمد قطب ، مصدر سابق، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٤) الزمر ٣٩/٢٩.

(٥) المنافقون ٦٣/٨.

(٦) الأعراف ٧/٢٦.

فالذي يشرك بربه يسقط من عينه فيغدو ذليلاً، ويسقط من عين غيره فيضحي مهيناً ويسقط من عين نفسه فيبقى حقيراً.

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[١]

٦ - حبوط العمل :

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[٢] وماذا بعد حبوط العمل في الآخرة، وماذا بعد رده من الله وعدم قبوله ، هل تبقى له ثمرة أو يظهر له أثر ، أو يُرجى منه خير، أو يؤمل منه نفع حتى لو بدت زينة كل شيء، إنما هو انتفاخ كانتفاخ الناقة الحابطة بالغذاء المسموم، فاستثمار الأرض لم يبق له مثيل ومع ذلك فالفقر جاثم على كثير من ربوعها، والطب بلغ درجة لم يصلها قبل ، ومع هذا فنسبة المرض في تزايد، والتنادي بالحريات السياسية له دوي في البرلمانات ، ومع ذلك فالعبودية التي يعيشها الناس هي أبشع عبودية في التاريخ ، إنه حبوط العمل وانتزاع بركاته[٣] وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٤] كل هذه آثار تنعكس على المجتمع إذا سادته مظاهر الشرك، وكلها بخلاف ما ينتظر أصحابه من العذاب الخالد في الآخرة إذا لم يتوبوا ويقلعوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥]

فأي معصية في حياة المسلمين يُرجى غفرانها عدا هذه المعصية ، فالمكفرات كثيرة من الصدقات والصلوات والصيام ودعاء الصالحين من الوالدين والمؤمنين، إلا الشرك فإنه دمار على صاحبه في الدنيا والآخرة، ودمار على المجتمع في حياته كلها بجميع وجوهها لذلك حاربه القرآن لينقذ الناس من شره، ويُنْجِي المجتمع من آثاره

---

(١) الحج ٢٢/٣١.

(٢) الزمر ٣٩/٦٥.

(٣) انظر ركائز الإيمان ، محمد قطب ، مصدر سابق ، ص١٤٤ ، ١٤٥.

(٤) يونس ١٠/٨١.

(٥) النساء ٤/٤٨ ، ١١٦.

المهلكة ، وليعيش هذا المجتمع دون انقسامات تستغرقه، أو أهواء تتنازعه ، فتكون وجهـــته واحـــدة وولاءاتـــه واحدة، ومصادر اعتزازه واحدة، ومصادر خوفه وهيبته واحدة فيتبع الوحي ويعرض عن الشرك وأهله، كما قال الرب ﷻ ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

* * * * *

(١) الأنعام ١٠٦/٦.

المبحث الرابع [١]

قضية العلمانية

أولاً : تعريف العلمانية :-

"هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية"[٢] أو هي بالتعريف الدارج "فصل الدين عن الدولة والحياة"[٣]

ثانياً : نشأة العلمانية:

كانت الكنيسة في العصور الوسطى هي صاحبة السلطة المطلقة والكلمة الأخيرة في التأثير على كل مجريات الحياة في المجتمع الغربي، وكان الناس ينظرون إليها نظرة القداسة ، ويتلقون تعليماتها بلا نقاش أو جدال وينظرون إلى منسوبيها من القسيسين والرهبان نظرة التقديس والإجلال.

ثم بدأ عصر البحث العلمي والعلوم الطبيعية ، تلك التي أشعرت الإنسان - وقتها- بشعور الاستقلال وإحساس القوة ، أو الخروج على المألوف والتمرد على الثوابت -في نظره- فمن قانون الجاذبية إلى اكتشاف قوة البخار ، والاستفادة منها، إلى عصر الكهرباء والضجة الهائلة التي أثيرت حول اكتشافها، إلى تفجير الذَّرة ، إلى ارتياد الفضاء لأول مرة ، وتمكن الإنسان من التخلص من قوة الجاذبية الأرضية وانطلاقه عابراً أجواء الفضاء الكوني.

من هنا بدأ الصراع بين الدولة والكنيسة ، أو بين العلم والكنيسة ، أو بين الدين والدولة ولم تكن ثمة أسباب لهذا الصراع ، ولم تكن هناك دواعٍ لوجوده، لولا رغبة الإنسان في المحافظة على حريته في البحث العلمي وتطور حياته تبعاً

---

(١) انظر في هذا المبحث : "الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، د/ محمد البهي، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣ص١٥-٦٢ و "الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ، د. يوسف القرضاوي ، مصدر سابق ، ص١٢٥-١٣٣.

(٢) الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، د/ البهي ، مصدر سابق ، ص١٦.

(٣) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي د/ يوسف القرضاوي ، مصدر سابق، ص١٢٧.

لهـذه الاكتشـافات، وتصوره الخاطئ أن الدين يقيده ،وبمعنى أدق رفض الإنسان وصـاية الكنيسـة عـليه حـتى يواصـل رحلته، وينطلق في مجال تقدمه العلمي والتكنولوجي، من هناك بدأ الصراع بين رجال الدين ورجال العلم.

ويمكن تقسيم هذا الصراع إلى مرحلتين رئيستين وهما: -

مرحلة العلمانية المعتدلة :-

وكـانت عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وهذه المرحلة كـانت بداية الانحراف حيث كانت زاوية انحراف الدولة عن الدين لا تزال صغيرة، وهـي الـتي اعتبر فيها الدين أمراً شخصياً لا دخل للدولة فيه، لكن مع ذلك تقوم الدولـة بحمايـة الكنيسة وجباية الضرائب لها، وفي هذه المرحلة ظلت المسيحية كديـن له قيمـة، وإن أنكـر المجـتمع بعض تعاليمها وبدأت هناك دعوات تنادي بإخضـاع الدين للعقل والمبادئ الطبيعية والعلوم التجريبية حتى نشأ مذهب يسمى Deism وخلاصـته الاعتراف بوجود الله كأصل للعالم ، لكنه ينكر الإعجاز والوحي وتدخـل الله فـي هـذا العالم ، وممن اعتنقوا هذا المذهب ونادوا به وروّجوا له: فولـتير Voltaire [١] و (شفتسـبري) Shaftesbury [٢] و (ليسنج) Lessing [٣] ووجد في هذه المرحلة المعتدلة ، فلاسفة أوربيون اعتنقوا هذه الأفكار ونادَوْا بها ووجـدوا من يقرأ لهم ويستمع إليهم ويتأثر بهم ومن هؤلاء (لوك)Loke [٤] الذي عـرَّف الدولـة الحديثة بأنها التي ترفع عن كاهلها وصايا الكنيسة وتنظر إلى أمر العقيـدة عـلى أنه أمر شخصي بحت، ومما رآه هو أن رفقة الدين هي ترابط حر يجـب تحملـه والدفاع عنه بشرط ألا يهدد نظام الدولة بالإقلاق أو التخريب ومن الفلاسـفة -أيضـاً - (هوبـز)Hobbes[٥] الذي رأى أن الدولة عقدٌ وأنها يجب أن تسوق المواطن مُكرهاً إلى الانضمام إلى هذا العقد، باعتبار -من وجهة نظره- أن

---

(١) من ١٦٩٤ - ١٧٧٨ م في فرنسا.

(٢) من ١٦٧١ - ١٧١٣ م في إنجلترا.

(٣) من ١٧٢٩ - ١٧٨١ م في ألمانيا.

(٤) من ١٦٣٢ - ١٧٠٤م في إنجلترا.

(٥) من ١٥٨٨ - ١٦٧٩م في إنجلترا.

الإنسان أنانيٌّ ولابد أن يُكره ليشارك الدولة أعمالها التي تقوم بها ، عكس (روسو)Rousseau[1] في نظرتَه المعاكسة التي صورت الإنسان خيِّرا واجتماعيا بطبعه وإحساسه، لذلك فلا يُدفع لمشاركة الدولة وإنما المنتظر منه أن يبادر هو ، وهذه المرحلة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كانت معتدلة نوعاً ما عن تاليتها وإن نادت بفصل الدولة عن الكنيسة أو الدولة عن الدين لأسباب:

١- الولع الشديد بتحقيق سيادة الدولة سيادة مطلقة في مواجهة سلطة الكنيسة ووصايتها التي كانت مطلقة في العصور الوسطى.

٢- رَميْ المسيحية ببُعد تعاليمها عن العقل كعقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الإلهية الإنسانية للمسيح ، وهذا الشعور صحيح لأنه ناجم عن الشطط الذي وقعت فيه المسيحية بعد التحريف والتخريف الذي تعرضت له.

٣- رؤية الدين على أنه ضد الطبيعة والطبائع، وأنه لا يساير قوانينها ولا يتماشى مع تطورها .

٤- إخضاع الدين للعقل ، وأنه قابل للطعن والرد والنقد كأي شيء من الأشياء وهذا جاء أثراً للعلوم التجريبية، التي كان المجتمع الغربي قد قطع فيها شوطاً كبيراً في هذه الآونة

ومن هنا بدأ الانفصام الفكري الأوربي ، فهنا حياة دنيوية مؤقتة حرة طليقة غير مقدسة ، وهناك حياة كَنسية مقدسة، هنا دولة لها سلطة تريد التوسع فيها، وهناك كنيسة لها سلطة تريد -على الأقل- المحافظة عليها، هنا حياة مدنية قابلة للتطور والرقي ، بينما هناك حياة كنسية جامدة ثابتة في منأى عن التغير والتطور.

مرحلة العلمانية العنيفة (الثورة العلمانية)

وبدأت في القرن التاسع عشر الميلادي ، وهدفت لهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول إلى السلطة المتفردة ، فلم تكتف بالانفصال، أو بالصراع أو بالتحجيم والتضييق على سلطان الكنيسة، وكان ذلك كله من نتائج البحوث

---

(١) من ١٧١٢ - ١٧٧٨م في فرنسا.

الطبيعية والطفرات العلمية، والقفزة الهائلة في مجال العلوم تلك التي جرأت أرباب الفكـــر العلماني على الخروج على وصايا الكنيسة ، معتبرين أن (الله) والدين ليس أي مـــنهما أساســـاً لـــلدولة، ولكن أساسها الإنسان وحاجته ومتطلباته الدنيوية ، ومعـــتقدين أن الإيمـــان الذي ينبغي وجوده هو إيمان الناس بذواتهم، وأن الإلحاد العملي هو الرابط بين الدول ، وأن الناس يُلقون بأنفسهم على السياسة في الوقت الحاضـــر لمعرفتهم أن المسيحية -كدين- تشل فاعلية الإنسان السياسية، هكذا فكَّر (فيـــرباخ)[١] وجـــاء (ماركس)[٢] ليرى أن هدم المسيحية يكون مقدمة لبناء عالم يكـــون الإنســـان فيه سيد نفسه مع رفض كل دين آخر وليس المسيحية وحدها ، فـــالدين -فـــي نظره- يسلب الإنسان وعيه بمأساته وشقائه في الوقت الذي يُمنِّيه بعـــالم أفضـــل، ولذلك أطلق (ماركس) مقولته الشهيرة والخطيرة (أن الدين أفيون الشعوب) يعني أنه يخدرها وينومها.

وانحـــدر الفكـــر الماركسي بالإنسان إلى مراتب البهمية واللاإحساس حتى أرجع العقل إلى العاطفة والأخلاق إلى المنفعية ، فلا إنسانيات من وجهة نظره.

وانتكس الغرب منذ ذلك الحين عندما مشى بقدم واحدة هي قدم العلم، وطار بجناحٍ واحدة هي جناح المادة، فتنافس التنافس المحموم في إشباع هذه المادة في جسده والحياة من حوله ، وحرم نفسه من نور الرسالات ومعين الأخلاق التي بها الإنسان يكون إنساناً ، وبغيرها فهو كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٣] وكما نصح وحذر ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[٤] وكمـــا ربـــت على القلوب المؤمنة، وطمأن الأنفس

---

(١) من ١٨٠٤ - ١٨٧٢م.

(٢) من ١٨١٨ - ١٨٨٣م.

(٣) الأعراف ١٧٩/٧.

(٤) التوبة ٥٥/٩.

الحائرة ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[١]

ثالثاً : الإسلام وموقفه من العلمانية :-

لقد شهد القرن الماضي موجات الاستعمار الغربي التي اجتاحت معظم الديار الإسلامية، وشهد ما لقيته هذه الديار من ظلم وبطش وجور المستعمرين، واستنزافهم لخيرات هذه البلاد وإذلال أهلها ، ومحاربة الإسلام في عقر داره، ثم شاء الله ﷻ لهذه الأقطار الإسلامية أن تحرِّر نفسها، وأن يهب المخلصون ويتنادوا بالجهاد ضد المستعمر، ونالت البلاد استقلالها أو بالأحرى انتزعته انتزاعاً بعد أن دفعت الثمن غالياً من دماء وأرواح أبنائها ومن مواردها وثرواتها.

لقد خرج الاستعمار العسكري بعساكره وقواته، ولكنه ترك شيئاً آخر من آثاره ، وزاد عليه بما يصدِّره كل يوم لبلاد الإسلام من قوات الاستعمار الفكري والغزو الثقافي .

والغزو الثقافي أشد خطراً من الغزو العسكري بكثير، فالغزو العسكري يحتل الأرض، ولكن الغزو الفكريَّ يحتل النفس والفكر، والغزو العسكري يُلمس ويُحس فلا يُقبل بل يرفض ويقاوم ويجد من يتصدى له ويرفضه، ولكن الآخر يتسلل إلى المجتمع تسلُّل النوم إلى الأجفان ، والداء إلى الأبدان ، والغزو العسكري تخضع له الشعوب مكرهةً مجبرة منتظرة يوم الخلاص والتحرر، ولكن الغزو الفكري يضللها ويخادعها، ويفتنها عن نفسها فإذا بها تطيعه مختارة، وتستجيب له بمحض إرادتها، بل ربما أحبته ودافعت عنه واستماتت في ذلك[٢] ، وصدق الله ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[٣]

وقد ذكر الأستاذ (برنارد لويس) ، في كتابه "الغرب والشرق الأوسط" أن الشرق أصيب في تاريخه بلطمتين لم يُصب بمثلهما في تاريخه ، أولى هاتين

---

(١) الحجر ٣/١٥.

(٢) انظر دفاع عن ثقافتنا ، جمال سلطان ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٢هـ من ص ١١-٢٤.

(٣) البقرة ٢١٧/٢.

اللطمـــتين الغزو المغولي من أواسط آسيا الذي حطم الخلافة القائمة للمرة الأولى مـــنذ عهد النبوة ، والثانية تأثير الغرب الحديث، ولا شك أن الثانية أشد على الأمة من الأولى، فالمغول اعتنقوا الإسلام بعد ذلك، وإن لم يحكموا به لكن جذوة العقيدة كانت متقدة في قلوب المسلمين، بخلاف الفكر العلماني الوارد الذي تأثرت به البلاد والعباد.

وإذا كانت النصرانية تقبل وترضى قِسمةَ الإنسان شطرين بين قيصر والله ، فـــإن الإسلام لا يقبل ذلك ، فالإنسان -كله لله، وحياته كلها لله، وتصوراته كلها لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2]

وإذا كـــان الصـــراع بين الكنيسة والعلم أدى إلى فصلهما وحصر الدين في الكنيسة وانطلاق العلم من قيود الدين والأخلاق بلا ضابط ولا وازع ، ففي الإسلام لا يُقـــبل ذلـــك ، لأن الدين في الإسلام علم، والعلم فيه دين، والجامعات فيه نشأت تحت سقوف الجوامع ، وفي أحضان المحاريب وفي ظلال المآذن.

ومـــا تسربت العلمانية إلى ديار الإسلام ، وما وجدت لنفسها رواجاً إلا في أســـواق الغـــزو الـــثقافي حيث تغيرت الأفكار ومُسخت التصورات ولم يعد المسلم المغزوُّ يفكر بالإسلام وإن فكر للإسلام ولم تعد مشاعره من حب أو بغض أو ولاء أو بـــراء ، أو قـــبول أو رفـــض قائمة على الإسلام في العقول التي أشربت الغزو الثقافي وعششت فيها أفكار الغرب عن الإسلام والأخلاق.

إن الغرب يروج دائماً أن سبب تأخر المسلمين اقتصادياً وتنموياً هو الإسلام -هو الدين- كما يريد أن يثبت أن سبب تقدمه هو انفصال الدولة عن الدين وحصر الديـــن بيـــن جدران الكنيسة ، فيريد أن يسحب ذلك على الإسلام، وكذب ، فأوائل

---

(١) الأنعام ١٦٢/٦ ، ١٦٣.

(٢) البقرة ٨٥/٢.

المسلمين تقدموا بالإسلام، وعلماء المسلمين في شتى العلوم هم واضعو قواعد العلم النظري والتطبيقي وهم الذين نقل عنهم الغرب بعد فترة العصور الوسطى المظلمة عنده، ويحاول الغرب الصليبي أن يضع في أذهان كل المسلمين أن التدين رجعية وتخلف وفقر وأن التحرر من الدين مدنية وتطور وحضارة بل إنه عندما أسقطت تركيا الخلافة الإسلامية، وأعلنت الدولة العلمانية ، انهالت عليها مساعدات الغرب والشرق من الاتحاد السوفيتي -أيامها- وانتعشت تركيا وتقدمت في بعض الصناعات ، فلم يكن هذا التقدم بسبب الفصل بين الدين والدولة كما أشيع وإنما كان مكافأة لها من الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي على السواء على جرأتها غير المسبوقة وخلعها رداء الدين ، وحكم الدولة بالقوانين العلمانية، وكثير من ديار الإسلام -للأسف- لم يفلت من الاستعمار الغربي وممارساته العلمانية التي عملت بشتى الوسائل على إضعاف الإسلام وكتم أنفاسه، وحصره في زوايا ضيقة بقيت على استحياء ومن ذلك : -

١- **سُلب الإسلام حقه في كونه مصدراً للتشريع والدستور**، وتُركت له زاوية الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث.

٢- **في الإعلام** : تعلْمن، وخالف الشرع، إلا ركناً يسيراً في برنامج هزيل أو في الافتتاح والختام بآيات الذكر الحكيم.

٣- **في التعليم** : انفصلت كثير من المناهج عن الدين وتحررت منه ، إلا مادة الدين ، أو حصة الدين في وقت يصاب فيه الطلاب بالملل والسآمة[١].

٤- **في الأدب** : صار الإبداع الأدبي عند الكثير قرين الخروج على ثوابت الدين ، والتمرد على الأخلاق والطعن في الموروثات ، بشيء من الإسفاف والزندقة ، وميِّز عن ذلك ما يسمى بالأدب الإسلامي الهادف الذي يقوم به الفضلاء من الشعراء والكتاب والأدباء وهم بخير بحمد الله.

٥- **في الاقتصاد** : أُبعد الدين ، وحلت المعاملات الربوية، وبقيت هناك فروع لبنوك تعلن عن نفسها بأنها للمعاملات الإسلامية.

---

(١) انظر مناهج التعليم بواقعنا المعاصر ، محمد قطب ، سابق ، ص٢١٧ وما بعدها.

وليس معنى ذلك أن الأمل فُقد ، أو أن الشر عم ، كلا فهناك الأفذاذ من العلماء والمفكرين والمصلحين والمشائخ الذين انتبهوا لهذا الخطر الداهم، وكتبوا ونادوا ، ودعوا للإصلاح أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومصطفى صادق الرافعي والبنا وغيرهم(١)

وهناك عدة حقائق عن الإنسان والإسلام ما دامت العلمانية تريد الفصل بينهما وبمعرفتها تظهر الصورة جلية ، وفيها الرد على دعاوى العلمانية والتفنيد لشبهاتها:

أولاً: عن الإنسان:

١- له قدر مقنن في ظل مبادئ الإسلام فهو غير مرفوع إلى مستوى الإلهية، ولا نازل إلى درك البهمية في السلوك والمعاملة وتلك واقعية الإسلام فهو يقبل الإنسان بقصوره ويرفعه إلى الكمال الممكن .

٢- غير معصوم عن الخطأ في حكم أو فعل أو سلوك أو رأي، بل كما يصيب يخطئ ، وكما يسيء يحسن.

٣- أن رأي الإنسان أو اجتهاده لا يملك أن يُلزم به أحداً، وإلا كان متعصباً ، والإسلام لا يعرف التعصب ، لكنه مبني على الحوار والحجة والإقناع، كما أنه لا يعرف الإرهاب الفكري ولا الوصاية العقلية ولا ديكتاتورية الرأي.

٤- أن الحكومة في الإسلام ليست إلهية ، ولكنها تطبق المبادئ وتنفذ التعليمات ، وتستجيب للأوامر وتقبل النقد ، ويُشار عليها وتقبل المشورة، ويعدل عليها، وتنزل عن رأيها ، ولا تملك صكوك غفران لأحد من الرعية، وإنما الكل سواء أمام الله، كما أُمر النبي أن يقول : ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢)

٥- أن الإمام يكون من خيرة الناس أخلاقاً ، وأطهرهم سيرة، وأبرزهم إيماناً ، وأعمقهم معرفةً بالله ومبادئ الإسلام، وإحاطةً بفضائل الدين وأخلاقه بل

---

(١) يقرأ كتاب العلمانية د. سفر الحوالي ، مؤسسة قرطبة ، الأولى ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢) الشورى ٤٢ / ١٥.

وأكثرهم عدالة وأشدهم تحاشياً للظلم، ومع ذلك هو واحد من الناس قد يخطئ وقد يصيب ، وليس أحد معصوماً إلا النبي ﷺ وقد استشار عليه الصلاة والسلام أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- في أسرى بدر فأشار أبو بكر بالفداء، وأشار عمر بالقتل إرهاباً للمشركين، فعمل الرسول ﷺ بمشورة أبي بكر ، فنزل القرآن مؤيداً لرأي عمر، وجانب التوفيق رأي أبي بكر مع قدمه وسبقه في الإسلام، ورسوخ قدمه فيه ، وكان الرد: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

ثانياً : عن الإسلام :-

١- هو دين الحرية فلا يُحدُّ حرية الإنسان، ولا يفرض وصايته عليه، ولا يُكرهه، بل رسالته الإنسان نفسه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٢)

٢- ليس دين جمود بل فيه اجتهاد ومواكبة لكل جديد لكن في الإطار الرباني.

٣- ليس فيه تخلف لأنه لم يحرم زينة الدنيا ، ولم يذمها إلا إذا أضرّ الحرص عليها بالآخرين أو أضرّ بالإنسان نفسه حين تسفل نفسه، وتهبط إلى درك البهمية الراتعة، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٣) انتشار وسعي وإعمار واستمتاع ، وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٤) فلماذا يقصى الدين ، هل الذين أرادوا السعي وجمع المال والاستمتاع وجدوا في الإسلام نصاً يحظر عليهم ذلك، أو يمنعهم منه، كلاّ ، إنما هو الضلال البعيد.

---

(١) الأنفال ٦٧/٨.

(٢) الأنفال ٢٤/٨.

(٣) الجمعة ١٠/٦٢.

(٤) الأعراف ٣٢/٧.

٤- ليس فيه جمود بل حركة، ولا تخلف بل تقدم، وهل هناك تقدم أفضل من تحرير الإنسان من كل قوة تتوجه إليها إلا الله ، حرر الإنسان من أن يستعبده إنسان، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي وثيقة التحرير للإنسان من أن يكون عبداً لأي أحد أو شيء سوى أن يكون عبداً لله رب العالمين، وفي ذلك من العز والكرامة في الدنيا والآخرة ما يستحق أن يسعى إليه الناس ويحرصوا عليه.

٥- ليس في الإسلام نزاع على السلطة لأنه ليس فيه فئة متميزة على أخرى، كما بين الكنيسة والدولة .

٦- هو خاتم الرسالات وهذا يُشعر الإنسان بالتميز والاستقرار النفسي لأنه -أي الإنسان- لا ينتظر إملاءً آخر في وقت لاحق ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2] وفي الرسول ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

٧- في الجانب الاقتصادي للإسلام كلمته وتوجيهاته ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[4] .

٨- في الجانب الاجتماعي للإسلام كلمته وتوجيهاته إلى التكافل، ورعاية المسكين واليتيم والغارم كما سبق في الكلام عن قضية الفقر.

٩- في المال ، ينظر للمال كملكية خاصة يعترف بها ، ولكنه ينظر لمنفعته كمنفعة عامة لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ

---

(١) آل عمران ٦٤/٣.

(٢) آل عمران ٨٥/٣.

(٣) الأنبياء ١٠٧/٢١.

(٤) الحديد ٢٥/٥٧.

قِيَمًا ﴾[1] فـالأموال لهـؤلاء السفهاء ، ولكن للمجتمع فيها منفعة عامة لذلك لابد من الحرص عليها، ورعايتها بمنع السفهاء من تبديد هذا المال، والإسلام بذلـك يختـلف عـن النظرة الرأسمالية التي ترى أن الملكية الخاصة تتبعها المـنفعة الخاصة ، ويختلف عن النظرة الاشتراكية التي رأت بها البلشفية أن تحقيق المنفعة العامة يستوجب إلغاء الملكية الخاصة وجعلها عامة ، وهذا هو الفرق بين منهج الإسلام الكامل ومنهج البشر القاصر الكليل.

وبعد هذا كله يخلص البحث بالآتي : -

١- أن العـلمانية ليـس لهـا وجـود في الإسلام ، فإما إسلام بلا علمانية، وإما عـلمانية بـلا إسلام وليس الإسلام مسؤولاً عن مشاكل وقعت في الغرب بين الدولـة والكنيسـة، هـذه المشـاكل نشأت في ديار الغرب وهي وليدة بيئته وظروفه ، لا يعرفها الإسلام.

٢- لـو كـان الإسـلام فـي أوربا مكان الكنيسة لَمَا نشأت العلمانية ولَمَا باضت وفـرخت، ولَمَـا وصـل فكـر الأوربيين إلى هذا الجنوح في التطرف المادي والانحراف الفكري.

٣- أن تمسـك حـاكم بتطبيق العلمانية ورفضه للإسلام دليل عدم أهليته للمساواة والشورى والاجتهاد .

٤- أن اعتـناق مفكـرٍ للعلمانية دليل قصوره عن المعرفة والفهم والإحاطة بهذا الدين وطبيعته.

٥- أن حـرص السياسـي عـلى العلمانية دليل تلاعبه وروغانه وخداعه ونفاقه السياسي.

٦- بيـنما مـن يعتـنقها من الفتيان والفتيات فهو دليل انحرافهم وضيقهم ذرعاً بالطهر والنقاء والعفاف.

ويخـلص البحث بعد هذا العرض لموقف القرآن والإسلام عموماً من بعض قضايا المجتمع المسلم بالآتي: -

---

(١) النساء ٤/٥.

١ - أن القـرآن قـدم الحل الجذري لمشكلة الفقر وذلك بالدعوة إلى العمل والسـير فـي الأرض ، والأخذ بالأسباب ، وبإقامة نظام للتكافل الاجتماعي يرعى الفقيـر والمسكين والبائس والمحروم لم تشهد الدنيا له مثيلاً، وقد أنزل هذا النظام على أرض الواقع وسعد الناس بتطبيقه في عهد الراشدين من الخلفاء.

٢ - أن الفقـر لا يبدو مشكلةً وقضيةً في المجتمع إلا بشح الأغنياء، وكسل الفقـراء، وانحسار معاني الرحمة من قلوب الناس وانعدام التخطيط السليم والعمل المثمر البناء الذي يغني صاحبه ومن حوله.

٣- أن الإسلام دين لا يعرف العنف ولا يتبنى التعصب، بل دينُ حكمةٍ ورفق ولينٍ وهدوء وتاريخه الطويل يشهد بحسن تعامل أهله مع غير المسلمين من أهل الديانـات الأخـرى الذين نالوا حقوقهم وعاشوا المساواة والعدل والتسامح واقعاً. وهـو ليس دين إرهاب بل ليس فيه إكراه فمن اختاره فليدخله، ومن أباه فهو على الخيار، لكن الله ﷻ أمر أهل الإسلام بإعداد القوة ، وتجهيز العدة لإرهاب أعدائهم وأعـداء الله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١).

٤ - أن الشـرك هـو الـداء العضال الذي تنعكس آثاره على كل المجتمع فيضـعف قوتـه، ويذهب ريحه ويثير الفرقة والبغضاء بين أهله، ويمحق الخيرات والبركات ويضيق الأرزاق، ويُفقد المجتمع أمنه النفسي والاجتماعي ، ويجلب الذل والصـغار عـلى المجـتمع ويتسـبب في حبوط العمل ونزع البركة منه وإذا كان المجـتمع يـريد أن تقـوم قائمته، أو تبقى قوته فليحارب الشرك ، وليغلق جميع منافذه ليصون نفسه من الدمار والهلاك.

٥ - أن العـلمانية فكر مريض يلفظه الإسلام ولا يقبله بحال ، لأن الإنسان حـتى أنفاسه هي لله تعالى فالحياة كلها لله ﷻ والإنسان بدين الله تعالى أكرم مما تنشـده العلمانية وأكثر تحرراً مما تدعيه ، وأعظم عزةً مما تتشدق به ، ولا يقبل الإسـلام قسـمة الإنسـان شطرين إنما يقبله بجسده وروحه ونفسه وقلبه وفكره

---

(١) الأنفال ٨/٦٠.

وتصوره وحركته كلها لله رب العالمين ، حتى تكون حياته وحركته كلها عبادة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] فتعم هذه العبادة كل مناحي الحياة في المسجد والمصنع والبنك والبيت والسوق والشارع والجامعة والمدرسة والمحيـــا والممـــات وهي الغاية المعيَّنة لوجود الجن والإنس فمن عطلها فقد أبطل غاية وجوده ، وأصبح بلا وظيفة ، وباتت حياته فارغة من القصد[2].

* * * * *

(١) الذاريات ٥٦/٥١.

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٣٨٧/٦.

الفصل الثالث

القرآن الكريم وسنة التمكين

توطئة

المبحث الأول : أسباب التمكين

المبحث الثاني : أنواع التمكين (صور الانتصار)

المبحث الثالث : أهداف التمكين

توطئة

ما تولى القرآن الكريم بناء الفرد والأسرة والمجتمع لكي يتركهم في النهاية يعيشون حياة الذل والاستضعاف وإنما هيأ لهذا المجتمع أسباب العزة والقوة والظهور ، وفتح أمامه الطريق للوصول إلى ذروة المجد الرباني في قوةٍ مستمدة من قوة الله ، وفي حياة تكتنفها كل قيم الإسلام من عدلٍ ومساواةٍ وفضيلة، وهذه لا تتحقق إلا في ظل مجتمع أخذ بالأسباب وحقق النتائج وقام بوظيفته التي من أجلها أوجده الله ، وهي عبادة الله ، والدعوة إلى عبادة الله وإسعاد البشرية جمعاء بمنهج الله، وتبليغه إلى جميع أرجاء الأرض حتى يخلَّى بين الناس وبين عبادة ربهم وحتى يعرفوا حقيقة الإسلام دون تمويه، أو غش أو خداع وكما أن القرآن تولى بناء الإنسان المسلم وبناء الأسرة المسلمة، ثم بناء المجتمع على الأسس الثابتة ، فهو أيضاً قد عرض الأسباب والعوامل التي تصل بهذا المجتمع إلى التمكين في الأرض وإلى القوة المحروسة بالإيمان، والعزة المنبثقة من الذل للرحمن ، وعرض صوراً من صراع بني الإنسان مع الرسالات والدعوات التي جاءت لصالح هذا الإنسان لتكون فيها العبر والدروس ، والقرآن -أيضاً- ذكر أهداف التمكين ومقاصده ، حتى يعلم الناس أن القوة في الإسلام لا يقصد بها الظلم، ولا تدَّخر للبطش، ولا تطلب لاستعباد الناس وإنما كلها تسخر لحماية الدين، ونصرة المستضعفين، والدعوة إلى رب العالمين، فتلك الأمور هي أقل ما يؤديه المجتمع المسلم لربه شكراً على نعمة الهداية، ودفعاً لضريبة الإسلام الذي من الله عليه به، واصطفاه على من سواه، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)

وعد الله الذي لا يتخلف ، وهدي القرآن الذي لم يتوقف عن متابعة خطا

---

(١) النور ٢٤/٥٥.

الإنســـان المسلم طوال حياته حارساً وموجهاً ، ومديراً لحركته، ليذكر من ينسى، ويقـــوِّم مـــن يـــنحرف، ويشعل في النفوس عزيمة لا تستكين ولا تهدأ حتى يكون مجتمع القرآن في المكان الذي أراد الله ، وفي المستوى الذي يليق بالقرآن، وكما بـــلغ القرآن بالأوائل يبلغ إن شاء الله بمن بعدهم ، وكما قادهم يقودهم وكما وصل بهـــم إلى ذروة المجد يصل بنا، وكما تحقق وعد الله للذين من قبل في زمن داود وســـليمان –عـــليهما السلام– فإنه يتحقق لأهله إن بذلوا أسبابه وطرقوا أبوابه[1] وليـــس على الله بعزيز، وفي الفصل التالي سيتناول البحث في مبحثه الأول أسباب ومقومات التمكين ، وفي الثاني، صوراً من التمكين والانتصار، وفي الثالث الغايات من هذا التمكين.

* * * * *

(١) انظر تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ٢٤/٢٤.

المبحث الأول

أسباب التمكين[١]

إن ديـــن الله ﷻ مـــا نزل إلا ليمارس في واقع الحياة وفي واقع الناس، ما نزل ليبقى نصوصاً حبيسة المصحف الشريف، ودواوين السنة المطهرة، وإنما نزل ليـــزيح واقعـــاً وينشيء واقعاً آخر حياً متحركاً وفق منهجٍ معين، ودستور معين، وأخلاق معينة ، نزل ليتمكن من قلوب الناس، وواقعهم وليتمكن الناس منه معرفة وقبولاً واختياراً، ولو نزل هذا الدين لمجرَّد شعائر يقوم بها الفرد بعيداً عن الحياة لمـــا قـــامت الدنيـــا عـــند نزولـــه، ولما وقف الكفار في وجهه صفاً وبذلوا كل ما اســـتطاعوه لإخماد نوره، وإطفاء جذوته، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٢] ولَمَـــا حـــدث هـــذا الصـــراع الطويـــل والعنيف ، ولما قامت تلك الغزوات التي دفع فيها الصحابة ﷺ مهجهم وأرواحهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، ولَمَا استمر هذا الصـــراع حتى يومنا هذا، ولما بات أعداؤه يخططون ويدبرون ، وينفقون بسخاء لتكبيل الإسلام، وإخماد أنفاسه والقضاء عليه سواء في نفوس أتباعه، أو في واقع الحيـــــاة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٣]

والقرآن الكريم ، ما كان لينزل لهذا الإنسان لتكتمل دينونته لله ﷻ وما كان

---

(١) هـــو الـــتمكن مـــن السلطان ، وتقول العرب ، إن بني فلان لذوو مَكِنة: أي ذوو قوة وتمكن، انظر لسان العـــرب ، ابـــن مـــنظور (مـــادة: مكن) ٤١٤/١٣. وفي الاصطلاح هو : الحكم وتسلُّم السلطة" د. علي عبدالحـــليم محمـــود ، فقه المسؤولية ، ط دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة ، الأولى ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ص٣٥٨.

(٢) التوبة ٣٢/٩ ، ٣٣.

(٣) الأنفال ٣٦/٨.

ليتولى بناءه ،ويبين له الشرائع المطلوبة منه لكونه مسلماً، ثم يتركه متخبطاً مرتجلا دون أن يضع بين يديه أسباب القوة، وعوامل النصر، والمقومات التي تفضي نتائجها إلى مرحلة التمكين التي أرادها الله لعباده الصالحين حين قال واعداً لهم، ومبشراً إياهم: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[1] بل بين الأسباب ، ووضح الشروط ، وبشر بالنتائج ، وحذر من المخالفة لها ، أو تركها ، أو التهاون بها ، فقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [3] وبتأمل هذه الآيات في سورة النور والأنفال يمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي: -

أولاً : عبادة الله (الإيمان به) :

وعبادة الله هي الوظيفة التي خلق لأجلها الخلق جميعاً ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4] هي أول ما يميز المجتمع المرشح للتمكين ، فهو مجتمع عابد لربه غير كافر به، موحد له غير مشرك به[5] كل ما فيه معبَّد لله ﷻ فهو

---

(١) غافر ٥١/٤٠.

(٢) النور ٥٥/٢٤ ، ٥٦ .

(٣) الأنفال ٦٠/٨.

(٤) الذاريات ٥٦/٥١.

(٥) وقد استفيض في الكلام عن الإيمان كعلاقة بين المسلم وربه في المبحث الأول من الفصل الثالث من الباب الأول ص١٣٩ ، وكذلك في منهج القرآن في علاج قضية الشرك في المجتمع وآثار الشرك على هذا المجتمع في المبحث الثالث من الفصل الثاني بالباب الثالث.

مجتمع متلقٍ عن الله، مؤمن به ، لذلك تظهر عليه آثار هذه العبادة وذلك الإيمان، ويكـــون من ثمار ذلك تهيئة هذا المجتمع لأخذ دوره في سنة التمكين بل إن أقدار الله تسوقه سوقاً لبلوغ هذه المرحلة من القوة وبالتالي تهيئته للتمكين لأن للإيمان آثاراً منها: -

١ - نفي الشك والحيرة:

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[١].

فـــالجيل المرشح للتمكين ليس هو الجيل الحائر الذي لا يدري عن رسالته، أو قضـــيته أو لا يدرك مهمته وليس هو الجيل المرتاب في أمر ربه، أو الشاك في جزائه يوم الحشر والنشر[٢] أو غير الواثق من نصره وتأييده أو المتردد في حياته فليس على بينةٍ أو ثقة من وضوح منهجه وعدالة قضيته، ولكنه الجيل الذي رسخ الإيمان في قلبه، وتمكن من جوانحه، وفاض على جوارحه فهو واثق بربه، عارف لقـــدرات نفســـه، مـــدرك لطبيعة الصراع بين الحق والباطل ، حاسبٌ حسابه جيداً لمتطلبات هذا الطريق، فدفعه هذا الفهم العميق وهذا الإيمان الراسخ، وتلك القناعة العظيمة إلى استرخاص أي شيء في سبيل ذلك حتى لو كان المال والنفس، ما دام في سبيل الله ، فقد رخص كل شيء وقد ربح البيع، لذلك على المجتمع المسلم أن يـــنمي في أفراده معاني العبادة الحقة، العبادة بمعناها الشامل الكامل الذي لا يترك شـــيئاً فـــي الحيـــاة إلا عبَّده لله ﷻ ليكون المجتمع على هذا المستوى القرآني ، والنسق الرباني الصالح والمستحق لهذا العطاء .

٢ - توليد مشاعر التفاؤل والاستبشار:

قـــال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [٣]

---

(١) الحجرات ١٥/٤٩.

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ، مصدر سابق ، ١٤٣/٢٨.

(٣) التوبة ١٢٤/٩.

فالمؤمنون مستبشرون دائماً بربهم وعطائه وتأييده، مستبشرون بالخير يأتي وإن كثر الشر وبالنور يشع وإن خيّم الظلام ، وبالنصر يبدو وإن تكالب الأعداء لأنهم موصولون بالله، منتسبون إلى دينه ، حاملون لرسالته، واثقون بما عندهم من ثوابت أنهم الأعلون حتى وهم مستضعفون أو محاربون أو مضطهدون ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] والأجيال التي يستولي عليها اليأس ، ويسيطر عليها القنوط ليست مرشحة لتمكين الله لها، لأنها فقدت عاملاً هاماً وهو الثقة في قدرة الله الغالب، والاستبشار بنصره الآتي، وكلما كان الإنسان عابداً لربه، وكلما تمكن الإيمان من قلبه كان في سائر أحواله مستبشراً، لأنه يعرف النهاية، نهاية هذا الصراع، وإن طال، بل يعرف نهاية الدنيا ومآل أهل الحق، ومصير أهل الباطل ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[٢] وهذا المآل بشارة له من ربه حتى لا يتحسر على حاله، وإنما يبذل أسبابه، عزيز الجانب قوي الإرادة.

٣ - الفلاح :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٣] إن الإيمان يضمن لصاحبه الفلاح والظفر بالمراد[٤] يوم يخسر غيره، والتوفيق يوم يخذل غيره، والاستقامة يوم ينحرف مَنْ سواه ، إنها شهادة الله بالصلاح لكل مؤمن، وبالتالي بالخسار لكل كافر ومنافق، فالمؤمنون مفلحون في سعيهم ، ومفلحون في مقاصدهم، ومفلحون في جهادهم ومفلحون في تخطيطهم، ومفلحون في كل ما يقدمونه ويتحملونه ويبذلونه من أجل نصرة دينهم ومرضاة ربهم، لأنهم في البدء أفلحوا يوم اختاروا الإسلام على غيره، ويوم عبدوا ربهم وتركوا عبادة غيره ويوم عبَّدوا أنفسهم وأهليهم وكل ما يملكون لله، بينما غيرهم قد تنازعته الأهواء وتعددت في حياتهم الآلهة. وإذا كان

---

(١) آل عمران ١٣٩/٣ .

(٢) آل عمران ١٩٦/٣ ، ١٩٧

(٣) المؤمنون ١/٢٣.

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي ، مصدر سابق ، ٧٨/٢٣.

التمكين أحد صور الفلاح بل أهمها في الدنيا فالموعود به هم المؤمنون المفلحون فـــي الدنيا، وأيضاً في الآخرة عكس المخذولين في الدنيا ، الخاسرين يوم القيامة ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[١]

٤ – **الإخاء** : قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢].

فالإيمان وحَّدهم ، وآخى بينهم ، وألَّف بين قلوبهم، وجعلهم جسداً واحداً بل ونبضـــاً واحـــداً ، فظهـــرت قوتهـــم ، وقويت شوكتهم، وارتفعت كلمتهم ، ورُهب جانـــبهم، وظهـــر أثرهم فيمن حولهم، فيعمل لهم الأعداء ألف حساب ، وتلك ثمرة الإيمان والعبادة ، وبركة الاستقامة على أمر الله، ولكي يصل المسلمون إلى مرحلة الـــتمكين التي وعد بها الله وبشر بها، فالإيمان سبيلهم والإخاء شعارهم، والوحدة طـــريقهم، والالتحام قوتهم، فلا فرقة ولا خلاف، ولا تحاسد ولا تباغض ولا تصادم ولا تناحر، لأنهم إخوة وليسو كأي إخوة، إنها أُخوَّة الإيمان.

٥ – **العزة** :

قـــال تعـــالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

فالإيمـــان يُكسب أصحابه عزةً منقطعة النظير، عزة التوحيد والطاعة، عزة الانتصار على النفس والاستعلاء على شهواتها، عزة مستمدة من عزة الله التي لا تقهـــر، ومن قوته التي لا تغلب، عزة تجعل أصحابها لا يهتزون أمام عدوهم، ولا ينبهرون بقوته ، ولا يبالون بعدته، ولا يرهبون تهديداته ولا يتأثرون بتصريحاته، ولا يخافون من تحالفاته وإن كانوا يستعدون له بكل ما استطاعوه.

وهـــذه العزة أبرز صفات جيل التمكين، إذ هو ليس جيلاً ذليلاً أو خانعاً، أو مهيناً، إنما معتز بإسلامه ، وبقرآنه ، وبرسالته ورسوله، يعلم أن الحق معه وأنه

---

(١) الزمر ١٥/٣٩.

(٢) الحجرات ١٠/٤٩.

(٣) المنافقون ٨/٦٣.

محـــط عناية الله وهو الموعود بنصره وتأييده عبر آياته وعلى لسان رسوله، هذه المعاني تشعره بقدره، ولا تجعله منهزماً نفسياً، أو شاعراً بالدونية، أمام أعدائه ، بـــل بـــالعكس يشعر بإبائه وعزته المستمدة من عقيدته وإيمانه، ومعلوم أن الذين تخـــور قواهم أمام أعدائهم إنما تلحق الهزيمة بأنفسهم قبل أن تلحق بقواتهم على أرض المعـــركة، والإيمان هو الحصن الحصين الواقي من ذلك والذي تتكسر عليه كل موجات الحرب النفسية أو العسكرية.

٦ - خشية الله وعدم خشية الأعداء:

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٢] والشـــجاعة والجســـارة من صفات جيل التمكين ومن لـــوازم هذه المرحلة، فمن صفاته أنه يخشى الله ولا يخشى أحداً سواه، خشية الله فـــي قلـــبه، طـــردت وألغت كل خشية غيرها، وهذه الخشية من ثمار الإيمان ومن مقتضـــياته، فـــالمؤمن لا يخـــاف إلا ربه، وهو غير عابئ بأي قوة لأن معه القوة العظمى التي تحميه، ولا يخشى إلا من بيده الأمر كله، فالإمداد من عنده، والنصر مـــن عـــنده ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[٣] والتمكين بيده، فكيف يجـــتمع خوفه وخوف غيره في قلب ، هذا ما لا يكون ، وتلك عظمة الإيمان وفعله فـــي النفوس ، فالإيمان هو الذي يخرِّج الجيل المرشح للنصر والتمكين، هو الجيل القـــادم مـــن المساجد والخارج من المحاريب، هو الجيل الذي عرف ربه بأسمائه وصـــفاته ، فعظُـــم اللهُ فـــي أنفسهم لما أدركوا قدرته وقوته، وعظمته، فلم يعبأوا بـــأعدائهم ، ولـــم يخـــافوا لقـــاءهم لأنهم يعلمون أنها إحدى الحُسنيين إما نصر وتمكين، أو استشهاد وخلود في النعيم.

٧ - مَنحُ الولاءِ للمؤمنين وحجبه عن الكافرين:

قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤]

---

(١) التوبة ١٣/٩.

(٢) آل عمران ١٧٥/٣.

(٣) آل عمران ١٢٦/٣.

(٤) آل عمران ٢٨/٣.

فالإيمـــان لا يُبقي ولاءً في نفوس المؤمنين لأحد من الكفار أبداً ، لأن عدو الله عدوهـــم ،والكافـــر بـــه خصمهم وهذه صفة أخرى من صفات الجيل المستحق لـــتمكين الله له وتـــأييده لحـــزبه ونصـــره لدعوته، فهم أحبوا المؤمنين ووالوهم لإيمـــانهم، وأبغضـــوا الكافرين وعادوهم لكفرهم، وهذا ما يجعلهم يداً واحدة على حزب الكفر والإلحاد ، وهو من دعائم قوة الصف المؤمن ومن موجبات استحقاقه لمعيـــة الله ونصـــره وإمداده، وأيضاً من كمال عقيدتهم، فهو جيلٌ لا ينازع الناس على مصالح دنيوية، ولا أغراض أرضية، ولكنه جيل آمن بربه وكل همه أن تصل هـــذه الـــنعمة إلى جميع عباد الله حتى يسعدوا بها وينجوا من الخلود في النار في الآخرة.

٨ - الشوق إلى النصر والفرح به :

قـــال تعـــالى: ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] فالإيمان الحق يولد لدى صاحبه غَيْرةً على الدين وعـــلى ديار المسلمين وعلى إخوانه المؤمنين، لذلك تراه يفرح باندحار الكافرين ، ويفرح بالنصر يتنزل على عباد الله المؤمنين ، بل ويُشفى صدرُه ويتنفس الصعداء ويشـــعر بمشاعر الغبطة والارتياح لكل فضل يتنزل من الله على جنده، وبكل تقدم يحـــرزه حزبه، يفرح بذلك أشد من فرحه بمصالحه الشخصية إذا قُضيت، أو أشد مـــن فـــرحه بولده إذا حقق التفوق في دراسته، أو أشد من فرحه إذا أحرز ربحاً وفيـــراً مـــن تجارته، لأنه قدم أمر الإيمان ومتعلقاته وقضاياه على كل أمر عنده، وبالعكس تراه مهموماً حزيناً عابساً إذا بغى الكفار على المؤمنين في أي قطر من الأقطـــار ، كمـــا هو حال بغي اليهود -اليوم- على إخوانه المسلمين في فلسطين فالإيمـــان هنا لا يدع صاحبه يستريح، وكيف يستريح أو يهنأ أو يهدأ وما يصيبهم يصـــيبه، ومـــا يتعرضون له كأنه يقع عليه هو، بل يقع عليه حقيقة، وإذا ما سمع بقطـــر يحكـــم شـــرع الله، ويقيـــم شعائر الله يفرح به، ويدعو له، وقد قرَّت عينه بالإسلام يرتفع نجمه، ويتألق أهله، وهذه من صفات الجيل المسلم المرشح للتمكين

---

(١) التوبة ١٤/٩.

والمستحق لهذا الشرف الكبير والذي انتصر على أهواء نفسه، وأصبح أكبر فرحه بظهور الدين وأكبر كربه وهمه باضطهاد الدين أو محاربته أو ضعفه فوق أي أرض.

٩ - طلب مرضاة الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

لقد تمكن الإيمان من القلوب ،وتغلغل في حنايا النفوس ، وسيطر على المشاعر والأفكار والعواطف فما عاد الحرص على إرضاء الشرق والغرب ، أو فلان أو علان، إنما من مقتضيات هذا الإيمان ومن نتائجه -إن كان صادقاً- أن تكون مرضاة الله ورسوله هي المبتغى المقصود ، وهي الهدف المنشود ، ومن يطلب مرضاة الله يتميز على غيره بأوصاف منها:-

١- الإخلاص في عمله، فلا عليه رضي الناس أم سخطوا.

٢- الثبات على نهجه، لأن غايته ثابتة، أما من يتابع رضا الناس وسخطهم فالناس يتغيرون ومشاعرهم تتبدل، ومواقفهم تتناقض وما يرضيهم اليوم قد يسخطهم غداً، وما يحوز قبولهم الآن قد يعترضون عليه ويرفضونه بعد حين.

٣- رعاية الله له وقبول الناس منه لأن من يُرضي الله بسخط الناس يرضى الله عنه ويُرضي عليه الناس كما قال ﷺ : "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضى الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"(٢).

وهذه الصفة -طلب مرضاة الله ورسوله- من أهم صفات الجيل المرشح للتمكين، فهدفه إن عاش أو مات مرضاة الله، وهدفه إن سَالمَ أو حارب مرضاة الله، وهدفه إن قال أو استمع مرضاة الله فهو جيل الإخلاص الموفِّي بالعهد ، المتحمل للأمانة ، الجيل الرباني القرآني، أمل الأمة المنشود.

---

(١) التوبة ٦٢/٩.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب البر والإحسان ، باب الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج١ ص٥١٠ ، رقم ٢٧٦، والطبراني في الكبير ، ج١١ ص٢٦٨ رقم ١١٦٩٦

١٠ - الانتفاع بالذكرى :-

قـــال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] لقد فتح الإيمان لأهلـــه نوافـــذ للذكرى والاعتبار، فهم إذا ذُكِّروا ذَكَروا ، وإذا وُعظوا اتعظوا، وإذا خوطـــبوا اســـتمعوا، وإذا عُوتبوا استجابوا ، وإذا نودوا لبوا ، يفرحون بكل أحد يذكـــرهم بـــالله ويأمـــرهم بطاعـــته ويخوفهم من عذابه، ويطمِّعهم في رحمته، لا يصدون ولا يستكبرون ولا يستنكفون عن قبول الحق ولو كان ممن دونهم سناً، أو أقـــلهم علماً، أو أحدثهم تجربة، لأن هدفهم السامي هو الحق، والحق فقط يعْرِفُون الـــناس به، ولا يعرفونه بالناس، ويدورون معه حيث دار ، وينشدونه حيث كان ، ويقبلونه من أي إنسان، لذلك هم الأرق قلوباً والأزكى نفوساً.

وتـــلك -أيضـــاً-من أهم صفات وسمات وخصائص جيل المؤمنين المؤهل للنصـــر والمرشـــح للتمكين، به يعلو شأن الدين ، وبه ينتشر ، وبه يقوى ، وبه ينتصـــر، فهو جيل قد انتفع بكل حياته، ونفع بها أمته وبلاده، لم يعش لنفسه قط، وإنما هو جيل صاحب رسالة وحامل منهج.

١١ - ترقب الوعد الأكيد بالنصر :

قـــال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢] وقال سبحانه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] والنصـــر غاية جميلة تستشرف إليها قلوب المؤمنين ، وهم الذين وعدهم الله بنصره، فالإيمان جالبٌ للنصر، وهو من أسبابه الجوهـــرية، -وإن كـــان من عند الله- ولذلك كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتسلحون لأعدائهم بالإيمان، ويستعدون لهم بما يحملونه في قلوبهم من توحيد الله وحُسن الإنابة إليه والتوكل عليه، وهم قد قرءوا هذه الآيات ولم يشكوا فيها طرفة عيـــن، لذلـــك كـــانوا إذا أبطأ النصر عليهم يفتشون في أنفسهم عن أي شيء من

---

(١) الذاريات ٥١/٥٥.

(٢) الروم ٣٠/٤ ، ٥ .

(٣) الروم ٣٠/٤٧ .

تقصير أو مخالفات أياً كانت، حتى لو كانت طفيفة وهم على ثقةٍ أنهم بحسن إيمانهم يستنزلون نصر الله ﷻ ويستعجلونه، لأن واهب النصر وعد أنه للمؤمنين وهو ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[1]

وإذا كانت هذه البشارات القرآنية والوعود الربانية ملء السمع والبصر والقلب لدى المؤمنين فهم يعملون ويبذلون ويترقبون لحظة تحقيق الوعد، والقرآن معجزٌ في تحريكه للهمم وحفزه للعزائم حتى إذا أصابها فتورٌ أو اعتراها توانٍ قرأت -مرة أخرى- هذه البشارات فعادت إليها روحُها ، ودب فيها عزمٌ جديد وتصميم أكيد ، على مواصلة المسيرة لنيل هذا الشرف لذلك لم يكن غريباً أن يكون الإيمان بالله أول أسباب التمكين والغلبة وهو يفرز كل هذه الإفرازات في النفس المؤمنة ويولد فيها هذه الطاقات، ويفجر تلك الملكات ، فيصوغها صياغة جديدة، ما كان لأحد مهما كانت له من عبقرية البناء والتوجيه أن يقوم بها لولا أنها يد الله البانية، وآياته الحانية التي غيرت في النفوس وأحدثت فيها هذا الانقلاب العجيب، ولو تخيل الإنسان نفساً ملؤها اليقين والتفاؤل والاستبشار، تفيض عزة بخالقها ودينها ومنهجها، وتمتلئ بخشية الله، ولا تعرف خوف أعدائها ، ويغمرها حب المؤمنين وولاؤهم بقدر بغض الكافرين وعدائهم ، تفرح بمن يذكرها بربها لأنها طالبة لمرضاته ومرضاة رسوله تترقب لحظة النصر، وتعمل لها وتتحمل من أجلها وتصدق الوعد به ولا ينتابها أي شك فيه لرأى أن الفلاح حليف هذا الصنف من البشر وأنه الموعود بالنصر المستحق له ، وأن هذا الجيل هو الأمل الذي يجب أن تحيا عليه الأمة وتسهر على رعايته ، وتوليه اهتمامها وحبات قلوبها حتى يشتد عوده وتورق ساقه، وتستوي ثمرته، فحينئذ تعود للأمة أمجادها على يد شباب يخاف ربه ولا يهاب أعداءه ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[2] .

* * * * *

(١) آل عمران ٩/٣.

(٢) الصافات ١٧٧/٣٧.

ثانياً : إقام الصلاة :

إن الصـــلاة هـــي معراج المؤمنين ، وهي محطة يتزودون فيها بزاد الروح والقلب لمواصلة مسيرتهم في الحياة، وهي أنس المؤمن، وقرة عينه، ومن صفات الجيـــل المرشح لتمكين الله له، ونصره إياه المحافظة على هذه الشعيرة، والإكثار مـــنها والمســـارعة إليهـــا ليبقى اتصاله بربه وثيقاً، وذلك لأن للصلاة والمحافظة عـــليها آثـــاراً عـــلى المؤمن في نفسه وأخلاقه يحتاجها جيل التمكين ليتصف بها ويتحلى ومن ذلك : -

١ - وحدة الصف :

قـــال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[١] في الصـــلاة حينما يتجمع المسلمون صفوفاً متراصة، الفضل فيها للأسبق، حيث يقف الغـــني بجـــوار الفقيـــر والأمير بحذاء الحقير، والأبيض ملاصقاً للأسود، فتمحى الفـــوارق، وتـــزول الحواجز وتتحقق المساواة العظيمة بين جميع فئات الأمة، فلا فضل لأحد على آخر إلا بتقواه وسبقه، وحيث تتجسد معاني الإخاء والتلاحم، وهذه ثمـــرة من ثمار الصلاة، وأثر من آثارها. وهي -أي وحدة الصف- من لوازم جيل الـــتمكين المرشـــح لقيـــادة البشرية حيث تتصل القلوب، وتتآلف النفوس، وتقوى الروابط، ويشعر المسلمون بوجودهم وعظمة وحدتهم وقوة شوكتهم.

٢ - طرد الهلع والشح :

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾[٢] فالصـــلاة تـــنقل صـــاحبها مـــن حالة التذبذب والـــتأرجح والتخـــبط ، والقحـــط الروحي ، إلى حالات القوة الروحية والاستقرار النفسي ، فإذا به إنسان آخر لا يجزع عند مصيبة، ولا يبطر عند نعمة لأنه أيقن - بفعـــل الصـــلاة- أن العطـــاء عطاء ربه، والمنع منع ربه، وأن ما أصابه ما كان ليخطـــئه ، ومـــا أخطـــأه ما كان ليصيبه ، فإذا بالنفس هادئة والمشاعر مطمئنة، والإيمـــان راســـخ، وهـــذه صـــفات لا يحققها شيء في أغوار النفس كما تحققها

---

(١) البقرة ٢/٤٣.

(٢) المعارج ٧٠/١٩ - ٢٢.

الصـــلاة، لذلك قال عنها ﷺ : "وجُعلت قرة عيني في الصلاة"[١] وهي بذلك تهيئ أصحابها ليقومـــوا برســـالتهم ، ويحمـــلوا أعـــباء دينهم مُضحين غير مبالين، فإن أصابهم الابتلاء فلا يجزعون ، وإن أصابتهم النعماء من نصر وفتح وظهور فلا يبطرون ، فـــلم تعد ذواتهم متحكمة فيهم، فقد تعلموا الانكسار والتواضع، وسكبت الصلاة في أنفســـهم الطمأنيـــنة التي شكلت خطاً دفاعياً حصيناً أمام هجمات الأعداء وتقلبات الأيام.

٣ - الثبات أمام الشدائد :

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢] إن الصلاة تمد صاحبها بالثبات والعـــون والجلد والقوة والإصرار، لذلك أُمِر المسلم أن يأوي إليها عند كل شديدة، وأن يتحصـــن بها عند كل بلاء طاعة لربه ، وتأسياً برسوله الذين كان إذا عرض لـــه أمـــر استشـــار أصحابه "وقام إلى صلاته وكانوا يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة"[٣] فحين يقف المسلم بين يدي ربه مصلياً أعلن لجوءه إليه، وقد طرح همومه -مهما كانت- في ســـاحة الله ﷻ وعندها يخرج من صلاته وقد تزود بالرضا ، والراحة ، وقد شعر أنـــه فـــي كنف الله ورعايته ، فتجدد عزمه، وزاد إصراره ، وقوي إيمانه،وازداد ثباته.

وكـــم مـــن الشـــدائد يـــتعرض لها المسلمون في كل مكان ، تكالب الأعداء ، وتخطيطهـــم لإبـــادتهم، واجـــتماع قـــوى الشـــر والبغي عليهم، ومحاربتهم عسكرياً واقتصـــادياً، والتفنن في تعذيبهم والتنكيل بهم، فأفضل ما يستعينون به على ذلك هو الصـــلاة ، حفاظـــاً عليها ، وإقامةً لها ، وخشوعاً فيها، ورعايةً لحقها، عندئذ يزول خوفهم من أعدائهم من نفوسهم ، ويشعرون ببرد اليقين يرطب قلوبهم ، ويستنزلون مدد الله عليهم لما أطاعوه واستجاروا به.

٤ - تعلم النظام :-

قـــــال تعـــــالى: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، باقي مسند المكثرين ، ج٤ ص٢٠١ رقم ١٣٦٢٣.

(٢) البقرة ٢/٤٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الكوفيين ، ج٥ ، ص٤٣٦ رقم ١٨٤٥٨.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[1] إن الانـتظام فـي الصلاة على الهيئة التي أراد الله، وفي المواقيت التي وقت لها ، في وقت معين يصلي المسلمون الصبح، وفي وقت محدد يصلون الظهر، ثم العصر، ثم المغرب ، ثم العشاء، ولا يجوز لهم أن يقدموا لصـلاة أو يؤخروها عن أوقاتها إلا بأسبابها الشرعية، إن ذلك يمرن المسلم على الـنظام والدقة في أعماله، وجميع أمور حياته، بل كان من المسلمين من يجعلون فـرائض الصـلاة أساساً ينظمون عليه يومهم، فبين الصبح والظهر يعملون كذا، وبيـن الظهـر والعصر لكذا ، وبين العصر والمغرب ينجزون كذا ، وبين المغرب والعشاء يقرءون كذا ، والعشاء كذا وكذا.

والجيل الذي يجتبيه الله ﷻ ويصطفيه للتمكين جيل منظم لا يعرف الأساليب الفوضـوية ولا الطـرق الغوغائية ولا الخبطات العشوائية ، وإنما تخطيط ودراسة وتفحـص وترتيب ونظام ، بحيث لا يؤجَّل شيء عن وقته، ولا يؤخَّر عن ميعاده، ولا يطـغى شـيء عـلى شيء ، ولا يقدّم المهم على الأهم وهذا النظام هو سمة الإسلام، وهو أحد ثمار الصلاة والمحافظة عليها.

٥ - الطاعة والانضباط :

قال تعالى : ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[2] فالصلاة مع المسلمين في جماعة، خـلف إمـام واحـد ، يكـبر الناس بتكبيره، ويركعون بركوعه، ويرفعون برفعه ويجلسـون بجلوسـه، ويسلمون بسلامه، ويستمعون لقراءته، كل ذلك يغرس في نفـس المسلم أصول الطاعة لولي الأمر أو الإمام أو الأمير ، وعدم الخروج عليه، والأمـة لابـد فيهـا من ذلك وهو ما تتعلمه من الصلوات الجماعية، ففي المعركة العسـكرية -مـثلاً- لابد من قائد ، له صفاته ومقوماته وصلاحياته، له على جنده حق الطاعة والانضباط كما لجنوده عليه حق النصح لهم والمحافظة عليهم وطاعة الله فيهم.

---

(١) النساء ٤/١٠٣.

(٢) البقرة ٢/٤٣.

٦ - الرجولة :

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[1] إن الرجولة في ميزان القرآن لها سمات وصفات وخصائص وإن اختلفت عما تعارف عليه الناس ومن سمات هذه الرجولة طاعة الله، وتلبية ندائه، وعمارة مساجده، فالذين يعمرون مساجد الله رجال لأنهم انتصروا على ذواتهم وشهواتهم ودنياهم وطوعوها كلها لمرضاة ربهم.

والمرشحون للتمكين هم الرجال الذين عرفوا أبواب المساجد، وسكنت قلوبهم فيها وإن خرجت أجسامهم لمزاولة سعيهم الدنيوي، فهم أهل المواقف المشهودة، وأهل التحمل والثبات لذلك كانت الصلاة من أسباب التمكين المشار إليها لأنها تُخَرِّج هؤلاء الرجال وتمد الأمة بهم.

٧ - ترك الفواحش واجتناب المنكرات:

فالذي يتوضأ للصلاة خمس مرات، ويمشي إليها في أوقاتها، ويقيمها خاشعاً أواباً ستسمو نفسه، وتشف روحه ، ويطهر قلبه، وتستقيم جوارحه، وهو أبعد الناس عن الفواحش قولاً وفعلاً، ومعلوم أن الأمة لا تنتصر على عدوها إلاّ إذا انتصرت على نفسها قبل ذلك بطاعة الله وفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذه من آثار الصلاة، التي تمد الأمة بأجيال تذوقت حلاوة الإيمان ونشأت في ربوعه، وسارعت إلى الطاعات، ونأت عن المنكرات والموبقات، لأنها وقفت بين يدي ربها خمس مرات فطهرها وعصمها، وصرف عنها نزغات الشيطان، وحتى إن زلت أو غفلت فسرعان ما تعود وتؤوب ، نادمةً على تقصيرها، ملتمسةً العفو والمغفرة من ربها.

وإذا بالصلاة قد قدَّمت للأمة الإسلامية أجيالاً متلاحمة قوية منظمة باذلة منضبطة طاهرة غير متلطخةٍ بالكبائر ، فهم عدة الأمة عند شدائدها وهم الكبار وإن صغروا ، والرجال وإن لم يبلغوا مبلغ الرجال.

---

(١) النور ٣٦/٢٤ ، ٣٧ .

ثالثاً : إيتاء الزكاة :

ولإيتاء الزكاة دور في إعداد الأمة لمرحلة التمكين لأسباب :

١ - تحقيق التكافل الاجتماعي :

فالأمة التي يطلب منها أن تقف صفاً واحداً في وجه أعدائها لا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلا إذا كانت متكافلة يحنو فيها الغني على الفقير، والقادر على العاجز، لتتحقق العدالة الاجتماعية التي تنعكس آثارها لصالح المجتمع كله "لأن الشعور بالظلم الاجتماعي قد يجعل الفرد لا يتحمس للدفاع عن وطنه الذي لم يطعمه من جوع ، ولم يؤمّنه من خوف، وسيقول -متذمراً- ما قاله المثل العامي: في همكم مدعوون وفي فرحكم منسيون، أو ما قاله الشاعر قديماً :

وإذا تكون كريهةٌ أدعى لها وإذا يُحاس الحَيس[1] يُدعى جندب[2]

٢ ـ تطهير المال والنفس :

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3] فالصلاة تطهر النفس ، والزكاة تطهر النفس والمال ، والنفس والمال إذا طهرا كان صاحبهما مؤهلاً لحمل رسالة الله، والتضحية في سبيلها، وتحمل المشاق والصعاب، لأن الذي شح بزكاته، فهو أكثر شحاً بنفسه، لو دعت الحاجة إلى بذلها رخيصة في سبيل الله.

والقرآن يربي المسلم على البذل في جميع الأحوال ليتعوده، ويألفه، فهو يبذل وقته في الصلاة ويبذل ماله في الإنفاق والزكاة، وقد يبذل ماله ونفسه وحياته كلها لإعلاء كلمة الله.

٣ - كفاية المحتاج لتهيئته للجهاد :

فالفقير المشغول بحاجات أسرته، ومتطلبات أولاده قد احتبس داخل دائرة حاجاته الشخصية، ومتطلبات أولاده الفطرية ليس لديه قدرة ولا استطاعة على مشاركة

---

(١) الحيس : الخطب ، يقال حاسهم خطب كريه ، أي نزل بهم وتخلل ديارهم ، المعجم الوسيط ، سابق ، ٢٠٦/١، مادة (حاس)

(٢) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي د/ يوسف القرضاوي ، مصدر سابق، ص١١٤.

(٣) التوبة ١٠٣/٩.

الأمـــة همومها، لذلك كان من خطط مشركي قريش الماكرة منع نفقاتهم عن فقراء مكة الذين أسلموا حتى ينشغلوا بهمهم اليومي عن الدعوة ومتطلباتها، فكشف الله مخططهم بقوله : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[1] لكـــن بالزكاة تقضى حاجات المســـلم، ويغنى عن السؤال، وتكون الأمة -بذلك - قد ضمته إلى صفوفها مشاركاً فـــي قضاياها ، قائماً بدوره المكلف به، متفرغاً لعلمٍ يعلِّمه ، أومهمة ينجزها، معداً نفسه للجهاد، منتظراً لنداء أمته، مسارعاً للدفاع عنها ونصرة قضاياها.

رابعاً : طاعة الرسول ﷺ :

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَـٰعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[3]

بـــل إن الشهادة التي يرددها المسلم وتتردد في جنبات المجتمع المسلم عند كـــل أذان (أشهد أن محمداً رسول الله) لها معنىً ومقتضىً ، ومعناها: طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وحذر وألا يُعبد الله إلا بما شرع، والمجـــتمع المســـلم الباحث عن التمكين، الساعي إليه ، الباذل لجهوده والواضع لخططـــه مـــن أجل تحقيقه وبلوغه من أهم متطلباته أن يطيع رسول الله ﷺ طاعة كامـــلة مطلقة فيها الحب والثقة والرضا والتسليم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [4] فهـــو بغيـــر هذه الطاعة يستحيل أن يبلغ التمكين الشرعي الصحيح، وكـــفى أنه بطاعة الرسول والتزام هديه وسمته وخلقه، واتباع أمره واقتفاء أثره، وإحياء سنته، ولزوم طريقه ﷺ تتحقق لهذا المجتمع أمور منها:

---

(١) المنافقون ٦٣/٧.

(٢) النساء ٤/٦٤.

(٣) النساء ٤/٨٠.

(٤) النساء ٤/٦٥.

١ـ الهداية :

قـــال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[١] فالله أرسله وارتضاه ، وهو الأعلم بـــربه والمبلغ عنه فلا سبيل للهداية إلا عن طريقه، ولا مدخل إلى معرفة مطلوب الله ومرغوبه، ومحبوبه إلا من بابه، فالهداية في طاعته والضلال في معصيته.

٢ـ الاستقامة :

قـــال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] فالفتنة هي الزيغ والغواية والانحراف وهذا عقاب كل مخالفٍ لأمره ﷺ معرض عن سنته، مبتدع في دينه ما ليس منه.

٣ـ الوحدة :

فالأمـــة كـــلها تجتمع إذا اتحد منهجها، وصفا مشربها ونُصرت فيها السنة وقمعـــت البدعة فالسنة سببُ تآلف القلوب واجتماع الآراء ووحدة الصف، كما قال ابـــن تيميـــة -رحمـــه الله-: "والـــبدعة مقـــرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعـــة"[٣] فـــأهل البدع سماتهم التفرقة والتشرذم، وأهل السنة سماتهم الحب والـــتآخي والـــتوحُّد ، فهذه بركة الحق ونور الهداية والله تعالى قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٤]

خامساً : تقوى الله ﷻ :

هـــي ســـلاح المؤمن الذي يسعى لبلوغ مرحلة التمكين في الأرض ، وهي رداؤه الـــذي يزيـــنه ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[٥] ومظلته التي يستظل بها، وساقه التي يخطو عليها، وتقوى الله ومهابته لها آثار وثمار في الدنيا والآخرة ، وهـــي من مقومات وأسباب التمكين في الأرض لما تحدثه من تغييرات وتجلبه من

---

(١) النور ٥٤/٢٤.

(٢) النور ٦٣/٢٤.

(٣) الاستقامة ، ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى ١٤٠٣هـ ٤٢/١.

(٤) الأنعام ١٥٣/٦.

(٥) الأعراف ٢٦/٧.

خيرات، ومن ذلك:-

أ- في الدنيا:

١ - المخرج من كل ضيق

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[١] إن حالات استضعاف المسلمين في أي مكان والتكالب عليهم ، والتفنن في إنزال التعذيب بهم واستضعافهم، ومنعهم من أداء شعائر دينهم وحرمانهم من حقوقهم، كل ذلك يعد من أشد الكروب وأحرج الضيق الذي يعانيه هؤلاء، وعندما يتسلحون بتقوى الله ﷻ في السر والعلن في خوف عقوبته ، وخشية عذابه ونقمته، فالفرج آتيهم، والمخرج أمامهم ، فقد جعل الله المخرج قرين التقوى وأحد ثمارها بنص القرآن ، وهذا يوجب على المسلمين عموماً والمستضعفين خصوصاً، أن يتسلحوا بسلاح التقوى ولا يتخلوا عنه ليكونوا أهلاً لذلك.

٢- الرزق الرغيد:

قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٢] إن التقوى تجلب الأرزاق التي لا تخطر ببال، ولم يعمل لها حساب، ولم يفكر فيها صاحبها، ولم يخطط لها ولم يعوّل عليها، وإذا كان الكثير من بلاد المسلمين يعاني الفقر والمسغبة، والحاجة والحرمان فليس شيء تُستجلب به الأرزاق ، وتُفرج به الأزمات ، ويُعاش بسببه في رغد وسَعةٍ كتقوى الله ﷻ ، والعجب ممن يشتكون ويعانون ثم يغفلون عن هذا الكنز العظيم الذي يغنيهم عن أعدائهم ، ويعينهم على الاكتفاء، بل ويمكنهم من التمكن الاقتصادي في الأرض .

٣ - التيسير:

قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[٣] والتيسير منحة ربانية يهبها من يتقيه من عباده فيلمس سهولة الأمور، ويسر الأحوال فلا يقاسي المشقة، ولا يعاني الصعوبات، وكثيرٌ هي المشقات التي تعترض طريق المسلمين

---

(١) الطلاق ٢/٦٥

(٢) الطلاق ٣/٦٥

(٣) الطلاق ٤/٦٥

ليتمكـــنوا اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، هذه المشقات قد تكون ، نقص المـــوارد أو اختلاف الآراء، أو تعدد الأهواء، أو تربص الأعداء إلى غير ذلك، فإذا مـــا تسلحت الأمة بالتقوى جنت هذه الثمرة وهي تيسير أحوالها في شتى الجوانب وما أجلَّها من نعمٍ كما قال صاحب الظلال: "وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده فلا عنت ولا مشقة ، ولا عُسر ولا ضيق، يأخذ الأمور بيسرٍ في شعوره وتقديره، وينالها بيسرٍ في حركته وعمله، ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رضيٍ ندي"[١] فالتوفيق نصيبه، والقبول حظه، والســـهولة طـــريقه، ينـــتقل من شأن إلى شأن، ومن مرحلة لأخرى بانسيابية في حياتـــه، وانطلاقـــة في مسيره، إلى الهدف المنشود فلا يعرف الفشل، ولا يتجرع مرارة الخذلان.

٤- **هطـول الـبركات** : قـــال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] فجعـــل الله ﷻ الـــتقوى جالـــبة للـــبركات، أو قـــرن نزول البركات بالتقوى، وكل عملٍ لا يباركه الله ﷻ فهو عديم الـــنفع خـــاوٍ مـــن الخيـــر، فلو أن الناس وحدوا ربهم وآمنوا به وصدقوا رسله واجتنـــبوا الكفر والمعاصي لوسع الله عليهم الخير ويسره لهم ويسرهم لهم ولدفع عنهم كل ما يصيبهم من العقوبات بعضها من السماء والآخر من الأرض[٣].

والمسلمون بحاجة إلى استنزال البركات من السماء والأرض، فإذا اتقوا ربهم ولـــزموا حدوده بورك لهم في الوقت فأنجزوا فيه النافع المفيد، وبورك لهم في العمر فحققـــوا فيـــه مـــا لم يحققه غيرهم في أطول منه، وبورك لهم في المال فاستثمروه وسعدوا به، وبورك لهم في السعي فهو سعيٌ مبارك يفيض خيراً وينفع عباد الله.

---

(١) في ظلال القرآن – سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٦٠٢/٦.

(٢) الأعراف ٩٦/٧.

(٣) انظر محاسن التأويل ، القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي، مصدر سابق، ٢٢١/٧.

٥ - معية الله وتأييده ودعمه :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾[١] إنها معية التأييد والمساندة ، والتثبيت والمعاونة، والحماية والرعاية، ومن كان الله معه فمن يكون عليه؟!، ومن كان الله مؤيده فمن خاذله؟! ، ومن كان الله ناصره فمن غالبه؟! ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٢] والمؤمن بتقواه ربَّه يستشعر هذه المعية ويستبشر بها ويهش لها.

٦ - المحبة والقبول :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٣] محبة الله لعبده درجة عالية، ورتبة يسعى إليها المؤمنون ، فليس المهمُّ أن يُحِبَّ الإنسان ولكن المهم أن يُحَبَّ ، والله ﷻ وهب محبته لعباده المتقين، ومن أحبه الله أكرمه وألهمه ومنعه واصطفاه بالخير في الدنيا والآخرة ، بل وألقى محبته -بأمره- في قلوب ملائكته وعباده قال رسول الله ﷺ : "إذا أحب الله العبد قال لجبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[٤] .

والجيل الساعي للتمكين، والعامل له، واجب أن يتحلى بالتقوى التي تثمر قبوله عند الله ومحبته له، وكذا تضمن له القبول عند الناس، والناس إذا أحبوا هؤلاء أحبوا دعوتهم ، وأحبوا مسلكهم وأحبوا أهدافهم ، فأيدوهم وناصروهم، أو على الأقل كفُّوا ألسنتهم عنهم، وأحسنوا بهم الظن وأمَّلوا فيهم الخير.

٧ - الولاية :

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٥] فالتقوى يغنم بها المتقون ولاية الله

---

(١) النحل ١٢٨/١٦.

(٢) آل عمران ١٦٠/٣.

(٣) التوبة ٤/٩ ، ٧

(٤) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله تعالى: ، ج٤ ص ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧.

(٥) الجاثية ١٩/٤٥.

لهم ، وإذا تولى الله أحداً ، دافع عنه وحماه بعد أن اصطفاه واجتباه، وأمده بمدده وجنده وأيده بنصره وصار من حزبه، بل لأنه تولاهم فقد تولى أمرهم واختار لهم، وربط على قلوبهم وثبتهم فلا يضيرهم من خالفهم من الناس لأنهم أنسوا به ، فكان لهم عوضاً عن كل شيء .

٨ - صرف كيد الأعداء :

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[١] فالله ﷻ يدافع عن أوليائه وأصفيائه فيوفقهم ويرشدهم إلى طرق النجاة من مخططات الأعداء التي ترمي إلى إيقاعهم والإضرار بهم، ويكتب لهم السلامة والإفلات وذلك "باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[٢]

وهذا ضمان من الحي القيوم لعباده المتقين بأن يعملوا ويواصلوا مطمئنين أن خطط أعدائهم التي يسْعون بها إلى كتم أنفاس الدعوة أو القضاء على العصبة المؤمنة ستبوء بالفشل وتعود عليهم بالخسران.

٩ - نور البصيرة :

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [٣] وتلك ثمرة عظيمة من ثمار التقوى ينعم بها أصحابها ويتحلون بها، بل ويسعد معهم المجتمع المسلم بما أُوتوه من نور البصيرة، وبعد النظر والفراسة الدقيقة ، فيميزون بين الراجح والمرجوح ، ويفرقون بين الفاضل والمفضول، ويدركون ما حكمه التقديم فيقدمونه، وما حكمه التأخير فيؤخرونه، ويُؤتَون نوراً من الله في العمل والدعوة ولحظة القرار ، فالقول سديد والعمل رشيد.

---

(١) آل عمران ١٢٠/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٣٢٩/١.

(٣) الأنفال ٢٩/٨.

إنهـا الـرؤية الصحيحة للواقع ، والتخطيط السليم للمستقبل، والنظر البعيد الـذي يتعدى حواجز الزمان والمكان فيأتي بالخير للبلاد والعباد، فهذا يوسف عليه السلام خطـط ببصره وبصيرته لإخراج الأمة من الأزمات بما ألهمه الله ، فخطط للزراعة والإثمـار، ثم للتخزين والادخار فنجت مصر من المجاعة ، بل وفاض رزقها على من حولها ممن أتوها ينادون ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[1] فكان لبصيرة فرد واحد وإلهام الله له ، الفضل -بعد ربه- في تجاوز أزمة طاحنة ومجاعة مهلكة[2].

وهكـذا فـإن أجيال الصحوة المرشحة للتمكين كلما أخذت بنصيب وافر من الـتقوى أوتيـت هـذه البصـيرة التي بها تفرق بين النافع والضار، وبين الفاسد والصالح من الأقوال والأفعال.

١٠ - الاتعاظ:

قـال تعـالى: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3] فخيـر مـن يـتعظ هم الأتقياء، إذ يجيدون أخذ العبرة من كل شيء سـواء ممـا يقـرءونه فـي كتاب الله من قصص وأخبار، أو مما أتاهم في سنة رسـولهم مـن أنباء، أو مما يرونه حولهم من صراعات واستراتيجيات ، والعبرة تـزيدهم خبرة ودراية وإحاطة بطبيعة المرحلة التي يمرون بها ، وبطبيعة الأحداث المحيطة بهم، وهم خير من يقرأ ويفهم ويحلل ويستنتج ويستفيد ويتعلم أيضاً مما جرى لغيرهم فهناك حركات إسلامية ، أو ثورات جهادية قامت ، ثم باءت بالفشل ، لسـوء تخطيط أصحابها، أو لتسلط الأهواء عليهم، أو لنجاح أعدائهم في اختراق صـفوفهم فتكون هذه الأحداث ماثلة أمام المتقين يأخذون منها العظة والعبرة حتى لا يكونوا هم عبرة .

---

(١) يوسف ٨٨/١٢.

(٢) انظر الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د/ يوسف القرضاوي ، مصدر سابق، ص٤٢

(٣) البقرة ٦٦/٢.

ب: في الآخرة :

إن ثمار التقوى ليست قاصرة على هذه الحياة الدنيا، بل إنها ممتدة للآخرة، لتكون حافزاً لأصحابها على التمسك بها والاستزادة منها، فإن لم تحفزهم ثمراتها الدنيوية أغرتهم ثمارها الأخروية ومن ذلك :

١ - النجاة من العذاب :

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (١) والنجاة من العذاب دائماً هو الشغل الشاغل لعباد الله المؤمنين، يعملون لها ويسعون لنيلها بعد أن بشرهم الله بذلك ووعدهم ببلوغه.

٢ - الرِّفعة يوم القيامة:

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٢) فالمتقون سادة الدنيا والآخرة، وهم فوق الكفار في الدنيا بإيمانهم وجهادهم واحتسابهم وصبرهم وهم فوقهم يوم القيامة بفضل الله عليهم وحُسن جزائه لهم وإتمام نعمته عليهم، وهذا في حد ذاته كفيل بأن يكون حافزاً يدفعهم إلى بلوغ هذه المراتب وحيازة هذه المناصب مهما كلفهم من تعب ونصب وتضحية بذلك في سبيل الله.

٣ - الرفقة الممتدة في الآخرة :

قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) وتلك مزية لهم تدفعهم إلى اتصالهم بالمتقين في الدنيا وصحبتهم والصلة بهم حتى تتحقق لهم هذه النعمة يوم القيامة فتجتمع لهم المنزلة الطيبة والصحبة الطيبة.

٤ - الفوز بالجنة :

قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾(٤) وبدخول الجنة تتم النعم

---

(١) مريم ٧٢/١٩.

(٢) البقرة ٢١٢/٢.

(٣) الزخرف ٦٧/٤٣.

(٤) آل عمران ١٩٨/٣.

وتتحقق الكرامة ، حيث الخلود الأبدي، والنعيم السرمدي، بلا خوفٍ ولا حزن، هذه هي ثمار التقوى في الدارين التي يسعى إليها المجتمع المسلم الذي يريد أن يعيش عزيـــزاً بإســـلامه في الدنيا يقيمه وينشره ويدعو إليه ويدافع عنه، وأيضاً، لينجو بإسلامه في الآخرة ويجني كل هذه الثمار عند ربه الذي لا يخلف الميعاد.

سادساً : الإعـــداد :

قـــــال تعـــــالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[١]

والإعـــداد الذي عنته الآية بمعنى تهيئة الشيء للمستقبل[٢] و ﴿ وما استطعتم: أي مهمـــا أمكنكم ﴾[٣] والإعداد شامل لكل ما يجعل المسلمين قوة مرهوبة من أعدائهم الذي يتربصون بهم ، ويريدون الإحاطة بهم والقضاء عليهم وعلى دينهم.

أهم صور الإعداد :

١ - الروحي :

وذلـــك بـــربط القـــلوب بالله وبكتابه وبرسوله وبهديه وسنته ، حتى تقوى معـــنويات المســـلم الـــذي يستمد قوته من صلته بربه وطاعته له والتوكل عليه ، ودعائه والتوجه إليه.

٢ - النفسي :

وذلـــك بـــتذكر وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتثبيت والتمكين، وبذكر مغازي رسول الله ﷺ والمعارك التي خاضها أصحابه بأعداد أقل من أعداد عدوهم ومـــع ذلـــك نصرهم الله ومكنهم من عدوهم وأيضاً ببث مشاعر العزة والاستعلاء الإيمـــاني لـــدى أفـــراد المجتمع فهم الأعلى بإيمانهم ، وهم الأكرم بتقواهم ، وهم الأولى بمدد الله وتثبيته.

٣ - البدني :

إن للمســـلم رســـالة فـــي الحياة منوطة به تشمل عبادة ربه، ونصرة دينه

---

(١) الأنفال ٨/٦٠.

(٢) تفسير المنار ، الشيخ رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الثانية ، د.ت ، ٥/٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢/١٢٢.

بالحركة والدعوة ، ونشره في الأرض ، فلابد من وجود أبدان صحيحة قوية تبذل وتتحمل وتعطي وتكون خير عون لأصحابها على إنجاز رسالتهم وتحقيق مهمتهم.

٤- العسكري :

إذ إن الحق تحميه القوة ، والمسلمون عندما يكونون أقوياء ، ولديهم جيوش عسكرية تحميهم فهذا يفت في عضد أعدائهم ويرهبهم ويردعهم عن أي تصرف تجاه الإسلام وأهله ويستطيعون بهذه القوة نصرة الضعفاء ، وإغاثة المحتاج ، ودفع الظلم عنه أينما كان.

٥ - الاقتصادي :

بتنمية الموارد وعمارة الأرض ، واستصلاح الصحاري واستخراج المعادن، واستغلال الثروات المائية وإقامة المصانع، والاستغناء عن الأعداء فيما ينتجونه، فقبل الاستقلال السياسي لابد من الاستقلال الاقتصادي حتى لا يشكل الأعداء ضغوطاً على المسلمين قد تكلفهم كثيراً.

٦ - الاجتماعي :

بتنمية الروابط الاجتماعية التي تجعل الناس صفاً واحداً في وجه عدوهم فلا فرقة ولا انقسام ولا تنابز ولاخصام، وإنما تماسك في الأُسَر والمجتمع كله، بحيث يدرك الجميع الحقوق والواجبات، فيؤدي ما عليه ويحصل عل ماله ، فيكون المسلمون أمةً واحدة كما أرادها الله ﷻ.

* * * * *

المبحث الثاني

بعض صور التمكين في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم منذ تولى البناء الاجتماعي للمسلم، ثم أضاف لبنة الأسرة المسلمة بصفاتها ومميزاتها ثم كون المجتمع من هذه اللبنات وهو حريص على رعاية أفراده وتوليهم بالتوجيه المستمر والعناية الموصولة.

وعندما قصَّ القرآن على الناس قصصاً لمواجهات تمت بين حزب الحق وحزب الباطل فإنما لتكون عبراً لهم ، وأيضاً لتعْرِض بعض نماذج للتمكين وإن كان جزئياً لم يكتمل، وتبين حقائق للانتصار وصوراً له وإن كانت غير مألوفة لدى الناس، فالمألوف لدى الناس هو التمكين الشامل والانتصار الكامل، وما علم هؤلاء الناس ، أن القتل والاستشهاد تمكين، وأن النجاح في تبليغ كلمة الله تمكين، وأن إهلاك الكفار ونجاة المؤمنين تمكين، وأن قيام دولة مسلمة تحكِّم شرع الله في كل صغيرة وكبيرة هي أعلى درجات التمكين. ولكن - للأسف- كثيرا ما تلمز ألسنةُ الناسِ الدعاةَ الذين أفنوا أعمارهم في دعوة الناس وتبصيرهم وتعليمهم الخير، فيقولون : يدعون منذ كذا وكذا ، وماذا فعلوا؟ أتعبوا أنفسهم وما النتيجة؟ وما درى هؤلاء أن البلاغ، وإلقاء كلمة الحق على الأسماع وإفساح المجال لها ، ووجود المستمع إليها، والتوفيق الإلهي في اختيار المكان والزمان المناسبين، وإقامة الحجة على الناس كما قال:﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1] كل هذا انتصار للحق وأهله، ومرحلة من مراحل التمكين الذي يشرح صدور المؤمنين ويسرُّهم.

إذن فمن صور التمكين :-

١- البلاغ والدعوة والثبات ونيل الشهادة (كما في حادثة الأخدود).

٢- نجاة المؤمنين وإهلاك الكافرين (كموقف نوح عليه السلام وقومه) [2].

---

(١) النساء ١٦٥/٤.

(٢) انظر نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ، ط دار القلم بدمشق، والدار الشامية بيروت ، الأولى ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣- إقامة الدولة الإسلامية على أساس الشريعة (كدولة سليمان بن داود -عليهما السلام- ودولة المصطفى ﷺ بالمدينة).

والبحث -هنا- يكتفي بذكر النموذج الأول فقط، إذ فيه الكفاية لتوضيح هذا الصراع والوقوف على بعض صور الانتصار والتمكين التي قد لا تظهر لكثير، ولأن نموذج إقامة الدولة الإسلامية قد تعرض له البحث في الفصل الأول من هذا الباب.

حادثة الأخدود:

أولاً: أنباء القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1]

ثانياً: أخبار السنة:

قال رسول الله ﷺ: "كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر، فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلمُ أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال: فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها، ومضى الناس،

---

(١) البروج ٨٥/١-١١.

فأخبر الراهب بذلك فقال: أيْ بني أنت أفضل مني وستبتلى، فإذا ابتليت فلا تدل عليَّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم بإذن الله، وكان للملك جليسٌ فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ، فإن أنت آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن، فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من ردَّ عيك بصرك؟ فقال: ربي، فقال: أنا؟ قال: لا، ربي وربك الله، قال: أو لك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل به يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أيْ بني بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحدا، إنما يشفي الله ﷻ، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً فما زال يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فأتى الراهب فقال: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه على الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، فقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه[1] فذهبوا به، فلما علَوْا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف الجبل، فدُهدِهوا أجمعون، وجاء الغلام يلتمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله - تعالى - فبعث به مع نفر في قرقور[2] في البحر، فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرِّقوه في البحر، فركبوا البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله - تعالى - ثم قال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإنك إن فعلت ما آمرك به قتلني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم تقول: بسم الله رب الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس آمنا برب الغلام. فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخُدِّد فيها

---

(١) أي دحرجوه، يقال، دهده الحجر: دحرجه، المعجم الوسيط، سابق، ٢٩٩/١، (مادة: دهده)

(٢) قرقور: السفينة الطويلة العظيمة، والجمع قراقير، انظر المعجم الوسيط، سابق، ٧٢٩/٢، مادة (قرقر).

الأخاديد، وأضرمت النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموا فيها، قال فكانوا يتعادون ويتدافعون، فجاءت امرأة باين لها ترضعه، فكأنها تقاعست، أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق"[1]

والمتأمل في قصة هذا الغلام سيجد عدة حقائق واضحة جلية من خلال هذا الصراع المحتدم بين الحق ممثَّلاً في الغلام والباطل متمثلاً في الملك وحاشيته، وهي صور من التمكين وأنواع من الانتصار وإن لم تبدُ هكذا لأصحاب النظرة السطحية والفهم العليل. ومن ذلك:

١ - انشراح الصدر للإيمان:-

وهذه أكبر نعمة يُنعم بها الله على عبد من عباده حيث إنها تجعل الإنسان يستمد كل قوته من هذا الإيمان فلا يحفل بالأخطار، ولا يبالي بالعواقب، بل يستهين بها وإن كان صغيراً كهذا الغلام الذي أقدم على أمر بالغ الخطورة ، لم يجرؤ عليه أحد قبله، لكنه في ظل إيمانه تفجر جرأةً وشجاعةً وإقداماً ، جعله أهلاً لأن يكون البطل الذي يقوض هذه المملكة ويحدث هذا الانقلاب الهائل في حياة البشر وهذا نوع من النصر، انتصار الإنسان على نفسه الذي يقوده إلى انتصاره على الغير.

٢ - البصيرة كأثر للإيمان :

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2]

وبهذه البصيرة استبان الغلام طريقه، وعرف مساره، وحدَّد هدفه، وبهذه البصيرة ميَّز بين الصحيح والسقيم، والخالد والزائل، وميز بين كلام الدين والسحر، بين علم الراهب وإفك الساحر، وعرف الحق فلزمه، وكشف الباطل وحاربه، وهذا انتصار كبير وإن كانت ساحته نفس الغلام، لكنها البداية التي تنطلق بهذه المفاهيم إلى خارج هذه النفس البشرية إلى ساحة الكون ومسرح الحياة.

---

(١) رواه أحمد ، باقي مسند الأنصار ، ج٧ ص٢٧ ، رقم ٢٣٤١٣ ، ومسلم ، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ج٤ ص٢٢٩٩-٢٣٠١ رقم ٣٠٠٥، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن ، باب "ومن سورة البروج" ج٥ ص٤٣٧ رقم ٣٣٤٠ واللفظ لأحمد.

(٢) الزمر ٢٢/٣٩.

٣ - البحث عن اليقين والبينة :

إنـــه آمـــن وصدق، لكنه ما إن رأى الدابة، حتى أراد أن يرى بأم عينيه ما يزيد يقينه ويرسِّخ عقيدته ، ويؤكد قناعته ، فدعا ربه أن يقتل الدابة ، ليندفع هو بعـــد هـــذا الدليـــل الواضح والبرهان الساطع ليقتل -بدوره- الباطل - حتى يجوز الـــناس إلى رب العالمين مؤمنين موحدين، والاستزادة من اليقين لدى المسلم من صـــور الإيمـــان ومـــنه الخطـــوات الموصلة إلى الانتصار والتمكين بشتى صوره وأشكاله.

٤ - الإشفاق على الناس وحب الخير لهم :

لـــم يقل : حتى أجوز أنا ، وإنما حتى يجوز الناس ، إيثار ، وإنكار للذات ، وحـــبٌ لـــلغير ، ومجـــاهدة لجـــلب الخير ما استطاع إلى قومه وهذا انتصار على خسائس النفس، وسمو في التصور، ولا يفعل ذلك إلا من أدرك الحقيقة وسعى إلى الكمـــال الإنساني واستشعر رسالته تجاه أهله حتى لو كانوا كفارا، وتلك - والله- صفات أهل الدعوة والعلم والبلاغ.

٥ - حماية جناب التوحيد :

لـــم يفتتن الغلام بنفسه، وهو يرى الأعمى يبصر بعد عماه، والعليل ينطلق بعـــد علته، ولم يحاول أن ينال حظوة عند الناس الذين ينبهرون به فينسب الفضل إليـــه، كـــلا، وإنمـــا ورعٌ وإخبات وإرجاع الفضل إلى ربه، فطفق يصحح مفاهيم الـــناس، ويـــلفت أنظـــارهم إلى مـــالك الشفاء وواهب العافية ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[1] وهـــذا من أعظم صور الانتصار، انتصار لله وانتصار للحق وانتصار للعقيدة، ودعوة هادئة مقرونة بتقديم الخير للناس ومد يد العون إليهم.

٦ - استصغار كل ما دون الله ﷻ:

أي إيمـــان هـــذا ، إنَّ المـــلك ببطشـــه وسطوته ، وقوته وسلطان، وعدته وجنوده، وأمره وكل دولته، أضحى صغيراً في عين غلام صغير، إن خشية الله إذا ملأت قلباً حتى فاض بها يصغر أمامها كل ما دون الله ، قال الفضيل بن عياض -

---

(١) الشعراء ٢٦/٨٠.

رحمه الله- : "من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد"[١] إن الملك سُقط في يده أمام غلام يجيبه بجسارة: (ربي وربك الله)، إنه صارحه وتحدَّاه ودعاه في آن واحد، ولو أراد الملك قتله في الحال لما عجز في ذلك، لكنها الحيرة والوجوم الذي أصاب الملك أمام هذا الغلام الذي أراد استبقاءه إن رجع عما يقول.

أو ليس تعظيم الله في النفس واستصغار ما دونه من البشر انتصاراً عظيماً؟ أو ليست جرأة النطق وقوة التحدي، وصراحة الإجابة انتصاراً تحتاجه الأمة في أمورها الكثيرة؟! أو ليست دعوة الحاكم مهما اشتد بطشه وانحرافه، وتذكيره بربه انتصاراً باهراً؟

٧- الخطة :

إن التخطيط السليم من مقومات الانتصار، ومن أسباب التمكين ، ومن دواعي النجاح، والغلام -هنا- أجاد رسم الخطة بالطريقة والهيئة المناسبتين، فالناس يُجْمَعون ، والعيون كلها معقودة على الغلام صاحب السيرة الطيبة فيهم الذي يُؤْثر مصالحهم، ويبرئ الله على يده مرضاهم، خطة ما كانت لتتم إلا هكذا ، كيف كان الغلام سيستطيع أن يوصل دعوته إلى الناس جميعاً والملك يطارده ويطلبه وينوي الخلاص منه، كيف كان سيجد الآذان تستمع والعيون تشاهد، والعقول تميز كما حدث في هذا المكان، أم كيف كان سيقف هو ليملي على الملك الخطة بتفاصيلها وماذا يفعل وماذا يقول والملك يسمع ويطيع إنه غلام نابه، يعلم "أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون مُنْصِفاً، ولا يمكن أن يدع الخير لينمو، مهما يسلك هذا الخير من طرق سليمة موادعة ، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل، ولابد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولابد أن يدافع الباطل عن نفسه، بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة"[٢]

إذن علم الغلام بنباهته وفطنته أن الملك لن يتركه، وأنه قاتله، إذن فلماذا يُقتل هكذا بلا ثمن؟ لماذا لا يكون ثمنُ قتله كبيراً جليلاً عظيماً خالداً مؤثِّراً وهو تبليغ الحق، وإيمان الناس وتحقيق الهدف؟!

---

(١) نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى ، مصدر سابق ، ٦٦١/٢.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ، مصدر سابق، ٧٤٢٧/٢.

فأراد الغلام أن يكون المقابل لقتله ثمناً كبيرا، هو يراه كبيرا، وهو كبير، أن يسمع الناس قولة الملك وهو يقولها (بسم الله رب الغلام) أن يعترف برب الغلام، أن يقرَّ الملك ويعترف أنه ليس هو الرب، ولكنه العبد الذي يستعين برب الغلام على قتل الغلام، إنه انتصار ساحق وإن رآه الناس موت نفس وصدق سيد -رحمه الله- : " وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يُودِعَ القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبةٍ مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى الأجيال"[١]

٨ - الهزيمة الكبرى:

كم كانت حسرة الملك وهو يسمع الناس جميعاً قد انتقلوا من كتيبة الكفر إلى معسكر الإيمان قائلين : (آمنا برب الغلام)؟! كم كانت هزيمته وهم يُفحمونه بالحجة ويقولون آمنا بمن دعوته وأسلمنا لمن سَمَّيتَه ، واتبعنا من قتلته، كم كانت خيبته، وقد سُقط في يده، وخرج الأمر من قبضته وتفرق الناس عنه، وانقلب ملكه رأساً على عقب وانهار كل ما بناه، أليس هذا انتصاراً للحق مدوياً ، واندحاراً للباطل مُزْرِيا؟!إنها صور للتمكين عديدة، وصفحات من الانتصار مشرقة.

لقد انتصر الغلام بحبه الخير للناس، وانتصر بتحديه أمر الباطل ولو كان الآمر ملِكاً لا يُردُّ أمره عند الناس، وانتصر بتوعية الجماهير وإنقاذهم من غفلتهم وإسماعهم صوت الحق وتبليغهم رسالة الصدق وانتصر بتجريئهم على الوقوف في وجه الباطل والصدع بالحق، وانتصر بنيل الشهادة ، فضمن حياة دعوته في قلوب الناس وقد حيت ، وضمن خلوده في الآخرة وقد تحقق ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢]

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب، مصدر سابق ، ٣٠٨٦/٥.

(٢) آل عمران ١٦٩/٣ ، ١٧٠.

والقــرآن الكريم إذ يقص هذه القصص آياتٍ تُتلى، وأحاديث تروى إنما يربي الأمة عــلى عِشــق القيــم الخالدة، واستشراف الأهداف السامية، وطلب الرتب العالية، وتقديم المهج الغالية، والثبات عند الابتلاء مهما اشتد ، والوقوف في وجه الخطر مهمــا احــتدم وإيثار الباقي النفيس على الفاني الرخيص مهما كان الثمن، والفناء في محراب الحق فهو أفضل وأعظم من الحياة في ركاب الباطل.

* * * * *

المبحث الثالث

أهداف التمكين[١]

إن بلوغ المجتمع الإسلامي مرحلة التمكين بحيث تجتمع له قوة وغلبة، فترهَب قوته ، ويُطمع في عدله ويؤمَّل خيرُه وتقام فيه شرائع الله، ويصوغ القرآن فيه حياة الناس بشتى تفصيلاتها ، فلا يدع جانباً إلا أسلمه ، ولا أمراً إلا أصّله، - أي أرجعه إلى أصوله الشرعية وفقاً لقواعد الدين الحنيف- ولْيفهم أن التمكين في الإسلام ليس معناه الاعتداء على الناس، أو بسط السيطرة عليهم، أو نهب ثرواتهم، أو احتلال أوطانهم كما فعلت النازية والصليبية والصهيونية العالمية، كلا، إن التمكين يحمل الخير للبشر أجمعين إنه رحمة وعدالة ومساواة إنه علم ودعوة وإمامة في الخير ودلالة على الرشاد، إنه القرآن الذي نزل لإسعاد البشرية، وكبح جماح الشر فيها، وتهذيب شهواتها، والارتقاء بها درجات علا.

عرفت البشرية على طول تاريخها النصر والقوة ظلماً وبغياً وإذلالاً وانتهازية، عرفته تصفية حساب وسفك دماء، عرفته غزواً واحتلالاً واجتياحاً وسلباً ونهباً، أما الإسلام فلا ، فالتمكين فيه لصالح البشرية جمعاء، له أهداف في سمو القرآن كمنهج حياة ، وفي سمو الإسلام كدين للحياة، وهذا هو البيان:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۖ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[٣]

ويمكن تحديد أهداف مرحلة التمكين من خلال الآيات الكريمة كما يلي : -

---

(١) انظر التربية الإسلامية في سورة النور ، د/ علي عبدالحليم محمود ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ، الأولى ، د.ت ، ص٢٩٩ وما بعدها.

(٢) الحج ٢٢/٤١

(٣) الحج ٢٢/٧٧، ٧٨.

١- تحقيق السمو الروحي (بالصلاة).
٢- تحقيق العدالة الاجتماعية (بالزكاة).
٣- الدعوة إلى الله (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
٤- الجهاد في سبيل الله.

أولاً: السمو الروحي:

إن الغاية العظمى من وجود الإنسان أن يرتبط بربه ارتباطاً وثيقاً، ويتصل بـه اتصـالاً مباشراً في خشوعه وخضوعه، في شدته ورخائه، في حله وترحاله، وذلـك بالوقوف بين يديه، مصلياً خاشعاً، فقيراً خاضعاً، يسأله الخير كله لأنه يعلم أن مفـاتيح الخير بيديه، ويعوذ به من الشر كله، فهو قد أسلم قلبه وروحه لربه، وأقـام حياتـه وشـؤونه وجوارحه على مرضاة ربه، ولا يتحقق هذا إلا بامتثال المجتمع وانتظامه في الصلاة في وقتها وبالهيئة التي أراد الله، عندئذ تسمو روح المسـلم، ويضعف تأثير المادة عليه، فقد تحرر من أسرها، وانفك من عقالها، إن للصلاة آثاراً في حياة الأمم خطيرة، فإبراهيم سأل أن تكون سمته وسمة ذريته من بعده فقال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [١] وموسى عليه السلام أُمـر بهـا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [٢] وعيسى عليه السلام أشار إليها ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[٣] ومحمـد ﷺ موجّـه لهـا ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٤].

أمـر بهـا المرسـلون، وأتـباع المرسلين، فبها تسمو الأرواح، وتطهر الأنفـس، ويقل تعلق العبد بالناس بقدر تعلقه بربه، ويشعر العبد بقوة يستند إليها،

---

(١) إبراهيم ١٤/٤٠.
(٢) يونس ١٠/٨٧.
(٣) مريم ١٩/٣١.
(٤) الإسراء ١٧/٧٨.

ويُحس بعزةٍ منقطعة النظير لا يحسها الإنسان مهما كانت مكانة من يأوي إليه من البشـــر، وهي تذكر المجتمع بأسره بمنهجه الذي تميز به ، ورسالته التي اضطلع بهـــا، أو بالأحرى هي هوية المجتمع التي فيها ملامحه وشخصيته لذلك وجب على المجتمع أن يتواصى بها، ويرعاها حق رعايتها، ويقدس أوقاتها وأماكنها، وينادي بهـــا، وأن يقوم رجال الحسبة بمتابعة أمرها، والاهتمام بأداء الناس لها، والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعليمها من لا يعرفها.

ثانياً : تحقيق العدالة الاجتماعية:

فالإســـلام جـــاء لينقذ البشرية من ظلم فئة لفئة، وبغي طائفة على أخرى، وليخلص العالم بأسره من فساد اجتماعي كان موجوداً فالناس سيد ومسود، وغني مـــرفه مستريح يحصل على كل شيء، ومعدم مستعبد لا يحصل على شيء، فجاء ليصـــفَّ الـــناس فـــي صف واحد، ويزنهم بميزان واحد وفرض الزكاة تؤخذ من أغـــنيائهم وتـــرد على فقرائهم كما وضح ذلك رسول الله ﷺ وهو يرسل معاذاً إلى اليمـــن بقولـــه: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[1] وما ذلك إلا لتقل الفـــوارق، ويـــزداد الـــناس تقارباً، وتضيق الهوة الاجتماعية التي كانت موجودة، وتـــلك مـــن حســـنات الإسلام ومقاصده، وتلك أيضاً، إرادة الله ومنحته لعباده بعد الاستضـــعاف والضياع فيعطيهم ويغنيهم ويرفع مقامهم ويرد اعتبارهم ويحفظ لهم كرامتهم في مجتمعاتهم بعد أن كانت مهدرة ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ج٣ ص ٤١٨ رقـم ١٤٩٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاة إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١ ص٥٠ رقم ١٩.

(٢) القصص ٢٨/٥ ، ٦.

ثالثاً : الدعوة إلى الله :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وإذا كان المسلَّم أن الإسلام إنما جاء والكتاب إنما أنزل والرسول إنما أرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2] كان من المسلَّم -أيضاً- أن الهدف الرئيسي من التمكن ، والغاية العظمى من ظهور الإسلام هو الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة الفضائل ومحاربة الرذائل وتلك مهمة الحكومة الإسلامية قبل الأفراد ، قال ابن تيمية -رحمه الله- : ووليُّ الأمرِ إنما نُصِّب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا هو مقصد الآية ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾[3] فإذا كان الوالي يُمكِّن من المنكر كان قد أتى بضد المقصود مثل من نصَّبته ليعينك على عدوك فأعان عدوك عليك، وبمنزلة من أخذ مالاً ليجاهد به في سبيل الله فقاتل به المسلمين"[4] .

من أهداف الدعوة إلى الله :

١ - **تعريف الناس بالإسلام** : ببيان شرائعه ومحاسنه ، وجوانب التيسير فيه ومميزاته على سائر الأديان.

٢ - **تبليغ الإسلام لغير المسلمين** : فهذا حقهم على أهل الإسلام أن يبلغوهم ويدعوهم، ويشرحوا لهم رسالة الله ﷺ ويأخذوا بأيديهم إلى هذا الخير العميم الذي أرسله الله للبشرية جمعاء ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) فصلت ٣٣/٤١.

(٢) إبراهيم ١/١٤.

(٣) الحج ٤١/٢٢.

(٤) الفتاوي ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ٣٠٣/٢٨.

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] و ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] وذلك يتم بتشكيل فرق من الدعاة المميَّزين والمؤهلين والمسلحين بالعلم الشرعي يجوبون الأقطار ، ويبلغون ما بلغ الليل والنهار يدعون إلى دين الله الواحد القهار، يذهبون إليهم بلا هدف سوى دعوتهم واستنقاذهم من ظلام الكفر والوثنية إلى نور التوحيد والحنيفية.

٣ـ **ترغيب الناس في طاعة الله ومحبته**: وذلك بوعظهم وإرشادهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم منذ الأزل ، ولفت أنظارهم إلى آلاء الله في النفس والكون والحياة كلها، وفتح بصائرهم على معاني القرآن الكريم، وصفات الرب الودود الرحيم، وتذكيرهم بما أعده الله في الآخرة لمن استقام وأطاع واهتدى، وما أعده فيها لمن انحرف وعصى وألقى بنفسه في مهاوي الردى

٤ – **نشر العلم الشرعي بين الناس** : بتعليمهم القرآن تلاوة وحفظاً وتجويداً وتفسيراً وفهماً وبتعليمهم السنن قولاً وعملاً وهدياً وتطبيقاً، بتربيتهم على حب العلم وأهله ، والفرار من الجهل وأهله، فالإنسان كلما ازداد علماً زاد خشية ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[3] والعلم يرفع أهله درجات في الدنيا والآخرة: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[4] والعلم الشرعي يحمي المجتمع كله من الأفكار المنحرفة والمذاهب الهدامة ، ويقف سداً منيعاً في وجه أي فكر إلحادي يريد اجتياح المجتمع.

٥ – **التحريض على الفضائل** : أي مكارم الأخلاق من صدق ووفاء وتواضع، وحياء وحُسن جوارٍ وألفة وحب، وتسامح وعفوٍ ، وكلها تصب في مصلحة المجتمع وتزيد أفراده سعادة بدنياهم واستعداداً لأخراهم، بل وتزيد المجتمع قوةً وتماسكاً وثباتاً حتى يستعصي على معاول الهدم والتقويض.

---

(١) الأعراف ١٥٨/٧.

(٢) سبأ ٢٨/٣٤.

(٣) فاطر ٢٨/٣٥.

(٤) المجادلة ١١/٥٨.

٦ - **محاربة الرذائل** : كالزنى والخمر وشهادة الزور وعقوق الوالدين والكذب والغيبة والنميمة والتنابز بالألقاب والسخرية وأكل الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل، والنشوز والحسد والبغضاء تلك التي تقضي على المجتمع قضاء مبرماً، فتضعف بناءه، وتمزق أبناءه وتمحق البركة من حياته وهي الداء العضال كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله : "دب إليكم داء الأمم، الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم، أفشوا السلام بينكم"[1] ودور الدعوة بيان بشاعة هذه الأمور وذكر سوءاتها وإظهار حكم الله فيها، والتذكير بعاقبة أصحابها العاجلة، وضرب الأمثلة التي أوردها القرآن لبيان هذا السوء، أو إبراز هذه العاقبة.

٧ - **مقارعة أعداء الدين بالحجة ودحض شبهاتهم** :

فالحرب الفكرية على الإسلام ومبادئه وأهله قد اشتد أوارها، وقوي سعارها من طعن في صلاحية الإسلام للإمساك بزمام الحياة، وتولي مقاليد الحكم، وحل مشاكل البشرية، ومجاراة تقدمها العلمي والتكنولوجي السريع، وتقديم حلول مقبولة لمعضلات الاقتصاد والسياسة والاجتماع كل ذلك يحتاج إلى دعاة ومفكرين بعيدين عن التشنج مسلحين بالعلم الراسخ والفكر الناضج ، والرأي السديد والطرح المقبول، والحوار الهادئ حتى يستطيعوا نزول هذه المعارك وخوض هذه المعامع وكسب الجولة لصالح الإسلام بما يدفع عنه الأقاويل ، ويدحض الأباطيل وينتصر للحق وأهله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة ، باب ٥٦: حدثنا سفيان بن وكيع ، ج٤ ص٦٦٤ رقم ٢٥١٠ ، وأحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، ج١ ص٢٧١ رقم ١٤٣٣ ، وأبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين ، ج٤ ص٢٨٢ رقم ٤٩١٩ ، واللفظ للترمذي.

(٢) آل عمران ٣/٦٤.

من مقومات الدعوة الناجحة[١]:

وليس كل أسلوب للدعوة ناجحاً، وليست كل طريقةٍ مجدية، وإنما لها أصول ومقومات وملامح وجب ألا تغيب عن أذهان ومنهج الدعاة والمفكرين وهم يحملون راية الإسلام ويمثلون جبهة القرآن ومن ذلك:

١ ـ الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[٢] فالدعوة تكون إلى الله ، لا إلى مذهب ولا إلى حزب، ولا إلى قومية،ولا إلى فكرة معينة وإنما إلى الله ، فهي من الله وبه وإليه، هي منه لأنها بأمره وتعليماته، وهي به لأنها بكتابه وسنة رسوله، وهي إليه لأنها تدعو لدينه ومعرفته وطاعته ومحبته وطريقه.

٢ ـ الاعتصام بالله:

إن أهم قضيتين تشغلان بال العبد على هذه الأرض هما قضيتا الرزق والأجل، وقد تكفل بهما الله ﷻ وقد جف منهما القلم وطويت الصحف، فقال سبحانه:﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾[٣] فعلام الطمع فيما في أيدي الناس والرزق مضمون ومكفول؟ وعلام الخوف والهلع والأجل مقدر؟ وكلما كان الداعية معتصماً بالله ، لائذاً بحصنه طالباً ما عنده ، مستغنياً عما في أيدي الناس، مطمئن القلب، ساكن الوجدان، أنَّ ما قُدِّر كان ، وما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كلما اختمرت هذه المعاني واستقرت في بال الداعية كان ناجحاً في مهمته، مؤثراً في قومه، مقبولاً في كلامه مُوفقاً في صولاته وجولاته، وهذا يفسر حرص كل نبي ومرسل دعا قومه أن يقول لهم: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ ﴾[٤] يطمئنهم ويريحهم أنه ما دعاهم لغرضٍ ولا

---

(١) انظر كتاب مقومات الداعية الناجح ، علي بن وهف القحطاني. ط سفير ، الرياض ، الأولى ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م ، وأصول الدعوة ، د/ عبدالكريم زيدان ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، السابعة ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٢) يوسف ١٠٨/١٢.

(٣) لقمان ٣٤/٣١.

(٤) الشعراء ١٠٩/٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠.

الـــتقى بهـــم لِعَرَضٍ، ولا حرص عليم لمنفعة، سوى منفعتهم هم، ومصلحتهم هم أما أجـــره هـــو فعلى من أرسله وأمره وكلفه، وهذا مَعْلَمٌ هام بارز من معالم الدعوة إلى الله، فكم من الدعاة، أعجب الناس كلامهم، وبهرهم بيانهم، وأسرتهم طريقتهم لكنهم مـــا لبـــثوا أن ســـألوا الناس الرخيص من عطائهم، واستشرفوا الزائل من متاعهم، وأمَّـــلوا الحقير من أمور دنياهم ، فذهب أثر كلامهم ، وهوت معاني دعوتهم وسقطوا من أعين مدعوِّيهم ، لما زهدوا في النفيس وطمعوا في الرخيص.

٣ - ترجمة المقال بالفعال :

قـــال تعـــالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[١] الداعية الحق من يـــبدأ بنفسه فيقيمها على سبيل الحق والهدى ، ومن يترجم مقاله بفعاله، ومن يرى الـــناس فعله قبل سماع كلامه، فهو ولي الله والله وليه، قد استنار قلبه بنور الإيمان بعد أن أشربه، فاتصل بربه اتصالاً دائماً في جميع أحواله فصار يحمل منشور الولاية الذي قال عنه ابن القيم -رحمه الله- : "منشور الولاية من أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم، متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم إذا تعطـــلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق"[٢].

والطامة الكبرى يوم يصاب الداعية بانفصام فاضح بين قوله وفعله، أو سلوكه ومـــنطوقه، فهـــو يدعو إلى الفضائل حال تلطخه بالرذائل، وهو يحرض على الإنفاق وقـــد شـــحت نفســـه ، وهو يحبب في مكارم الأخلاق مع كونه فظاً غليظ القلب، ولو أحســـن هـــذا لأصـــلح نفسه قبل أن يفكر في إصلاح غيره، وعندها فقوله مسموع، ونهجه متبوع.

٤ - العلم :

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٣].

---

(١) البقرة ٢/٤٤.

(٢) تهذيـــب مدارج السالكين ، عبدالمنعم صالح العلي العزي، دار المطبوعات الحديثة، جدة-السعودية ، الأولى، د.ت، ص٤٦٣.

(٣) التوبة ٩/١٢٢.

ففـــاقد الشـــيء لا يعطيه ، والمؤمَّل فيمن يريد دعوة الناس أن يُلِمَّ بأطراف العـــلم وأن يبدأ بكتاب الله قراءة وحفظاً ، وتفسيراً، وأن يلم بالمسائل الفقهية التي تعـــرض فـــي حياة الناس ، وأن يجيد العربية التي بها يخاطب الناس، وأن يعرف حديـــث النبي الذي إليه يدعو الناس، وأن يقرأ في التاريخ والفكر والسياسة التي بها لا ينفصل عن حياة الناس، وأن يعرف ما يدور في الشرق والغرب لكي يضرب الأمثال للناس، فالدعوة أساسها العلم ، كما قال ابن القيم –رحمه الله– : وإذا كانت الدعـــوة إلى الله أشـــرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الـــذي يدعـــو به وإليه، ولابد لكمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدٍّ يصل إليه السـعي"(١) وإن كـــان هـــذا لا يمـــنع أن يبلغ كل مسلم ما يعلمه ولو كانت مسألة واحـــدة، فقـــد قال ﷺ : "بلغوا عني ولو آية"(٢) لكن المقصود هم كبار الدعاة الذين يُعَوَّل عـــليهم في نشر الإسلام والتعريف به، وفي السياحة في الأرض يحملون نور القرآن يدعـــون الـــناس إليه ويعرِّفونهم عليه. والله ﷻ إذا كان قد قال في حق الدنيا ومتع الحيـــاة ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(٣) فقد أغرى بالعلم وحث على الاستزادة منه فقال:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(٤) . والآيـــتان فـــي ســـــورة واحـــدة هي (طـــه) توجيـــه وتقويم ولله در الألبيري(٥) مخاطباً ولده :

(١) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، ضبط وتعليق وتخريج على بن حسن بن علي بن عبدالحميد ، ط دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٦هـــ –١٩٩٦م، ٤٧٦/١.

(٢) رواه البخاري، وانظر الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٦ ص٥٧٢، رقم ٣٤٦١.

(٣) طه ١٣١/٢٠.

(٤) طه ١١٤/٢٠.

(٥) الشـــاعر الزاهد إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي من أهل غرناطة، ويعرف بالألبيري، اشتهر –رحمه الله– بتائيـــته الـــتي يناصـــح فيها ولده، توفى –رحمه الله– سنة ستين وأربعمائة، انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٨٢٨/٤ ، ونفح الطيب ٤٩١/٣.

وما يغنيك تشييدُ المباني ... إذا بالجهل نفسك قد هدَمتا
رفعْتَ المال فوق العلم ظلماً ... لعمرُكَ في القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحْي بونٌ ... ستعلمُهُ إذا (طه) قرأتا[1]

فالعلم أعلى وأجل لأنه "أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجَدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب"[2] ولا سيما إذا طلبه الطالب، من أهله الراسخين فيه واقتناه من ذويه المحققين لأن "من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله"[3] المتحققين به على الكمال والتمام

٥ - الذكاء والفطنة :

فلكل موقف مناسبة، ولكل مقام مقال، ولكل مستوىً أسلوب، ولكل قومٍ طريقة، وما يخاطب به أهل البادية خلاف ما يخاطب به أهل الحضر، وما يوجه للمتعلمين، غير ما يوجه للأميِّين، وما يخاطب به موحد عاصٍ ، غير ما يخاطب به فاسق مبتدع، وهكذا.

٦ - الحلم وسعة الصدر :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[4] كم يتعرض الداعية لمواقف .. تضايقه، وأساليب تزعجه، فهذا سؤال بطريقة غير لائقة، وهذا اعتراض بأسلوب منفر، وهذا رد لقوله بدون أدب، أو وقوف في وجهه بغير حياء وله في سيد الدعاة وإمام التقاة ، ابن عبدالله ﷺ خير قدوة وأعظم أسوة، إنها الدعوة، ومن أراد أن يحمل شرفها فليحمل - راضياً- تبعاتها سعةً في صدر، وحُسناً في خلق، وكرماً في طبع، وهذا ما يَسَعُ الناس، كما قال سيد -رحمه الله-: "فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية

---

(١) عشرون قصيدة في الزهد ، القسم الثاني ، جمع وترتيب محمد بن أحمد سيد أحمد، نشر مكتبة السوادي ، مكة المكرمة ، الثالثة ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ص٤٨ ببعض التصرف ومقصود الشاعر بقوله (ستعلمه إذا طه قرأتا) أي ستعلم الفرق بين العلم الذي قال الله عنه (وقل رب زدني علماً) ط٢٠/١١٤، والدنيا اللتي قال الله عنها (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) ط٢٠/١٣١

(٢) أدب الدنيا والدين ، الماوردي، مصدر سابق، ص٤٠.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الأولى د.ت ، ١/٩.

(٤) آل عمران ٣/١٥٩.

فائقــة، وإلى بشاشــة ســمحة، وإلى ودٍ يسعهم وحلمٍ لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصــهم، فــي حاجــةٍ إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمٍّ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والــود والرضــا"[١] والذي يتكلم باسم الإسلام دعوةً وإرشاداً فلْيُلزِم نفسه بأخلاقه محبةً ووداداً.

٧ ـ الفهم[٢] :

وهو ما يحتاجه الدعاة اليوم أمام حروب الفكر والإعلام الدائرة، ولَمَّا تضع أوزارها بعد، فهم عميق للدين الذي يحملون، فهم للأهداف التي إليها يدعون وبها يــنادون، فهــم لمستوى الفكر الذي يخاطبون، فهم لطبيعة المرحلة التي يعيشون، والخطــر الــذي يواجهون، والدور الذي به يقومون، فهم للثوابت والمتغيرات في الديــن الإســلامي حــتى لا يجمدوا فيما فيه المرونة، ولا يتنازلوا عن شيء من الثوابت، فهناك ثوابت ومتغيرات في شرائع الدين الإسلامي واجبٌ معرفتها:

فمن الثوابت:

١ ـ في العقائد : حيــث فكــرة الإسلام عن الألوهية والعبودية، أو عن الله والإنســان، وعــن شِقَّي الكون المنظور وغير المنظور، عن الله والملائكة والكتب والرســل واليوم الآخر، فالله سبحانه هو الله منذ الأزل، أحد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾[٣] والملائكــة ، خلْق الله، خلقهم من نور ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٤] وكــتب الله ﷻ هــي النصوص الإلهية المرشدة الآمرة الناهية المبينة لمطلوبات الله من عباده.

ورسل الله ﷺ هم سفراؤه إلى خلقه، من جاء ذكره منهم في القرآن الكريم

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب، مصدر سابق ، ١/٥٠٠ ، ٥٠١.

(٢) انظر الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د/ يوسف القرضاي، مصدر سابق، ص٤٦-٥٢.

(٣) الإخلاص ١١٢/٣ ، ٤.

(٤) الأنبياء ٢١/١٩ ، ٢٠.

خمسة وعشرون نبياً، ومن لم يأت ذكره لا يعلمهم إلا هو ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[1] ، منهم خمسة هم أولو العزم من الرسل أولهم نوح عليه السلام وخاتمهم محمد ﷺ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[2]

واليوم الآخر هو يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين، كل هذه ثوابت لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل ، تلقاها السابقون ، وعرفها اللاحقون، عرفها المسلمون في الشرق كما عرفوها في الغرب، عرفها الناس، في عصر الجمال، كما هي في عصر الفضاء، فتلك ثوابت العقيدة يؤمن بها المسلم، ويعتقد كلَّ ما جاء عنها في كتاب ربه وسنة رسوله، ويدعو إليها ويدافع عنها، ولا يقبل فيها تأويلا ولا تحريفا، وإنما يؤمن بها كما جاءت أخبارها.

٢ - في العبادات :

لقد أُكمل الدين، وتمت النعمة، وثبتت العبادات التي شرعها الله ﷻ لعباده، فالصلاة بهيئتها ومواقيتها، وعدد ركعاتها، والحج بمناسكه ومواقيته، ورمضان بتوقيته ودخوله وخروجه، والزكاة بمقاديرها ومستحقيها والدعاء وتلاوة القرآن، كل هذه ثوابت باقيات لا يدخل عليها تطور ولا تغيير في الجوهر أو الأصل.

٣ - الثوابت في القيم الأخلاقية:

كالنظافة والعفة والحياء والبر وإكرام الضيف والصدق، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير والوفاء بالعهد وعكسها من الرذائل كالزنى وشرب الخمور والشذوذ الجنسي ، والعقوق والظلم والبغي والسرقة والغدر... إلخ.

هذه وتلك ما يختلف أحد عليها، ولا خضعت للتغيير أو التطور، وما رأى الناس -مثلاً- الغدر يحبه الناس في عصر، ثم كرهوه في عصر آخر، فتلك ثوابت الأخلاق التي لا خلاف عليها مهما تغيرت حياة الناس أو طرأ عليها التطور.

---

(١) النساء ١٦٤/٤.

(٢) الأحزاب ٧/٣٣.

٤ - الثوابت في الحياة الاجتماعية:

حيث أجمعت الأمة على إباحة الطلاق، وتعدد الزوجات بشروط، وشرعية الملكية الفردية، وحرمة الربا.. إلخ. كل هذا لا اختلاف عليه مهما اختلفت البيئات والأقطار، وتغيرت الأعراف والأعصار.

ومن المتغيرات :

التي يحدثها التطور في الحياة البشرية، فيواجه الناس ما يجدُّ من مسائل تحتاج إلى اجتهاد جديد في ضوء النصوص الثابتة والقواعد الشرعية المقررة، ومن ذلك الصلاة بالنسبة لرواد الفضاء، وأين تكون القبلة على سطح القمر، وتسجيل القرآن الكريم في اسطوانة هل له حكم المصحف أم لا ؟ وهناك متغيرات الحياة في شتى جوانبها الدنيوية في الزراعة والصناعة والطب وغيرها، فهي متروكة لعقول البشر ومتطلبات حياتهم وإدراكهم للأنسب لهم . والإسلام بذلك بين الثبات والتطور أو الثبات والمرونة، الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الأساليب والوسائل، والداعية الذي يحمل رسالة الإسلام، ويقف تحت راية القرآن لابد أن تتضح في ذهنه هذه المفاهيم، ولابد أن يتسع أفقه ويحيط بهذه المعاني حتى يستطيع أن يقدم الإسلام للناس ثابتاً في ثوابته، ومتطوراً في متغيراته، ثابتاً في أصوله وكلياته، ومرناً في فروعه وجزئياته، ثابتاً في قيمه الدينية والأخلاقية ومرناً كل المرونة في شؤونه الدنيوية والعلمية، متسقاً كل الاتساق مع طبيعة الحياة الإنسانية خاصة، ومع طبيعة الكون الكبير عامة لأنه دين مساير لفطرة الإنسان وفطرة الوجود.

٨ - التدرج :

إن التدرج والمرحلية هي طبيعة هذا الدين، بل طبيعة الكون الذي خلقه الله، بل طبيعة الإنسان المقصود بالرسالة والمخاطب بالقرآن.

فالتدرج في خلق الكون : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾[١] .

والتدرج في خلق الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [٢] .

والتدرج في الشرائع : فالقرآن لم ينزل دفعة واحدة، والفرائض لم تُفرض مرةً واحدة، والمحرمات لم تُحرَّم بآية واحدة، وعلى سبيل المثال : الخمر ، معلوم أن هناك مراحل عدة مرت بها حتى انتهى الحكم إلى النهي والتحريم، بل حتى الرق هو الآخر بالتدريج كما قال القرضاوي : "ولعلَّ رعاية الإسلام للتدرج هي التي جعلته لا يُقْدِمُ على إلغاء نظام الرق الذي كان نظاماً سائداً في العالم عند ظهور الإسلام، وكانت محاولة إلغائه ستؤدي إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة في تضييق رافده، بل ردمها كلها، ما وجد إلى ذلك سبيلا، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد فيكون ذلك بمثابة إلغاء الرق بطريق التدريج"[٣] .

فطبيعة هذا الدين وهذا القرآن، وهذا الكون وهذا الخلق التدرج، وطبيعة شرائع الإسلام التدرج مراعاةً للواقع، ورفقاً من الله بعباده ورحمة، وحكمةً منه ﷻ ، وعلى هذا فمطلوب من كل داعية يتصدى للدعوة أن يتدرج بالناس، وأن يرفق بهم، وأن يقبل واقعهم إلى حين وألا يطلب منهم كل شيء مرةً واحدة، وأن يركز على الأصول قبل الفروع ، وعلى الواجبات قبل النوافل حتى ينجح في دعوته ويجتمع الناس عليه ولا ينفروا منه، ويتفرقوا من حوله.

---

(١) فصلت ٤١/٩ - ١٢.

(٢) المؤمنون ٢٣/١٢ - ١٤.

(٣) الخصائص العامة للإسلام، د./ يوسف القرضاوي ، مصدر سابق ، ص١٦٦.

رابعاً : الجهاد :

إن الجهـــاد فـــي ســـبيل الله -تعـــالى- أبرز سمات هذه الأمة، فهو عنوان عـــزتها، وحـــامي كرامـــتها وذروة سنام دينها، وهو نهج رسولها، ودأب سلفها الصـــالح من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وسائر الأصحاب أجمعين، وجميع من تبعهم ويتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهـــو ســـبب من أسباب التمكين في الأرض وهو -أيضاً- من أهداف هذا الـــتمكين، فالأمـــة تجاهد لتتم لها الغلبة والقوة، وتتمكن ، ثم يقودها هذا التمكين لمزيد من الجهاد وإعلاء كلمة الحق والعدل، ونشر الخير على جميع ربوع الأرض وإســـعاد الـــناس به، إذن فللجهاد أهداف رائعة يسعى لتحقيقها ، كما أن له ثماراً يانعة تنعم الأمة بقطافها.

أولاً: من أهداف الجهاد[1]

١ - إعلاء كلمة الله :

قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

إن الله سبحانه – يعلم أن للحق أنصاراً ، وللباطل أشياعاً قد يكونون -أحياناً- أكـــثر من أنصار الحق، وأن للحق أعداءً في النفس البشرية التي ترى أن هذا الحق سيسلبها بعض ما تراه حقاً لها من النفوذ والسلطان وأن هذه النفوس سوف تستميت لدفع هذا الحق وإطفاء نوره إبقاءً على الظلام الذي يمثل البيئة المناسبة لأهل الباطل، لذلـــك شرع الجهاد بمعناه الأسمى لتكون كلمة الله هي العليا، ذلك المعنى الذي تقرر عـــندما " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذِّكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانُه،

---

(١) انظر فقه التمكين في القرآن ، د/ علي محمد محمد الصّلابي ، مصدر سابق ، ص٥٢٢-٥٢٦.

(٢) التوبة ٩/٤٠.

فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "[١]

وقال ابن تيمية -رحمه الله- : "مقصوده -أي الجهاد- أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين لله"[٢] هي العليا في كل شيء في حياة الناس في التشريع والحكم، في السياسة والاقتصاد في النفس وفي الكون ، في الأخذ والعطاء، في السلم والحرب، فلا كلمة لأحد أعلى من كلمة الله، ولا صوت فوق صوت دينه وتشريعه، ولا رأي قبل رأي رسوله، هذا هو مقصد الجهاد وهدفه، فليس دفاعاً عن أهداف حزب من الأحزاب، وليس انتصاراً لمبادئ فرقةٍ من الفرق، وليس فرضاً لتصورات طائفة من الطوائف، وإنما لتكون كلمة الحق ، كلمة الله ، أمره العلوي فوق الجميع ، والجميع تحته يتلقى ،ويتبع ، حتى من لم يؤمن ، ولم يدخل هذا الدين طواعية باعتبار أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٣] حتى هؤلاء تكون كلمة الله هي العليا فوق كلامهم وأنظمتهم تحكم فيهم بالجزية أو بالقتال.

إن هذه الغاية من أسمى الغايات ، وأجل الأهداف ، فالمسلمون جند الله يُعلون كلمة الله، ويُزيحون من طريقها كل كلام يزاحمها على ساحة الحياة، وهو ما عبَّر عنه ربعيٌّ بن عامر[٤] ﷺ لما سأله رستم[٥] الفارسي : ما جاء بكم، فقال : ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نُفضي إلى موعود الله، قال : وما موعود الله؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن

---

(١) رواه البخاري ، وانظر الفتح ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، ج٦ ص٣٣ رقم ٢٨١٠ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ج٣ ص١٥١٢ رقم ١٩٠٤.

(٢) الفتاوى ، ابن تيمية ، مصدر سابق ، ١٧٠/١٥.

(٣) البقرة ٢٥٦/٢.

(٤) هو : ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، من أشراف العرب ، قال الطبري : كان عمر ﷺ قد أمدَّ به المثنى بن حارثة، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ، سابق ، ٥٠٣/١.

(٥) هو : أحد قادة الفرس في ذلك الحين وهو الذي أتاه ربعي رسولاً من قائد المسلمين.

بقـــي"[١] وهـــذه الغايـــة السَّامية كافية بتحبيب المسلم في الجهاد وتحريضه عليه فمحبته لله ﷻ تدفعه لبذل كل جهد لإبقاء هذه الكلمة في علوها.

٢ - نشر الدعوة إلى الله:

قـــال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[٢] إلى قوله ســـــبحانه : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾[٣] وقـــال -تعـــالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٤]

وأعداء الملَّة لا يريدون للدعوة انتشارا، ولا يريدون لصوت الحق أن يصل إلى الناس يحمل إليهم نور اليقين ورسالة الإيمان ، هم يريدون أن يخنقوا الدعوة ويحاصـــروا الدعـــاة، بل هم يشككون في كل من يتبين لهم صدقه وحُسن توجُّهه فيطـــلقون عـــليه الشـــائعات ، ويدبـــرون ضده المؤامرات ويلفقون له التهم، وقد يـــتهمونه بالـــتطرف والإرهـــاب وهو والإسلام والدين من ذلك بريئون لذلك شُرِع جهـــاد هؤلاء حتى يُخَلَّى بين الناس والدعاة، وحتى تصل كلمة الحق والدعوة إلى الـــناس كافـــة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، ولقد جاهد الإسلام شرقاً وغرباً لا لتوسع دنيوي ولا لمغنمٍ أرضيٍ ولا لعرضٍ زائل ولكن لحماية الدعوة إذا حوربـــت ونصرها إذا عوديت ، يقول سيد رحمه الله: "وجاهد الإسلام لتقرير حرية الدعـــوة بعـــد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وأرقى نظـــام لـــتطور الحيـــاة، جاء بهذا الخير ليُهديه إلى البشرية، ولا إكراه في الدين، ولكن ينبغي -قبل ذلك- أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس

---

(١) الـــبداية والـــنهاية ، ابـــن كثير ، مصدر سابق ، ٣٩/٧، وانظر الرواية في تاريخ الطبري ، ابن جرير ، مصدر سابق ، ٤٠١/٢ ، والكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، سابق ، ٣٢/٢.

(٢) محمد ١/٤٧.

(٣) محمد ٤/٤٧.

(٤) الأنفال ٣٦/٨.

كافة كما جاء من عند الله للناس كافة"[١]

ويـــوم تتخلى الأمة عن هذا فقد تخلت عن وظيفتها التي ميزتها، والتي بها كانت خير أمةٍ أخرجت للناس.

٣ - دفع العدوان :

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [٢] فإذا اعتدى الأعداء على بقعة من ديار الإسلام وجب على هذه البقعة النَّفرة لرد هذا الاعتداء "وإن لم يقدروا فُرض على الأقرب إعانتهم إلى حصـــول الكفاية بمقاومة العدو"[٣] فالكفار إذا احتلوا بقعة أذلوا أهلها ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٤] وفتـــنوهم عن دين ربهم ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[٥] ونشـــروا الفســـاد فـــي البلاد والعباد، وساموا الأتقيـــاء ســـوء العـــذاب، ونهـــبوا ثروات تلك البلاد، وأفقروها واستعبدوا أهلها ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[٦].

والقرآن الذي أمر المسلمين بالحكمة وعدم إكراه الناس على الدين، ونهاهم عـــن الاعتداء والظلم والبغي والبدء بالإساءة ، ونهاهم عن ظلم الناس ولو كانوا كفـــاراً ، وأمـــرهم بـــالعدل مع العدو والصديق هو الذي أمرهم وأوجب عليهم رد الاعـــتداء، والاستبســـال في رد الكفار، والثبات في قتالهم وعدم التولي عند اللقاء حمايـــة لعقيدتهـــم مـــن التحريف ، ولدينهم من الضياع ولأعراضهم من التلويث

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق، ٢٩٤/٣.

(٢) البقرة ١٩٠/٢.

(٣) حاشـــية ابن عابدين ، محمد بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي ، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق وعامـــر حســـين ، ط دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الأولى ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م ، ١٥٣/٦.

(٤) المنافقون ٨/٦٣.

(٥) الأنفال ٣٩/٨.

(٦) التوبة ٨/٩.

ولأموالهم من السلب والنهب والابتزاز.

وهـو -أي القرآن- بذلك يقوي خط الدفاع الأول لدى المجتمع المسلم حتى يكون في مأمن من شر أعدائه، وحتى يكون قوي الجانب محترم الكلمة، يُحسب له ألف حساب.

٤ - نصرة المستضعفين:

كالـبلاد الصـغيرة، والأقليات المسلمة قليلة العدد، ضعيفة العدة والتي تمتد إليهـا أيـادي الكفار بالقتل والتشريد والتنكيل، بالظلم الفاحش والاعتداء الصارخ، بحرمانهم من حقوقهم ومنعهم من إقامة شعائرهم وفتنتهم عن دينهم ومعتقداتهم، بهـتك أعراضـهم واسـتحلال دمـائهم وهدم منازلهم، بتخريب مساجدهم وإتلاف زروعهـم وإذلالهم ، والتفنن في القضاء عليهم أو إخراجهم من ديارهم وتشريدهم فـي العراء، هؤلاء أُمر المسلمون بنصرتهم، والهبوب على جناح السرعة للدفاع عـنهم ، وشـد أزرهـم وإغاثتهم قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [١] وقـال سـبحانه : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾[٢] فالإسلام يرى المسـلمين أمةً واحدة يمنع بعضها بعضا، ويحمي أقواهم أضعفهم يجيره وينصره قـال القرطـبي -رحمـه الله- : "ويتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة والمشـركين الذي يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب -تعالى- الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس ، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها"[٣]

---

(١) النساء ٤/٧٥.

(٢) الأنفال ٨/٧٢.

(٣) تفسير القرطبي ، مصدر سابق، ٥/٢٧٩.

لأنـــه مـــن المعلوم والثابت أنه ما نزل الكفار ديارا للمسلمين إلا فتنوهم أو حاولوا فتنتهم في الدين فهم لم يضطهدوا الأقليات هنا أو هناك إلا لكونهم مسلمين ومـــا حـــاولوا إذلالهم إلا لكونهم موحِّدين، فلم تشفع لهم جنسيتهم التي يشتركون فيها مع الكفار، ولكن كان الدين من وراء هذه المعارك الطاحنة التي راح ضحيتها الآلاف الكـــثيرة بغيـــر حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، إذن فهي حرب عقيدة، وعداء ديـــن "والعقيـــدة أعظم قيمة في الحياة وفق هذا المبدأ العظيم، وإذا كان المؤمن مأذونـــاً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه"(١)

وبمـــا أن المسلم أخو المسلم وبما أن الاعتداء على دين وعقيدة أخيه يمثل اعـــتداء عـــلى عقيدته هو ودينه وجبت نصرة هؤلاء المستضعفين ودعمهم وتبني قضـــاياهم والدفـــاع عنها وإمدادهم وتقوية صفهم حتى يستردوا حقوقهم ويعيشوا أعزةً بدينهم أحراراً في ممارسة شعائرهم، آمنين على دمائهم وأعراضهم.

والقـــرآن الكـــريم إذ شـــرع ذلك إنما يريد المسلمين قوةً واحدةً ، تسودهم مشاعر الرحمة والشفقة على بعضهم بعضاً، لا يريد أن يعيش كل قطر بمعزلٍ عن الآخر، لا يفكر إلا في نفسه وسلامته واستقلاله، وهذا ما يريده أعداء الديانة حتى يتســـنى لهم الإجهاز على الأقليات المستضعفة في غيبة الوعي الصحيح واشتغال المســـلمين بقضـــاياهم الشخصية عن حقوق إخوانهم التي فرضها القرآن وأقرها الإسلام وأكدَّ عليها خير الأنام

ثانياً : من ثمار الجهاد في سبيل الله :

ثمـــرات الجهاد في سبيل الله -تعالى- تفوق الحصر، إذ أن ثمراته تتشعب في جوانب الحياة المختلفة فهو عنوان الوجود الحقيقي للأمة الإسلامية خاصة إذا استحضـــرت المعـــاني الكـــثيرة لـــلجهاد من مجاهدة النفس والشيطان والمنافقين والكفـــار بالجنان واللسان والسنان، فلا معنى للحياة بدونه، ولا قيمة للمجتمع مع غيابـــه، فالذل والصَّغار على تاركيه، والعزة والفخار لسالكي طريقه ورافعي لوائه ومن هذه الثمار :

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٢٩٤/٣.

١ - الاستجابة لأمر الله:

حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١] ومما دعانا إليه قوله: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] وفي الاستجابة لأمر الله عز الطاعة ،وبركة المسارعة، ودليل الإسلام الكامل لله والتسليم المطلق لأمره والرضا بما يختاره لعباده لعلمه بالخير الذي به ينصلح أمر دنياهم وأخراهم. ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

٢ - دخول الناس في دين الله أفواجاً:

فعندما يرى الناس انتصار الحق ولو كان قليل العدد، ضعيف القوة -في نظرهم- وعندما يرون تهاوي الشرك وأهله مع كثرة العدد وعظم العُدَّة ، وعندما يرون الأخلاق الفاضلة التي يقاتل بها المسلمون ويعاملون بها أعداءهم والضعفاء منهم، ومن ذلك ما أوصى بها الخليفة الصديق جيوشه وهي تتحرك تحت إمرة أسامة بن زيد[٤] ﷺ وهو يودعه فقال: " لا تخونوا ولا تُغيروا ولا تغلوا ، ولا تُمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيرا، ولا امرأة، ولا تعزقوا[٥] نخلاً، ولا تحرِّقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقومٍ فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"[٦] عندما يرى الناس هذه الأخلاق ، وهذا السمو في التعامل ، وهذا السلوك الذي لم

---

(١) الأنفال ٢٤/٨.

(٢) التوبة ٤١/٩.

(٣) البقرة ٢٣٢/٢.

(٤) هو : أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى ، بن امرئ القيس المولى الأمير الكبير، حبّ رسول الله ﷺ وابن مولاه ، أبو زيد ، ويقال أبو محمد ، ويقال أبو حارثة، وقيل أبو زيد، قال الزهري: مات أسامة بالجرف، وقا ابن سعد : مات في آخر خلافة معاوية ، سير أعلام النبلاء، الذهبي، سابق، ٢/ ٤٩٦-٥٠٧.

(٥) عزق الأرض ، عزقاً : شقها ، والمعنى لا تقطعوا النخيل ولا تنزعوه . انظر المعجم الوسيط ، سابق ، ٥٩٩/٢ مادة (عزق).

(٦) تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر الطبري ، مصدر سابق ، ٤٧/٤.

يعهـدوه -أبـداً- مـن غالبٍ أو منتصر وما كانت هذه الأخلاقيات مجرد اجتهادات شخصـية أو أريحيات قيادية يقوم بها شخص ويتركها آخر، كلا، إنما الخليفة بنفسه يحمِّلها القائد، ويؤكد له عليها، ويفصِّل فيها فهي دين ومنهج ورسالة، كان ذلك كله ممـا يشـد الـناس للدين ويحببهم فيه، الدين الذي صاغ هؤلاء، وأمر بهذا، فتدافع الـناس إلى الإسـلام، وهـذه أعظم الغايات أن يكون الجهاد لفتح قلوب الناس لدين ربهـم، لا لفتح ثغورهم لنهب ثرواتهم وامتصاص دمائهم وهذه الأخلاق الجهادية ردّ كافٍ على متهمي الإسلام بالهمجية أو العنف أو حب الدماء.

ثـم كـان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً للرهبة التي تقع في قلوبهم مما يشـاهدون مـن غلبة الحق وانتصاره على أقوى المعاقل، فرسول الله ﷺ عندما فتح مكـة جاءت القبائل تبايع وكان فتح مكة بداية انتشار الإسلام في الجزيرة كلها، فمكة لهـا مكانـتها فـي أنفـس العرب، وها هي تفتح ذراعيها للقادم من يثرب، ويخسر صـناديدها الجولـة الأخيرة أمام نور الإسلام الباهر، فدخل الناس في دين الله أفواجاً تـبعاً لذلـك لِمَـا رأوا من قوة الدين ، وعزة الإسلام ، وتواضع رسوله الذي انحنى شـاكراً على ظهر دابته ولم يشغله النصر عن تسبيح ربه واستغفاره[1] ممتثلاً أمره حيـث قـال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[2]

٣ - حماية مكتسبات الأمة :

فالكفار ليسو نائمين ولا غافلين بل يخططون للإسلام وأهله يريدون شغلهم عـن دينهم ، وإغراءهم بمفاتن الدنيا الوافدة عليهم من عند هؤلاء الكفار، ليتسنى لهـم تحقيق أهدافهم وإمرار مخططاتهم والجهاد هو الحارس الأمين لهذه الأمة ، هو العين الساهرة لحماية مقدساتها ومكتسباتها ، هو القبضة القوية التي ينتظرها كـل من سولت له نفس الاعتداء أو الإساءة. ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[3] .

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصدر سابق ، ٣٩٩٧/٦.

(٢) النصر ١١٠/١-٣.

(٣) الأنفال ٦٠/٨.

٤ - تولي الخير زمام القيادة :

إن أفضل منهج مرشح لقيادة البشرية هو الإسلام، بل هو الوحيد، وأفضل دستور يستقي منه الناس أحكامهم وشرائع حياتهم هو القرآن، بل هو الوحيد ، وأفضل من يستطيعون قيادة البشرية في مسيرتها الخطيرة هم المسلمون، أصحاب هذا المنهج وهذا الدستور، بل هم الوحيدون ولا غيرهم، لأنهم ينشرون الخير ويهدفون إليه، ويبغون الفضيلة ويتحلون بها، ويريدون أن يُعبِّدوا الحياة كلها لله، وقد عَبَّدوا أنفسهم قبل ذلك ، ولكن غيرهم يبغونها عوجا، لا يريدونها مستقيمة ، وهذا الصراع الطويل، الأمل فيه على الأمة الإسلامية لتعود إلى سالف أمجادها وتستأنف مهمتها بعد طول توقف "وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة وتكون لها القيادة بما أنها خير أمة ، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض"[١] وما دامت تلك إرادة الله فلا رادَّ لما أراد ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٢]

وفي هذا الفصل الذي استعرض سُنَّة التمكين وفق منهجية القرآن الكريم وبعد هذا التِّطواف يخلص البحث بالآتي :

١- أن التمكين سنة ربانية ومِنحة إلهية يهبها الله من يشاء من عباده جزاء صبرهم وأخذهم بأسبابها.

٢- أن أسباب التمكين هي العبادة بمفهومها الصحيح ومعناها الحقيقي والتي تظهر آثارها على المجتمع وتُكسبه يقيناً بلا شكوك، واستبشاراً بلا قنوط، ووحدةً في الصف، وعزة في النفس، وخشية لله ﷻ مقرونة بعدم الخشية من أحد سواه، وانتفاعاً بالذكرى، وتصديقاً بالوعد ، وشوقاً للنصر.

٣- ومن أسبابه إقامة الصلاة وظهور آثارها وتحقيق مقصودها جمعاً للكلمة، وثباتاً في المسيرة، ولزوماً للطريقة، وتزكية للنفس، ونظاماً وانضباطاً لا

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب، مصدر سابق ، ٤٤٧/١.

(٢) يوسف ٢١/١٢.

يعرف الفوضى والارتجال.

٤- ومـــن أسبابه إيتاء الزكاة التي تطهر الأنفس وتزكي الأموال ، وتحقق التكافل الاجتماعي وتهيئ المجتمع كله للجهاد، بلا نكوصٍ أو تخاذل.

٥- ومـــن أسبابه طاعة الرسول ﷺ التي تتحقق بها الهداية بلا ضلال، والاستقامة بغير انحراف ، والوحدة دون انقسام.

٦- ومـــن أســـبابه تقـــوى الله الـــتي تجعـــل المجتمع ربانياً قرآنياً يتحلى بالقوة والشـــجاعة وتُـــرى عليه آثار التقوى الكثيرة والتي تعد المجتمع كله لمرحلة التمكين المنشودة.

٧- ولقـــد عـــرض القرآن الكريم مشاهد للتمكين وصوراً للانتصار وإن لم تبد في أعيـــن القاصرين انتصاراً، وأخذ البحث عليها مثالاً هو : غلام الملك في قصة أصـــحاب الأخـــدود وأبرز البحث قصة هذا الصراع المحتدم وأشار وأثبت أن الغـــلام انتصـــر حقيقـــةً وأبان وجوه انتصاره في تمكنه من الثبات في موقف الخطـــر، والتبليغ في موقف المنع والاستشهاد بثمنٍ عظيم وهو إيمان الناس أجمعين وإسلامهم لرب العالمين.

٨- ثم أبرز البحث أهداف الجهاد وغايته وثماره، وأنه ليس للعدوان أو التسلط أو جمـــع مال، أو احتلال أرض وإنما هو لإعلاء كلمة الله، ونشر دعوته، وقتال أعدائه ونُصرة المستضعفين من عباده، أما ثماره فهي كثيرة ومتعددة ، ومنها أنـــه برهان استجابة الأمة لأمر الله، وأنه سبب رئيس لدخول الناس في دين الله وأنـــه يحمـــي مكتسبات الأمة ، ثم أنه يمنح الفرصة للخير لقيادة البشرية وهو مقصود الله من إرسال الرسالة

* * * * *

الخاتمة

الحمـــد لله أولاً وأخيـــرا على ما تفضل به من إتمام هذا البحث ونسأله أن يجعله عملاً صالحاً، وأن يكتب له القبول في السماء والأرض فهو -سبحانه- الذي بيده الرفع والخفض والبسط والقبض.

أولاً: ملخص البحث :

وقـــد دار البحث المعنون بـــ " **منهج البناء الاجتماعي في القرآن الكريم**" حـــول منهجية القرآن في بناء الفرد والأسرة والمجتمع، حيث اختص الباب الأول بفصوله الثلاثة بالكلام عن الفرد معنوياً وحسياً وكذلك علاقاته.

أمـــا الـــباب الثاني فقد تناول الأسرة بمحاورها الثلاثة، فتناول الفصل الأول الـــزوجة ، والثاني الزوج ، والثالث الأبناء، وتعرض للتربية وهمومها ، وظاهرة الطـــلاق أســـباباً ونـــتائج وآثاراً في المجتمع وعرض البحث نموذجين لأبناء في القرآن الكريم وقدمهما دليلاً على عبقرية هذا القرآن وإبداعاته.

وفي الباب الثالث تناول البحث المجتمع ومنهج القرآن في بنائه ، وذلك في فصول ثلاثة ، الأول منها عن نظام الحكم في المجتمع ، والثاني عن تصدي القرآن لقضـــايا المجتمع التي تؤرقه وتهدد كيانه ، وختم البحث في الفصل الثالث بمنهج القرآن في قيادة المجتمع لمرحلة التمكين ببيان أسبابه وصوره وأهدافه.

ثانياً : نتائج البحث :

وهناك نتائج كثيرة جداً قد برزت واضحة جلية بعد هذه الدراسة المستفيضة والرحلة العظيمة مع القرآن بانياً للفرد والأسرة والمجتمع.

وأبرز هذه النتائج ما يلي :-

١- موازنة القرآن الكريم بين الجانب المعنوي للفرد والحسّي فيه، فكلٌ بقدر وكلّ بما يحتاجه دون إفراط أو تفريط.

٢- إعجـــاز القـــرآن الكريم في قدرته على تغيير الفرد معنوياً فجسمه هو جسمه وملامحه هي ملامحه ، أما أسلوب إحساسه وطريقة تفكيره، ومنطقه وأخلاقه

فقد استطاع القرآن أن يعيد تشكيل كل ذلك وكأنه شخص جديد لم يعرفه الناس من قبل، فهو النابه في عقله، الحكيم في تصرفه، الصادق في قوله، الرحيم في معاملته ، العادل في حكمه ، الجميل في نفسه وروحه ومظهره.

٣- أن القرآن الكريم حجة على الناس وليس العكس، بمعنى أن كل من تميز بغنى الجانب المعنوي فمردّه إلى القرآن، وكل من افتقده فالعيب عيبه، لأنه حرم نفسه من ألق القرآن الباهر، ولم يتأدب بآدابه الآسرة ، وإن قرأه وتلاه.

٤- أن آيات الله ﷻ في كتابه بينها من الترابط والتناسق والتناغم وهي تعالج قضايا الحياة في النفس البشرية وكذلك في الكون ما يغني عن كل منهج وضعه الإنسان فبان عواره وثبت قصوره.

٥- أن القرآن الكريم قد أولى الجانب الحسّي في حياة الإنسان كل رعاية واهتمام حتى تتوازن فيه الطاقات المعنوية والأخرى الحسية ليصبح السويّ المعتدل الذي يحيا واقع الإنسان واحتياجاته ومتطلباته، والذي معه تسمو نفسه وتحلق روحه نحو القيم والمبادئ والمثل.

٦- أن صحة الإنسان المسلم من أهم ما اعتنى به القرآن وتعهدها حراسةً ووقاية وحماية وعلاجاً ورعايةً بل سبق الدنيا كلها كأنه كتاب طب يقدم كلَّ ما يحفظ على الإنسان صحته، ويجدِّد فيه قوته.

٧- أن للقرآن منهجاً غير مسبوق في التنبيه على ما يضر بالصحة ويفتك بها، وفي تحريم ما ثبت -مؤخراً- أنه حامل للأمراض مهدد لحياة الإنسان.

٨- أن القرآن لا يُحرِّم على المرء جمعه للمال، وتنميته له، واستمتاعه به، وسعيه لتحصيله ما دام حلالاً ، ومادام يؤدي حق الله فيه، بل إن خُمس العشرة المبشرين بالجنة وهما عثمان وابن عوف -رضي الله عنهما- كانا من الأثرياء، ولكن صحب غناهما في المال غناهما الأكبر في الإيمان بالله واليوم الآخر وفي الفهم الصحيح لمقاصد القرآن.

٩- أن القرآن كتاب نظام يعلم النظام ويدعو إليه ويربي عليه، ومن يلتزم بآدابه -حتماً- سيتربَّى على هذه الأخلاق ، فهو الذي حول أمة الغوغائية والفوضى إلى كيان منظم في بنائه، منظم في فكره، منظم في تصوره وفهمه للحياة ، حتى أنجز مسلمو هذه الأمة ما لم ينجزه غيرهم في أضعاف أعمارهم فجمعوا

العـــلوم ، وفـــتحوا الثغور ؛ وتاجروا وحازوا المال الوفير، فسعدوا ، وسعدت بهم الدنيا ، وما ذلك إلا ببركة القرآن وآثاره الطاهرة التي ما لامست شيئاً إلا أحْيَته، ولا ساكناً إلا حركته.

١٠- أن القـــرآن ركـــز في آياتٍ كثيرة على إشعار المسلم بنعمة الله عليه إذ هداه للإسلام وإذ عرَّفه القرآن ، ووفقه لعبادته وشرح صدره لطاعته.

١١- أن القرآن وبعد أن أشعر المسلم بهذه النعمة دعاه لتبليغ الدعوة ونشر الإسلام والإشفاق على غيره ممن يتقلبون في غياهب الكفر ومتاهات الضلال، ولا شك أن المسلم بعد أن يعرف نعمة الله عليه بالهداية ، سيندفع وبقوة نحو الدعوة والـــبلاغ وســـيدرك أهميـــة نشر الإسلام بين من لا يعرفه وتوصيله إلى من يجهلونه.

١٢- اعتـــبر القرآن الكريم المسلم -فقط- هو خليفة الله في أرضه لحماية منهجه وتبليغ رسالته ونصرة أهله من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

١٣- دعـــا القـــرآن المسلم للجهاد ولكن لتكون كلمة الله هي العليا ، وللقتال ولكن لنشر الدين الحنيف ، وللتصدي للكفر حتى لا يفتن الناس في دينهم.

١٤- أن غَيْرَة القرآن على أهله شديدة ومنقطعة النظير، فهو لا يريدهم في الأرض أذلاء ولا منكسرين ولا منهزمين ولا صاغرين ، بل يريدهم أعزاء منتصرين ، ظاهرين أئمة متبوعين.

١٥- أن القـــرآن الكـــريم -وعـــبْر آياتـــه- وضع ضوابط شرعية لاختيار الزوجة أوضـــحتها السنة المطهرة حرصاً على بناء أسرة ثابتة الأركان تقوم برسالتها كاملة.

١٦- لـــلقرآن فـــي طـــريقة عرضه للقصص القرآني تفرُّدٌ في الطريقة وإبداع في الأسلوب ينير الطريق أمام المسلم لإقامة أسرة رائدة وحياة آمنة.

١٧- كـــرَّم القرآن المرأة كزوجة حينما حدد حقوقها، وشرفها حينما كلَّفها بالرعاية لأولادها والقيام على خدمة زوجها.

١٨- أن لـــلقرآن منهجه العظيم في بيان مسؤوليات الرجل قِبل أسرته، وفي تفصيل الواجـــب الملقى على عاتقه بعد أن أبان شروط قبوله كزوج صالح يتوفر فيه الإيمان والقوة والصلاح والأمانة وكذلك الخلق الرفيع .

١٩- أن القـرآن وهـو يذكّـر الأزواج بالدار الآخرة قد نجح في حفز هممهم إلى الاهـتمام بتربية أولادهم والحرص على صلاحهم حتى يرافقوهم في الجنة بعد وقفة الحساب وهذا من أقوى العوامل المغرية بالتفاني في هذا والتسابق إليه.

٢٠- ظهـرت عظمة القرآن وهو يدفع الرجل للسعي الدؤوب كفالةً لأسرته وكفايةً لهـم وذلـك بالضرب في الأرض زارعاً أو صانعاً أو تاجراً أو صائداً بعد أن وضع يد الإنسان على مكنونات الأرض، ومحتويات البحر، وثروات الفضاء.

٢١- أن لـلوالدين الأثـر الأبـرز فـي حيـاة أولادهما إيجاباً وسلباً لذلك عظمت مسؤولياتهما.

٢٢- أن على الوالدين دوراً خطيراً في التربية الجسدية والنفسية والعقلية والخلقية والجنسية، حتى ينشأ الأولاد أسوياء صالحين وأقوياء نابهين.

٢٣- أن الإعلام رافد هام فله دور خطير إذ يصب في عقول الناشئة ويحشد فيها ما طـاب وما خبث ، لذا وجب الاهتمام به حتى ينهض بالأجيال ويشارك في بناء الأسرة المسلمة.

٢٤- أن التعـليم إما أن يكمل ويعزز دور الأسرة إن كان إيجابياً وهادفاً وبعيداً عن الاخـتلاط، وإمّـا أن ينسـف دورها ويمزق كيانها إن كان بعيداً عن الجدية والأصالة ومخالفاً لضوابط الشرع الحنيف .

٢٥- أن لـلقرآن منهجيـته الفذة في بيان أثر الصاحب على صاحبه وبالتالي تأثير الصـاحب فـي العملية التربوية والدور الذي يلعبه قرين السوء وأثر ذلك في الدنيا والآخرة.

٢٦- أن لـلقرآن منهجيـته في التعامل مع المشكلات الزوجية ومحاصرتها حتى لا تتسـع دائـرتها، والـتقريب بين وجهات النظر حفاظاً على كيان الأسرة من الانهيار.

٢٧- أن لـلطلاق أسـباباً وآثـاراً، ناقش القرآن أسبابه ، ووضع ضوابطه، وقدم الاحتياطات التي تخفف من آثاره أو تمحوها .

٢٨- منهجية القرآن التربوية وهو يعرض مواقف لأبناء قِبل آبائهم دعوة وتخاطباً، وحيـاةً وتعاملاً إنما يقدم النموذج العملي للأجيال لتحذو حذوه، وتلزم نهجه، وتتأدب بآدابه.

٢٩- أن القـرآن الكـريم وهو يبني المجتمع المسلم قد اهتم بثلاثة جوانب اهتماماً كبيراً وأولاها عنايته ألا وهي الحاكم والأمة ودستور الحكم.

٣٠- أن القرآن الكريم اشترط أن يكون الحاكم من صفوة القوم أمانة وتُقىً وخشيةً لله، وعلماً بأمره ، لأنه إمام الناس ، وهم له متبعون وبه مقتدون.

٣١- أبـان القـرآن الكـريم واجبات الحاكم ومنها العدل في حكمه ، والشورى في قراراته ، والمساواة بينه وبين رعيته.

٣٢- أن لـلحكام حقوقـاً عـند رعيـتهم ومن ذلك إكرامهم وتوقيرهم ، ومراقبتهم ومناصحتهم.

٣٣- أن مصـادر الدسـتور هـي كـتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة واجتهاد العلماء.

٣٤- ليـس للعـلمانية وجود في الإسلام ، وليس مسؤولاً عنها ، وإنما هي وليدة الانحراف الفكري والضلال العقدي.

٣٥- أن إصرار الحاكم على العلمانية في حكمه دليل تملصه من المساواة والشورى والاجتهاد .

٣٦- أن للقرآن منهجه الأصيل في أسلمة المجتمع بكل طوائفه وسائر مؤسساته لله تعالى فما لله لله ، وما لقيصر - أيضاً- لله.

٣٧- حـارب القرآن الفقر ، وقدم الحلول الناجعة التي تخفف منه إن لم تقض عليه وذلـك بـالدعوة إلى العمـل الشـريف والسـير في الأرض، وبإقامة التكافل الاجـتماعي الـذي يـرعى الفقير والمسكين والمنكوب، وبتربية الناس على القناعة والرضى ، وبدعوة الغني للسخاء، والفقير للتعفف.

٣٨- أن الإسـلام لا يعـرف العـنف ولا التعصب ، بل هو دين حكمة ورفق وحجة وإقناع، ولا يُكْرَه الناسُ عليه إكراهاً ، بل يُعرَض عليهم عرضاً وأنه ليس في حاجة إلى الناس، بل الناس في حاجه إليه.

٣٩- أبـان القـرآن أن الشـرك هو داء الأمم العضال وهو مقوض بنائها، وهادم كيانهـا، وماحق بركاتها، وقاسم ظهرها، لذا حاربه القرآن ، وأوضح مخاطره وآثاره.

٤٠- أن التمكين سنة ربانية ومنحة إلهية يهبها الله من يشاء من عباده جزاء صبرهم وأخذهم بأسبابها.

٤١- أن القرآن قد منهج أسبابَ التمكين من إيمان صادق ، وصلاة خاشعة ، وزكاة وافية، وطاعة للرسول كاملة ، وتقوى حافزة تجعل المجتمع ربانياً قرآنياً ، يتحلى بالقوة والشجاعة ، وتُرى عليه آثار التقوى فتعدّه لمرحلة التمكين المنشود.

٤٢- للقرآن منهجه المتفرد في عرض صورٍ للتمكين وأنواعٍ للانتصار تَصغُر أو تكبر ، وإن لم تبد انتصاراً في أعين الكثير.

٤٣- أن غلام الملك ورغم قتله ورغم حرق الناس في الأخاديد، إلا أن قصته صور من الانتصار الباهر يعرضها القرآن الكريم يقوي بها العزائم ويصحح بها المفاهيم، ويزيل بها الغشاوة عن البصر والبصيرة.

٤٤- أن للجهاد أهدافاً للقيام به، وثماراً من ورائه، فأهدافه إعلاء كلمة الله، ونشر دعوته ، وقتال أعدائه، ونصرة عباده، وليس للتسلط أو الابتزاز أو الاحتلال، أما ثماره فهي الغاية من نزول هذا القرآن لهداية الناس ودخولهم في دين الله أفواجاً، وحتى يتفيئوا ظلاله، ويسعدوا به، وحتى يمسك الخير بزمام البشرية بعد أن ينحّي الشر عن طريقه.

ثالثاً : أهم المقترحات :

أوصي نفسي وكل المسلمين بتقوى الله فهي العاصمة من الفتن والمانعة من الزلل وهي الدافعة إلى ازدهار حياة الأفراد والأسر والمجتمعات.

وأقترح

١- إعادة الاهتمام بفتح ودعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم في بلاد الإسلام (الكتاتيب) وإن كان يقابلها الآن ما يسمى بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ببعض البلاد الإسلامية حتى يتربى نشء الأمة على القرآن ويرتشفوا رحيقه وينهجوا طريقه.

٢- لئن سلَّمنا أن للقرآن الكريم نتاجاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً فإن أصحاب رسول الله ﷺ هم النتاج البشري لهذا القرآن، لذلك أقترح القيام بدراسة

تحليلية مقارنة لشخصياتهم بدءاً بالخلفاء الراشدين تتناول جوانب شخصياتهم الاجتماعية قبل القرآن وبعده، حتى يعلم الناس كيف صاغ هذا القرآن أنفسهم فقومها وعدّلها وأطلق مواهبها بانسجام وتناغم.

٣- سبقني أساتذة في مجال البحث العلمي، حذوت حذوهم وإن لم أدرك فضلهم، وقد بدت لي -أثناء البحث- بعض الموضوعات أملتها الظروف الراهنة في حياة الأمة، آمل أن تتناولها دراسات تالية ومن ذلك : - .

- **القرآن والصراع الحضاري.**
- **القرآن مرفأ الأمان للبشرية.**
- **الأسلوب العصري لتقديم القرآن للناس.**
- **القرآن وقوة الشخصية.**
- **القرآن وفن الإدارة.**
- **القرآن وإطلاق المواهب.**

٤- إن القرآن الكريم هو الحاضر الغائب في حياة المسلمين ، ولن يستطيعوا الخروج من النَّفق الذي دخلوه إلا إذا عاد القرآن هو الحاضر الحاضر في جميع الشؤون حتى تغدو الحياة قرآنية التعامل ، قرآنية التحاور، قرآنية الهواء الذي يتنفسه الناس.

٥- من حق القرآن على أهله أن يقدموه للعالمين غضاً كما أنزل ، مشرقاً كما سطع، لذا أقترح إنشاء قناة فضائية تبث القرآن للغرب يقوم عليها خيرةٌ من الدعاة والقراء المجيدين الذين يستحوذون على قلوب الناس بحلاوة أسلوبهم، وطلاوة كلامهم ، ونداوة أخلاقهم حتى يكسبوا الناس لصف القرآن بدلاً من أن يقفوا لمحاربته.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد

* * * * *

الفهـــارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً : فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار.

ثالثاً : فهرس الأشعار.

رابعاً : فهرس الأعلام.

خامساً : فهرس المصادر والمراجع والدوريات.

سادساً : فهرس الموضوعات.

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

١ـ سورة الفاتحة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	١	٥١

٢ـ سورة البقرة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	١-٣	٥٢ ، ١٤٧
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٩	١٨ ، ٢٢
﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾	١٢	١٨ ، ٢٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٩	١١٧
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	٣٥	٢٠١
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾	٣٦	٢٤١
﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾	٣٨	٣١٨
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤٣	٤٤١ ، ٤٤٣
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٤٤	٦٨ ، ١٨٣ ، ٤٧١
﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	٤٥	٤٤٢
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾	٤٨	٥٩
﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾	٦٦	٤٥٢
﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٨٥	٢٤٥ ، ٤٢٠
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾	١٠٢	٢٠١
﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ ﴾	١٠٨	١٤٦
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾	١٢٣	٥٩
﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾	١٢٨	٣٦٣ ، ٣٦٥
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾	١٣٢	٢٧٢
﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٣٣	٢٧٢
﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾	١٣٨	١٦، ٣٠٥ ، ٣٦٥
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	١٥٣	١٨٩
﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ ﴾	١٥٤	١٨

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٦٤	٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦، ٣٧
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾	١٦٥	١٥٨ ، ١٥٩ ، ٤٠٨
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	١٧٠	٤٠٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	١٧٢ ، ١٧٣	٩٦ ، ١٠١ ، ٢٧٩
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾	١٧٧	١١٦ ، ١٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾	١٧٨	٢٣٨
﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾	١٧٩	٢٨٣
﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾	١٨٢	١٦٣ ، ١٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣ ، ١٨٤	٩٦
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾	١٨٦	٤٠٤
﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾	١٨٧	٢٩٧
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾	١٩٠	١٥٩ ، ٤٨١
﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	١٩٥	١٥٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨، ٢٠٩	١٤٥ ، ٣٠٥، ٤٠٨
﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢١٢	٤٥٣
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾	٢١٧	٤١٩
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	٣٢ ، ٤٨
﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾	٢٢١	٢٠٨ ، ٢٦٥
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾	٢٢٢	٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٦، ١٥٨
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾	٢٢٣	٢٩٧
﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٧	٣١٤
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾	٢٢٨	٣١٤ ، ٣١٦
﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ ﴾	٢٢٩	٣١٤ ، ٣١٥
﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ ﴾	٢٣٠	١٩٩ ، ٣١٤ ، ٣١٧
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾	٢٣١	٣١٥ ، ٣١٧
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾	٢٣٢	٣١٥ ، ٤٨٤
﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾	٢٣٣	٢٢١

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	٢٣٦	٣١٥
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾	٢٣٧	٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	٢٤٥	١١٧ ، ١٣٣
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ ﴾	٢٤٧	٩٦ ، ١١٦ ، ٣٦٠
﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٥٥	٤٠٦
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	١٦٢، ٣٩٩ ، ٤٧٩
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٦١	١١٩
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٦٢ ، ٢٦٣	١٣١
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ﴾	٢٦٦	٣٢ ، ٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾	٢٦٧	١٢٥
﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾	٢٧١	١٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢٧٨ ، ٢٧٩	٣٩٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾	٢٨٢	٥٩
﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا ﴾	٢٨٣	٢٩٤

٣- سورة آل عمران

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٩	٤٤٠
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	١٤	١١٨ ، ٢١٧
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	١٨٦
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	٢٨	١٨٦ ، ٤٣٦
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾	٣١	١٥٨
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾	٣٨	٢٦٠
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾	٥٩	٣٥١
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾	٦٤	٤٢٤ ، ٤٦٩
﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾	٦٩	١٨
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	٨٥	١٥١ ، ١٨٦ ، ٤٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	٣٦٤
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	١٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤١٠

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾	١٠٤	٣٦٤ ، ٣٦٥
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥
﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾	١٢٠	٤٥١
﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٢١	١٤٠
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾	١٢٦	٤٣٦
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾	١٣٣ ، ١٣٤	١١٩
﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾	١٣٩	٤٣٤
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾	١٤٢	١٨٩
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾	١٥٩	٥١، ٥٤، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٧٣
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾	١٦٠	٤٥٠
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾	١٦٤	٦ ، ٣٨٥
﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾	١٦٧	١٤٦
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾	١٦٩ ، ١٧٠	٤٦٢
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾	١٧٣	١٤٦
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾	١٧٥	٤٣٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾	١٧٧	١٤٦
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾	١٧٩	٣٨٣
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٩٠، ١٩١	٣٢، ٣٤، ٣٦ ، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾	١٩٢	٣٩
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾	١٩٣	٣٩ ، ١٤٦
﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾	١٩٤	٤٠
﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم ﴾	١٩٥	٢٤٠
﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾	١٩٦ ، ١٩٧	٤٣٤
﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ﴾	١٩٨	٤٥٣

٤- سورة النساء

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾	١	٢٠١

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾	٣	٥٩ ، ٦١، ٢٣٦، ٢٥١
﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ ﴾	٥	٣٩٦، ٤٢٥
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾	١١	١٢٥ ، ٢٨٨
﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾	١٢	٢٠٠
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾	١٣، ١٤	١٣٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾	١٩	٢٤٠، ٢٤١
﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾	٢٠ ، ٢١	١٩٩، ٣٢١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾	٢٩	١٢٩
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾	٣١	١٥٢
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ ﴾	٣٤	٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٤، ٢٧١
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾	٣٥	٣١٣، ٢٢٧
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾	٣٦	١٦٩
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾	٤٨، ١١٦	٤١٣
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾	٥٤	١٢٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٦٠، ٦١، ٣٤١، ٣٤٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾	٥٩	٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٩
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٦٠، ٦١	٣٧٩
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	٦٤	٣٨٤ ، ٤٤٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	٦٥	٢٤٤، ٤٠٧، ٤٤٦
﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾	٦٩	٢٩٥
﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ ﴾	٧٣	٢٩٥
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٧٥	١٨٩، ٤٨٢
﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾	٨٠	٤٤٦
﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾	٨٣	٣٨٦
﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾	٨٤	٣٤٢
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾	٩٧-٩٩	٦٦
﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾	١٠٠	١١٩ ، ١٣٤، ٢٧٨

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	١٠٢	١٣٨
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا ﴾	١٠٣	١٣٧، ٤٤٣
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٠٥	٣٤١
﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	١٠٦	٣٨١
﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾	١١٠	٥١
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	١١٥	٣٨٦
﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾	١٢٨	٣١٢
﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾	١٢٩	٦٠
﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾	١٣٠	٣٢١
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٣٤	١١٨
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾	١٦٤	٤٧٥
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴾	١٦٥	٤٥٦

٤- سورة المائدة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾	٢	١٧٥، ٣٧٢
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾	٥	١٤٦ ، ١٨٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	٦	٩٦
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾	٨	٦١، ٦٢
﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾	٢٣	١٣٣
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى ﴾	٢٨	١٦٦
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٣٣	٣٨٣
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾	٣٨	٣٨٣
﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾	٤٢	٦٠، ١٥٨، ٣٤١
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾	٤٤	٣٤١، ٣٧٩
﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾	٤٥	٢٣٧، ٣٤١، ٣٧٩
﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾	٤٧	٣٤١، ٣٧٩
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾	٤٨	٣٦٤، ٣٧٥
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾	٥٠	٣٧٨

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ ﴾	٥١	١٨٦، ٤٠٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	٦٧	١٠٢
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾	٧٢	١٥١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ﴾	٩٠	١٠٧
﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾	١٠٣	٣٣، ٣٥، ٤٦
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾	١٠٤	٤٠٢
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾	١١٩	٦٧ ، ٦٨

٦- سورة الأنعام

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾	٢٦	١٩
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾	٣٨	٢، ٩٤
﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٤٨	١٦٣
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾	٥٠	٣٣
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾	٥٢	٢٠، ٢٤ ، ٢٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ ﴾	٥٣	٢٦
﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾	٥٤	٢٦، ٢٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	٨٢	٦١ ، ٤١٢
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾	٩٩-١٠١	٧٥، ٧٦
﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٠٦	٤١٤
﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾	١٠٩	١٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾	١٢٣	١٩
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾	١٤١	٧٥، ٢٨٠
﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾	١٥١	١٠٤، ٢٤٨، ٢٦٣
﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	١٥٢	١١٤، ٢٩٦
﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	٤٤٧
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى ﴾	١٦٢ ، ١٦٣	٤٠٤، ٤٢٠

٧- سورة الأعراف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٣	١١٠

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	١٩	٢٠١
﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا ﴾	٢٠	٢٤١
﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾	٢٦	٤١٢، ٤٤٧
﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾	٣١	٩٦، ٩٧، ٣٩٦
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾	٣٢	٤٢٣
﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾	٣٥	١٦٣
﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾	٤٩	١٦٣
﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	٥٥	٤٠٤
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾	٥٦	٥٣، ١٦٣
﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾	٥٨	٢١٢، ٢٨٨
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾	٨٠، ٨١	١٠٦
﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾	٩٥	١٩
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا ﴾	٩٦	٣٥٨، ٤١١، ٤٤٩
﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٣٤٠، ٣٦٨
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥، ١٧٦	٣٣، ٤٨، ٣٧٧
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾	١٧٩	٢٠، ٢١، ٢٩، ٤١٨
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	١٨٩	٢٠١

٨ـ سورة الأنفـال

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	١٤٦
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا ﴾	١٥، ١٦	١٩١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٢٤	٣٣٤، ٤٢٣، ٤٨٤
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	٢٩	٤٥١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٣٦	١٢٢، ٤٣١، ٤٨٠
﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	٣٩	٤٨١
﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾	٤٢	٣٦٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ ﴾	٤٥	١٩١
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ ﴾	٤٦	٣٧٠

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١١٥، ١٣٨، ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٥٤، ٤٨٥
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾	٦٧	٤٢٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	٧٢	٤٨٢

٩- سورة التوبة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	٤	٤٥٠
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾	٦	٥٣
﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾	٨	٤٨١
﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾	١٣	٤٠٦، ٤٣٤، ٤٣٦
﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾	١٤، ١٥	١٧٩، ٤٣٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ ﴾	٢٣	١٤٧
﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾	٢٤	٢٠٤، ٢٥٦، ٣٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	٢٨	٣٩٧
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾	٣٢، ٣٣	٤٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾	٣٤، ٣٥	١٢٧
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٤٧٨
﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	٤١	٤٨٤
﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾	٥٥	١١٩، ٤١٨
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾	٦٠	٣٩٢
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾	٦٢	٤٣٢
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	٥٣، ١٣٠، ١٧٠، ٢٠٩
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾	٩١	٣٧٠
﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾	١٠٢	٧٣
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾	١٠٣	٤٤٥
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	١٣٤، ٢٧٨، ٣٩٧
﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾	١٠٨	١١٠
﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾	١١٤	٣٣١
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ ﴾	١١٨، ١١٩	٦٧، ٦٩، ٧٢

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾	١٢٢	٤٧١
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ ﴾	١٢٤	١٤٧ ، ٤٣٣
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ ﴾	١٢٨	٥٣

١٠ـ سورة يونس

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾	١٤	١١٨، ١٢٢
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾	١٨	٤٠٦
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾	٦٢	١٦٤
﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾	٨١	٤١٣
﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾	٨٣	١٦٤
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا ﴾	٨٧	٤٦٥
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾	٩٩	٣٩٩
﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠١	٢٠ ، ٢١

١١ـ سورة هود

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	٦	٢٤٧
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾	٣٧	٢٨١
﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾	٤٢	٢٦١
﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾	٥٢	٩٦
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ﴾	٦١	١١٨ ، ٢٤٩
﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾	٨٨	٣٣٦ ، ٣٤٢
﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾	٩٠	١٥٨
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ﴾	١٠٣	١٦٤

١٢ـ سورة يوسف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾	٥	٢٦٣
﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾	١٠	٥٢
﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾	١١	٥٢
﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾	١٥	١٩

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾	١٨	٧٤
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ﴾	٢١	٢٦٨، ٤٨٦
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾	٤٠	٣٧٨
﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾	٦٧	٢٦٣، ٢٦٤
﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾	٦٨	٢٦٤
﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾	٨٣	٧٤
﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾	٨٨	٤٥٢
﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠٥	٢٠
﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٧	١٩
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٤٧٠

١٣- سورة الرعد

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾	٤	٢٨٣
﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾	٢٠	٦٨
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٢٢	٣٩٣
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾	٢٣ ، ٢٤	١٩٧ ، ٢٧٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	٢٨	٢٩٥
﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ﴾	٣٠	٣٦٤
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٣٨	٢٠٢

١٤- سورة إبراهيم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾	١	د ، ٩٢ ، ٤٦٧
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾	١٣ ، ١٤	١٦٤، ١٦٧
﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ ﴾	٤٠	٢٨٠، ٤٦٥
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤١	٢٧٥

١٥- سورة الحجر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾	٣	٤١٩
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٣٨٢

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩ ، ٥٠	١٦٦
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٨٥	٧٤، ٨٨

١٦- سورة النحل

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	٧٤، ٧٦
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٤	٢٨٠
﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾	٤٤	٣٨٤
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾	٥٨ ، ٥٩	٢٤٠
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾	٦٤	٣٨٤
﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ ﴾	٦٩	٩٨، ١١٣
﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾	٧١	٣٩١
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٧٢	٢١٧
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	٢٨٧
﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾	٨٥	١١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٩٠	٦٢، ٣٤٢
﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾	٩١	٦٨
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٩٣	٣٦٤
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٧	١٣، ٩١
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾	١٠٦	١٤٧
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾	١٢٥	١٤٢
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ ﴾	١٢٦	٦٠، ٦٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٤٥٠

١٧- سورة الإسراء

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ ﴾	٦	٢٧٨
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	٩	٣٠، ٥٢، ٩٢
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾	١٦	٣٩٠
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾	٢١	٣٥٤، ٣٩٢
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾	٢٣	٣٢٨

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾	٢٤	٣٣١
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	٢٩	١٢٩
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾	٣١	٢٤٨، ٢٦٣
﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾	٣٢	١٠٣، ٢٩٦
﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	١١٦
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	٣٦	٢٩٦
﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٥٣	٧٩، ٢٩٣
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٦٧	٤٠٥
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٧٠	١
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾	٧٨	٤٦٥
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾	١٠٦	١٠

١٨- سورة الكهف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾	٦	٢٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾	٢١ ، ٢٤	٣٣٥
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾	٢٨	٢٧
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ﴾	٢٩	٣٩٩
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٤٦	٧٤، ١١٦، ٢٧٧
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٤٩	٦٢
﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾	٩٥	١٧٨

١٩- سورة مريم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾	٥ ، ٦	٢١٧
﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	١٢-١٥	٢٨٦
﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾	٢٥	١٣٣
﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾	٣١	٤٦٥
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	٤١-٤٧	٣٢٦
﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	٧٢	٤٥٣

٢٠- سورة طه

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾	١ ، ٢	ج
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٤٣ ، ٤٤	٤٠٠
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾	١١٤	٤٧٢
﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾	١١٧	٢٠٢ ، ٢٦١
﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾	١١٨ ، ١١٩	٢٥٦
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	١٢٤	٣٧٨
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾	١٣١	٢٢٥، ٣٩٨ ، ٤٧٢
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾	١٣٢	٢٥٦ ، ٢٥٨

٢١- سورة الأنبياء

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾	٩	١٦٠
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾	١٨	١١١
﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٩ ، ٢٠	٤٧٤
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	٣٥	١٢٤
﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾	٦٦ ، ٦٧	٣٣
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٩	٦٠
﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾	٨٠	٢٨٠
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾	٨٤	٣٥
﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	٨٦	٢٦٧
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥ ﴾	٩٠	٢٠٢
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	١٠١، ٣٦٤، ٣٦٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٨٧، ٤٢٤

٢٢- سورة الحج

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾	٥	٢٢٨
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	١٨	١٨٨
﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾	٣١	١٥١، ٤١٣

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٤١	٤٦٤ ، ٤٦٧
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾	٤٦	٣٤ ، ٣٥
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٦٥	١٠٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	٧٧ ، ٧٨	١٨٩ ، ٤٦٤

٢٣- سورة المؤمنون

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١	٤٣٤
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾	١٢-١٤	٤٧٧
﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	٨٩ ، ١٧١، ٣٦٤، ٣٦٦
﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾	٥٥ ، ٥٦	١١٧ ، ١١٨

٢٤- سورة النـــور

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾	٢	٣٨٣
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢	١٠، ١٥٩
﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ﴾	٢٦	٢٠٧ ، ٢٨٨
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾	٣٠	د ، ٢٣٧ ، ٢٩٦
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٣١	٢٣٧ ، ٢٩٦
﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾	٣٢	٢٦٥
﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣٣	١١٧ ، ١١٨ ، ٣٠٠
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	٣٦ ، ٣٧	٤٤٤
﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾	٤٠	د
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٥١ ، ٥٢	٣٨٥
﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٤	٤٤٧
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾	٥٥ ، ٥٦	٤٢٩ ، ٤٣٢
﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾	٥٩	١٤٠ ، ٢٢٨
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾	٦١	٣١٠
﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ ﴾	٦٣	٤٤٧

٢٥- سورة الفرقان

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾	٢٧-٢٩	٣٠٧

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾	٣٢ ، ٣٣	١١
﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾	٤٠	٢١
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾	٦٧	٩٨
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾	٧٤	٢٠٦ ، ٢٦٠

٢٦- سورة الشعراء

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	٣	٢١
﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾	٨٠	١١٣ ، ٤٦٠
﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴾	٨٨ ، ٨٩	١١٧
﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾	١٠٠ ، ١٠١	٣٠٨
﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٩	٤٧٠
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٥٠-١٥٢	٣٩١
﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٥ ، ١٦٦	٢٠٤
﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾	١٦٨ ، ١٦٩	٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠

٢٧ - سورة النمل

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾	٧	٢٦١
﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ ﴾	١٩	٢٧٥
﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾	٢٩-٣٢	٣٥٠
﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ ﴾	٣٦	١١٧
﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	٥٠	٢١
﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾	٦٠	٧٥ ، ٧٧

٢٨- سورة القصص

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥ ، ٦	٤٦٦
﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ ﴾	٢٦	٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٣٦١

٢٩- سورة العنكبوت

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾	١٧	ث
﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ ﴾	٢٦	١٤٨

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾	٤٣	٣٥
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٤٠٠
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٦٥	٤٠٥

٣٠- سورة الروم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾	٤ ، ٥	٤٣٩
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٨	٤٨
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾	١٤-١٦	٢٧٦
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	٢٠١ ، ٢١٥
﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١ ، ٣٢	٣٧٣
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾	٣٧	٣٩٢
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾	٤٧	٣٣٩

٣١- سورة لقمان

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾	١٣	٢٥٧
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾	١٤	٢١٨ ، ٢٢٣
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	١٧-١٩	١٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾	٣٤	٤٧٠

٣٣- سورة الأحزاب

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾	٤	٣٠٤
﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	٦	٢٠٠
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾	٧	٤٧٥
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	٢٩٣
﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾	٢٤	٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ﴾	٢٨ ، ٢٩	٧٤ ، ٢٠٣
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٣٢	٢٥٢
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	٣٥	٢٣٥
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾	٣٦	٢٥٢ ، ٤٠٧

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾	٣٧	١٩٩
﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾	٣٨	٣٣١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾	٤٩	٧٤ ، ٧٦ ، ٩٠
﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ ﴾	٥٢	٢٠٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾	٥٣	٩٧ ، ١٠٠ ، ٢٠٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٩	٢٠٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾	٧٢	١٤٩

٣٤- سورة سبأ

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾	١٠	٢٨٠
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٤٦٨
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ ﴾	٤٦	٤٢ ، ٤٨

٣٥ - سورة فاطر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١	٢٣٧
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾	٢٧ ، ٢٨	٣٤ ، ٤٦٨

٣٦- سورة يس

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾	٤٠	١٤٢
﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴾	٥٥-٥٨	١٩٦ ، ٢٠٦
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾	٧١	١٢٣

٣٧- سورة الصافات

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	٥٠-٥٧	٣٠٨
﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾	٩٩-١٠٢	٢٦٢، ٣٣٢
﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٠٦	٣٤٦
﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾	١٧٧	٤٤٠

٣٨- سورة ص

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٦٠ ، ٣٤٢

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾	٤٣	٣٥

٣٩- سورة الزمر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ ﴾	٢	٣٨٠
﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾	٣	٤٠٥
﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾	١٥	٤٣٥
﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	٢٢	٤٥٩
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾	٢٩	٤١٢
﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾	٤٢	٤٩
﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾	٦٥	١٥١، ٢٥٧ ، ٤١٣

٤٠ - سورة غافر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾	٧-٩	٥١ ، ١٥٧
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٥١	٤٣٢
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٤٠٤

٤١ - سورة فصلت

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾	٩-١٢	٤٧٧
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾	٣٣	٤٦٧
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾	٤٢	١٠٢
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	٧٥

٤٢- سورة الشورى

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ ﴾	١٥	٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٤٢٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣٨	٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾	٤٠	٦١ ، ١٥٩
﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	٤٣	٢٩٤

٤٣- سورة الزخرف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾	٢٣	٣٩٢
﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	٣٠٧ ، ٤٥٣

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾	٦٩ ، ٧٠	٢٠٦

٤٥ـ سورة الجاثية

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ ﴾	١٢ ، ١٣	٢٨٢
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾	١٨	٣٧٥
﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾	١٩	٤٥٠

٤٦ـ سورة الأحقاف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾	٥ ، ٦	٤٠٤
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾	١٥	١٥٨ ، ٢١٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦
﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾	١٧ ، ١٨	٢٧٤

٤٧ـ سورة محمد

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾	١	٤٨٠
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾	٤	٤٨٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾	٧	٤١٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ ﴾	١٢	٩٩
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	٢٤	٢٩٢

٤٨ـ سورة الفتح

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾	١٧	١١٤
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾	٢٩	ذ ، ٩٧ ، ١١٢

٤٩ـ سورة الحجرات

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾	٩ ، ١٠	٥١ ، ٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٣٦٧ ، ٤٣٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾	١٣	٦٧ ، ١٣٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	١٥	٤٣٣

٥١ـ سورة الذاريات

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	٧٦
﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٥	٤٣٩

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦ ، ٥٧	١٣٤، ٢٤٧، ٤٢٧، ٤٣٢

٥٢ـ سورة الطـور

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾	٢١	٢٠٧ ، ٢٧٧

٥٣ـ سورة النجـم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	٣٢	١٥٢
﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٩-٤١	٢٧٥

٥٤ـ سورة القمر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾	١٣	٢٨١

٥٥ـ سورة الرحمن

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	٢٢	٢٨٠

٥٦ـ سورة الواقعة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾	٤١-٤٥	٣٩١

٥٧ـ سورة الحديد

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾	٧	١٢٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾	١٩	٦٧
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢٥	٥٩ ، ٦١ ، ٣٨١ ، ٤٢٤

٥٨ـ سورة المجادلة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١١	٩٧ ، ١١١ ، ٤٦٨
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٢٢	١٨٧

٥٩ـ سورة الحشر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾	٧	١٢٧ ، ٣٨٤، ٣٩٨
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾	٨ ، ٩	١٢٨ ، ١٥٩ ، ١٧٢
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ﴾	١٠	٥٥
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾	١٩	٢٧٥

٦٠- سورة الممتحنة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ ﴾	١	٤٠٩
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾	٨	١٨٧
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾	١٢	٢١٩

٦١- سورة الصف

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٢ ، ٣	٦٨ ، ١٦٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾	٤	١٤٠

٦٢- سورة الجمعة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٠	٢٧٩ ، ٤٢٣

٦٣- سورة المنافقون

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾	٧	٤٤٦
﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ ﴾	٨	١٨٦، ٤١٢، ٤٨١ ، ٤٣٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ﴾	٩	١٢٥ ، ٢٦٥

٦٤- سورة التغابن

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ ﴾	١٤	٢٠٥

٦٥- سورة الطلاق

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	١	٣١٩
﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾	٢-٥	٦١ ، ٣٢٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨
﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾	٦	٢٢٠ ، ٢٥٩

٦٦- سورة التحريم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾	٣	٢٠٥
﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾	٥	٣١٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾	٦	٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾	١٠	٢١٣ ، ٢٦٦
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾	١١	٢١٥

٦٧- سورة الملك

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾	١٠، ١١	٣٥
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	١٤	١٦ ، ٢٤٣ ، ٣٧٥
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾	١٥	٢٧٨ ، ٣٩٧

٦٨- سورة القلم

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	٥٢ ، ٨٥ ، ٢٩٣
﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾	١٤ ، ١٥	١١٧

٦٩- سورة الحاقة

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾	٢٨ ، ٢٩	١١٩

٧٠- سورة المعارج

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾	٥-٧	٧٤ ، ٨٣
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾	١٩-٢٢	٤٤١

٧١- سورة نوح

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾	١٠-١٢	١١٨ ، ٢٧٨
﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا ﴾	٢٧	٢٦٧
﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾	٢٨	٢٧٥

٧٢- سورة الجن

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾	١٦	٤١١

٧٣- سورة المزمل

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	١٠	٧٤ ، ٧٦ ، ٨٦
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾	٢٠	٥٣

٧٤- سورة المدثر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾	٤٤	٣٩٤

٧٦- سورة الإنسان

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	٨ ، ٩	٥٢ ، ٣٩٣

٧٨ـ سورة النبأ

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾	٣٨	٤٠٦

٧٩ـ سورة النازعات

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾	٤٠ ، ٤١	٦٩

٨٠ـ سورة عبس

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾	١-٣	٢١

٨١ـ سورة التكوير

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾	٨ ، ٩	٢٤٠
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢٩	٣٣٦

٨٢ـ سورة الانفطار

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٨	٧٤

٨٥ـ سورة البروج

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾	١-١١	٤٥٧

٨٨ـ سورة الغاشية

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾	٢٢	٣٩٩

٨٩ـ سورة الفجر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾	٢٠	١١٧

٩٠ـ سورة البلد

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾	١٢-١٧	٥٢ ، ١٨٠

٩١ـ سورة الشمس

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	٩ ، ١٠	٣

٩٥ـ سورة التين

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	٤	٥ ، ٧٤

٩٦ـ سورة العلق

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾	١-٥	٣٦ ، ٤٧

١٠٣ـ سورة العصر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾	١-٣	١٤٩ ، ١٨٠

١٠٦ـ سورة قريش

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴾	١ ، ٢	٢٨٠

١٠٩ـ سورة الكافرون

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾	٦	٣٩٩

١١٠ـ سورة النصر

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١-٣	٤٨٥

١١٢ـ سورة الإخلاص

رأس الآية	رقمها	الصفحات الواردة بها
﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾	٣ ، ٤	٤٧٤

* * * * * *

ثانياً : فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار

م	طـرف الحديث	رقم الصفحة
	- أ -	
١	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه	٢٦٥
٢	إذا أحب الله العبد قال ...	٤٥٠
٣	إذا صلت المرأة خمسها	٢٢٥
٤	إذا عرض له أمر استشار أصحابه وقام إلى صلاته	٤٤٢
٥	إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل	٢٤٥
٦	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة	٢٥٥
٧	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	٨٦
٨	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر	٥٥
٩	الأرواح جنود مجندة	٣٢٢
١٠	أفضل العمل الإيمان بالله والجهاد في سبيله	١٨٩
١١	ألا أخبركم بالتيس المستعار	٣١٧
١٢	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	١٥٤ ، ٤١٠
١٣	ألا تأتي ندعو الله (عبدالله بن جحش)	١٦١
١٤	أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول (عائشة رضي الله عنها)	١٢١
١٥	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه	٢٤٨
١٦	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	١٥٣
١٧	إن الولد مبخلة مجبنة	٢٦٤
١٨	إن رجلاً زار أخاً له في قرية	١٧٣
١٩	إن رحمتي تغلب غضبي	٥٥
٢٠	أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي (سعيد بن المسيب)	٣٤٩
٢١	أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية	٣٤٧
٢٢	إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية	١٤٠
٢٣	إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم	٣٦٩
٢٤	أنشدكم الله ، ألا يعلم أحد مني عيباً إلا عابه (عمر بن الخطاب)	١٨٠
٢٥	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب	٤٦٦
٢٦	إنها داء وليست بدواء	١٠٨
٢٧	أيها الناس من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه (عمر بن الخطاب)	٣٥٤
٢٨	ارحموا من في الأرض	١٨٧

م	طـرف الحديث	رقم الصفحة
٢٩	استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد	٣٩٥
٣٠	اشفعوا تؤجروا	٤٠٦
٣١	انظروا إلى من هو أسفل منكم	٢٢٥
	- ب-	
٣٢	بلغوا عني ولو آية	٤٧٢
	- ت -	
٣٣	تزوج ﷺ أميمة بنت شراحيل	٩٠
٣٤	تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب	١١٠
٣٥	تنكح المرأة لأربع	٢٠٧
	- ج -	
٣٦	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم	٤٧٩
٣٧	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : أرأيت إن جاء رجل يريد	١٢٣
٣٨	جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى الرسول ﷺ	٢٤٢
٣٩	جعلت قرة عيني الصلاة	٤٤٢
	- ح -	
٤٠	حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسُّم المغضَب	٦٩
	- خ -	
٤١	خرج يوماً عاصباً رأسه	٣٤٣
٤٢	خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ فقال	٣١١
٤٣	خمس من الفطرة ...	٢٩٠
٤٤	خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش	٢٩١
	- د -	
٤٥	دب إليكم داء الأمم ، الحسد والبغضاء	٤٦٩
٤٦	دخل أعرابي المسجد والنبي جالس	٥٤
٤٧	دخلت أنا وعبدالله بن عمر	٤٠
٤٨	الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة	٢٠٧
٤٩	الدين النصيحة	١٨٢، ٣٦٨
	- ر -	
٥٠	الرجل على دين خليله	٣٠٩
	- س -	
٥١	سئل رسول الله ﷺ : أي النساء خير	٢١٦

م	طـرف الحديث	رقم الصفحة
٥٢	سبعة يظلهم الله	٦٥
٥٣	سوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة	١٣٧
	- ص -	
٥٤	الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة	١٥٤
	- ط -	
٥٥	طوبى لمن تواضع من غير منقصة	٨٢
	- ع -	
٥٦	عدل صفوف أصحابه وفي يده	٣٤٤
٥٧	عليكم باتقاء الله وحده (جرير بن عبدالله)	١٨١
	- غ -	
٥٨	غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد	٨٨
	- ف -	
٥٩	....فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء	٣٨٦
	- ق -	
٦٠	قُتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني (عبدالرحمن بن عوف ﷺ)	١٢١
٦١	قل آمنت بالله ثم استقم	٢٥٠
٦٢	قوموا فانحروا ثم احلقوا	٢٤١
	- ك -	
٦٣	كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن (أم معبد)	١٣٦
٦٤	كان خلقه القرآن	٥٠
٦٥	كان قبلكم ملك ، وكان له ساحر	٤٥٧
٦٦	كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت	٢٨٢
٦٧	كل مولود يولد على الفطرة	٢٨٨
٦٨	كلكم راع ومسؤول عن رعيته	٢٢٨
٦٩	كنت مع النبي ﷺ في سفر	٨١
	- ل -	
٧٠	لا تخونوا ولا تغيروا ولا تغلوا (أبو بكر ﷺ)	٤٨٤
٧١	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى	١٠٩
٧٢	لا تكونوا إمعة	٤٥ ، ٢٩٢
٧٣	لا تُنزع الرحمة إلا من شقي	٥٧
٧٤	لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب	١٣٤

م	طـرف الحديث	رقم الصفحة
٧٥	لا خير فيكم ما لم تقولوا (عمر بن الخطاب ﷺ)	٣٧٣
٧٦	لا ضرر ولا ضرار	٢١٨
٧٧	لا طاعة في معصية	٣٦٩
٧٨	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	١٢٨
٧٩	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	٧٧
٨٠	لا يقولن أحدكم خبثت نفسي	٣٢٧
٨١	لا يُمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ	١٢٨
٨٢	لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة	٦٢
٨٣	لعلّ رجلاً يقول ما يفعله بأهله	٢٢٧
٨٤	لقد لقيت من قومك ما لقيت	٨٦
٨٥	لكل داء دواء فإن أصيب دواء الداء برأ	١١٢
٨٦	لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا	١٠٧
٨٧	لم يكن يسأل شيئاً إلا أعطاه	٣٩٤
٨٨	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	٣٦٠
٨٩	اللهم ارزقني غداً رجلا (سعد بن أبي وقاص ﷺ)	١٦١
٩٠	اللهم إذا لقيت العدو غدا فلقني (عبدالله بن جحش ﷺ)	١٦١
٩١	اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك (عائشة - رضي الله عنها-)	١٩٠
٩٢	لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد	٢٢٣
٩٣	لولا أنت ما اهتدينا	١٠١
٩٤	ليس على المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم (أحمد بن حنبل)	١٨٤
٩٥	ليس عندي يا عمة ولو كان عندي لفعلت (عمر بن عبدالعزيز)	٣٤٦
	- م -	
٩٦	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله	ب ، ١١٢
٩٧	ما كذبت منذ شددت عليّ إزاري (عمر بن عبدالعزيز)	٢٩٤
٩٨	ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه	٩٧
٩٩	ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً	١٨٠
١٠٠	ماء زمزم لما شرب له	١١٣
١٠١	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٣١
١٠٢	مرَّ رجل على رسول الله ﷺ	١٣١
١٠٣	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع	٢٧٣
١٠٤	من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد	٣٥٤

م	طـرف الحديث	رقم الصفحة
١٠٥	من احتكر فهو خاطئ	١٢٧
١٠٦	من التمس رضى الله بسخط الناس	٤٣٨
١٠٧	من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها (عمر بن الخطاب)	٣٦٦
١٠٨	من ظلم معاهداً أو انتقصه	١٨٧
١٠٩	من عال جاريتين حتى تبلغا	٢٤٢
١١٠	من لا يرحم لا يرحم	٢٩١
١١١	من لم يشكر الناس لم يشكر الله	ث
١١٢	من يحفر بئر رومة فله الجنة	١٢٢
	- ن -	
١١٣	نعم المال الصالح للمرء الصالح	١٢٢
١١٤	نعم تداووا	١١٣
	- و -	
١١٥	وإنك لا تنفق نفقة تبغي بها وجه الله إلا	٢٨١
١١٦	واجعل ثأرنا على من ظلمنا	٦٦
١١٧	والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله	٣٩٧
١١٨	والصبر ضياء	٨٤
١١٩	والله في عون العبد ما كان العبد	١٧٩
١٢٠	والله لو منعوني عقال بعير (أبو بكر ﷺ)	٥٨
١٢١	وعزتي وجلالي لا أجعلن ذرية من خلقت بيدي	٢
١٢٢	وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين	١٦٥
١٢٣	وقام إلى صلاته وكانوا يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة	٤٣٩
	- ي -	
١٢٤	يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد	٣٥٤
١٢٥	يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم (أبو بكر ﷺ)	٣٧٢
١٢٦	يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو	١٩٠
١٢٧	يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق	٢٩٧
١٢٨	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	٦٥
١٢٩	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة	١٠٤

* * * * *

ثالثاً : فهرس الأشعار

شطر البيت الأول	رقم الصفحة
- أ -	
أخي ذلك اللفظ الذي في حروفه	١٧١
إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا	٨٧
إذا نحن سرنا وأنت دليلنا	٢٨
- خ -	
خذي العفو مني تستديمي مودتي	٢١٦
خزاعية الكعبين ، كندية الحشا	٢١١
- ض -	
ضحوك السن إن نطقوا بخير	٨١
- ف -	
في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر	٤٤
- ك -	
كمْ من قوي قويٍّ في تقلبه	١٣٢
- ل -	
لولا أنت ما اهتدينا	١٠١
لولا التقى لقلت لمْ	١٩٥
- هـ -	
هي الأخلاق تنبت كالنبات	٢٣٤
- و -	
وإذا تكون كريهةٌ أدعى لها	٤٤٥
وإذا رحمت فأنت أم أو أب	٥٦
وإنّ الذي بيني وبين بني أبي	٨٧
والأخذ بالأسباب درس مشرق	١٣٨
ولدي يا نبضة في خافقي	٣٣٤
وما يغنيك تشييد المباني	٤٧٣
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا	٧٨
- ي -	
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته	٧

رابعاً : فهرس الأعلام

م	العلم	رقم الصفحة
	- أ -	
١	إبراهيم بن أدهم	٨
٢	إبراهيم بن السري بن سهل (الزجاج)	٦٣
٣	إبراهيم بن عمر البقاعي	٣٧
٤	إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي (الأبيري)	٤٧٢
٥	أبو الأعلى المودودي	٢٦٧
٦	أحمد بن عبدالحليم (ابن تيمية)	٣٨
٧	أحمد بن علي الرازي (الجصاص)	٣٥١
٨	أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (الخطيب)	٣٠٥
٩	أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر)	١٨٨
١٠	أحمد بن محمد بن حنبل	١٨٤
١١	أحمد شوقي (أمير الشعراء)	٥٦
١٢	أسامة بن زيد بن حارثة	٤٨٤
١٣	أسماء بنت أبي بكر-رضي الله عنها-	٢٣٠
١٤	أسماء بنت يزيد بن السكن	٢٢٧
١٥	إسماعيل بن عبدالرحمن (السدِّي)	١٠٥
١٦	إسماعيل بن كثير	٤
١٧	الأقرع بن حابس التميمي	٢٦
١٨	أم سليم بنت ملحان	٢٩٧
١٩	أميمة بنت شراحيل	٩٠
٢٠	أنس بن مالك بن النَّضر	١٣٧
٢١	أوس بن الصامت	٩
٢٢	أيوب بن أبي تميمة (السختياني)	١٨٨
	- ب -	
٢٣	البراء بن عازب بن الحارث	١٠٠
٢٤	بلال بن رباح التيمي	٢٥
	- ت -	
٢٥	تماضر بنت عمرو بن الحارث (الخنساء)	٢٣٢
	- ج -	
٢٦	جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام	٢٤٢

م	العلم	رقم الصفحة
٢٧	جرير بن عبدالله بن مالك	١٨١
٢٨	الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي	٨٤
	- ح -	
٢٩	الحجاج بن يوسف الثقفي	٢٣٠
٣٠	الحسن بن أبي الحسن (البصري)	١٥٣
٣١	حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا	٣٥١
٣٢	الحسن بن يحي الجعد	١
٣٣	الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصبهاني)	١٠٤
٣٤	الحسين بن مسعود بن محمد (البغوي)	١٥٣
	- خ -	
٣٥	خباب بن الأرت	٢٦
٣٦	خلف بن تميم بن أبي عتاب	٨١
٣٧	خولة بنت مالك بن ثعلبة	٩
	- ر -	
٣٨	ربعي بن عامر	٤٧٩
	- ز -	
٣٩	زيد بن أسلم العدوي	٢
	- س -	
٤٠	سعد بن أبي وقاص	١٦١
٤١	سعد بن الربيع بن عمرو	١٢٠
٤٢	سعيد بن المسيب بن حزن	٣٤٩
٤٣	سفيان بن عيينة الهلالي	٣
٤٤	سليمان بن عبدالملك بن مروان	٢٩٤
٤٥	سواد بن غزيَّة الأنصاري	٣٤٥
٤٦	سيجموند فرويد	٢٩٨
٤٧	سيد بن قطب إبراهيم (سيد قطب)	٢٤
	- ص -	
٤٨	صهيب بن سنان الرومي	٢٦
	- ط -	
٤٩	طارق بن سويد الحضرمي	١٠٨
٥٠	طاووس بن كيسان اليماني	١٥٣

م	العلم	رقم الصفحة
	- ع -	
٥١	عائشة بنت الصديق -رضي الله عنهما-	٤٠
٥٢	عاتكة بنت خالد (أم معبد)	١٣٦
٥٣	عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن (ابن عطية)	٣٥٠
٥٤	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (السيوطي)	٩٨
٥٥	عبدالرحمن بن أحمد (ابن رجب)	١٨٢
٥٦	عبدالرحمن بن صخر (أبو هريرة)	٥٤
٥٧	عبدالرحمن بن عمرو بن محمد (الأوزاعي)	١٦٧
٥٨	عبدالرحمن بن عوف	١٢٠
٥٩	عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	١٥٣
٦٠	عبدالرحمن بن ناصر السعدي	٥
٦١	عبدالرزاق بن همام بن نافع	٢
٦٢	عبدالعزيز بن عبدالسلام (سلطان العلماء)	١٩٠
٦٣	عبدالكريم بن هوازن (القشيري)	٧٨
٦٤	عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي	١٩٠
٦٥	عبدالله بن الزبير بن العوام	٢٣٠
٦٦	عبدالله بن العباس	٤٠
٦٧	عبدالله بن المبارك	٤٤
٦٨	عبدالله بن ثوب الخولاني (أبو مسلم)	٣٦١
٦٩	عبدالله بن جحش	١٦١
٧٠	عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	٥٦
٧١	عبدالله بن مسعود	٧٧
٧٢	عبدالله بن هارون الرشيد (المأمون)	٣٨٢
٧٣	عبيد بن عمير	٤٠
٧٤	عطاء بن أبي رباح	٤٠
٧٥	علي بن محمد بن حبيب (الماوردي)	١٧٦
٧٦	عمار بن ياسر	٢٧
٧٧	عمر بن عبدالعزيز بن مروان (أمير المؤمنين)	٧٢
٧٨	عيينة بن حصن الفزاري	٢٦
	- غ -	
٧٩	غيلان بن سلمة الثقفي	٢٣٦

م	العلم	رقم الصفحة
	- ف -	
٨٠	الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي	١٣٢
	- ق -	
٨١	القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل	٢٣٦
٨٢	قتادة بن دعامة	٦٣
٨٣	قُسّ بن ساعدة	٤٣
	- ك -	
٨٤	كعب بن مالك	٦٩
	- م -	
٨٥	مالك بن أنس بن أبي عامر	٣٤٩
٨٦	مالك بن ربيعة (أبو أسيد)	٩٠
٨٧	مجاهد بن جبر	٢٦
٨٨	محمد الأمين محمد المختار (الشنقيطي)	٣٦٠
٨٩	محمد الغزالي السقا	٢٥٠
٩٠	محمد بن إبراهيم بن خطاب (البستي)	٧٨
٩١	محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن القيم)	٣
٩٢	محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي)	٣
٩٣	محمد بن إدريس (الشافعي)	٨٧
٩٤	محمد بن جرير الطبري	١
٩٥	محمد بن سالم البيحاني	٢٣٤
٩٦	محمد بن سيرين الأنصاري	١٣٩
٩٧	محمد بن ظفر بن عمير (المقنع الكندي)	٨٧
٩٨	محمد بن عبدالله بن محمد الإشبيلي (ابن العربي)	١٠٥
٩٩	محمد بن علي بن محمد (الشوكاني)	١٥٢
١٠٠	محمد بن عمر بن الحسين (الرازي)	٤
١٠١	محمد بن محمد الشيباني الجزري (ابن الأثير)	١٤٨
١٠٢	محمد بن يوسف (أبو حيان)	٢٣
١٠٣	محمود بن عبدالله الحسيني (الألوسي)	٤٣
١٠٤	محمود شلتوت	٢٧٠
١٠٥	مرارة بن الربيع	٦٩
١٠٦	مسطح بن أثاثة	١٠

م	العلم	رقم الصفحة
١٠٧	معاذ بن جبل	٨١
١٠٨	معاوية بن أبي سفيان	٣٦٢
١٠٩	معبد بن صبيح	٢٦
١١٠	معروف بن عبدالغني (الرصافي)	٢٣٤
١١١	مغمَر بن راشد الأزدي	٢
١١٢	المغيرة بن شعبة بن أبي عامر	١٨١
١١٣	موسى بن إسحاق الخطمي	٣٠٦
	- هـ -	
١١٤	هبة الله بن الحسن بن منصور (اللالكائي)	١٤٩
١١٥	هلال بن أمية	٦٩
١١٦	هند بنت أبي أمية (أم سلمة)	٢٤٠
	- و -	
١١٧	وائل بن حُجر بن ربيعة	١٠٨
١١٨	الوليد بن عبد الملك بن مروان	٧٢
	- ي -	
١١٩	يحي بن أكثم بن محمد	٣٨٢
١٢٠	يحي بن شرف (النووي)	٧٨

* * * * *

خامساً : فهرس المصادر والمراجع والدوريات

١- **القرآن الكريم**

- أ -

٢- **الإتقان في علوم القرآن :**
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (السيوطي) ت٩١١ ، تقديم وتعليق محمد شريف بكر ، ط دار إحياء العلوم ، بيروت ، الثانية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٣- **أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع :**
د/ عيسى عبده، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٤- **أحكام الجهاد وفضائله :**
عز الدين بن عبدالسلام ، تحقيق نزيه حماد ، ط مكتبة الوفاء بجدة ، الأولى ، ١٤٠٦ هـ

٥- **الأحكام السلطانية :**
أبو يعلي الفراء ، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، الأولى، د.ت

٦- **أحكام القرآن :**
أبو بكر محمد بن عبدالله (ابن العربي) ت ٥٤٣هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى، د.ت

٧- **أحكام القرآن :**
أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار الصحف، القاهرة، مصر، الأولى ، د.ت.

٨- **إحياء علوم الدين :**
أبو حامد الغزالي ، تحقيق سيد إبراهيم ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

٩- **الأخلاق :**
صمول سميلز ، ترجمة محمد الصادق حسين ، ط الاعتماد ، مصر ، الأولى ، د.ت

١٠- **الأخلاق الإسلامية وأسسها :**
عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الخامسة ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١١- **الآداب الشرعية والمنح المرعية :**
ابن مفلح ، ط مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الأولى ، ١٩٨٧م

١٢- **أدب الدنيا والدين :**
الإمام أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠هـ ط دار مؤسسة قرطبة ، القاهرة، الأولى، ١٩٨٧م

١٣- **أدب الطلب ومنتهى الأدب :**
محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (الشوكاني) ت١٢٥٠هـ ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

١٤- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير) :**
أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، مطبعة صبيح ، الأولى ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

١٥- **أستاذ المرأة :**
محمد بن سالم البيحاني ، مطابع المدني ، مصر ، الثالثة ، د.ت

١٦- **أسد الغابة في معرفة الصحابة :**
أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ت ٦٠٦هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٧- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:**
أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ت ٦٠٦هـ ط دار المعرفة - لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨- **الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون :**
مروان كجك ، ط دار الكلمة الطيبة ، القاهرة ، الثالثة ، ١٤١٠هـ

١٩- **الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية :**
الشيخ محمد الغزالي، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة، الخامسة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٢٠- **الإسلام عقيدة وشريعة :**
الشيخ محمود شلتوت ، ط دار القلم ، القاهرة ، الأولى ، د.ت

٢١- **الإسلام في حل مشاكل المجتمعات المعاصرة :**
د/ محمد البهي ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٢- **الإسلام في حياة المسلم :**
د/ محمد البهي ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ١٩٧٠م.

٢٣- **الإسلام والمشكلة الاقتصادية :**
د/ محمد شوقي الفنجري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الأولى ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م

٢٤- **الإسلام ومعضلات الاقتصاد :**
أبو الأعلى المودودي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م

٢٥- **الإصابة في تمييز الصحابة :**
أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، د.ت

٢٦- **إصلاح المجتمع :**
محمد بن سالم البيحاني ، الأولى ، د.ت ، بدون معلومات الطبع.

٢٧- **أصول علم النفس :**
د / أحمد عزت راجح ، ط المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، مصر ، التاسعة، ١٩٧٣م.

٢٨- **أضواء البيان (تفسير)** :
محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ، نشر مكتبة ابن تيميةه ، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- **إعادة النظر في كتابة العصرانيين في ضوء الإسلام** :
أنور الجنيدي ، ط دار الاعتصام ، القاهرة ، الأولى ، ١٩٨٥م.

٣٠- **الأعلام** :
خير الدين الزركلي ، الثانية ، د.ت ، ولا توجد جهة الطبع.

٣١- **الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها** :
د/ محمد علي البار ، ط دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الرابعة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ م.

٣٢- **الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية** :
محمد السيد الزعبلاوي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

٣٣- **إنباه الرواة على أنباه النحاة** :
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٤- **أولويات الحركة الإسلامية** :
د/ يوسف القرضاوي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت الثالثة عشرة ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٥- **الإيدز وباء العصر** :
د/محمد علي البار ، و د/ محمد أيمن صافي ، ط دار المنارة ، جدة ، الأولى ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٣٦- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (تفسير)** :
أبو بكر جابر الجزائري ، ط دار السلام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الثانية ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٣٧- **الإيمان** :
أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) ت٧٢٨هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت الثالثة ، ١٤٠١هـ .

٣٨- **الإيمان الأوسط** :
أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) ت٧٢٨هـ، توزيع مكتبة الفرقان، ومكتبة الإيمان ، د.ت ، الأولى.

٣٩- **الإيمان والحياة** :
د. يوسف القرضاوي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، السابعة عشرة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٠- **الاستقامة** :
أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) ت٧٢٨هـ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، الأولى.

٤١- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** :
أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الأولى ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٢- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** :
ابن عبدالبر ، ط دار الفكر ، بيروت الأولى ، د.ت

٤٣- **الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق** :
م.أ مسنان ، ترجمة د/ منصور إبراهيم التركي ، دراسة مقارنة ، ط المكتب المصري الحديث ، الإسكندرية ، القاهرة ، الأولى ، د.ت .

- ب-

٤٤- **البحر المحيط (تفسير)** :
أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ت ٧٥٤هـ ، مطبعة السعادة ، مصر الأولى ، ١٣٢٨هـ.

٤٥- **البحر المحيط** :
أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ، ت٧٥٤هـ ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود ، وعلي معوض ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ.

٤٦- **البداية والنهاية** :
أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ ، ط دار الريان للتراث ، القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٧- **البداية والنهاية** :
أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ ، ط دار الحديث ، القاهرة، الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٤٨- **البدر الطالع** :
محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، الأولى ، د.ت

٤٩- **بصائر ذوي التمييز** :
الفيروز ابادي ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، قطر ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م

٥٠- **بغية المرتاد** :
أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت ٧٢٨ ، تحقيق د/ موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكمة ، المدينة المنورة ، الأولى ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥١- **بغية الوعاة** :
الحافظ السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر ، بيروت، الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٢- **بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة** :
خالد عبدالرحمن العك ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- ت -

٥٣- **تاج العروس** :
القاضي الزبيدي ، ط المطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر ، الأولى ١٣٠٦هـ
٥٤- **التاج المكلل من جواهر الطراز الأول** :
السيد صديق حسن خان ، المطبعة الهندية العربية ، الهند ، الثانية ، ١٨٨٢هـ-١٩٦٣م
٥٥- **تاريخ ابن خلدون** :
عبدالرحمن ابن خلدون ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠١هـ
٥٦- **تاريخ الأمم والملوك** :
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى، ١٤٠٧هـ.
٥٧- **تاريخ الخلفاء** :
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت .
٥٨- **تاريخ بغداد** :
أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) ، ط المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الأولى ، د.ت
٥٩- **التربية الأخلاقية الإسلامية** :
د/ مقداد يالجن ، ط دار عالم الكتب ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م
٦٠- **تربية المراهق في رحاب الإسلام** :
محمد حامد الناصر وخولة درويش ، ط دار المعالي ، الأردن ، الثانية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٦١- **تربية الناشئ المسلم** :
د/ علي عبدالحليم محمود ، ط دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٦٢- **تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات** :
خاشع حقي ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
٦٣- **التعريفات** :
الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٤- **تفسير القرآن العظيم** :
الحافظ ابن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، السابعة ، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.
٦٥- **تفسير المنار** :
الشيخ محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الثانية ، د.ت

٦٦- **التفسير الواضح :**
محمد محمود حجازي ، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ، الثالثة ، ١٩٦٣م.

٦٧- **تفسير مجاهد :**
مجاهد بن جبر ، تقديم وتحقيق عبدالرحمن الطاهر السورتي ، مطابع الدوحة الحديثة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٦٨- **تكملة معجم المؤلفين :**
محمد خير رمضان يوسف ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٦٩- **تنظيم الإسلام للمجتمع :**
الشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي ، مصر الأولى ، ١٩٦٥م.

٧٠- **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق :**
أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ابن مسكويه) ، ط دار مكتبة الحياة، بيروت ، الثانية ، د.ت

٧١- **تهذيب التهذيب :**
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ، الأولى، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٧٢- **تهذيب مدارج السالكين :**
عبدالمنعم صالح العلي العزي ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، السعودية ، الأولى، د.ت

٧٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :**
عبدالرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ ، ط دار الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، الرياض ، السعودية ، الأولى ، ١٤٠٤هـ.

٧٤- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :**
عبدالرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨.

- ج -

٧٥- **جامع الأصول في أحاديث الرسول :**
الإمام المبارك ، محمد ابن الأثير ، الجزري ت ٦٠٦هـ ، ط دار الفكر ، بيروت، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٧٦- **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير):**
أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٧٧- **جامع العلوم والحكم :**
ابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ ، مكتبة الرسالة الحديثة بعمان ، د.ت ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة ، الأولى ، د.ت

٧٨- **الجامع لأحكام القرآن** :
أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٦٧١هـ ط، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ، ١٤٠٨هـ.
٧٩- **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة** :
محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتبة الإسلامية ، عمّان ، الأردن ، الثانية ، ١٤١٣هـ
٨٠- **جند الله ثقافة وأخلاقا**:
سعيد حوى ، ط دار السلام ، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
٨١- **الجواب الكافي** :
ابـن القيـم ، تحقيق عبيد الله بن عالية ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ، الثانية ، ١٤١٠هـ.

- ح -

٨٢- **حاشية ابن عابدين** :
محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي (١٢٥٢هـ)، تحقيق محمد صبحي حسـن حلاق ، وعامر حُسين، ط دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٨٣- **حقوق المرأة في التشريع الإسلامي والدولي والمقارن** :
حسني نصار ، مفتش بوزارة العدل ، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ، الأولى ، د.ت
٨٤- **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي** :
عبدالعزيز مصطفى كامل ، ط دار طيبة ، الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
٨٥- **حلية الأولياء** :
الحـافظ أبـو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني ، ت ٤٣٠هـ ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

- خ -

٨٦- **الخصائص العامة للإسلام** :
د/ يوسف القرضاوي ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الثانية ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣،
٨٧- **الخلق الكامل** :
محمد أحمد جاد المولى ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، و دار قتيبة، دمشق ، الأولى، د.ت.
٨٨- **خلق المسلم** :
محمد الغزالي ، مطبعة حسان ، القاهرة ، الثامنة ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

- د -

٨٩- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** :
جـلال الديـن السـيوطي (ت ٩١١هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٩٠- **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور** :
زينب بنت يوسف قواز ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الثانية ، د.ت

٩١- **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد** :
محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ، تخريج أبي عبدالله الحلبي، دار ابن خزيمة ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٤هـ .

٩٢- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** :
محمد بن علان ، ط دار الإيمان ، القاهرة ، الأولى ، ٤ مجلدات ١٤٠٧هـ

٩٣- **الديباج المذهب** :
ابن فرحون ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت.

٩٤- **ديوان الرصافي** :
معروف الرصافي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، السادسة ، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م

٩٥- **ديوان الشافعي** :
محمد بن إدريس الشافعي ، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي ، ط دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٤م.

٩٦- **ديوان سيد قطب** :
جمع وتوثيق وتقديم عبدالباقي محمد حسين ، ط دار الوفاء ، المنصورة، مصر، الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

- ذ -

٩٧- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** :
الراغب الأصفهاني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٠م.

٩٨- **ذم الهوى** :
الحافظ أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ، مطبعة السعادة ، القاهرة، الأولى، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

- ر -

٩٩- **رأس المال في المذهب الاقتصادي للإسلام (دراسة مقارنة)**:
شعبان فهمي عبدالعزيز، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، القاهرة، الأولى ، د.ت

١٠٠- **رجال حول الرسول** :
خالد محمد خالد ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت

١٠١- **رسالة الحجاب** :
محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر ، السعودية ، الأولى ١٤١٩هـ

١٠٢- **ركائز الإيمان** :
محمد قطب ، مركز الدراسات والإعلام ، دار أشبيلية ، الرياض ، الأولى ١٤١٧هـ-١٩٨٧م.

١٠٣- **روح المعاني (تفسير)** :
الألوسي ، ط دار إحياء التراث ، بيروت ، الثانية ، د.ت.

١٠٤- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية** :
الإمام السهيلي ، دار النصر للطباعة ، مصر ، الأولى ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧.

١٠٥- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء :**
الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤هـ ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة والرياض ، الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- ز -

١٠٦- **زاد المسير في علم التفسير :**
أبو الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، الرابعة، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

١٠٧- **الزواجر عن اقتراف الكبائر :**
أبـو العباس أحمد بن محمد حجر المكي الهيثمي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الأولى ، د.ت

- س -

١٠٨- **سلسلة الأحاديث الصحيحة :**
محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

١٠٩- **سنن أبي داود :**
الإمـام الحافظ المصنف أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ ، ط دار الحديث القاهرة ، الأولى ، د.ت

١١٠- **سنن ابن ماجه :**
الحـافظ أبـو عـبدالله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه ، ت ٢٧٥) تحقيق وترقيم وتعـليق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، وعيسى البابي الحلبي وشركاه ، الأولى ، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

١١١- **سنن الترمذي :**
أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، الأولى د.ت

١١٢- **سنن الدارمي :**
الإمـام الكبير أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، تحقيق وشـرح وتعـليق وفهرسـة د/ مصطفى ديب البغا ، ط دار القلم ، دمشق ، الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١١٣- **السنن الكبرى :**
الحـافظ الجـليل : أحمـد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ ، ط مجلس إدارة المعارف النظامية ، الهند ، حيدر أباد ، الأولى ، ١٣٤٤هـ .

١١٤- **سنن النسائي :**
أبـو عـبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ ، تحقيق د/ عبدالغفار سليمان البـنداري وسـيد كسروي حسن ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١١٥- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية :**
أحمد بن تيمية ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١٦- **سياسة ووسائل تعديد النسل في الماضي والحاضر :**
د/ محمد علي البار ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢ هـ -١٩٩١م.

١١٧- **سير أعلام النبلاء :**
الحافظ الذهبي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٤هـ

١١٨- **السيرة النبوية :**
ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الثالثة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١١٩- **السيرة النبوية :**
ابن هشام ، تعليق عمر عبدالسلام تدمري ، ط دار الريان للتراث ، القاهرة ، الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

١٢٠- **سيرة عمر بن عبدالعزيز :**
ابن الجوزي ، تحقيق نعيم زرزور ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الأولى ١٤٠٤هـ

١٢١- **سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه:**
أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم ت٢١٤هـ ، الناشر مكتبة وهبة ، مصر ، الثانية ، د.ت ، نسخ وتصحيح وتعليق أحمد عبيد.

- ش -

١٢٢- **الشباب قضية ورعاية ودور**
خليل الفاعوري ، مطبعة التاج ، عمان ، الأولى ، ١٤٠٥هـ

١٢٣- **شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة:**
خالد عبدالرحمن العك ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الثالثة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠

١٢٤- **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة :**
د/ محمد علي الهاشمي ، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت ، لبنان ، السابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

١٢٥- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب :**
ابن العماد الحنبلي ، ط دار ابن كثير ، دمشق ، الأولى ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

١٢٦- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة :**
أبو القاسم اللالكائي ، تحقيق د/ أحمد حمدان ، ط دار طيبة ، الرياض ، الأولى، د.ت

١٢٧- **شهداء الإسلام في عصر النبوة :**
د/ علي سامي النشار ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

١٢٨- **الشوقيات (شعر) :**
أحمد شوقي ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت

١٢٩- **الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة** :
عبدالرزاق العباد ، ط مكتبة الرشد ، الرياض ، الأولى ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م

- ص -

١٣٠- **الصّحاح** :
إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة ، الأولى ١٩٨٢م

١٣١- **الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف** :
د/ يوسف القرضاوي ، ط دار الشروق ، القاهرة ، بيروت الثانية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.

١٣٢- **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي**:
د/ يوسف القرضاوي ، ط دار الشروق ، بيروت ، السابعة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

١٣٣- **صحيح ابن حبان ، بترتيب ابن بلبان** :
الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩هـ ، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣٤- **صحيح مسلم** :
الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسابوري ت ٢٦١هـ ، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

١٣٥- **صحيح مسلم بشرح النووي**:
الإمام النووي ت ٦٧٦هـ ط مؤسسة قرطبة ، الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م

١٣٦- **صفة الصفوة** :
عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، (أبو الفرج) . ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٣٧- **صلاح الأمة في علو الهمة** :
د/ سيد حسين العفاني ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

١٣٨- **الصمت وحفظ اللسان** :
ابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد أحمد عاشور ، الأولى ، دار الاعتصام، القاهرة ، د.ت

- ض -

١٣٩- **الضوء المنير على التفسير** :
علي الحمد المحمد الصالحي ، نشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد، عنيزة، السعودية، الأولى، د.ت

- ط -

١٤٠- **الطب النبوي** :
ابن القيم ، ط دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٩٨٤م

١٤١- **الطب النبوي والعلم الحديث** :
د/ محمود ناظم النسيمي ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ، الرابعة ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م (ثلاثة مجلدات).

١٤٢- **الطب في القرآن** :
د. عبدالله عبادة ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الأولى ، د.ت
١٤٣- **طبقات الحفاظ** :
الحـــافظ جلال الدين السيوطي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٣ هـــ ١٩٨٣م
١٤٤- **الطبقات الكبرى** :
محمد بن سعد ت ٢٣٠هـــ ، ط دار صادر ، بيروت ، الأولى د.ت
١٤٥- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**:
ابـــن القيـــم ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان في دمشق، الأولى ١٤١٠ هـــ-١٩٨٩م.
١٤٦- **الطفل في الشريعة الإسلامية** :
د/ محمد بن أحمد الصالح، الأولى ، د.ت وغير معروف جهة طبعه.

- ع -

١٤٧- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**:
ابـــن القيـــم ت ٧٥١هـــ تقديم وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت، ط دار الكتاب العربي، بيروت ، السابعة ، ١٤١٨هـــ-١٩٩٨م.
١٤٨- **عشرون قصيدة في الزهد** :
جمـــع محمـــد بن أحمد سيد أحمد ، مكتبة السوادي ، مكة المكرمة ، الثالثة ، ١٤١١ هـــ-١٩٩١م.
١٤٩- **عقد اللالئ والدرر في المواعظ والعبر** :
جمع محمد بن أحمد سيد أحمد ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الثانية ، ١٤٠٨هـــ-١٩٨٧م.
١٥٠- **علم الأخلاق الإسلامية** :
د/ مقداد يالجن ، ط دار عالم الكتب ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٣هـــ-١٩٩٢م
١٥١- **علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)**:
د/ حـــامد عبدالسلام زهران ، الشركة الدولية للطباعة، مصر ، الخامسة ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م
١٥٢- **عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم** :
ماجدة زكريا ، ط مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة، الأولى ، ١٤٠٧هـــ
١٥٣- **العوائق** :
محمد أحمد الراشد ، ط دار المنطلق ، الإمارات العربية ، الأولى ١٤١٥هـــ-١٩٩٤م

- غ -

١٥٤- **الغذاء الكامل يصنع المعجزات** :
جايـــلورد هـــاوزر ، ترجمة أحمد قدامة ، ط دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الحادية عشرة ، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م.

- ف -

١٥٥- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** :
ابـن حجـر العسـقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، وإخراج محب الدين الخطيب ومـراجعة قصـي محـب الديـن الخطيب ، ط دار الريان للتراث ، القاهرة ، الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦.

١٥٦- **فتح القدير (تفسير)** :
محمد علي الشوكاني ، الناشر دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٥٧- **الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية**:
د/ عبدالكريم زيدان ، نشر الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م

١٥٨- **فضائح الكنائس** :
مصطفى فوزي غزال ، مكتبة الوفاء للنشر ، جدة ، الأولى ، د.ت

١٥٩- **ففيهما فجاهد** :
عبدالملك القاسم ، ط دار القاسم ، الرياض ، الثانية ، ١٤١٦هـ

١٦٠- **فقه الأسرة المسلمة** :
حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

١٦١- **فقه التمكين في القرآن الكريم** :
د/ علي محمد محمد الصلابي ، ط دار البيارق ، عمّان ، الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

١٦٢- **فقه المسؤولية في الإسلام** :
د/ عـلي عبدالحليم محمود ، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة ، الأولى ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

١٦٣- **فلسفة التربية الإسلامية** :
ماجد عرسان الكيلاني ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٩هـ

١٦٤- **الفلسفة القرآنية** :
عـباس محمـود العقـاد ، كـتاب الهلال ، العدد ٢٢٩ ، ذو الحجة ١٣٨٩هـ مارس ١٩٧٠م.

١٦٥- **الفوائد** :
ابن القيم الجوزية ، ط دار البيان ، بيروت ، الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

١٦٦- **الفوائد** :
ابن القيم ، مكتبة النهضة العلمية السعودية ، مكة المكرمة ، الأولى ، د.ت

١٦٧- **فوائد الفوائد** :
ابن القيم ، الناشر دار ابن الجوزي ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

١٦٨- **في ظلال القرآن** :
سيدي قطب ت ١٣٨٧هـ ، ط دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الثالثة عشرة، ١٩٨٧ م-١٤٠٧هـ

- ق -

١٦٩- **القاموس المحيط** :
محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ت ٨١٧هـ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر، د.ت

١٧٠- **القرآن وعلم النفس** :
د/ محمد عثمان نجاتي ، ط دار الشروق ، بيروت ، الخامسة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

١٧١- **القصد بين النصيحة والتغيير** :
ابن رجب الحنبلي ، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف ، القاهرة، د.ت الأولى

١٧٢- **قصص الأنبياء** :
الحافظ ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الثالثة ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٧٣- **القصيدة النونية** :
ابن القيم ، شرح د/ محمد خليل هراس ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، الأولى، ١٩٨٦ هـ-١٤٠٧هـ

١٧٤- **قطوف المعرفة** :
بشير العوف ، ط المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق ، الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

- ك -

١٧٥- **الكامل في التاريخ** :
أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم (ابن الأثير) ت٦٣٠هـ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، الخامسة ، ١٤٠٥هـ

١٧٦- **كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا** :
تحقيق محمد عبدالرحمن طوالبة ، إشراف ومراجعة نجم عبدالرحمن خلف، ط دار الاعتصام ، القاهرة ، الأولى ، د.ت

١٧٧- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** :
مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، المطبعة الإسلامية، طهران ، الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٧٧م

١٧٨- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** :
مصطفى بن عبدالله القسطنطيني ، نشر المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة مصور عن مطبعة القسطنطينية ، د.ت.

- ل -

١٧٩- **لباب النقول في أسباب النزول** :
الحافظ السيوطي ، جمع عبدالمجيد طعمة حلبي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

١٨٠- **لسان العرب** :
أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت ٧١١هـ، ط دار الفكر ، بيروت ، ودار صادر الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

- م -

١٨١- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :**
الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧هـ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت.

١٨٢- **مجموع الفتاوى :**
شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، ط دار عالم الكتب ، الرياض ، الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٨٣- **مجموعة رسائل الأستاذ البنا :**
ط دار الدعوة ، الإسكندرية ، مصر ، الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م

١٨٤- **محاسن التأويل (تفسير):**
محمد جمال الدين القاسمي، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٩٧٨هـ

١٨٥- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :**
عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي ت ٥٤١هـ، مكتبة أحمد الباز، مكة المكرمة، الأولى ، د.ت

١٨٦- **محمد رسول الله :**
محمد الصادق عرجون ، ط دار القلم بدمشق ، الثانية ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٨٧- **مختار الصحاح :**
الرازي ، دراسة وتقديم د/ عبدالفتاح البركاوي، القاهرة، دار المنار، الأولى ١٩٩٣م.

١٨٨- **المخدرات ، الخطر الداهم :**
د/ محمد علي البار ، ط دار القلم ، دمشق الثانية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٨٩- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :**
ابن القيم ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، الأولى ، ١٣٩٢هـ

١٩٠- **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية :**
د/ عثمان جمعة ضميرية ، مكتبة السوادي ، جدة ، الثالثة ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٩١- **مذاهب فكرية معاصرة :**
محمد قطب ، ط دار الشروق ، بيروت ، لبنان، الأولى ، ١٤٠٣هـ

١٩٢- **المرأة كما يريدها الإسلام :**
خالد مصطفى عادل ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

١٩٣- **مراتب الإجماع :**
أبو محمد علي ابن حزم ، ط دار الآفاق ، بيروت ، الأولى ، ١٩٧٨م

١٩٤- **المسند :**
للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، ت ٢٤١هـ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٩٩١-١٤١٢هـ

١٩٥- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي :**
أحمد بن محمد الفيومي ت ٧٧٠هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، الأولى ، د.ت

١٩٦- **المصنف** :
الحافظ أبو بكر عبدالرازق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع المكتب الإسلامي ، بيروت ، الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٩٧- **معاني القرآن** :
أبو زكريا يحي بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، الأولى بدون معلومات الطبع.

١٩٨- **المعجم الكبير** :
الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ ، تحقيق وتخريج حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٩٩- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** :
محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٢٠٠- **المعجم الوسيط** :
إصدار مجمع اللغة العربية ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط دار المعارف ، القاهرة ، الثانية ، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٢٠١- **معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري** :
محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، الأولى د.ت.

٢٠٢- **معجم مقاييس اللغة** :
أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، الأولى ، ١٣٩٦هـ .

٢٠٣- **معرفة القراء الكبار** :
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٦هـ ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، الأولى ، د.ت.

٢٠٤- **المغني في الفقه** :
ابن قدامة المقدسي (أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٢٠هـ) تحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، و د/ عبدالفتاح محمد الحلو، ط هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الثانية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٠٥- **مفاتيح الغيب (تفسير)**:
الفخر الرازي ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠

٢٠٦- **مفتاح دار السعادة** :
ابن القيم ، تحقيق سيد إبراهيم وعلي محمد ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٢٠٧- **مفتاح دار السعادة** :
ابن القيم ، ضبط وتعليق وتخريج علي بن حسين بن علي بن عبدالحميد ، ط دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ

٢٠٨- **مفردات ألفاظ القرآن :**
الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني ت٥٠٢هـ ، تحقيق صفوان داوودي ، ط دار القلم ، دمشق ، الأولى ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٠٩- **مفردات ألفاظ القرآن :**
الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني ت٥٠٢هـ، ضبط ومراجعة محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

٢١٠- **مقومات الداعية الناجح :**
سعيد بن علي القحطاني ، مطبعة سفير ، الرياض ، الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

٢١١- **من قضايا المرأة المسلمة :**
وهبي سليمان غاوجي ، ط دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢١٢- **مناقب عمر بن الخطاب :**
ابن الجوزي ، تحقيق د/ زينب القاروط ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، الأولى، د.ت

٢١٣- **منال الطالب في شرح الغرائب :**
ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، مكة المكرمة ، د.ت الأولى ١٣٩٨هـ

٢١٤- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم :**
أبو الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢١٥- **منهج التربية الإسلامية :**
محمد قطب ، ط دار الشروق ، بيروت ، لبنان، الثالثة عشرة ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢

٢١٦- **منهج القرآن الكريم في تطوير المجتمع :**
د/ محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الثانية ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥

٢١٧- **منهج القرآن في تربية المجتمع :**
د/ عبدالفتاح عاشور ، ط دار الجيل ، مصر ، الأولى ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م (رسالة دكتوراه مطبوعة).

٢١٨- **موارد الظمآن في محبة الرحمن :**
د/ سيد حسين العفاني ، مكتبة الصحابة ، جدة ، والتابعين بعين شمس، القاهرة، الثانية، ١٤١٥هـ.

٢١٩- **الموافقات في أصول الشريعة :**
أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان الأولى، د.ت

٢٢٠- **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ :**
صالح بن حميد وآخرون، ط دار الوسيلة ، جدة ، الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

٢٢١- **الموطأ :**
للإمام مالك بن أنس ت ١٧٩هـ تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار الحديث ، القاهرة ، الأولى ، د.ت

- ن -

٢٢٢- **النبأ العظيم :**
د/ محمد عبدالله دراز ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٢٣- **نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء :**
تهذيب محمد حسن عقيل موسى ، ط دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الأولى، د.ت

٢٢٤- **النشر في القراءات العشر :**
الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت ٨٣٣هـ ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت .

٢٢٥- **نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام :**
د/ عبدالرحمن الصابوني ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، د.ت

٢٢٦- **النظام الاقتصادي في القرآن :**
د/ محمد فريز منفيخي، ط دار قتيبة، دمشق ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٢٧- **نظام الحكم في الإسلام :**
د/ عارف خليل أبو عيد ، ط دار النفائس ، عمّان ، الأردن ، الأولى ، ١٤١٦هـ

٢٢٨- **نظام الحكم في الإسلام :**
د/ محمد يوسف موسى ، طبعة دار المعرفة ، مصر ، الثانية ، ١٩٦٤م

٢٢٩- **نظام الحياة في الإسلام :**
أبو الأعلى المودودي ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، الأولى .

٢٣٠- **النظام السياسي في الإسلام :**
د/ محمد أبو فارس ، ط دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ، الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

٢٣١- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :**
إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي ت ٨٨٥هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الأولى ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٢٣٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر :**
ابن الأثير ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

٢٣٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر :**
ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، ط دار إحياء الكتب العربية، وعيسى البابي الحلبي ، مصر ، الأولى ، ١٣٨٣هـ

٢٣٤- **نواقض الإيمان الاعتقادية:**
د/ محمد عبدالله الوهيبي ، ط دار المسلم بالرياض ، الأولى ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
(رسالة دكتوراه منشورة)

- هـ -

٢٣٥- **هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا** :

محمود محمد الخزندار ، ط دار طيبة ، الرياض ، الخامسة ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

- و -

٢٣٦- **واقعنا المعاصر** :

محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢٣٧- **وفيات الأعيان** :

شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت ٦٨١هـ ، ط ، دار صادر ، بيروت ، الأولى، د.ت

٢٣٨- **الولاء والبراء** :

د/ محمد سعيد القحطاني ، ط دار طيبة ، مكة و الرياض ، السادسة ، ١٤١٣هـ

٢٣٩- **ولاية المرأة في الفقه الإسلامي** :

حافظ محمد أنور ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الأولى ، ١٤٢٠هـ

الدوريـــات

٢٤٠- **الإعجاز العلمي** :

رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، العدد السابع ، جمادى الأولى ، ١٤٢١هـ

٢٤١- **الإعجاز العلمي**:

رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٨هـ

٢٤٢- **الشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت)**

٢٤٣- **المجتمع** :

عدد ٤٥٦ في ١٣٩٩/١٢/٣هـ ص١٥-٢١.

٢٤٤- **مرصد الأرقام** :

ملحق مجلة البيان ، محرم ١٤٢٢هـ رصده حسن قطامش.

٢٤٥- **مصحف الدوائر للنشر المكتبي (على الحاسوب)**

٢٤٦- **موسوعة الحديث النبوي الشريف على الحاسوب**:

سادساً : فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
آية وحديث	ب
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
المقدمـــــة	ح
أولاً : أهمية الموضوع والحاجة إليه	خ
ثانياً : منهجية الدراسة	ر
ثالثاً : الدراسات السابقة	س
رابعاً : خطة الدراسة	ط
تمهيد	١
الإنسان بين المخلوقات	١
أثر القرآن الكريم في حياة الإنسان	٦
الباب الأول : منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للفرد	١٤
الفصل الأول : منهج القرآن الكريم في البناء المعنوي للفرد	١٥
توطئة	١٦
المبحث الأول : بناء الشعور	١٨
معنى الشعور	١٨
أولاً : الصريح من الآيات	١٨
ثانياً : الضمني من الآيات	١٩
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات	٢٠
رابعاً : نماذج على بناء الشعور	٢١
أ- من الآيات الصريحة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾	٢١
ب- من الآيات الضمنية ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٢٤
• وقفة مع منهجية القرآن في بناء الشعور	٣٠
المبحث الثاني : بناء الفكر	٣٢
معنى الفكر :	٣٢
أولاً : الصريح من الآيات	٣٢
ثانياً : الضمني من الآيات	٣٣
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات	٣٤

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
رابعاً : نماذج على بناء الفكر.....	٣٦
أ- من الآيات الصريحة :	٣٦
١- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٣٧
٢- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾	٤١
* وجود الإله الخالق المدبر	٤٣
* الاستدلال على الوحي والرسالة	٤٤
ب- من الآيات الضمنية	٤٦
١- ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٤٦
٢- ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾	٤٧
• وقفة مع منهجية القرآن الكريم في بناء الفكر	٤٨
المبحث الثالث : بناء القيم	٥٠
معنى القيم	٥٠
المطلب الأول : الرحمة	٥١
أولاً : الصريح من الآيات.....	٥١
ثانياً : الضمني من الآيات.	٥٢
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات.....	٥٢
رابعاً : نموذج على بناء قيم الرحمة في القرآن الكريم.....	٥٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾	٥٤
المطلب الثاني : العدل : -	٥٨
معناه.....	٥٨
أولاً : الصريح من الآيات	٥٩
ثانياً : الضمني من الآيات.....	٦٠
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات.....	٦١
رابعاً : نموذج على بناء العدل في القرآن الكريم.....	٦٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾.....	٦٢
المطلب الثالث : الصدق.....	٦٧
معناه	٦٧
أولاً : الصريح من الآيات.....	٦٧

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
ثانياً : الضمني من الآيات.....	٦٨
ثالثاً : نموذج على البناء الاجتماعي لقيمة الصدق.....	٦٩
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ ..	٦٩
المطلب الرابع : الجمال	٧٣
معناه	٧٣
أولاً : الصريح من الآيات	٧٤
ثانياً : الضمني من الآيات	٧٤
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات.....	٧٥
رابعاً : نموذج على بناء الجمال في القرآن	٧٧
﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾.....	٧٧
١- الكلمة الجميلة	٧٨
٢- الصبر الجميل	٨٣
٣- الهجر الجميل	٨٦
٤- الصفح الجميل.....	٨٨
٥- السراح الجميل.....	٩٠
• وقفة مع منهجية القرآن الكريم في بناء القيم.....	٩١
الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في البناء الحسي للفرد.....	٩٣
توطئة	٩٤
المبحث الأول : البناء الصحي.....	٩٥
معنى الصحة.....	٩٥
الضمني من الآيات :	٩٦
أبرز جوانب الاهتمام بالصحة في القرآن الكريم	٩٧
(١) الوقاية ومن وسائلها : -	
١- عدم الإسراف في الطعام والشراب	٩٧
٢- الدعوة إلى المشي بعد الطعام	١٠٠
٣- التحذير من أكل الضار من الأطعمة	١٠١
٤- التحذير من الزنا	١٠٣
٥- التحذير من مواقعة النساء أثناء الحيض.....	١٠٤
٦- تحريم اللواط.....	١٠٦
٧- تحريم المسكرات والمفترات حماية للعقل.....	١٠٧
٨- الغسل والوضوء والنظافة.....	١٠٩

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
٩- الوقاية من أمراض الجهاز التنفسي.....	١١١
(٢) العلاج والتداوي	١١٢
الرُّقية الشرعية – العسل – الحجامة – التمر – الإثمد – زمزم	١١٣
إفطار الصائم – تيمم المريض – الصلاة جالساً.....	١١٤
• وقفة مع منهجية البناء الصحي في القرآن الكريم	١١٤
المبحث الثاني : البناء الاقتصادي	١١٦
معناه	١١٦
أولاً: الصريح من الآيات	١١٦
ثانياً : الضمني من الآيات.....	١١٧
ثالثاً: التصنيف الموضوعي للآيات.....	١١٨
الملكية الخاصة ، وأهم المبادئ التي تحكمها :	١٢٥
١- الانتفاع بالممتلكات.....	١٢٦
٢- إيتاء الزكاة.....	١٢٧
٣- الاستخدام النافع	١٢٧
٤- الاستخدام غير الضار	١٢٧
٥- الحيازة المشروعة	١٢٨
٦- الاستخدام المتوازن	١٢٩
٧- الفائدة المستحقة.....	١٢٩
٨- الاهتمام بمصالح الأحياء.....	١٣٠
• وقفة مع البناء الاقتصادي	١٣٠
الوقفة الأولى	١٣٠
الوقفة الثانية.....	١٣١
الوقفة الثالثة	١٣١
الوقفة الرابعة	١٣١
الوقفة الخامسة	١٣٣
الوقفة السادسة	١٣٣
المبحث الثالث : البناء التنظيمي.....	١٣٦
معناه	١٣٦
القرآن الكريم والنظام	١٣٦
١- في مواقيت الصلاة	١٣٧
٢- في الدخول إلى الصلاة.....	١٣٧

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
٣- في صلاة الخوف	١٣٨
٤- في الإعداد لمجابهة الكفار	١٣٨
٥- بين يدي القتال	١٣٩
٦- في القتال نفسه	١٤٠
٧- في الآداب	١٤٠
٨- في الدعوة إلى الله	١٤١
●وقفة مع منهجية القرآن في البناء التنظيمي	١٤٢
الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم في بناء علاقات الفرد	١٤٤
توطئة	١٤٥
المبحث الأول : العلاقة مع الله سبحانه	١٤٦
أ- الإيمان : أمثلة من الآيات	١٤٦
معنى الإيمان	١٤٧
والمسلم والذنوب وأدلة كونها صغائر وكبائر	١٥١
ب- المحبة :	١٥٦
معناها	١٥٦
أولاً : الآيات الصريحة	١٥٧
ثانياً : الآيات الضمنية	١٥٧
ثالثاً : التصنيف الموضوعي لآي المحبة في القرآن الكريم	١٥٨
رابعاً : مثال على المحبة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾	١٥٩
جـ- الخوف :	١٦٣
معناه	١٦٣
أولاً : الصريح من الآيات	١٦٣
ثانياً : الضمني من الآيات	١٦٤
ثالثاً : التصنيف الموضوعي لآيات الخوف	١٦٤
التخويف من الله - البشارة بحسن العاقبة - البشارة بالتمكن والنصر - الحث على الإنابة والخضوع - التحذير من الكفران والجحود - الإرشاد إلى الإيمان والإصلاح - الإفادة من قصص القرآن - الإفضاء إلى تقوى الله - نعمتا الإطعام من الجوع والأمن من الخوف	١٦٤
●وقفة مع منهجية القرآن في بناء علاقة المسلم بربه	١٦٧
المبحث الثاني : علاقة المسلم بإخوانه المسلمين	١٦٩
آيات ترسم هذه العلاقة	١٦٩

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
أبرز دعائم هذه العلاقة	
أولاً : المحبة	١٧٠
ثانياً : التعاون	١٧٥
ثالثاً : النصيحة والتواصي.....	١٧٩
فضل التجرد في الناصح	١٨٢
البدء بالنفس قبل الغير	١٨٣
• وقفة مع منهجية القرآن في بناء علاقة المسلم بإخوانه.....	١٨٤
المســـلم فرد في التكليف ، وفرد في الحساب ، ولكنه في حياته عضو في أمة ولبنة في بناء – المسلم له حقوق وعليه واجبات وكل بتوازن غير مسبوق – المســـلم عامله القرآن بموضوعية كاملة ، وواقعية شديدة حيث أمره بالممكن ودعـــاه للمســـتطاع – المسلم مرآه صافية تعكس بصفاء وتوضح بجلاء – القـــرآن صان قنوات الاتصال بين المسلم وإخوانه – القرآن أوضح الشرايين التي تضخ الدم في الجسد الإسلامي الكبير ليبقى معافاً	١٨٤
المبحث الثالث : علاقة المسلم بغير المسلم	١٨٦
واجب المسلم تجاه غير المسلمين	١٨٦
١- الاعتزاز بالإسلام	١٨٦
٢- عدم موالاة غير المسلمين	١٨٦
٣- الإنصاف مع غير المسلمين	١٨٧
٤- رحمة غير المسلمين	١٨٧
٥- إهداؤهم وقبول هديتهم	١٨٨
٦- الجهاد : معناه ، أنواعه ، آثاره	١٨٨
• وقفة مع منهجية القرآن في بناء علاقة المسلم بغير المسلم	١٩١
الباب الثاني : منهج القرآن الكريم في البناء الاجتماعي للأسرة	١٩٣
الفصل الأول : الزوجة	١٩٤
توطئة	١٩٥
المبحث الأول : منهج القرآن الكريم في اختيار الزوجة	١٩٨
الصريح من الآيات في ذكر الزوجات	١٩٨
الضمني من الآيات في ذكر الزوجات	١٩٨
التصنيف الموضوعي للآيات القرآنية حسب السياق	١٩٩
١- التشريع	١٩٩
٢- المنة بالخلق	٢٠٠

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
٣- استشعار جمال الرفقة والمشاركة في مشوار الحياة	٢٠١
٤- الشهادة بقوة ورسوخ علاقة المرء بزوجه	٢٠١
٥- التحريض على التقارب والتمازج	٢٠١
٦- مشاركة المرسلين لسائر البشر	٢٠٢
٧- الإشارة إلى مصدر الإصلاح والهداية	٢٠٢
٨- تحديد الغاية ووضوح الهدف من أول الطريق.....	٢٠٣
٩- الأمر بالحجاب	٢٠٣
١٠- أمر الله أولاً	٢٠٤
١١- في الزوجة غنى عن التلطخ بالفواحش	٢٠٤
١٢- الزوجة موضوع سر زوجها وشاطئ سفينته	٢٠٥
١٣- التحذير من عداوة قد تكمن في الزوجة	٢٠٥
١٤- الثناء على المؤمنين يحسنون الدعاء	٢٠٥
١٥- البشارة بمرافقة الأزواج في الدار الآخرة	٢٠٦
أسس الاختيار وفق المنهج الرباني	٢٠٧
١- الإيمان أولاً	٢٠٨
٢- ولاية المؤمنين والمؤمنات	٢٠٩
٣- نعم الخاطب رسول الله ﷺ	٢١٠
٤- القصص القرآن وآثاره في الاختيار	٢١٣
المبحث الثاني : منهج القرآن الكريم في تحديد رسالة الزوجة	٢١٥
١- سكن للزوج	٢١٥
٢- الإنجاب	٢١٧
٣- المصاحبة بالمعروف	٢٢٣
٤- تربية الأولاد	٢٢٨
أ- ابن الزبير وأسماء -رضي الله عنهما-	٢٣٠
ب-الخنساء وأولادها	٢٣٢
المبحث الثالث : تعدد الزوجات	٢٣٦
• الاطلاع على حال المرأة عند الأمم الأخرى	٢٣٧
١- عند اليونان	٢٣٧
٢- في شريعة حمورابي	٢٣٧
٣- عند الرومان	٢٣٨
٤- عند الفرس	٢٣٨

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
٥- عند الهنود	٢٣٨
٦- عند اليابانيين	٢٣٨
٧- عند الصينيين	٢٣٩
٨- عند اليهود	٢٣٩
٩- عند المسيحين	٢٣٩
١٠- في إنجلترا	٢٣٩
الاطلاع على حال المرأة عند العرب قبل الإسلام	٢٣٩
وأنصفها الإسلام ، فهل تنصف نفسها بالتزامه؟	٢٤٠
الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول التعدد	٢٤٢
أول شبهة : الآثار التربوية والرد عليها.....	٢٤٢
ثاني شبهة : الآثار النفسية والرد عليها.....	٢٤٤
ثالث شبهة: الآثار الاقتصادية والرد عليها.....	٢٤٧
المسلمة والتعدد.....	٢٤٩
• وقفة حول منهجية القرآن في بناء الزوجة المسلمة	٢٥٢
الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في بناء الزوج المسلم	٢٥٣
توطئة	٢٥٤
المبحث الأول : شروط قبول الزوج المسلم	٢٥٦
أولاً : الضمني من الآيات	٢٥٦
ثانياً : التصنيف الموضوعي للآيات القرآنية	٢٥٦
١- التحذير من الشرك بالله ﷻ	٢٥٧
٢- المسؤولية عن حراسة حق الله في العبادة	٢٥٨
٣- حراسة الفضيلة والعفة والشرف	٢٥٨
٤- الإشفاق على من يعولهم من عذاب الله	٢٥٩
٥- الاعتصام بالله ودعاؤه لجلب نفع أو دفع ضر	٢٦٠
٦- إخلاص النصح والدعوة حتى النهاية	٢٦٠
٧- السعي في مصالحهم العاجلة والآجلة	٢٦١
٨- مشاورة الأبناء ومنحهم فرصة لاتخاذ القرار	٢٦٢
٩- حماية الأبناء من غشم الآباء وجاهليتهم	٢٦٣
١٠- تعهد الأبناء بالوصايا النافعة	٢٦٣
١١- الاعتدال في حب الأبناء	٢٦٤
ثالثاً : أسس قبول الزوج وفق منهج القرآن الكريم	٢٦٥

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
١- الإيمان أولاً	٢٦٥
٢- الصلاح	٢٦٦
٣- القوة	٢٦٧
٤- الأمانة	٢٦٨
٥- الدين	٢٦٩
٦- الخلق	٢٧٠
المبحث الثاني : رسالة الزوج	٢٧١
أولا: التعليم	٢٧٢
ثانياً : التربية	٢٧٣
ثالثاً : السعي على المعاش ومنهج القرآن في ذلك	٢٧٧
أ – في مهنة الزراعة	٢٧٩
ب- في مهنة الصناعة	٢٨٠
جـ- في مهنة التجارة	٢٨٠
د – في مهنة الصيد	٢٨٠
هـ- في مهنة النجارة	٢٨١
• وقفة مع منهجية القرآن في بناء الزوج المسلم وتحديد مسؤولياته	٢٨٣
الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم في بناء الذرية الصالحة	٢٨٤
توطئة	٢٨٥
المبحث الأول : التربية وهمومها	٢٨٧
العامل الأول : الوالدان	٢٨٨
أ- التربية الجسدية	٢٨٩
ب- التربية النفسية	٢٩١
جـ- التربية العقلية	٢٩٢
د – التربية الخلقية	٢٩٣
الجانب الأول : في كلامهم	٢٩٣
الجانب الثاني : في سلوكهم	٢٩٤
الجانب الثالث : في قلوبهم ونفوسهم	٢٩٥
الجانب الرابع : في علاقتهم بأمتهم	٢٩٥
هـ التربية الجنسية	٢٩٦
العامل الثاني : وسائل الإعلام	٣٠١
العامل الثالث : نمط التعليم	٣٠٤

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
العامل الرابع : الصحبة	٣٠٦
منهج القرآن الكريم في إبراز أثر الصحبة :	٣٠٦
١- الندم على الصحبة السيئة يوم القيامة	٣٠٦
٢- العداوة اللدودة مكان الصحبة السيئة	٣٠٧
٣- حُسن العاقبة لمن خالف قرين السوء	٣٠٨
٤- افتقاد الصاحب الصالح عند كل شدة	٣٠٨
المبحث الثاني : الطلاق كظاهرة اجتماعية : أسباب وآثار	٣١١
المرحلة الأولى : الوضوح والمصارحة والمعاتبة	٣١٢
المرحلة الثانية : التحكيم	٣١٣
المرحلة الثالثة : الطلاق	٣١٤
أولاً : الصريح من الآيات في الطلاق	٣١٤
تصنيفها الموضوعي :	٣١٥
١- إقرار مبدأ الطلاق	٣١٥
٢- بيان عدة المطلقة	٣١٦
٣- كرم الخلق في استخدام الطلاق	٣١٦
٤- الحاجز الصعب أمام الزوج	٣١٧
٥- حقوق المطلقة	٣١٨
٦- الطلاق ليس معرة اجتماعية	٣١٩
٧- سياج التقوى	٣٢٠
ثانياً : الضمني من الآيات	٣٢٠
ثالثا: أسباب تفشي ظاهرة الطلاق	٣٢١
١- اختلاف الطبائع	٣٢٢
٢- مخالفة الشرع عند الاختيار	٣٢٢
٣- عدم الإنجاب	٣٢٣
٤- الوسط الاجتماعي وضغوطه	٣٢٣
٥- البعد عن التصور الإسلامي	٣٢٣
٦- الزوجة الثانية	٣٢٤
رابعاً : آثار الطلاق الاجتماعية	٣٢٥
المبحث الثالث : أبناء وآباء في القرآن	٣٢٦
أولاً : إبراهيم عليه السلام وأبوه	٣٢٦
ثانياً : إسماعيل وأبوه -عليهما السلام-	٣٣١

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
• وقفة مع منهجية القرآن في إصلاح الأبناء	٣٣٧
الباب الثالث : منهج القرآن الكريم في بناء المجتمع	٣٣٨
الفصل الأول : منهج القرآن الكريم في نظام الحكم	٣٣٩
توطئة	٣٤٠
المبحث الأول : الحاكم	٣٤١
أولاً : الصريح من الآيات	٣٤١
ثانياً : الضمني من الآيات	٣٤٢
ثالثاً : صفات الحاكم في ضوء المنهج القرآني	٣٤٣
١- الحكم بالعدل وثماره	٣٤٣
٢- الشورى وثمارها	٣٤٩
٣- المساواة وجوانبها	٣٥٤
أ- في الأموال	٣٥٥
ب- في القضاء	٣٥٦
جـ- في التقويم	٣٥٦
هـ- في الدعاء	٣٥٧
ثمار المساواة	٣٥٧
رابعاً : شروط الحاكم المسلم	٣٥٩
١- الإسلام	٣٥٩
٢- العدالة	٣٥٩
٣- الذكورة	٣٦٠
٤- القدرة الجسمية	٣٦٠
٥- العقل	٣٦١
٦- القوة والأمانة	٣٦١
المبحث الثاني : الأمة	٣٦٣
أولاً : الصريح من الآيات	٣٦٣
ثانياً : الضمني من الآيات	٣٦٤
ثالثاً : التصنيف الموضوعي للآيات	٣٦٥
أ- هوية الأمة	٣٦٥
ب- حمل هموم الدعوة وتبليغ الدين	٣٦٥
جـ- الوحدة	٣٦٦
د - الوسطية والشهادة على الناس	٣٦٧

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
هـ- الأخوة الإسلامية	٣٦٧
واجبات الأمة قبل حاكمها :	٣٦٨
أولاً : الطاعة	٣٦٨
ثانياً : النصح	٣٧٠
ثالثاً : الإكرام والتوقير	٣٧١
رابعاً : المراقبة	٣٧٢
خامساً : الاتحاد خلف الحاكم	٣٧٣
المبحث الثالث : المنهج	٣٧٥
أولاً : نظام الحكم الإسلامي	٣٧٨
ثانياً : مصادر الدستور الإسلامي	٣٨١
١- القرآن الكريم	٣٨١
٢- السنة النبوية المطهرة	٣٨٤
٣- الإجماع	٣٨٥
٤- الاجتهاد والقياس	٣٨٦
• وقفة حول منهجية القرآن في نظام الحكم في المجتمع	٣٨٧
الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في مواجهة قضايا المجتمع	٢٨٨
توطئة	٣٨٩
المبحث الأول: قضية الفقر ، وأهم وسائل مواجهتها	٣٩٠
١- دفع الزكاة	٣٩٢
٢- الصدقات التطوعية	٣٩٣
٣- حظر جميع مصادر الكسب الخبيث	٣٩٤
٤- تطبيق قانون : من أين لك هذا	٣٩٥
٥- حظر امتلاك السلع الضرورية	٣٩٦
٦- الضرب على أيدي المسرفين	٣٩٦
٧- إقامة المشروعات العملاقة	٣٩٦
٨- إنزال العمل منزلته الشريفة	٣٩٧
٩- القرآن يربي أهله على القناعة	٣٩٨
المبحث الثاني : قضية العنف والتعصب	٣٩٩
علاج العنف والتعصب في ضوء القرآن	٤٠٢
المبحث الثالث : قضية الشرك	٤٠٤
أ- أقسام الشرك	٤٠٤

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
أولاً : أقسام الشرك الأكبر	٤٠٤
١- شرك الدعاء	٤٠٥
٢- شرك العبادة والتقرب	٤٠٦
٣- شرك الشفاعة	٤٠٧
٤- شرك الطاعة	٤٠٨
٥- شرك الولاء	٤٠٩
ثانياً : الشرك الأصغر	٤٠٩
ب- آثار الشرك على المجتمع	٤٠٩
١- إضعاف قوة التعلق بالله	٤١٠
٢- الفرقة	٤١١
٣- ضيق الأرزاق ومحق البركات	٤١١
٤- افتقاد الأمن	٤١١
٥- الذلة والصغار	٤١٢
٦- حبوط العمل	٤١٣
المبحث الرابع : قضية العلمانية	٤١٥
أولاً : تعريفها	٤١٥
ثانياً : نشأتها	٤١٥
مرحلة العلمانية المعتدلة	٤١٦
مرحلة العلمانية العنيفة (الثورة العلمانية)	٤١٧
ثالثاً : الإسلام وموقفه من العلمانية	٤١٩
حقائق عن الإنسان	٤٢٢
حقائق عن الإسلام	٤٢٣
• وقفة حول منهجية القرآن في مواجهة قضايا المجتمع	٤٢٥
الفصل الثالث : القرآن الكريم وسنة التمكين	٤٢٨
توطئة	٤٢٩
المبحث الأول : أسباب التمكين	٤٣١
أولاً : عبادة الله والإيمان به وآثار ذلك في :	٤٣٢
١- نفي الشك والحيرة	٤٣٣
٢- توليد مشاعر التفاؤل	٤٣٣
٣- الفلاح	٤٣٤
٤- الإخاء	٤٣٥

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
٥- العزة	٤٣٥
٦- خشية الله وعدم خشية الأعداء	٤٣٦
٧- منح الولاء للمؤمنين وحجبه عن الكافرين	٤٣٦
٨- الشوق إلى النصر والفرح به	٤٣٧
٩- طلب مرضاة الله	٤٣٨
١٠- الانتفاع بالذكرى	٤٣٩
١١- ترقب الوعد الأكيد بالنصر	٤٣٩
ثانياً : إقامُ الصلاة وأثرها في :	٤٤١
١- وحدة الصف	٤٤١
٢- طرد الهلع والشح	٤٤١
٣- الثبات أمام الشدائد.....	٤٤٢
٤- تعلم النظام	٤٤٢
٥- الطاعة والانضباط	٤٤٣
٦- الرجولة	٤٤٤
٧- ترك الفواحش واجتناب المنكرات	٤٤٤
ثالثاً : إيتاء الزكاة وآثارها في :	٤٤٥
١- تحقيق التكافل الاجتماعي	٤٤٥
٢- تطهير المال والنفس	٤٤٥
٣- كفاية المحتاج لتهيئته للجهاد	٤٤٥
رابعاً : طاعة الرسول ﷺ وآثارها في :	٤٤٦
١- الهداية	٤٤٧
٢- الاستقامة	٤٤٧
٣- الوحدة	٤٤٧
خامساً : تقوى الله وآثارها :	٤٤٧
أ- في الدنيا	٤٤٨
ب - في الآخرة	٤٥٣
سادساً : الإعداد وأهم صوره	٤٥٤
١- الروحي	٤٥٤
٢- النفسي	٤٥٤
٣- البدني	٤٥٤
٤- العسكري	٤٥٥

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
٥- الاقتصادي	٤٥٥
٦- الاجتماعي	٤٥٥
المبحث الثاني : بعض صور التمكين في القرآن الكريم	٤٥٦
١- البلاغ والدعوة والثبات ونيل الشهادة (حادثة الأخدود)	٤٥٦
٢- نجاة المؤمنين وإهلاك الكافرين (موقف نوح وقومه)	٤٥٦
٣- إقامة الدولة الإسلامية (دولة سليمان بن داود عليه السلام ودولة رسول الله ﷺ في المدينة).....	٤٥٧
نموذج للتمكين في القرآن الكريم (حادثة الأخدود) :	٤٥٧
أنباء القرآن	٤٥٧
أخبار السنة	٤٥٧
أبرز صور التمكين في حادثة الأخدود	٤٥٩
١- انشراح الصدر للإيمان	٤٥٩
٢- البصيرة كأثر للإيمان	٤٥٩
٣- البحث عن اليقين والبيِّنة.....	٤٦٠
٤- الإشفاق على الناس وحب الخير لهم	٤٦٠
٥- حماية جناب التوحيد	٤٦٠
٦- استصغار ما دون الله ﷻ	٤٦٠
٧- الخطة	٤٦١
٨- الهزيمة الكبرى	٤٦٢
المبحث الثالث : أهداف التمكين	٤٦٤
أولاً : السموّ الروحي	٤٦٥
ثانياً : تحقيق العدالة الاجتماعية	٤٦٦
ثالثاً : الدعوة إلى الله وأهدافها	٤٦٧
١- تعريف الناس بالإسلام	٤٦٧
٢- تبليغ الإسلام غير المسلمين	٤٦٧
٣- ترغيب الناس في طاعة الله	٤٦٨
٤- نشر العلم الشرعي	٤٦٨
٥- التحريض على الفضائل	٤٦٨
٦- محاربة الرذائل	٤٦٩
٧- مقارعة الأعداء بالحجة	٤٦٩
أهم مقومات الدعوة الناجحة	٤٧٠

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
١- الإخلاص	٤٧٠
٢- الاعتصام بالله	٤٧٠
٣- ترجمة المقال بالفعال	٤٧١
٤- العلم	٤٧١
٥- الذكاء والفطنة	٤٧٣
٦- الحلم وسعة الصدر	٤٧٣
٧- فهم الثوابت والمتغيرات	٤٧٣
٨- التدرج	٤٧٦
رابعاً : الجهاد	٤٧٨
أولاً : أهدافه	٤٧٨
١- إعلاء كلمة الله	٤٧٨
٢- نشر الدعوة إلى الله	٤٨٠
٣- دفع العدوان	٤٨٠
٤- نصرة المستضعفين	٤٨٢
ثانياً : من ثمار الجهاد في سبيل الله	٤٨٣
١- الاستجابة لأمر الله	٤٨٤
٢- دخول الناس في دين الله أفواجا	٤٨٤
٣- حماية مكتسبات الأمة	٤٨٥
٤- تولي الخير زمام القيادة	٤٨٦
• وقفة حول منهجية القرآن في قيادة الأمة لمرحلة التمكين وما وراءها	٤٨٦
الخاتمة وتشتمل على :	٤٨٨
ملخص البحث	٤٨٨
أهم النتائج	٤٨٨
التوصيات	٤٩٣
الفهارس	٤٩٥
أولاً : فهرس الآيات القرآنية	٤٩٦
ثانياً : فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار	٥٢١
ثالثاً : فهرس الأشعار	٥٢٦
رابعاً : فهرس الأعلام	٥٢٧
خامساً : فهرس المصادر والمراجع والدوريات	٥٣٢
سادساً : فهرس الموضوعات	٥٥١

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد: ... التاريخ: ...